وِزَارَةُ التَّعْلِيْمِ العَالِي والبَحْثُ العِلْمِي
جَامِعَةُ كَرْبَلَاءَ / كُلِّيَّةُ العِلُوْمِ الإِسْلَامِيَّةِ
قِسْمُ اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ

المَبَاحِثُ البَلَاغِيَّةُ وَالنَّقْدِيَّةُ
فِي عَشْرَةِ شُرُوْحٍ مُخْتَارَةٍ لِلزِّيَارَةِ الجَامِعَةِ الكَبِيْرَةِ

أُطْرُوْحَةٌ مُقدَّمَةٌ إلى مَجْلِسِ كُلِّيَّةِ العِلُوْمِ الإِسْلَامِيَّةِ/جَامِعَةِ كَرْبَلَاءَ وَهِيَ مِنْ مُتَطَلَّبَاتِ
نَيْلِ دَرَجَةِ الدِّكْتُوْرَاه فِي اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ / لُغَةِ القُرْآنِ وَآدَابِهَا / بَلَاغَةٌ وَنَقْدٌ

كُتِبَتْ مِنْ قِبَلِ الطَّالِبِ
خَالد عَبْد النَّبِي عِيْدَان الأَسَدِي

بِإِشْرَافِ
أ.د. أَمْجَد حَمِيْد عَبْد الله الفَاضِل

١٤٤٥هـ ٢٠٢٤م

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيْمِ

﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾

صَدَقَ اللهُ العَلِيُّ العَظِيْمُ

﴿الشورى/٢٣﴾

ترشيح الأطروحة للطبع

نظرًا لإنجاز فصول ومباحث الأطروحة الموسومة بـ (**المباحث البلاغية والنقدية في عشرة شروح مختارة للزيارة الجامعة الكبيرة**) لطالب الدكتوراه (**خالد عبد النبي عبدان حميدي**) فأني أرشحها للطبع .

التوقيع:

المشرف : أ.د. أحمد حميد عبد الله

مكان العمل: جامعة كربلاء / العلوم الإسلامية

التاريخ: ٧-١-٢٠٢٤ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

إقرار المشرف

أشهد أن الأطروحة الموسومة بـ (المباحث البلاغية والنقدية في عشرة شروح مختارة للزيارة الجامعة الكبيرة) التي قدمها الطالب (خالد عبد النبي عيدان حميدي) قد تم إعدادها تحت إشرافي في جامعة كربلاء / كلية العلوم الإسلامية وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الدكتوراه فلسفة في لغة القرآن وآدابها.

التوقيع:

المرتبة العلمية : استاذ دكتور

الاسم: أ.د. أحمد حميد عبد الله

مكان العمل: كلية العلوم الإسلامية

التاريخ: ١٤/١/٢٠٢٤م.

بناءً على التوصيات المتوافرة أرشح هذه الاطروحة للمناقشة.

التوقيع :

الاسم: أ.م.د. حامد زغير

التاريخ: ٦/٢/٢٠٢٤

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

إقرار لجنة المناقشة

نشهد نحن رئيس لجنة المناقشة وأعضاؤها أنّنا اطلعنا على هذه الأطروحة الموسومة بـ (**المباحث البلاغية والنقدية في عشرة شروح مختارة للزيارة الجامعة الكبيرة**) وناقشنا الطالب/ـة (**خالد عبد النبي عيدان حميدي**) في محتواها وفيما له علاقة بها ونعتقد أنّها جديرة بالقبول بتقدير (**امتياز**) لنيل شهادة الدكتوراه ؛ فلسفة في لغة القرآن وآدابها.

أ.د. زينه غني عبد الحسين
جامعة بابل / كلية التربية الأساسية

الاستاذ المتمرس الدكتور
عبود جودي عبود الحلي
جامعة كربلاء/ كلية العلوم الإسلامية

عضواً

رئيساً

أ.د. محمد حسين عبد الله
جامعة كربلاء / كلية التربية للعلوم الانسانية

أ.د. عبد الاله عبد الوهاب هادي
جامعة الكوفة / كلية التربية الأساسية

عضواً

عضواً

أ.د.حازم فاضل محمد
جامعة كربلاء / كلية العلوم الإسلامية

أ.د. أمجد حميد عبد الله
جامعة كربلاء / كلية العلوم الإسلامية

عضواً ومشرفاً

عضواً

صُدِّقتْ في جامعة كربلاء / كلية العلوم الإسلامية

التوقيع:

الاسم: **أ.د. محمد حسين عبود الطائي**

العميد

التاريخ: ٩/٤/٢٠٢٤

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أَلإهداء ...

إلى الذّيْنَ أُذْهِبَ عَنْهُمْ الرِّجْسَ وَطُهِّرُوا تَطْهِيْراً

مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّيِّبِيْنَ الطَّاهِرِيْنَ .. ولاءً وإنتماءً

إلى وليِّ نِعْمَتِنا وإمامِ زمانِنا وقائدِ أمّتِنا الإمامِ القائمِ **محمّدِ بنِ الحَسَنِ المَهْدِي**

عَجَّلَ اللهُ تَعالى فرَجَهُ الشَّريفَ .. عرفاناً بجميلك ...

إلى نورِ بَصَرِيْ وبَصِيْرَتِي أَبِي وأُمِّي .... بِرّاً بِكُما ....

إلى زَوْجِي وأولادي ... مودّةً وَرَحْمة ...

إليكِ أيّتُها **القارئُ** العَزيزُ فأَنتَ قَمينٌ بذلكَ ...

تَفضّلوا بِقَبُوْلِ مَا رَشَحَ مِنْ عَقْلِي ...

مَعَ وَافِرِ حُبِّي وَعِرْفَانِي ...

خالد

الشكر والعرفان

الحمد لله على جزيل نعمائك بأن أنعمتَ فأسبغتَ مع علمي أن حمدي لك يستوجب الحمد.

وعملاً بقول خير خلقه الرسول الأكرم محمد بن عبد الله " صلى الله عليه وآله " ((من لم يشكر المخلوق لم يشكر الخالق)) ، أتقدم بالشكر الجزيل إلى الأستاذ الدكتور (**أمجد حميد عبد الله الفاضل**) الذي تفضل بالإشراف على أطروحتي ، ولمستُ فيه الجدَّ في الإشراف والتأني في القراءة والحنو على الطالب القاصر .

وشكري وامتناني وخالص تقديري إلى الأستاذ الدكتور (**مسلم مالك الأسدي**) الذي ضحى في كثير من وقته بمساءلته الدائمة والدؤوبة ، انحني إجلالاً لكرمه وتفضله .

كما أقدِّم خالص شكري وامتناني إلى الأستاذ المساعد الدكتور (**مشكور حنون الطالقاني**) الذي كان له الفضل بالتوجيه والملاحظة الواعية في إخراج الأطروحة على ما هي عليه .

وشكري وامتناني إلى السادة أعضاء لجنة المناقشة الذين تجشموا العناء وتفضلوا بتقويم الأطروحة وإرشادي إلى الصواب ، فشكراً جزيلاً لهم رئيساً وأعضاءً ، وكذلك شكري إلى السيدين الخبير العلمي الأول والخبير العلمي الثاني ، جزاهم الله عني خير الجزاء.

ولا يفوتني أن اقدم شكري وامتناني إلى السيد رئيس قسم اللغة العربية في كلية العلوم الإسلامية الأستاذ المساعد الدكتور (**حامد شهاب**) الذي لم يبخل عليَّ بنصحه وعلمه .

وكذلك إلى أساتذتي في قسم اللغة العربية / لغة القرآن وآدابها الذين أكرموني بمعلوماتهم ولم يتوانوا عن دعمي في مراحل كتابة الأطروحة كلها وأخصُ بالذكر الأستاذ المساعد الدكتور (**صفاء حسين لطيف**) فلهم وافر الشكر .

وإلى السيدة (**هديل فائق مهدي**) الموظفة في شعبة الدراسات العليا في كلية العلوم الإسلامية لما أبدته من مساعدة وبذلها الكثير في مساعدة طلبة الدراسات العليا، فجزاها الله عني كل خير .

وإلى زملائي طلبة الدراسات العليا في قسم اللغة العربية / لغة القرآن وآدابها .

ولا يسعني في هذا المقام إلاَّ أن أتقدم بالشكر والامتنان الى كل من كانت له عليَّ يد بيضاء في اتمام هذه الأطروحة مشورةً وتوجيهاً .

الباحث

الخلاصة

من نافلة القول التحدث عن كلام الثقل الثاني (العترة الطاهرة) التي أوصى رسول الله (صلى الله عليه وآله) باتباعهم والسير خلفهم دون أن نعترض عليهم أو نخالفهم لأنَّهم لا يُخرجوننا من هدى ولا يُدخلوننا في ضلال ؛ فلم يُرد الباحث أن يقول على قولهم لأنَّ **(كلامهم نور وأمرهم رشد)** ؛ فارتأى أن يبحث في نتاجات الشارحين لأقوالهم المباركة فجاء العنوان : **(المَبَاحِثُ البَلَاْغِيَّةُ وَالنَّقْدِيَّةُ فِيْ عَشْرَةِ شُرُوْحٍ مُخْتَارَةٍ للزِّيَارَةِ الجَامِعَةِ الكَبِيْرَةِ)** ؛ فكان البحث في شروح تم اختيارها للدراسة والبحث فيها .

وكان اختيار العنوان لرغبة عند الباحث في هذه النتاجات وبوساطة التداول مع الأستاذ المشرف (أعزَّه الله) في الصياغة ، وكذلك كانت الخطَّة ـ التي هي خارطة طريق الأطروحة ـ وفق ما أملاه العنوان على الباحث ، فنتج منها ما أوردناه في النتائج المستخلصة من كامل الأطروحة .

فقد استكملت ـ الشروح المختارة ـ كل مقتنيات البلاغة العربية (القديمة) لأنَّ شارحي الزيارة الجامعة الشريفة ؛ من أساطين المؤسسات العلمية ولهم باع طويل في اللغة والأدب ، فلم يفتهم من اللمسات البلاغية إلا وأوردوه ولو على نحو الوجازة والاختصار.

أمَّا المباحث النقديَّة فلم تكن بوزن البلاغة في هذه الشروح رغم وجودها بكثرة إذا ما قيست بالمباحث البلاغية ، فقام الباحث بتقسيم الأطروحة على بابين بابٌ خاصٌ بالبلاغة وبابٌ خاصٌّ بالنقد .

ثمَّ استخلص من كلا البابين نتائج ختم بها الأطروحة ؛ إذ كانت هذه النتائج عصارة البحث في هذه الشروح التي ادخلها في مضمار دراسته، واتَّبع هذه النتائج بتوصيات يرى أنَّها جديرة بالملاحظة ، **والحمد لله رب العالمين** ..

الموضوع	رقم الصفحة
المقدمة	١ ـ ٧
التّمهيد : مفاهيم تعريفية	٨ـ ٤٧
المطلب الأول : البلاغة : حدُّها ، أقسامها ، غايتها	٩ ـ ٢٠
المطلب الثاني: النقد : مفهومه ، وظيفته ،مناهجه	٢١ـ ٢٦
المطلب الثالث : شذرات من حياة الإمام الهادي (عليه السلام)	٢٧ـ ٤٠
المطلب الرابع : الزيارة الجامعة الكبيرة : سندها ، شروحها	٤١ـ ٤٧
الباب الأوَّل : المباحث البلاغيّة	٤٨ ـ
الفصل الأوَّل : مباحث علم المعاني في شروح الزيارة الجامعة	٥٠ ـ
المبحث الأوَّل : دراسة الجملة وبيان ماهيَّتها	٥٤ ـ ٩٩
الخبر : حدَّه ، أنماطه ، أغراضه البلاغية	٥٤ـ ٧٢
الإنشاء : حدَّه ، أقسامه ، تطبيقاته في الشروح	٧٣ـ ٩٩
الأمر	٧٦ـ٨٤
الاستفهام	٨٤ ـ ٩١
النداء	٩١ ـ ٩٦
النهي	٩٦ ـ ٩٩
المبحث الثاني : دراسة أحوال الجملة	١٠٠ـ١٤١
المطلب الأوَّل : التقديم والتأخير	١٠٠ـ١٠٧
المطلب الثاني : القصر : حدُّه ، أركانه ، طرقه	١٠٧ـ١١٦
المطلب الثالث : التعريف والتنكير	١١٧ـ١٣٤
المحور الأوَّل : التعريف : حدَّه ، أقسامه ،أغراضه	١١٧ـ١٣٠
المحور الثاني : التنكير : حدُّه ، فوائده البلاغية	١٣٠ـ١٣٤
المطلب الرابع : الإلتفات : حدُّه ، صوره ، فوائده البلاغية	١٣٤ـ١٤١
المبحث الثالث : دراسة أحوال العبارة	١٤٢ـ١٨٨
المطلب الأوَّل : الإيجاز : حدُّه ، أنواعه ، فوائده البلاغية	١٤٦ـ١٦٢
المطلب الثاني : الإطناب : حدُّه ، أشكاله ، فوائده البلاغية	١٦٣ـ١٧٦
المطلب الثالث : الذكر : حدُّه ، أغراضه البلاغية	١٧٧ـ١٨٨
الفصل الثاني : جماليات علم البيان في شروح الزيارة المختارة	١٨٩ ـ ٢٦٩
المبحث الأوَّل : الحقيقة والمجاز	١٩٣ـ٢١٩
المطلب الأوَّل : الحقيقة ، حدُّها ، تطبيقاتها	١٩٥ـ١٩٧

المطلب الثاني : المجاز : حدُّهُ ، تطبيقاته	١٩٨ ـ ٢١٩
المبحث الثاني : التمثيل والتشبيه	٢٢٠ـ٢٤٤
المطلب الأوَّل : التمثيل :حدُّهُ ، تطبيقاته	٢٢٠ـ٢٢٦
المطلب الثاني : التشبيه : حدُّه ، أقسامه ، تطبيقاته	٢٢٧ـ٢٤٤
المبحث الثالث : الكناية : حدَّها ، أقسامها ، تطبيقاتها	٢٤٥ـ٢٦٩
الفصل الثالث : جماليات البديع في شروح الزيارة الجامعة المختارة	**٢٧٠ـ٣٣٤**
المبحث الأوَّل : السجع والمبالغة : حدهما ، تطبيقاتهما	٢٧٤ـ٢٨٥
المطلب الأوَّل : السجع : حده ، أنواعه ، تطبيقاته	٢٧٤ـ٢٧٨
المطلب الثاني : المبالغة : حدها تطبيقاتها	٢٧٩ ـ ٢٨٥
المبحث الثاني : المقابلة : حدها ، تطبيقاتها	٢٨٦ ـ ٢٩٥
المبحث الثالث : الاقتباس : حده آلياته ، تطبيقاته	٢٩٦ ـ ٣٢١
المبحث الرابع : اللّف والنشر بين المصطلح والإجراء	٣٢٢ ـ ٣٣٤
الباب الثاني : المباحث النّقدية	٣٣٥ ـ ٥١١
الفصل الأوَّل : القضايا النقدية في شروح الزيارة الجامعة الكبيرة	**٣٣٦ـ٤٩٠**
المبحث الأوَّل: رصد الخطط المتَّبعة في شروح الزيارة المختارة	**٣٤٣ـ٣٦١**
المبحث الثاني : دراسة الألفاظ بين التنظير والإجراء دراسة نقدية في شروح الزيارة الجامعة الكبيرة	**٣٦٢ـ٣٨٤**
المبحث الثالث : القضايا النقدية الخاصَّة بالشروح المختارة	**٣٨٥ـ٤٠٩**
الفصل الثاني : التناص معياراً نقدياً	**٤١٠ـ٥١١**
المبحث الأوَّل : التناص الديني في شروح الزيارة الجامعة الكبيرة المختارة	٤٢٠ـ٤٥٩
المبحث الثاني : التناص الأدبي واللغوي في شروح الزيارة الجامعة الكبيرة المختارة	٤٦٠ ـ ٤٩٤
المبحث الثالث : التناص البيني في شروح الزيارة الجامعة الكبيرة المختارة	٤٩٥ـ٥١١
الخاتمة : النتائج والتوصيات	٥١٢ـ٥١٩
المصادر : مظان البحث	٥٢٠ـ٥٦٣
الملخص باللغة الإنكَليزية	a-b

الْمُقَدِّمَةُ

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المُقدِّمة ..

الحَمْدُ للهِ الّذي دلـعَ لسانَ الصَّباحِ بِنُطقِ تبَلُّجه ، وَسَرَّحَ قِطَعَ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ بِغَياهِبِ تَلَجْلُجِهِ، وَاَتْقَنَ صُنْعَ الْفَلَكِ الدَّوّارِ في مَقاديرِ تَبَرُّجِهِ، وَشَعْشَعَ ضِياءَ الشَّمْسِ بِنُورِ تَأَجُّجِهِ ، والصَّلاةُ والسَّلامُ على الدَّليلِ اِلَيْهِ فِي اللَّيْلِ الأَلْيَلِ، وَالْماسِكِ مِنْ اَسْبَابِهِ بِحَبْلِ الشَّرَفِ الأَطْوَلِ، وَالنّاصِعِ الْحَسَبِ في ذِرْوَةِ الْكاهِلِ الأَعْبَلِ، وَالثّابِتِ الْقَدَمِ عَلى زَحاليفِها فِي الزَّمَنِ الأَوَّلِ، وَعَلى آلِهِ الأَخْيارِ الْمُصْطَفِيْنَ الأَبْرارِ(١)، ومَعادِنَ الأَحرارِ، وخُزّانِ الأسْرارِ ، ومكامنِ حِكْمَةِ اللهِ ، الذينَ ﴿لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾ .

وبعد ..

من النعم التي يتفضل الله بها على عباده ؛ البحث في أحد الثقلين أو كليهما لما لهما من أهمّية في الخطاب الوارد من طريقهما ، وقد أشار الله تعالى بالتمسك بهما في كتابه الكريم بوساطة قوله تعالى : ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾[آل عمران/١١٢] ، فالناس معرَّضون للتيه والضلال والذل ما إن يتمسكوا بحبل من الله وهو (القرآن الكريم) وحبل من الناس وهو (أهل البيت عليهم السلام) ، وهذه الآية القرآنية هي الأصل لحديث الثقلين المبارك الذي حضَّ رسولُ الله (صلى الله عليه وآله) بالتمسك بهما واتباعهما لمن أراد النجاة .

---

١) نفحات من دعاء الصباح للإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) .

وقد منَّ الله تعالى على بعض أهل العلم الذين اتخذوا من كلام أهل البيت (عليهم السلام) مشروعًا لبحوثهم ودراساتهم ، فعكفوا على نتاجات العترة بالشرح والتبيين والإعراب والدراسات الأخرى ، ومن هؤلاء ؛ الذين أخذوا على عاتقهم شرح الزيارة الجامعة الكبيرة الواردة عن الإمام علي بن محمد الهادي (عليه السلام) ، وقد بلغت عشرات الشروح المدوَّنة وعشرات المحاضرات المرفوعة على منصات التواصل الاجتماعي بعد أن بُثت على شاشات التلفاز بحلقات متعددة .

ولرغبة فينا بدراسة نتاج الثقل الأصغر . بعد أن كانت دراستنا في الماجستير خاصَّة بالثقل الأكبر . فتم التباحث مع السيد المشرف الأستاذ الدكتور **أمجد حميد الفاضل** (دام توفيقه) ، أشار إلينا باختيار هذا السفر العلوي الخالد ؛ إلَّا أنَّنا لم نُرد اختيار دراسة المتن الوارد من المعصوم مباشرة لاعتقادنا بأنَّنا قاصرون عن فهم مرادهم (صلوات الله وسلامه عليهم) ؛ لأنَّ كلامهم نور وأمرهم رُشد ، ومُحال أن يُوصف النُّور؛ لذا أردنا أن يكون كلامنا على كلام غير المعصوم ، فوقع الاختيار على شروح الزيارة الجامعة الكبيرة ، وجاءت صياغة العنوان : **(المَبَاحِثُ البَلَاْغِيَّةُ وَالنَّقْدِيَّةُ فِيْ عَشْرَةِ شُرُوْحٍ مُخْتَارَةٍ للزِّيَارَةِ الجَامِعَةِ الكَبِيْرَةِ)** ، ولم تسبقْ هذه الدراسةَ دراسةٌ في هذه الشروح ، فكانت هذه الدراسة هي الأولى في هذا المضمار .

واعتمدنا في هذه الدراسة بعد استقراء النصوص وتحديد الموضوعات الخاصَّة بالعنوان من بلاغية ونقدية ، ومن ثمَّ الانتقال إلى المنهج الوصفي القائم على التحليل، لتصنيف المباحث في هيكلية الدراسة وخطتها الأولية والمطورة في أثناء البحث ووضع اليد على كلِّ ما من شأنه أن يمت بصلة للموضوع ، ثمَّ القيام بعمليَّة تحليل لجميع المعلومات التي يتم الوقوف عليها ومن خلاله يتم الوصول لعملية الاستنباط المتأتية إلى نتائج علمية محدودة .

أمَّا الصّعوبات التي واجهتنا فتكمن في تناثر الموضوعات بين أثناء الشروح ، وهذه الشروح تمتاز بالاتساع ، فكانت القراءة الفاحصة واستخراج الموضوعات متعباً، فكان من المناسب جداً ؛ جمع هذا المتفرق وتحليله ودراسته بما يعطي إضافة معرفية للمكتبة العربية والإسلامية . وكذلك عمدنا إلى تصحيح الأخطاء المطبعية فقط ما واجهنا خلال البحث .

في حين كانت الروافد المعرفية لهذه الدراسة كانت مزيجاً ثقافيًّاً من تفاسير وكتب حديثية ومصادر بلاغيَّة ونقدية ومعجمات لغوية بالإضافة إلى الشروح المختارة للدراسة ، وغيرها من الروافد التي كانت مرجعيات للدراسة ومعينها التي نهلت منها مادتها .

وخارطة طريق الدراسة ؛ جاءت خطتها متوزعة على تمهيد وبابين وانتهت بخاتمة وسرد مظان البحث .

فالتمهيد : درسنا فيه مفهوم البلاغة في اللغة والاصطلاح ، والنقد وعناصره ومن ثم انتقلنا إلى بيان السيرة العطرة للإمام الهادي (عليه السلام) ومنه إلى تثبيت الزيارة الجامعة سنداً ومتناً ، وسبب اختيار الشروح العشرة وإقصاء الشروح الأخرى عن الدراسة .

والباب الأوَّل : درسنا فيه الفنون البلاغية في الشروح العشرة ، فانقسم هذا الباب على ثلاثة فصول ، ولكلِّ فصلٍ مباحثه وشؤوناته .

الفصل الأوَّل : درسنا فيه البنية التركيبية البلاغية (علم المعاني) في شروح الزيارة الجامعة الكبيرة المختارة ، وهذا الفصل ضمَّ ثلاثة مباحث (بيان ماهيَّة الجملة) و (دراسة أحوال الجملة) و (دراسة أحوال العبارة) .

الفصل الثاني : اختصَّ في جماليات البيان في هذه الشروح ، فضمَّ ثلاثة مباحث: (الحقيقة والمجاز) و (التمثيل والتشبيه) و (الكناية) .

الفصل الثالث : بيَّنَ جماليات الألفاظ (علم البديع) في الشروح المختارة ، فانقسم على أربعة مباحث : (السجع والمبالغة) و (الطباق والمقابلة) و (الاقتباس والتضمين) و(اللَّف والنَّشر) .

أمَّا الباب الثاني : فكان خاصّاً في بيان المباحث النقدية في الشروح المختارة ، وانقسم على فصلين ، ولكلِّ فصلٍ ثلاثة مباحث .

الفصل الأوَّل : عنى في بيان القضايا النقدية في شروح الزيارة المختارة ، وانقسم على ثلاثة مباحث : (الآليات المتَّبعة في هذه الشروح) و (دراسة الألفاظ بين التنظير والإجراء دراسة نقدية) و(القضايا النقدية الخاصَّة في الشروح) .

في حين أنَّ **الفصل الثاني** : اتخذ من التناص معياراً نقديَّاً ، وضمَّ هذا الفصل ثلاثة مباحث : (التناص الديني) و (التناص اللغوي والأدبي) و (التناص البيني) .

والذي دعانا إلى اختيار هذه الخطة بشكلها الحالي ؛ هو العنوان العام للأطروحة وما احتوته الشروح الداخلة في الدراسة .

ولا يظنُّ ظانٌّ أنَّنا ننتقص من شأن عالمٍ أو من علمه ـ معاذ الله ـ فنحنُ نأكلُ من موائدهم ، وما عَمَلُنا هذا إلّا كمن جلس على خِوانِ طعام ؛ فنظر إلى المائدة وقال : لو وُضع هذا الطبق مكان هذا لكان أجمل ، ولو أضيفَ على هذا الطبق قليلاً من الزيت لكان أطعم ، ولو خُلطَ هذا بهذا لكان أثمر ... وغيرها من الآراء ، فهذه موائدهم ونحنُ عيالٌ عليهم ، رحم الله الماضين وحفظ الباقين .

بالإضافة إلى ذلك : قام الباحث بتشكيل جميع الروايات الصادرة عن المعصومين (عليهم السلام) ، ومثلها تشكيل الأبيات الشعرية واستخراج بحورها مما ضاعف الجهد المبذول في الدراسة.

• أسباب اختيار العشرة من الشروح

اختار الباحث عشرة شروح للزيارة الجامعة واستبعاد الشروح الباقية للأسباب الآتية:

١- الشروح المختارة أحد أسباب اختيارها ؛ لأنها كانت متكاملة ، وقد يأتي الشارح على الزيارة بشرحها من بدايتها وحتى النهاية.

٢- الشروح المختارة كانت في اللغة العربية الفصحى وخلوها من الأخطاء اللغوية.

٣- خلو هذه الشروح من التشتيت في الشرح ، فلا ينتقل الشارح إلى موضوع ما لم يستوفِ الفقرة التي هو في صدد شرحها .

٤- فيها مادة غزيرة من المباحث البلاغية والنقدية التي هي معدِن بحثنا .

٥- تمتاز هذه الشروح باللفّ والنشر مما حدا بنا إلى انتقائها من بين الشروح الباقية.

وغيرها من الأسباب التي أدت إلى اختيار هذه الشروح واستبعاد غيرها .

• أسباب استبعاد بعض الشروح للزيارة الجامعة الكبيرة

١- بعض الشروح لم تكن متكاملة ، أي أن مؤلفيها يصدرون جزءاً جزءاً وإلى الآن لم يكتمل شرح الزيارة لديهم .

٢- منها ما كانت عبارة عن محاضرات أُلقيت على طلبة الحوزة وجُمعت بعد ذلك جمعاً عشوائياً بحيث تجد فيها الكلام العامي إلى جانب الفصحى .

٣- من الشروح ما زالت مخطوطة ولم تُحقق إلى الآن ؛ لذلك استُبعدت .

٤- منها ما كانت باللغة الفارسية ولم تُعرَّب إلى الآن .

٥- بعض الزيارات بعد الإطلاع عليها لم نجد فيها مباحثَ للبلاغة والنقد إلّا مورداً أو موردين أو ما يزيد على ذلك بقليل ، فكان استبعادها أولى من أن نُثقل البحث بشيء لا يستأهل .

٦- منها ما كانت شروحاً بسيطة جدّا قد اعتمد شارحوها على بيان الكلمة ومعناها المعجمي ليس إلا .

فهذه أبرز الأسباب التي دعت الدراسة إلى حصر البحث في عشرة شروح للزيارة الجامعة الكبيرة .

وفي الختام لا يسعنا إلّا أن نتقدَّم بالشكر الجزيل والثناء الجميل إلى من قتل وقته وسهر الليالي وضحّى في كثير من التزاماته للعكوف على تصحيح ما انحرف من هذه الدراسة وهو شيخي وأستاذي العزيز ، الأستاذ الدكتور **أمجد حميد الفاضل** (دام عزّه) بإشرافه المباشر والمتابعة الحثيثة لهذه الدراسة ، فجزاه الله خير الجزاء ، وجعل الله ذلك في ميزان حسناته ، كما أنَّنا لا ندعي الكمال لأن الكمال لله وحده ، ولكنّنا قدمنا هذه الدراسة آملين أن يفيد غيرنا من صوابها ويعمد من يرى سلبياتها إلينا ببيان عيوبها و(رحم الله من أهدى إلينا عيوبنا) .

والله ولي التوفيق ..

التمهيد

مفاهيم تعريفية

. البلاغة ومفهومها

. النقد ومفهومه

. شذرات من حياة الإمام الهادي (عليه السلام

. الزيارة الجامعة الكبيرة : سندها وشروحها

التمهيد

توطئة :

اتجهت الدراسات الإنسانية . منذ بدايتها ولغاية الآن . إلى دراسة النصوص العربية بمختلف اتجاهاتها من المقدّس . المتمثل بالقرآن الكريم والنصوص الحديثية والروائية . إلى النصوص البشرية الأخرى ؛ كالشعر والنثر والخطابة وغيرها بوصفها تمثل النتاج البشري الخاص ، إلّا أنّ العزوف شبه التام عن دراسة النصوص الخاصَّة بالعترة الطاهرة جعلها غائبة عن الساحة البحثية في الدراسات الأكاديمية إلَّا ما ندر ، وإذا ما قيست بالبحوث على مستوى العالم فلا نجد لها أثراً يُلمس ؛ على الرغم من التأكيد على أنّ الروايات ـ إذا صحّ صدورها من المعصوم ـ ففيها الهدى والرشاد بنصّ قول الفيض الأول (صلى الله عليه وآله) : ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمُ الثَّقَلَيْنِ مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا لَنْ تَضِلُّوا- كِتَابَ اللَّهِ وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي فَإِنَّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ**﴾([1])، وهو مبرأ من السهو والخطأ والنسيان بشهادة

([1]) بصائر الدرجات في فضائل آل محمد ، محمد بن الحسن الصفار ت(٢٩٠هـ) ، الناشر : مكتبة آية الله المرعشي ، ايران ، قم ، ط٢ ، ١٤٠٤هـ : ٤١٣/١ ، الخصال، محمد بن علي بن الحسين القمي ت(٣٨١هـ): تصحيح وتعليق: علي أكبر غفاري، طبع ونشر، جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم – إيران ، د. ط ، ١٤٠٣هـ : ٧٥/١ . وذكر هذا الحديث الشريف غير واحد من الصحابة ، إذ ورد باسانيد مختلفة . يُنظر : فضائل الصحابة ، أحمد بن حنبل ت(٢٤١هـ) ، تحقيق: وصي الله بن محمد عباس ، دار ابن الجوزي ، مكة المكرمة ، ط١، ١٤١٤هـ.: ٤٤٩/٢، الكافي، محمد بن يعقوب الكليني ت(٣٢٩هـ) ، دار الكتب الإسلامية ، طهران ، ط٤ ، ١٤٠٧هـ : ٦١/١، الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة ، ابن حجر الهيتمي ت(٩٧٤هـ) ، علق عليه: عبد الوهاب عبد اللطيف ، شركة الطباعة الفنية المتحدة ، مكتبة القاهرة ، ط٢، ١٣٨٥هـ : ١٠٩/١ ، تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة ، محمد بن الحسن الحر العاملي ت(١١٠٤هـ) ، مؤسسة آل البيت ، بيروت ، ط١، ١٤٠٩هـ : ٥/ ١٤ ، ينابيع المودة لذوي القربى، سليمان بن إبراهيم القندوزي الحنفي ، تحقيق :

القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ﴿٤﴾ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ﴾[النجم/٥].

وقد وُفِقَ بعضُ مَن أراد الله بهم خيراً لشرح خطب وأدعية وزيارات الثقل الثاني وعدل القرآن المجيد وبيانها ، وبثَّ في شروحها ما منَّ الله به عليه وأشار منه إلى أصولها القرآنية والروائية للإفصاح عن الحكمة المستغلقة في هذه الروايات .

ولبيان ذلك ينقسم التمهيد على أربعة مطالب :

المطلب الأوَّل

البلاغة ، حدُّها ، أقسامها ، غايتها

توطئة ..

كانت البلاغة ـ في أوَّل أمرها ـ ملكةً فطريةً تعتمد على الذوق العربي العام ، تكشف . بوساطة التعليل الجمالي . عن كوامن الأشياء وما تحويه من الحس الجمالي دون معرفة القواعد البلاغية التي استقاها البلاغيون بعد ذلك ؛ لأنَّه يمثل الوعي الثقافي لمدِّة ما قبل الإسلام .

فكانت البلاغة أوَّل علم يكتشفه العرب من طريق الذائقة الجمالية التي هي ملكة في ذات العربي ؛ إلّا أنَّ تقنينها جاء متأخراً عن اكتشاف العلوم الأخرى كالنحو والصرف ، والعروض وغيرها ، وكذلك بعد أن دخلت الأفكار المنطقية وبعد ترجمة كتب أرسطو ، وقد أشار إلى هذه الكلمة بمصطلحها المعروف حاليَّاً ـ رسول الله (صلى الله عليه وآله) لمّا ((سمع رجلاً يقول لآخر: كفاك الله ما أهمك، فقال (صلى

سيد علي = جمال أشرف الحسيني ، دار الأسوة للطباعة والنشر ، ط١، ١٤١٦هـ :١/٩٠ ، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها ، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني ت(١٤٢٠هـ) ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض ، ط١ (لمكتبة المعارف)١٤١٥، هـ – ١٩٩٥ م : ٤/ ٣٣٠ .

الله عليه [وآله] وسلم): ﴿هذه البلاغة﴾))([1]) ، فلم يكن المصطلح غائباً عن أذهان العرب قبل القرآن الكريم وبعده ، ويبدو ذلك واضحاً في ما تضمنته قصائد الشعراء من تشبيهات وكنايات واستعارات وجناسات وطباقات واقتباسات وغيرها من اللمسات البلاغية ، وإن كانت تلك الحقبة تخلو من الأحكام والتحليلات البلاغية ؛ إلّا أنَّها تعدّ أساساً في وضع الملاحظات البيانية عند العرب([2]) .

وبعد نزول القرآن الكريم أثار بدوره حركة فكرية نتج من طريقها تأسيس العلوم العربية ، اذ انبهر العرب بإعجازه فأخذ كل فريق ـ من المشتغلين بالبحث ـ بطرف للوصول إلى تلك الحلاوة التي تكمن في داخل تراكيبه ؛ لأنَّه كانت الطلاوة التي عليه واضحة لدى الذوق العربي السليم ، وكانت البلاغة إحدى هذه الشراشر النازلة من البحوث القرآنية ، فانبرى البلاغيون إلى بيان مكامن جمالياتها .

وكانت اللمسات البلاغية الأولى تظهر في دراسات النحو من دون الإشارة إلى مفهومها، فقد شارك النحويون . إلى جانب الأصوليين والمتكلمين واللغويين ـ بدراسة القرآن الكريم فقد كان همهم اللغة دراستها بذاتها ولذاتها من اشتقاق وقياس وإعراب وبيان علَّة([3]) .

أشار سيبويه ت(١٨٠هـ) إلى كثير من اللمسات البلاغية كالتقديم والتأخير، والأمر ، والاستفهام ، والنهي ، والنداء وخروجهما عن مقتضى السياق إلى أغراض أخرى من دون أن يُبيِّن أنَّها إشارات بلاغية .

---

[1]) كتاب الصناعتين الكتابة، والشعر ، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري ت(٣٩٥هـ)، حققه وضبط نصه : د. مفيد قميحة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط ٢ ، ١٤٠٩ هـ ، ١٩٨٩ م : ١٩٣ .

[2]) يُنظر : البلاغة تطور وتاريخ، د. شوقي ضيف، دار المعارف بمصر، ط٢، (د.ت) : ٩ .

[3]) يُنظر : النظرية النقدية عند العرب: د. هند حسين طه، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، دار الرشيد، بغداد ، د.ط ، ١٩٨١م : ٥٥ .

وإلى ذلك أشار أصحاب (معاني القرآن) كالكسائي ت(١٨٩هـ) والفرّاء ت(٢٠٩هـ) والزجاج ت(٣١١هـ) وكذلك أبو عبيدة معمر بن المثنى ت(٢١٠هـ) في (مجاز القرآن) ، إلّا أنَّ هذه الإشارات كانت مؤطَّرة بإطار نحوي.

هذا ((وما شابه، نستطيع القول: إنّ اللّغويين والنحاة كانوا ينثرون ملاحظاتهم المختلفة التي تدور على بلاغة الكلام وصوره البيانية والتعبيرية في تضاعيف مؤلفاتهم وشروحهم للشعر وآي الذكر الحكيم، وهذه الملاحظات البلاغية المنفردة التي كان يسجلها بعضهم على بعض، كانت من أهم البواعث التي أغنت البلاغيين في القرن الرابع الهجري وما تلاه من قرون))([1]) ، أصبحت مُبسِّطة لها .

وبعد أن وصل الأمر إلى عبد القاهر الجرجاني ت(٤٧١هـ) ؛ اكتملت القواعد البلاغية على نحو المجمل ، إذ فصل علم المعاني ووضعه في كتابه النحوي (دلائل الاعجاز) وجعل البلاغة من البيان والبديع في كتابه (اسرار البلاغة) مما يُدلل على أنَّه يعتقد بأصالة علم المعاني النحوي ، وقد استطاع أن يحكم قبضته على الفنون البلاغية ويُسوّرها بسور متين لم يستطع خرقها كل من جاء بعده ، وصار كل من أعقبه عيال عليه وما قدموه عبارة عن شروح وتعليلات على قواعده إلى أن دمج السكاكي ت(٦٢٦هـ) بين علم المعاني والبيان والبديع ، ((ولما كانت التلخيصات البلاغية التي صنعوها يشوبها في الغالب الغموض كثرت عليها الشروح والحواشي والتقريرات حتى أصبحت بلاغتهم في خدمة كتب البلاغة، وبهذا أصبحت القواعد البلاغية جافة لا تربي ذوقاً ولا ترهف حساً))([2]) ، مما أثقل فهمها إدراك المتلقين .

---

[1]) المختصر في تاريخ البلاغة ، عبد القادر حسين ، دار الشروق ، بغداد ، ط ١ ، ١٩٨٢م : ٥٧ .

[2]) قضية الإعجاز القرآني وأثرها في تدوين البلاغة العربية ، د. عبد العزيز عبد المعطي عرفة، عالم الكتب ، بيروت ، لبنان، ط١، ١٤٠٥هـ -١٩٨٥م : ٦٧٥ .

ليس هذا فحسب ؛ فقد تداخلت البلاغة مع النقد دهراً طويلاً ، وكانت الكتب النقدية تُعدَّ الروافد الرئيسة للبلاغة ، وكتب البلاغة تعدّ المرجعيات الثقافية للنقد ، وبقي الأندلسيون دهرًا طويلًا يستمدون آراءهم النقدية من تلك الكتب ، إذ استوعبوا ما فيها من آراء بلاغية ونقدية وثبتوا أحكامهم منها في بحوثهم ونظرياتهم التي استقوها من هذه الروافد المشرقية ، إذ كانت هي الأساس في مقاييسهم النقدية والبلاغية([1]) ، ولا يقتصر هذا البحث لدى أصحاب التخصص ؛ بل تعداه إلى غيرهم كالمفسرين الذين بثّوا كثيراً من الفنون البلاغية في تفاسيرهم من الطبري ت(٣١٠هـ) وحتى المفسرين المحدثين ، ولا يكاد تفسير يخلو من اللمسات البلاغية في طياته ، لأنَّ الأسلوب القرآني يحوي جميع العلوم دون استثناء ، ومن شروط المفسر أن يكون ملمّاً بهذه العلوم كي يلج هذا البحر الزخَّار ، فيبثّ بوساطة بيانه ما يعرفه من البلاغة ؛ سواء كانت لأجل ذاتها أم يجعلها وسيلة يصل بها ومنها إلى مراده.

فالبلاغة في اللغة : هي من بَلَغَ يَبلُغُ بُلوغاً وبلاغةً ، وتذهب المعجمات اللغوية إلى أنّ مادَّة (بَلَغَ) تعني الوصول إلى غاية الشيء ومنتهاه ([2]) ، فالإبلاغ : هو وصول التبليغ إلى الغاية المرجوَّة منه .

---

[1]) يُنظر : تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، نقد الشعر من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري، إحسان عباس، دار الشروق، عمان ، الأردن ، ط٢، ١٩٩٣م : ٥٠٤ ـ ٥٠٥ .

[2]) يُنظر : كتاب العين ، الخليل بن أحمد الفراهيدي ت(١٧٥هـ) ، تحقيق د. مهدي المخزومي و د. إبراهيم السامرائي ، دار الرشيد للنشر ، د.ط ، ١٩٨١م : ٤٢١/٤ ، مقاييس اللغة ، أحمد ابن فارس ت(٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر ، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩ م : ٣٠١/١ ، لسان العرب ، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم المعروف بابن منظور ت(٧١١هـ)، حققه وعلّق عليه، ووضع حواشيه: عامر أحمد حيدر، راجعه: عبد المنعم خليل إبراهيم، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ط١، ١٤٢٤هـ– ٢٠٠٣م : مادة (بلغ) . وغيرها من المعجمات العربية التي تناولت مادة (بلغ) .

أمَّا البلاغة ـ على هذا المفهوم ـ فلا تكون بلاغةً حتى تصل بالأمر إلى غايته ومنتهاه بحسب المورد المراد بيان بلاغته ، وهي لا تقتصر على اللغة أو النصوص اللغوية؛ وإنَّما تشمل كلَّ شيءٍ ، وإن من شيءٍ يُوصل الفهم إلى غايته ؛ فالموصلُ إليه هي البلاغة ، كذهاب شخص ما إلى مقصدٍ معيَن ؛ وصوله هي بلاغته .

ويذهب إلى ذلك أبو هلال العسكري ت(٣٩٥هـ) في قوله : ((البلاغة من قولهم: بلغت الغاية إذا انتهيت إليها وبلّغتها غيري.

ومبلغ الشيء: منتهاه. والمبالغة فى الشىء: الانتهاء إلى غايته. فسمّيت البلاغة بلاغة لأنها تنهى المعنى إلى قلب السامع فيفهمه.

وسمّيت البلغة بلغة ؛ لأنك تتبلّغ بها، فتنتهي بك إلى ما فوقها، وهي البلاغ أيضا.

ويقال: الدنيا بلاغ ؛ لأنها تؤدّيك إلى الآخرة.

والبلاغ أيضا: التبليغ، في قول الله عزّ وجل: ﴿هذا بَلاغٌ لِلنَّاسِ﴾ أي تبليغ.))([1]) ، فهي بلوغ الشيء منتهاه في عرف اللّغة .

البلاغة في الاصطلاح : ذهب البلاغيون إلى تعريفات كثيرة ([2]) حتى استقر مفهومها على يد القزويني ت(٧٣٩هـ) في قوله : ((وأما بلاغة الكلام : فهي مطابقته

---

[1]) كتاب الصناعتين : ٦/١ .

[2]) ذكر الجاحظ ت(٢٥٥هـ) مجموعة من المفاهيم التي هي من شؤونات البلاغة تحت عنوان (حد البلاغة) فقال : ((باب البلاغة [حد البلاغة] الحمد لله، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وصلّى الله على محمد خاصة، وعلى أنبيائه عامة.

خبرني أبو الزبير كاتب محمد بن حسان، وحدثني محمد بن أبان- ولا أدري كاتب من كان- قالا:

قيل للفارسي: ما البلاغة؟ قال: معرفة الفصل من الوصل.

وقيل لليوناني: ما البلاغة؟ قال: تصحيح الأقسام، واختيار الكلام.

لمقتضى الحال مع فصاحته.))([1] . وأقرَّ هذا التعريف كل الذين جاؤوا بعد القزويني دون اعتراض.

وهذا التعريف فيه نظر بوساطة القرآن الكريم ، ففي قوله تعالى : ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِندِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا

= وقيل للرومي: ما البلاغة؟ قال: حسن الاقتضاب عند البداهة، والغزارة يوم الإطالة.
وقيل للهندي: ما البلاغة؟ قال: وضوح الدلالة، وانتهاز الفرصة، وحسن الإشارة.
وقال بعض أهل الهند: جماع البلاغة البصر بالحجة، والمعرفة بمواضع الفرصة.
ثم قال: ومن البصر بالحجة، والمعرفة بمواضع الفرصة، أن تدع الافصاح بها إلى الكناية عنها، إذا كان الإفصاح أو عن طريقة، وربما كان الإضراب عنها صفحاً أبلغ في الدرك، وأحق بالظفر.
قال: وقال مرة: جماع البلاغة التماس حسن الموقع، والمعرفة بساعات القول، وقلة الخرق بما التبس من المعاني أو غمض، وبما شرد عليك من اللفظ أو تعذر.
ثم قال: وزين ذلك كله، وبهاؤه وحلاوته وسناؤه، أن تكون الشمائل موزونة، والألفاظ معدلة، واللهجة نقية. فإن جامع ذلك السن والسمت والجمال وطول الصمت، فقد تم كل التمام، وكمل كل الكمال.... [فالبليغ عنده] كلٌ من (أفهمك) حاجته من غير (إعادة) ولا (حبسة) ولا (استعانة))) ، البيان والتبيين ، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ ت(٢٥٥هـ) ، دار ومكتبة الهلال، بيروت ، ط٢ ، ١٤٢٣ هـ : ٩٢/١ . ٩٨، ويُنظر في ذلك : الكامل في اللغة والأدب ، محمد بن يزيد المبرد، أبو العباس ت(٢٨٥هـ) ، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر العربي – القاهرة، ط١ ، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م : ١٠٤/٤ ، البديع في البديع أبو العباس، عبد الله بن محمد المعتز بالله ابن المتوكل ابن المعتصم ابن الرشيد العباسي ت(٢٩٦هـ) ، دار الجيل ، ط١ ، ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م :٩/١ ، سر الفصاحة ،أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد ابن سنان الخفاجي الحلي ت(٤٦٦هـ)، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م : ٢١/١ .

[1]) الإيضاح في علوم البلاغة ، محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالي، جلال الدين القزويني الشافعي، المعروف بخطيب دمشق (المتوفى: ٧٣٩هـ) ، المحقق: محمد عبد المنعم خفاجي ، دار الجيل – بيروت ، ط٣ ، د.ت : ٤١/١ .

﴿أَهْوَاءَهُمْ﴾ {محمد/١٦}، فالذين خاطبهم الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) لم يفهموا من القرآن شيئاً ، فإمَّا أن يكون القرآن الكريم لم يُطابق مقتضى حال السامع ، أو أنَّ الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) لم يكنْ بليغاً ليُوصل السامع إلى مفهوم القول المبارك ، أو المشكلة في فهم الناس !!.

ليس هذا فحسب ؛ فقد وبَّخ الله تعالى المشركينَ لأنَّهم لا يفقهون القرآن في قوله تعالى : ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِندِكَ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ فَمَا لِهَؤُلاء الْقَوْمِ لاَ يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ {النساء/٧٨} ، والقرآن الكريم نزل بلغتهم فلمَ لا يفقهونه ؟! ، أين يكمن الخلل في المرسِل أم في الرسالة ؟ ؛ لأنَّ التعريف البلاغي وفق هذه الآية يُشير إلى المتكلم والرسالة ، في حين أنَّ الخلل في هؤلاء الذين تلقوا الحديث ، وهذا يتعارض ومفهوم التعريف البلاغي .

وكذلك قوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلاً مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلاً يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً وَيَهْدِي بِهِ كَثِيراً وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلاَّ الْفَاسِقِينَ﴾ {البقرة/٢٦} ، المعروف عن العرب هم أصحاب بلاغة وأصحاب تعريض وأصحاب لحن القول ، فلماذا لم يفهموا هذا المثل ؟ أضف إلى ذلك ؛ أنّ المتكلم هو أفصح العرب وأبلغها ، والقرآن الكريم بلغ من البلاغة أوْجَهَا ، ومع ذلك فالمتلقي لم يفهم !! أين الخلل ؟! .

من جهة ؛ أنَّ القرآن الكريم ؛ انقطع القول فيه ببلاغته وقوة سبكه ورصانة حججه وبراهينه منذ نزوله إلى أن يرث اللهُ الأرض ومَن عليها .

فمن جهة المتكلم وهو النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) فيقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام عن بلاغة سيد الكائنات : إنّه كان ﴿**طَبِيبٌ دَوَّارٌ بِطِبِّهِ، قَدْ أَحْكَمَ مَرَاهِمَهُ، وَ أَحْمَى مَوَاسِمَهُ، يَضَعُ مِنْ ذَلِكَ حَيْثُ الْحَاجَةُ إِلَيْهِ، مِنْ قُلُوبٍ عُمْيٍ، وَ آذَانٍ صُمٍّ، وَ أَلْسِنَةٍ بُكْمٍ، مُتَتَبِّعٌ بِدَوَائِهِ مَوَاضِعَ الْغَفْلَةِ، وَ مَوَاطِنَ الْحَيْرَةِ، لَمْ يَسْتَضِيئُوا بِأَضْوَاءِ الْحِكْمَةِ، وَ لَمْ يَقْدَحُوا بِزِنَادِ الْعُلُومِ الثَّاقِبَةِ، فَهُمْ فِي ذَلِكَ كَالأَنْعَامِ السَّائِمَةِ، وَ الصُّخُورِ الْقَاسِيَةِ**﴾(١) ، هذا وقد أَمرَ الله تعالى جميع أنبيائه ورُسله وأوصيائهم أن يُكلموا الناس على قدر عقولهم ، وكان الكلام كلام الله والمتحدث رسول الله (صلى الله عليه وآله) مع ذلك لم يفهموا كلامه !

وكذلك الطرف المقابل كان يمتاز ببراعة وبلاغة عربية محضة ، ونزل القرآن بلغته التي يفهمها ولا يحتاج إلى واسطة فِهْم بينه وبين رسول الله (صلى الله عليه وآله) . فكيف لم يفهم ؟ ! .

وليس هذا فحسب ؛ فهذا دليلٌ حي من واقعة كربلاء حينما قال لهم المولى أبو عبد الله الحسين (عليه السلام) : ﴿**فإنْ كُنْتُمْ فِي شكٍّ مِن هَذا أَفتشكونَ أَنِّي ابنُ بِنْتِ نَبِيِّكُم؟ فَوَاللهِ مَا بَيْنَ المشرقِ وَالمَغْرِبِ ابنِ بِنْتِ نَبِيٍّ غَيْرِي فِيْكُم، وَلا فِي غَيْرِكُم وَيْحَكُم أَتَطْلُبُوْنِي بِقَتِيْلٍ مِنْكُم قَتَلْتُهُ ؟ أَو مَالٍ لَكُم اسْتَهْلَكْتُهُ ؟ أَوْ بِقِصَاصٍ مِنْ جِرَاحَةٍ** ؟ فأخذوا لا يكلمونه فنادى : **يَا شَبَثُ بِنَ رِبْعِيْ يَا حَجَّارُ بِنَ أَبْجُرٍ يَا قَيْسُ بِنَ الأَشْعَثَ يا يزيدُ بنَ الحارثِ أَ لَمْ تَكْتِبُوا إِليَّ أَنْ قَدْ أَيْنَعَتِ الثِّمَارُ، واخضرَّ الجنابُ، وإِنَّمَا تَقْدِمُ على جُنْدٍ لَكَ مُجَنَّدة؟** فقال له قيس بن الاشعث: ما ندري ما تقول ولكن إنزل على حكم بني عمك، فانهم لن يروك إلّا ما تحب، فقال لهم الحسين عليه

---

(١) نهج البلاغة ، الإمام علي (عليه السلام) ، جمع : الشريف الرضي ت(٤٠٦هـ) ، شرح : الشيخ محمد عبدة ، مؤسسة المختار ، القاهرة ، ط٢ ، ٢٠٠٨م : ١٦٦ ، الخطبة رقم (١٠٧) .

السلام: **لا وَاللهِ لَا أُعْطِيْكُم بِيَدِيْ إِعْطَاءَ الذَّلِيْلِ، وَلا أُقِرُ لَكُم إقرارَ العَبِيْدِ**﴾(١) ، فلم يفهموا كلام الإمام الحسين (عليه السلام) ، على الرغم من أنّ كلامه كان واضحاً إلّا أنَّ الفهم استغلق لديهم واستشكلت الحكمة عليهم ، وقد أشار الإمام (عليه السلام) إلى سبب عدم الفهم وهو ﴿**مُلِئَتْ بُطُونَهُم مِنَ الحَرَامِ**﴾(٢)، وهذا جزء رئيس في عدم الفهم والدراية ، وهو المأمور بأن يُكلِّمَ الناس على قدر عقولهم ، ورغمَ هذا لم يفهموا إذ ران على قلوبهم فهم لا يفقهون .

الآن وقد اتضحت المشكلة في أي طرف ؛ المشكلة لا في النص ، ولا في الباث، وإنَّما المشكلة في المستقبِل ، وهذا ما يكشف افتقار التعريف البلاغي لهذا المفهوم .

- **البلاغة في فكرِ أهل البيت (عليهم السلام)**

بعد أن تبيَّنت مشكلة تعريف البلاغة ، كان لزاماً علينا أن نجد البديل ليحلَّ محل التعريف القديم ، ويجب أن يكونَ هذا التعريف وافياً كافياً شافياً ، وكما تقول الحكمة: (مَن كسرَ كسراً كانَ عليهِ جبره ، ومَن كشف مشكلاً كان لزاماً عليه السعي بحله)، وعلى هذا الأساس نجد كلَّ الحلول عند آل الرسول (صلى الله عليه وآله) ؛ فقد ذكر أبو هلال العسكري ت(٣٩٥هـ) تعريفاً لأمير البلاغة والكلام الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) حينما سُئلَ عن البلاغة فقال : ﴿**البَلَاغَةُ الإفْصَاحُ عَنْ حِكْمَةٍ مُسْتَغْلَقَةٍ وَإِبَانَةُ عِلْمٍ مُشْكِلٍ**﴾(٣) ، وهذا التعريف يكشف أنَّ

---

١) بحار الأنوار الجامعة لدرر الأئمة الأطهار ، محمد باقر المجلسي ت(١١١١هـ)، مؤسسة الوفاء ، بيروت ، ط٥ ، ١٩٨٨م : ٧/٤٥ .

٢) بحار الأنوار: ٨/٤٥ .

٣) ديوان المعاني ، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري ت(٣٩٥هـ) ، دار الجيل – بيروت ، د.ط ، د.ت : ٨٨/٢ ، يُنظر : نهاية الأرب في

الخلل يكمنُ في الذين لم يفهموا الآية فهماً صحيحاً ، فالقول (القرآن الكريم) محكم ومبين (الرسول) محكم ومبين ، أمَّا المتلقي قد رانَ على قلبه فلم يفهم الحكمة التي أفصح عنها الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) .

ومثل هذا التعريف ينقله أبو هلال عن محمد بن الإمام علي (عليه السلام) فيقول: ((ومثله قول محمد بن علي رضي الله عنه: ﴿**البَلَاغَةُ تَيْسِيْرُ عَسِيْرِ الحِكْمَةِ بِأَقْرَبِ الأَلْفَاظِ.**﴾))([1]) ، وهو تفسير لقول أمير المؤمنين في البلاغة وكأنّهما نور يصدر من سراج واحد ؛ فلذا ينبغي أن يُعتمد تعريف الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) في البلاغة لشموله جميع رموز الكلام .

- **أقسام البلاغة :**

تنقسم البلاغة ـ حسب التقسيم الذي درج عليه البلاغيون منذ السكاكي ت(٦٢٦هـ) وإلى يومنا هذا ـ على ثلاثة فنون **(المعاني والبيان والبديع)** وسنوضح كلاً من هذه الأقسام في مضماره ولو على وجه الوجازة إن شاء الله تعالى .

- **غاية البلاغة :**

كما ورد في تعريف أمير البلاغة والكلام الإمام الهمام أمير المؤمنين (عليه السلام) تتبيَّن الفائدة من البلاغة وهي بيان الحكمة المستغلقة في السياق اللّغوي أو الإبانة عن علم فيه مشكل في الفهم ، هذا مع مراعاة القدرة المستوعبة من المتلقي، فلا يُكلَّم الجاهل بطريقة الكلام مع العالم ، إذ إنّ العالِمَ يكتفي بالتلميح ، ويعدّ التصريح إهانة، في حين أن الجاهل أو قليل العلم يحتاج إلى بيان الحكمة المستغلقة بطريقة مفهوم البلاغة التي جاءت في تعريف الإمام الحسن (عليه السلام) إذ قال :

= فنون الأدب، أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري، شهاب الدين النويري ت(٧٣٣هـ) ، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة ، ط١، ١٤٢٣ هـ : ٦/٧ .

[1]) ديوان المعاني : ٨٨/٢ .

﴿**البَلَاغَةُ إِيْضَاحُ المُلْتَبَسَاتِ وكَشْفُ عُوَارِ الجَهَالاتِ بِأَحَسَنَ مَا يُمْكِنُ مِنَ العِبَارَاتِ.**﴾(١) ، وهذا من باب (لكلِّ مقامٍ مقال) ؛ لذا قال الامام الصادق جعفر بن محمد (عليه السلام) عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) إنَّه قال : ﴿**مَا كَلَّمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ الْعِبَادَ بِكُنْهِ عَقْلِهِ قَطُّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : إِنَّا مَعَاشِرَ الْأَنْبِيَاءِ أُمِرْنَا أَنْ نُكَلِّمَ النَّاسَ عَلَى قَدْرِ عُقُولِهِم**﴾(٢) ، فكان الغرض من البلاغة توضيح المشكل وبيان الحِكَم المستغلقة التي تكمن فيه ، وهذا يتم بوساطة التحدث مع الناس بقدر الطاقة الاستيعابية التي يملكها الفرد أو المجتمع المُحدَّث بكلام المعصوم .

والسبب الذي حدا بنا إلى بيان مفهوم البلاغة ؛ هو سؤال الرجل الإمام علي بن محمد الهادي (عليه السلام) : ((علِّمْني يا بن رسولِ اللهِ (صلى الله عليه وآله) قولاً أقوله بليغاً كاملاً إذا زرتُ أحداً منكم .))(٣) ، فكان لزاماً علينا بيان البلاغة والبليغ كي نفهم الكلام البليغ والمتكلم البليغ ، وما عرضناه من مفهوم البلاغة السائد منذ عقود اتضح فقره في حل المشكلات البلاغية بين المرسل والرسالة والمرسل إليه، وكان حلُّها عند باب مدينة علم وحكمة رسول الله (صلى الله عليه وآله) الذي لا ينطق عن الهوى إذ وحيه بين شفتيه الكريمتين ، وقد أرشدنا مراراً وتكراراً بأن نلج الباب عند طلبنا للعلم والحكمة ، فلا تسوّر للجدار ولا يُصيبُ الآخذ من غيره .

---

١) نهاية الأرب في فنون الأدب : ٦/٧ ، يُنظر : ديوان المعاني : ٨٨/٢ .

٢) الكافي ، محمد بن يعقوب الكليني ت(٣٢٩هـ)، تحقيق : علي أكبر غفاري ، دار الكتب الُسلامية ، طهران ، ط٣ ، ١٣٨٨هـ : ٢٦٨/٨ .

٣) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي ت(١٢٤١هـ) ، دار المفيد ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٩٩٩م : ٢٨/١ .

وقد أشار الإمام الصادق (عليه السلام) إلى هذا المعنى البلاغي في قوله : **﴿لَيْسَتِ البَلَاغَةُ بِحَدِّ اللّسَانِ ، وَلَا بِكَثْرَةِ الهَذَيَانِ ، وَلَكِنَّهَا إِصَابَةُ المَعْنَى وَقَصْدُ الحُجَّةِ﴾**(١)، فأينَ البلاغة العربية من هذا المعين الصافي الذي لا تُكدِّره الدلاء الممزوجة بالباطل؟!

فتبيَّنَ أنَّ البليغ : هو الذي يمتلك القدرة على إيضاح أو الافصاح عن الحكمة في مستغلق الألفاظ وما استشكل على المتلقي من مفهوم المعاني ، وهذا لا يتأتّى إلى الجميع ؛ وإنَّما يكونُ منحصراً بصاحب الحكمة .

والقول البليغ : هو القول الذي يحمل بين أثنائه الحكمة بحسب موضوع القول ؛ وحكمته تميِّزه عن غيره من القول غير البليغ ، فلا بلاغةَ في قولٍ يخلو من حكمة .

١) ميزان الحكمة ، محمد الريشهري ، دار الحديث ، بيروت ، لبنان ، ط١، ٢٠٠١م : ٣٨٢ .

المطلب الثاني

النقد الأدبي : مفهومه ، وظيفته ، مناهجه

توطئة :

سار الباحثون في بيان مفهوم النقد بوساطة حدِّه في اللغة والاصطلاح ، ومن ثمَّ عرض كثير منهم إلى تلمس الأسس الأولى للنقد عند العرب ، وبعد ذلك بيَّنوا الوظيفة التي من خلالها وإليها يهرع البحث بخطواته لبيانها ، و((وظيفة النقد الأدبي وغايته ... تتلخص في : تقويم العمل الأدبي من الناحية الفنيَّة ، وبيان قيمته الموضوعية ، وقيمه التعبيرية والشعورية ، وتعيين مكانه في خطر سير الأدب ، وتحديد ما أضافه إلى التراث الأدبي في لغته ، وفي العالم الأدبي كله ، وقياس مدى تأثره بالمحيط ، وتأثيره فيه ، وتصوير سمات صاحبه وخصائصه الشعورية والتعبيريه، وكشف العوامل النفسية التي اشتركت في تكوينه والعوامل الخارجية كذلك.))([1]) بقراءة دقيقة.

والنقد الأدبي يُعنى بدراسة النصوص الأدبية لغرض تقديم معرفة موضوعية يُميِّز بوساطتها جيدها من رديئها ، وهذا يتطلب نظرة أدبية فاحصة وثقافة عالية ينماز بها الناقد الأدبي ، و((يقتضي تحصيل هذه المعرفة إجراء عملية وصف وتحليل تستند إلى أسس منهجية، وتُفضي إلى تمييز النص ، موضوع الدراسة ، وبيان خصائصه النوعية ، ورؤيته، وتقديره وتصنيفه ، ما يفضي إلى معرفة الظواهر الأدبية ، وبلورة المذاهب الأدبية... وكتابة تاريخ الأدب ، استناداً إلى أساس نقدي.))([2]) ، ولم يكن النقد بعيداً عن الفكر الإسلامي ؛ إذ دخل هذا المفهوم في

---

[1]) النقد الأدبي ، أصوله ومناهجه ، سيد قطب ، دار الشروق ، القاهرة ، مصر ، ط٨ ، ٢٠٠٣م : ٧ .

[2]) في مفهوم الشعر ونقده في النقد الأدبي العربي القديم ، د. عبد المجيد زراقط ، دار الحق ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٩٩٨م : ١٣ .

التراث الإسلامي منذ وقتٍ مبكّرٍ على يد كبار العلماء الذين أخذوا على عاتقهم البحث والتنقيب في التراث الأدبي والإسلامي ؛ و((لذلك برز توجه جديد للنقد الإسلامي مفاده تصنيف ذلك التراث على أساس الارتباط بوظيفة الكلمة في كل عصر على أن تكون المقاييس الإسلامية هي التي تحكم هذا التحديد الوظيفي للأدب في كل عصر ، مع الأخذ في الحسبان بالمضمون الفكري والتأثير العاطفي والعقلي للأدب ، وكذلك الأهداف السلوكية التي تتولد عنه ، والتمديد الحضاري للشخصية الإسلامية المتنامية))([1]) ، وبسبب ارتباط البلاغة بالنقد قديماً وحديثاً ؛ حدا بنا الأمر إلى دراسة الإثنين معاً في هذا البحث.

وهنا نبتعد عن تتبع التاريخ النقدي للنصوص الأدبية ، ومتى كانت أوَّل عملية نقدية لأنَّها أُشبعت بحثاً ودراسة ، وخاض فيها وفي تتبعها عشرات الباحثين وذكروا قضايا نقدية عدّة ؛ كقضية القبَّة الحمراء أيام الجاهلية تحت إشراف النابغة الذبياني والاجتماعات التي كانت تحتها من فحول الشعراء ، وقضية الزبرقان بن بدر وعمرو بن الأهتم والمخبل السعدي، وغيرها([2]) ، وبعدها تصنيف الشعراء في طبقات بحسب الأشعر منهم وفق الخزين اللغوي الذي يمتلكه الناقد وما إلى ذلك .

- **حدُّ النقد**

<u>في اللغة</u> : هو من نَقَدَ يَنْقُدُ نَقْدًا و((النَّقْدُ: تمييز الدراهم وإعطاؤكها إنسانًا وأخذها. والانتِقادُ والنَّقدُ: ضرب جوزة بالإصبع لعبًا، ويقال: نقد أرنبته بإصبعه إذا ضربها))([3]). فهو من التقليب والحركة .

---

[1]) القرآن والأدب والفكر الإسلامي ـ مقاربة معرفية جمالية ـ ، د. أمجد الفاضل ، دار الحسين (عليه السلام) ، كربلاء ، العراق ، ط١، ٢٠٢٠م : ٣٣ـ٣٤ ، يُنظر : المنهج الإسلامي النقدي ، د. سيد سيد عبد الرزاق ، دار الفكر ، دمشق ، سوريا ، ط١ ، ٢٠٠٢م :٩٥ .

[2]) يُنظر : الموشح ، أبو عبد الله محمد بن عمران المرزباني ت(٣٨٤هـ) ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ، د.ط ، ١٩٦٥م : ١٠٥ .

[3]) كتاب العين ، مادة (نقد) : ١١٨/٥ ، يُنظر : تهذيب اللغة ، مادة (نقد) : ٥٠/٩ .

في الاصطلاح : يُعرِّفه قُدامة بن جعفر ت(٣٣٧هـ) بقوله : ((علم تخليص جيِّد الشعر من رديئه))[١] ، ولا يبعد المعنى الاصطلاحي عن اللغوي في المفهوم العام للعملية النقدية ، حيث أنَّ النقد الأدبي : هو عملية غربلة للنصوص الأدبية لفصل الجيِّد من الرديء بوساطة مرور الناقد مع النص في مراحل ثلاث : **مرحلة التفسير، ومرحلة التحليل ، ومرحلة التقويم**[٢]، وبهذه المراحل تتم عملية تقليب النص وبيان الحركات والسكنات فيه ، ويقوم الناقد بطرح مجموعة من الأسئلة ويحاول الإجابة عليها ، إذ النقد لا يعدو أن يكون أسئلة يبسطها الناقد في عمله ويُجيب عنها[٣] ، ((وعلى الرغم من أنَّ النَّقد لابدَّ أن يقوم على ذوق رفيع يمتلكه الناقد ...لا يستطيع الاستغناء عن الأسس والقواعد التي هي ضرورية للنقاد لكي يكون ما يكتبه مقنعاً وصائباً وقد قيلَ [:] إنَّ الناقدَ أحوج إلى الثقافة من الأديب نفسه))[٤] ، فلا تكتمل عملية الناقد النقدية إلا بتوفر أدواته الخاصَّة في تحليل الخطاب ، ويجب أن يمتلك ثقافة أكبر من الأديب لكي يستطيع قراءة أفكار الأديب قراءة صحيحة .

- **عناصر النصِّ الأدبي**

أشار الباحثون إلى أنّ النصَّ الأدبي يجب أن يحتوي على عناصر عدَّة ؛ أبرزها:

١. **الأفكار** : وهي المضمون العام الذي يعتمل داخل النص الأدبي ، يقوم الباث ببثها داخل النصِّ ، وتتضمن الخبرة التي يفتقر إليها المتلقي ، فيُزوِّده بها الباث.

---

[١] نقد الشعر ، قدامة بن جعفر ت(٣٣٧هـ) تحقيق : كمال مصطفى ، ليدن ، القاهرة ، مصر ، د.ط ، ١٩٤٩م : ٩ .
[٢] يُنظر : محاضرات في تاريخ النقد عند العرب ، ابتسام مرهون الصفار ، ناصر حلاوي ، مكتبة اللغة العربية ، شارع المتنبي بغداد ، العراق ، د.ط ، ١٩٩٠م : ٨ .
[٣] يُنظر : قواعد النقد الأدبي ، آبر كرومبي ، دار المعارف ، مصر ، د.ط ، ١٩٣٦م : ٢ .
[٤] محاضرات في تاريخ النقد عند العرب : ٩ .

٢ـ **العواطف** : النص إذا كان جامداً ولا يحرك المشاعر ولا يبعث في نفس القارئ شيئاً يُثيره فسوف يشعر القارئ بالملل ، ويجعل القارئ ينسى ما قرأه ؛ بعد وقت قصير ؛ لأنَّ ذلك لم يترك في نفس المتلقي أثراً ؛ ولم يحرّك شيئاً من مشاعره ، فالذي يحرك مشاعر القارئ سواء كانت هذه المشاعر حزينة أو ذات طابع فرح أو هزل أو خوف أو تتماز بالقلق ؛ كل ذلك سيجعله يتذكّر ما قرأ لأطول فترة ممكنة، ويكون تفاعله مع النص أكبر ؛ لأنّ العاطفة تمثل ((الانفعال القلبي الذي حصل للأديب واعتصر مشاعره ودفعه إلى التعبير بالقول الأدبي نتيجة الإحساس بأمر فاعل سواء أكان خارجيّاً أم ذهنياً داخلياً))([1]) ، فهي تعدّ من مرتكزات العمل الأدبي؛ ولولا وجودها لم يكن للعمل الأدبي وجود .

٣. **الخيال** : يرتبط الخيال بالعاطفة ارتباطاً وثيقاً ، فيجب على الباث أن يُغذي خيال المستقبِل بملكته التي أحال من خلالها الكثرة إلى الوحدة ؛ وبوساطة ذلك يمس شعوره ويمس عاطفته ، ومن الواجب توظيف عنصر الخيال في تبيين المعاني بوساطة العواطف والأفكار، ومن الواجب أيضاً أن يكون . الخيال . منطقياً ؛ بحيث يُبيِّن ولا يُضمر ، ويُشذِّر المعاني ولا يُشوِّهها ، فإذا اقترب الخيال من المستحيل صار أقربُ للوهم وشتت دلالات الأفكار التي يريد الكاتب بيانها في النص.

٤ـ **الأسلوب** : عنصر لا بدَّ من وجوده في كل نصّ أدبي ، فيُعدُّ ((البناء الفني للصياغة الأدبية وطريقة الأديب في التعبير ، والفنون التي يستعملها في متن النص لعرض المحتوى ، والأسلوب يحتمل مستويين : الأوَّل الذاتي ، ويتعلَّق بخصوصية كل أديب في التعبير ، وثقافته وإمكاناته ، ومقدار ثروته اللغوية ، وإبداعه البياني، وسوى ذلك من الميزات الفردية . والثاني الموضوعي ، ويتعلَّق بأساليب العربية في البيان والبديع والمعاني ، مما هو معروف في الدراسات البلاغية مما ألفته العرب ،

---

[1]) القرآن والفكر والأدب الإسلامي : ٦٤ .

وما انسجم مع أذواقهم ولم يخرج عن حدود تلك الذائقة))([1])، ومن ذلك يكون معرفة الأسلوب الخاص للأديب بوساطة المستوى الأوَّل لأنَّه خاص في الذات ، أمَّا المستوى الثاني؛ فهو متاح للجميع لأنَّه متعلق في استعمال الأساليب وهي متاحة للجميع .

وقد أضاف بعضهم (**اللغة**) و(**الصورة الفنية**) إلى العناصر المذكورة([2]) إلّا إنَّ هذين العنصرين هما من مستلزمات الأسلوب في مستواه الثاني ، ويُعدّان عماده ، فاللغة : يتعكز عليها كل أسلوب أدبي ، والصورة الفنية من مستلزمات الجمال الذي يتكفل بها الجمال البياني والبديعي .

هذه العناصر هي عماد النصوص الأدبية وواجبات الحضور في حياة الأديب لتُمكِّنه من صياغة نصِّه الإبداعي ، إلّا أنَّها لا تنطبق كلها على النص القرآني والنص الوارد عن العترة الطاهرة (عليهم السلام) ، لأنّ النص المعصوم يخلو من عنصر العاطفة وعنصر الخيال ، فهو يمتاز بحقائق يروم بيانها بعيداً عن استجلاب عواطف الآخرين لأنّ العاطفة ((استعداد نفسي فطري للشعور بانفعالات وجدانية خاصة تجاه شيء معين))([3]) ، فهي لا تنطبق على الله عزّ وجلّ ولا على أهل البيت (عليهم السلام) لأنَّهم المبلغون عن الله تعالى .كما في حديث السلسلة الذهبية ـ لذا استبدل استاذنا الدكتور أمجد حميد الفاضل العاطفة بـ(**الإبلاغ**)([4]) وهو أقرب للنص القرآني والنص المعصومي من (عنصر العاطفة) .

---

[1]) القرآن والفكر والأدب الإسلامي : ٦٥ ، يُنظر : دراسات في النقد الأدبي ، د. رشيد العبيدي ، مطبعة المعارف ، بغداد ، العراق ، ط١ ، ١٩٦٩م : ١٣/٢ـ١٤ .

[2]) يُنظر : قضايا النقد العربي الحديث ، د. محمد أحمد ربيع ، دار الفكر للنشر ، عمان ، الأردن، ط١ ، ١٩٩٠م : ٢٠ـ٢٢ .

[3]) قاموس المصطلحات اللغوية والأدبية ، د. إميل بديع يعقوب ، د. بسام بركة ، مي شيخاني ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٩٨٧م : ٢٦٥ .

[4]) يُنظر : القرآن والفكر والادب الإسلامي : ٧١ .

أمَّا بخصوص **الخيال** ؛ فهو الآخر لا ينسجم والذات الإلهية المقدسة ولا المُبلِّغ عنه ، لأنّ خيال الشيء ((ظنّه ، وتخيّله : ظنَّه وتفرَّسه ، وخيّل عليه : شبّه))([1]) ، وهو في الأدب : عبارة عن صورة ذهنية تقوم بمحاكاة الظواهر الطبيعية ، وإن لم تكن معبِّرة عن موجود([2])، واستبدله الدكتور أمجد الفاضل بعنصر (**الإعجاز**)([3]) ، وهو ما ينطبق والنص المقدَّس ، والباحث يؤيد ذلك .

[1]) لسان العرب ، مادة (خيل) .
[2]) يُنظر : معجم مصطلحات الأدب ، د. مجدي وهبة ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ، ط١ ، ٢٠١٠ م : ٢٣٩ .
[3]) يُنظر : القرآن والفكر والأدب الإسلامي : ٧٧ .

المطلب الثالث

شذرات من حياة الإمام علي بن محمد الهادي (عليه السلام)

لم تقتصر ترجمة الإمام علي بن محمد الهادي (عليه السلام) على مصادر الطائفة التي تنتمي إليه ، وإنَّما ترجم له غير واحد من مدرسة الصحابة ، إذ ذكر ترجمته (عليه السلام) صلاح الدين الصفدي ت(٧٦٤هـ) في قوله : ((عَليّ بن مُحَمَّد بن عَليّ بن مُوسَى بن جَعْفَر بن مُحَمَّد بن عَليّ بن الْحُسَيْن بن عَليّ بِن أبي طَالب وَهُوَ أَبُو الْحسن الْهَادِي بن الْجواد بن الرِّضَا بن الكاظم بن الصَّادِق بن الباقر بن زين العابدين أحد الْأَئِمَّة الاثْنَي عشر عِنْد الإمامية .

كَانَ قد سُعي بِهِ إِلَى المتوكّل وَقيل إنَّ فِي منزله سِلَاحا وكتباً وَغَيرهَا من شيعته وأوهموه أنَّه يطْلب الْأَمر لنَفسِهِ فوجَّه إِلَيْهِ عدَّةً من الأتراك فَهَجَمُوا منزله على غفلةٍ فوجدوه فِي بَيت مغلق وَعَلِيهِ مِدْرعة من شعر وعَلى رَأسه مِلحفة من صوف وَهُوَ مُسْتَقْبل الْقبْلَة يترنَّم بآياتٍ من الْقُرْآن فِي الْوَعْد والوعيد لَيْسَ بَينه وَبَين الأَرْض بِسَاط إلاَّ الرمل والحصى فأُخذ على الصُّورَة الَّتِي وُجد عَلَيْهَا فِي جَوف اللَّيْل فَمثل بَين يَدَيْهِ والمتوكّل فِي مجْلِس شرابه وَبِيَدِهِ كأس فلمَّا رَآهُ أعظمه وَأَجْلسهُ إِلَى جَانِبه فَنَاوَلَهُ الكأس فَقَالَ يَا أَمِير الْمُؤمنِينَ مَا خامر لحمي وَدمِي قطُّ فاعفني مِنْهُ فأعفاه وَقَالَ أَنْشدني شعرًا أستحسنه فَقَالَ إِنِّي لَقليل الرِّوَايَة مِنْهُ فَقَالَ لَا بدَّ فأنشده : [من البسيط]

بَاتُوا عَلَى قُلَلِ الْأَجْبَالِ تَحْرُسُهُمْ ... غُلْبُ الرِّجَالِ فَلَمْ تَنْفَعْهُمُ الْقُلَلُ

وَاسْتَنْزَلُوا بَعْدَ عِزٍّ مِنْ مَعَاقِلِهِمْ ... وَ اسْكِنُوا حُفَراً يَا بِئْسَ مَا نَزَلُوا

نَادَاهُمْ صَارِخٌ مِنْ بَعْدِ دَفْنِهِمْ ... أَيْنَ الْأَسَاوِرُ وَ التِّيجَانُ وَ الْحُلَلُ

أَيْنَ الْوُجُوهُ الَّتِي كَانَتْ مُنْعِمَةً ... مِنْ دُونِهَا تُضْرَبُ الْأَسْتَارُ وَ الْكِلَلُ

فَأَفْصَحَ الْقَبْرُ عَنْهُمْ حِينَ سَاءَلَهُمْ ... تِلْكَ الْوُجُوهُ عَلَيْهَا الدُّودُ يَقْتَتِلُ

قَدْ طَالَ مَا أَكَلُوا دَهْراً وَ قَدْ شَرِبُوا وَ أَصْبَحُوا الْيَوْمَ بَعْدَ الْأَكْلِ قَدْ أُكِلُوا

فأشفق من حضر على عليّ وخافوا أنَّ بادرةً تبدر إِلَيْهِ فَبكى المتوكّل بكاء طَويلا حتَّى بلَّت دُمُوعه لحيته وَبكى من حَضَره ثمَّ أَمر بِرَفْع الشَّرَاب وَقَالَ يَا أَبَا الْحسن أعليك دين قَالَ نعم أَرْبَعَة آلَاف دِينَار فَأمر بدفعها إِلَيْهِ وردَّه إِلَى منزله مكرَّماً .

وَكَانَ المتوكّل قد اعتلَّ فَقَالَ إِن برأت لأتصدَّقنَّ بِمَال كثير فلمَّا عوفي جمع الْفُقَهَاء وسألهم عَن ذَلِك فَأَجَابُوهُ مُخْتَلفين فَبعث إِلَى عليّ الْهَادِي فَقَالَ يتصدَّق بِثَلَاثَة وَثَمَانِينَ دِينَارا قَالُوا من أَيْن لَك هَذَا قَالَ لأنَّ الله تَعَالَى قَالَ : ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ﴾{التوبة/٢٥} . وروى أهلنا أَن المواطن كَانَت ثَلَاث وَثَمَانِينَ موطناً .

و[كَانَ] مولده [عليه السلام] يَوْم الْأَحَد ثَالِث عشر شهر رَجَب وَقبل يَوْم عَرَفَة سنة أَربع وَقيل سنة ثَلَاث عشرَة وَمِائَتَيْنِ وتُوفي بسرَّ من رأى يَوْم الِاثْنَيْنِ لخمس بَقينَ من جُمَادَى الْآخِرَة وَقيل لأَرْبَع بَقينَ مِنْهَا وَقيل فِي رَابِعهَا وَقيل فِي ثَالِث شهر رَجَب سنة أَربع وَخمسين وَمِائَتَيْنِ))([1]) .

هذا ؛ وقد ترجم علماء مدرسة أهل البيت إلى الإمام علي بن محمد الهادي النقي (عليه السلام) في السِّيَرِ التي تتحدث عن الأئمة المعصومين (عليهم السلام)

---

[1]) الوافي بالوفيات ، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي ت(٧٦٤هـ) ، المحقق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى ، دار إحياء التراث – بيروت ، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م : ٤٨/٢٢، يُنظر : التذكرة في الوعظ ، عبد الرحمن بن علي القرشي الملقَّب : سبط بن الجوزي ت(٥٧١هـ)، المحقق : احمد عبد الوهاب فتيح ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، ط١، ١٩٨٦م : ٢٠٣ ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي ت(٦٨١هـ) ، المحقق: إحسان عباس ، دار صادر – بيروت ، د.ط ، ١٩٩٤م : ٢٧٢/٣ ، تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي ت(٧٤٨هـ) ، المحقق: الدكتور بشار عوّاد معروف ، دار الغرب الإسلامي ، ط١، ٢٠٠٣ م : ١٠٩٧/٥ .

أضف إلى ذلك ألَّف بعضهم كُتباً خاصَّة في الامام الهادي (عليه السلام) تتحدث عن السيرة العطرة بدءاً من وصايا آبائه إلى ولادته إلى نهاية حياته الشريفة وتسليم الإمامة إلى الإمام أبي محمد الحسن العسكري (عليه السلام) .

وأبرز وأفضل وأجلى وأجمل ترجمة جاءت في كتب الإمامية للإمام الهادي (عليه السلام) ؛ ما جاء في الحديث المعروف بـ(حديث اللوح الأخضر) الذي ورد عن أبي بصير عن الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) أنَّه قال : ((قال أبي محمّد بن علي لجابر بن عبد الله الأنصاري: إنّ لي إليك حاجة، متى يخفّ عليك أن أخلو بك فأسألك عنها؟ فقال له جابر: في أيّ الأحوال أحببت، فخلا به أبي في بعض الأوقات وقال له: يا جابر! أخبرني عن اللوح الذي رأيته في يد أمّي فاطمة (عليها السلام)، وما أخبرتك به أمّي أنّه في ذلك اللّوح مكتوب.

فقال جابر: أشهد بالله أنّي دخلت على أمّك فاطمة (صلوات الله عليها) في حياة رسول الله (صلى الله عليه وآله) فهنّيتها بولادة الحسين (عليه السلام) فرأيت في يديها لوحاً أخضر، فظننت أنّه من زمرّد، ورأيت فيه كتاباً أبيض شبه نور الشّمس، فقلت لها: بأبي أنتِ وأمّي يا بنت رسول الله، ما هذا اللّوح في يدك؟

فقالت: (يا جابر) هذا اللوح أهداه الله تعالى إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فيه اسم أبي واسم بعلي واسم إبنيَّ وأسماء الأوصياء من ولدي، فأعطانيه أبي ليسرّني بذلك. قال جابر: فأعطتنيه أمّك (عليها السلام) فقرأته واستنسخته.

قال له أبي (عليه السلام): فهل لك يا جابر أن تعرضه عليَّ؟ فقال: نعم، فمشى معه أبي (عليه السلام) حتّى انتهى إلى منزل جابر، وأخرج أبي صحيفة من رقّ وقال: يا جابر انظر في كتابك لأقرأ عليك، فنظر جابر في نسخته وقرأه أبي، فما خالف حرف حرفاً. قال جابر: فأشهد بالله أنّي هكذا رأيت في اللّوح مكتوباً:

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب من الله العزيز الحكيم لمحمّد نبيّه ورسوله ونوره وسفيره وحجابه ودليله، نزل به الروح الأمين من عند رب العالمين.

عظّم يا محمّد أسمائي، واشكر نعمائي، ولاتجحد آلائي، فإنّي أنا الله لااله إلاّ أنا قاصم الجبّارين ومذلّ الظالمين وديّان يوم الدين، لا إله إلاّ أنا، من رجا غير فضلي، أو خاف غير عدلي، عذّبته عذاباً لا أعذّبه أحداً من العالمين، فإيّاي فاعبد، وعليَّ فتوكّل.

ثم أنّي لم أبعث نبيّاً فأكملت أيّامه وانقضت مدّته إلاّ جعلت له وصيّاً، وإنّي فضّلتك على الأنبياء، وفضّلت وصيّتك على الأوصياء، وأكرمتك بشبليك بعده وسبطيك: الحسن والحسين، فجعلت حسناً معدن علمي بعد انقضاء مدّة أبيه، وجعلت حسيناً خازن علمي، وأكرمته بالشهادة، وختمت له بالسعادة، وهو أفضل من استشهد، وأرفع الشهداء درجة، وجعلت كلمتي التامّة معه، وحجّتي البالغة عنده، بعترته أثيب وأعاقب: أوّلهم عليّ سيد العابدين وزين أوليائي الماضين، وابنه شبيه جدّه المحمود، محمّد الباقر لعلمي والمعدن لحكمتي، سيهلك المرتابون في جعفر الصادق، الرادّ عليه كالرادّ عليَّ، حقّ القول منّي لأكرمنّ مثوى جعفر، ولأسرّنه في أشياعه وأنصاره وأوليائه، وانتجبت بعده موسى، وأتيح بعده فتنة عمياء حندس ألا إنّ خيط فرضي لاينقطع، وحجّتي لاتخفى، وإنّ أوليائي لا يشقون.

ألا ومن جحد واحداً منهم فقد جحد نعمتي، ومن غيّر آية من كتابي فقد افترى عليَّ، وويل للمفترين الجاحدين عند انقضاء مدّة عبدي موسى وحبيبي وخيرتي.

ألا وإنّ المكذّب بالثّامن، مكذّب بكلّ أوليائي، عليّ وليّي وناصري ومن أضع عليه أعباء النبوّة، وأمنحه بالاضطلاع بها، يقتله عفريت مستكبر، يدفن بالمدينة الّتي بناها العبد الصالح : (ذو القرنين) الى جنب شرّ خلقي، حقّ القول منّي لأقرّنّ عينه

بمحمّد ابنه وخليفته من بعده، ووارث علمه، فهو معدن علمي، وموضع سرّي، وحجّتي على خلقي، جعلت الجنّة مثواه وشفّعته في سبعين من أهل بيته كلّهم قد استوجب النار، وأختم بالسعادة لابنه عليّ وليّي وناصري، والشّاهد في خلقي، وأميني على وحيي، أخرج منه الدّاعي الى سبيلي، والخازن لعلمي الحسن العسكري . (عليه السلام)، ثم أكمل ديني بابنه محمّد رحمة للعالمين، عليه كمال موسى وبهاء عيسى وصبر أيّوب، سيّد أوليائي، سيذلّ أوليائي في زمانه، وتتهادى رؤوسهم كما تتهادى رؤوس التُرك والديلم، فيقتلون ويحرقون ويكونون خائفين مرعوبين وجلين، تصبغ الأرض بدمائهم، ويفشو الويل والرنة في نسائهم، أولئك أوليائي حقّاً، بهم أدفع كلّ فتنة عمياء حندس، وبهم أكشف الزلازل وأرفع الآصار والأغلال، أولئك عليهم صلوات من ربّهم ورحمة وأولئك هم المهتدون.))([1]) ، فأيُّ حديث بعد هذا يُنكِرون؟!.

- **إسمه ونسبه الطاهر**

هو الإمام العاشر من الأنوار المحمدية الطاهرة ؛ أبوالحسن علي الهادي بن الإمام محمد الجواد، بن الإمام عليّ الرضا، بن الإمام موسى الكاظم، بن الإمام جعفر الصادق، بن الإمام محمد الباقر، بن الإمام علي السجاد (زين العابدين) بن الإمام الحسين الشهيد، بن الإمام علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين. أحد الأئمة الإثني عشر ، والد الإمام الحسن العسكري و جد الإمام الحجة بن الحسن المهدي المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف ، والإمام الهادي هو آخر الأشهر الحُرُم المذكورة في القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ {التوبة/٣٦} ، فقد ((رَوَى

---

[1]) الكافي : ٥٢٧/١ .

جَابِرٌ الْجُعْفِيُّ قَالَ سَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام عَنْ تَأْوِيلِ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَ ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ قَالَ فَتَنَفَّسَ سَيِّدِي الصُّعَدَاءَ ثُمَّ قَالَ ﴿**يَا جَابِرُ أَمَّا السُّنَّةُ فَهِيَ جَدِّي رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وَ شُهُورُهَا اثْنَا عَشَرَ شَهْراً فَهُوَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ [وَابناه الحسن والحسين وعلي بن الحسين و] إِلَيَّ وَ إِلَى ابْنِي جَعْفَرٍ وَ ابْنِهِ مُوسَى وَ ابْنِهِ عَلِيٍّ وَ ابْنِهِ مُحَمَّدٍ وَ ابْنِهِ عَلِيٍّ وَ إِلَى ابْنِهِ الْحَسَنِ وَ إِلَى ابْنِهِ مُحَمَّدٍ الْهَادِي الْمَهْدِيِّ اثْنَا عَشَرَ إِمَاماً حُجَجُ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ وَ أُمَنَاؤُهُ عَلَى وَحْيِهِ وَ عِلْمِهِ وَ الْأَرْبَعَةُ الْحُرُمُ الَّذِينَ هُمُ الدِّينُ الْقَيِّمُ أَرْبَعَةٌ مِنْهُمْ يَخْرُجُونَ بِاسْمٍ وَاحِدٍ عَلِيٌّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَ أَبِي عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ وَ عَلِيُّ بْنُ مُوسَى وَ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ عليهم السلام فَالْإِقْرَارُ بِهَؤُلَاءِ هُوَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ أَيْ قُولُوا بِهِمْ جَمِيعاً تَهْتَدُوا﴾**))([1]) ، وهذا التأويل منقول من ثقة الإمامين الباقر والصادق (عليهما السلام) وهو جابر بن يزيد الجعفي ، ومثل هذه التأويلات لا نجدها إلّا عند خواص الأئمة (عليهم السلام) ، كحديث النورانية الذي خصَّ به الإمامُ أمير المؤمنين (عليه السلام) به سلمان المحمدي وأبا ذر الغفاري (رضوان الله تعالى عليهما) وغيره من الأحاديث والروايات الخاصَّة التي لا يحتملها إلّا نبي مرسل أو ملك مقرَّب أو عبد امتحنَ اللهُ قلبه للإيمان([2]) ، وهؤلاء الخواص من ضمن الذين امتحن الله قلبهم للإيمان .

---

[1]) كتاب الغيبة للحجة ، محمد بن الحسن نصير الدين الطوسي ت(٤٦٠هـ) ، دار المعارف الإسلامية ، قم ، ايران ، ط١ ، ١٤١١هـ : ١٤٩ .

[2]) إشارة إلى الحديث الوارد عن الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) : ﴿**أمرنا صعب مستصعب لا يعرف كنهه الا ملك مقرب أو نبى مرسل أو عبد امتحن الله قلبه للايمان فإذا**

أمّه (عليه السلام) : ((أم ولد اسمها سُمانة ، ويقال لها أيضاً : سُمانة المغربية، وقيل : متفرشة المغربية ، ومن أسمائها الأخرى : سوسن ، وجمانة. وكنيتها : أُم الفضل. ولقبها : السيدة))([1]) ، وزوجته أم ولد ويُقال لها (سوسن) وتُلقَّب بـ (أمّ الحسن)([2]) ، والسبب في اضطراب أسماء الأمهات بالنسبة إلى أهل البيت (عليهم السلام) راجع إلى كتمانهم (عليهم السلام) للإسم الحقيقي لهنَّ ، أمَّا الأسماء الظاهرة والمعروفة من نساء أهل البيت ؛ هي للناس أمَّا اسماؤهنّ الحقيقية فلم يرد عنهم (سلام الله عليهم) نصّ في ذلك.

- **أولاده (عليه السلام)**

للإمام الهادي (عليه السلام) أربعة أولاد وبنت واحدة وهم : (**الامام الحسن العسكري** والد الحجة المنتظر (عجل الله تعالى فرجه الشريف) ، و**محمد بن علي** المعروف بـ (سبع الدجيل) المدفون في محافظة صلاح الدين في العراق ، و**جعفر بن علي** المعروف بـ(جعفر الكذاب أو التواب) حسب التواريخ التي ذكرته ، و**الحسين بن علي** وهو الذي لم تذكر التواريخ والتراجم لهذا السيد الجليل سنة ولادة ولا سنة وفاة ، والبنت هي السيدة عليَّة ([3]).

انكشف لكم أو وضح لكم أمر فاقبلوه و الا فأمسكوا تسلموا و ردوا علمنا إلى الله فانكم في أوسع ما بين السماء و الارض ﷺ)) ، شرح الكافي (الأصول والفروع والروضة) ، محمد صالح المازندراني ت(١٠٨١هـ) ، المكتبة الإسلامية ، طهران ، إيران ، ط١ ، ١٤٢٤هـ : ٣/٧ .

[1]) الكافي: ١ / ٤٩٨ ، باب : مولد أبي الحسن علي بن محمد ، يُنظر : بحار الأنوار: ١١٤/٥٠.

[2]) يُنظر : الكافي : ٥٠٠/١ .

[3]) يُنظر : الإمام الهادي (عليه السلام) من المهد إلى اللحد ، محمد كاظم القزويني ، منشورات فرصاد ، ط١ ، ٢٠٠٧م : ١٣٩.١٣٦ .

- **علم الإمام (عليه السلام)**

من نافلة القول أن نتكلم في علم الإمام وهو يحمل علم الأنبياء والمرسلين وآبائه الطاهرين ، وهو القائل (عليه السلام) : ﴿**اسمُ اللهِ الأعظمُ ثلاثةٌ وسبعونَ حرفاً ، وإنَّما كانَ عندَ آصفَ حرفٌ واحدٌ فتكلمَ بهِ فانخرقتْ لهُ الأرضُ فيما بينهُ وبينَ سبأ، فتناولَ عرشَ بلقيسَ حتى صيَّرهُ إلى سُليمانَ ، ثمَّ انبسطتْ لهُ الأرضَ في أقلِّ منْ طرفةِ عينٍ ، وعندنا منهُ اثنانِ وسبعونَ حرفاً ، وحرفٌ واحدٌ عندَ اللهِ تعالى مستأثرٌ بهِ في علمِ الغيبِ**﴾([1]) ، فالحامل لهذه العلوم مَن باستطاعته أن يصفَ علمَهُ ؟!! .

- **آثار الإمام (عليه السلام) العلمية :**

ترك الإمام الهادي (عليه السلام) آثاراً كبيرة من الروايات والأدعية والزيارات وقد جمع رواياته الشيخ (عزيز الله العطاردي) تحت عنوان (مسند الإمام الهادي علي بن محمد عليه السلام) وهو كتاب مطبوع بأكثر من خمس طبعات في دور نشر مختلفة، يحتوي الكتاب على آثار الإمام الهادي (عليه السلام) حيث كان عدد صفحات الكتاب (٤٠٠) صفحة ، وقد بوَّبها المؤلف بحسب موضوعات الروايات التي جمعها، مثل : باب الإمامة ، وباب الأصحاب ، وباب الحج ، وباب الطلاق ، وباب النكاح، وما رُوي عنه (عليه السلام) في الزيارات كـ(زيارة الأئمة ، زيارة أمير المؤمنين ، زيارة فاطمة الزهراء ، زيارة الحسين) وغيرها من الزيارات المروية عنه (عليه السلام) وأشهر من ذلك هي الزيارة الجامعة الكبيرة كما سنبيّن ذلك إن شاء الله تعالى.

- **قول الإمام الجواد في الإمام الهادي (عليهما السلام)**

---

[1]) بصائر الدرجات : ٣/٢٣١ .

وردت أقوال كثيرة في حق الإمام الهادي علي بن محمد (عليه السلام) ولا نريد أن نذكر قول غير ما ورد عن المعصوم ، لذا نكتفي بما صدر عن جواد العترة وهو القول الفصل في ذلك ، لأنَّه لا يعرفهم إلّا الله ورسوله وهم أنفسهم فقط وفقط .

قال الإمام محمد بن علي الجواد (عليه السلام): ﴿**إنَّ الإمامَ بعدي ابني عليٌّ، أمرهُ أمري، وقولهُ قولي، وطاعته طاعتي**﴾(١) ، وهذا أمر صادر من الإمام المعصوم فمن يُخالفه يخالف رسول الله (صلى الله عليه وآله) بالتبع ؛ لأنَّه لو تتبعنا أقوال الأئمة عليهم السلام في مَن يوصون به من أولادهم يقولون (طاعته طاعتي) وصولاً إلى الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) ونجد في ذلك قول رسول الله (صلى الله عليه وآله) : ﴿**يا عمار بن ياسر، إنّهُ سَيَكُونُ فِي أُمّتِي بَعدِي هُنَاة، حَتّى يَخْتَلِفَ السّيفُ فِيمَا بَيْنَهُمْ ، وَحَتّى يَقْتُلَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً ، فَإذَا رَأَيْتَ ذَلِكَ فَعَلَيْكَ بِهَذَا الأَصْلَعِ عَنْ يَمِينِي، يَعنِي عَلِيّ بْنَ أَبِي طالبٍ فَإن سَلَكَ النّاسُ كُلّهُمْ وَادِيًا وَ سَلَكَ عَلِيّ وَادِيًا ، فَاسْلُك وَادِيَ عَلِيّ عليه السّلامُ وَ خَلّ عَنِ النّاسِ . يَا عَمّارُ ! إنّ عَلِيّاً لاَ يَرُدّكَ عَنْ هُدًى وَ لَا يَدُلّكَ عَلَى رَدًى . يَا عَمّارُ ! طَاعَةُ عَلِيّ طَاعَتِي ، وَ طَاعَتِي طَاعَةُ اللهِ عَزّ وَجَلّ**﴾(٢)، فقول الإمام الجواد (عليه السلام) واجب التنفيذ على كل مَن يعتقد بإمامتهم.

- **الكلمات القصار لإمام الأبرار (عليه السلام)**

جاء في ما أُثر عن عاشر أنوار الهدى من الحكمة والأخلاق ما يُعدُّ من الخزائن الذهبية لما تحمله هذه الكلمات من منظومة معرفية ثقافية ، تتفجر العلوم من بين ثنايا حروفها ، وهي . على قصرها وقلَّة تراكيبها . تُعدّ ثروة فكرية إسلامية تتجدد كلَّما

---

١) بحار الأنوار : ١١٨/٥٠ .

٢) الكافي : ١٧/٥ ، بحار الأنوار : ٦٨/٢٨ .

تقادم الزمن وكأنَّها تُحاكي العصور جميعها ، وكيف لا وهم الذين فتح الله بهم ، وبهم يختم كما ورد في الجامعة الكبيرة ، فما ورد عنه على سبيل المثال لا الحصر :

١-قال الإمام الهمام (عليه السلام) : ﴿**يأتي عَلماءُ شيعَتِنا الْقَوّامُونَ بِضُعَفاءِ مُحِبّينا وَأَهْلِ وِلايتِنا يوْمَ الْقِيامَةِ، وَالأنْوارُ تَسْطَعُ مِنْ تيجانِهِمْ**﴾(١) وهذا الحديث يكشف عن وصايا الأئمة على التكافل الاجتماعي للحفاظ على الوحدة والمودة التي تمهّد للدولة الإلهية المنشودة .

٢-قال عاشر الأنوار المحمدية (عليه السلام) : ﴿**الْغَضَبُ عَلى مَنْ لا تَمْلِك عَجْزٌ، وَعَلى مَنْ تَمْلِك لُؤْمٌ**﴾(٢) ، هذه وصيَّة بعدم الغضب في جميع الأحوال ، لأنَّه يُورث الفرقة والحنق وبالتالي يُحلُّ تماسك المسلمين .

٣-قال إمام السلام (عليه السلام) : ﴿**مَنْ اَطاعَ الْخالِقَ لَمْ يبالِ بِسَخَطِ الْمَخْلُوقينَ**﴾(٣) في هذا الحديث المبارك نجد أنفاس أمير المؤمنين (عليه السلام) في قوله : ﴿**مَنْ أَرَادَ عِزّاً بِلَا عَشِيرَةٍ، وَ هَيْبَةً مِنْ غَيْرِ سُلْطَانٍ، وَ غِنًى مِنْ غَيْرِ مَالٍ، وَ طَاعَةً مِنْ غَيْرِ بَذْلٍ، فَلْيَتَحَوَّلْ مِنْ ذُلِّ مَعْصِيَةِ اللَّهِ إِلَى عِزِّ طَاعَتِهِ، فَإِنَّهُ يَجِدُ ذَلِكَ كُلَّه**﴾(٤)، وكلهم نور يصدر من سراج واحد ، ووصاياهم (عليهم السلام)

---

١) بحار الأنوار : ٦/٢ .

٢) مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل ، حسين بن محمد تقي النوري ت(١٣٢٠هـ) ، مؤسسة أهل البيت (عليهم السلام) ، قم ، إيران ، ط١ ، ١٤٠٨هـ : ١١/١٢ .

٣) بحار الأنوار : ١٧٧/٥٠ .

٤) الأمالي ، محمد بن الحسن الطوسي ت(٤٦٠هـ) دار الثقافة ، قم ، ط١ ، ١٤١٤هـ : ٥٢٤ . ويُنقل هذا الحديث عن الإمام الصادق (عليه السلام) أيضا ، يُنظر : تحف العقول عن آل

في الطاعة تدفع باتجاه الكرامة الدائمة لأنّ مَن خاف الله أخاف اللهُ منه كُلَّ شيء ، والله لا يأمر بالفحشاء والمنكر والبغي ، فنتيجة الطاعة لله تعالى تورث الرفعة والسمو بالإضافة إلى بناء المجتمع بناءً صحيحاً سليماً سالماً ، وما بُعث الأنبياء والرسل والأوصياء إلّا لهذا الأمر .

٤-قال هادي العترة الطاهرة (عليه السلام) : ﴿**مَن كانَ عَلَى بَينةٍ مِن رَبِّهِ هَانَت عليه مَصائِبُ الدُّنيا وَلَو قرضَ ونشرَ**﴾(١) ، من طبيعة الإنسان البحث عن الإطمئنان في أي وسيلة كانت ، والذي يُوكل الأمر إلى ربه ويكون على بيّنة من ذلك فهو يحصل على مراده فلا يمكن لأحد أن يُزعزع ذلك الاطمئنان في قلبه وقد قال تعالى : ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ ﴿الرعد/٢٨﴾ ، فيهون عنده كلُّ شيء، ولا يعبء بما يقع عليه .

٥- قال سليل العترة النبوية (عليه السلام) : ﴿**اَلحَسَدُ ماحِقُ الحَسَناتِ وَالزَّهوُ جالِبُ المَقتِ**﴾(٢) ، وقول الإمام هذا مُستنبط من قول الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) يرويه حفيده الإمام أبو عبد الله الصادق (عليه السلام) : ﴿**إِنَّ الرَّجُلَ لَيَأْتِي بِأَيِّ بَادِرَةٍ فَيَكْفُرُ وَ إِنَّ الْحَسَدَ لَيَأْكُلُ الْإِيمَانَ كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الْحَطَب**﴾(٣) ؛ لأنَّ الحسد يورث الضغينة والتنافر بين أبناء المجتمع ، فجاء التحذير من ولاة الناس بترك هذه الظاهرة المقيتة .

الرسول (صلى الله عليه وآله) ، ابن شعبة الحراني ت(القرن الرابع) ، جماعة المدرسين ، قم ، ايران ، ط٢ ، ١٤٠٤هـ : ٣٧٦ .

١) تُحف العقول : ٥١١ .

٢) بحار الأنوار : ٦٩/٢٠٠ .

٣)الكافي : ٢/٣٠٦ .

٦-قال عطر الدوحة الهاشمية (عليه السلام) : ﴿**مَن هانَت عليه نَفسُهُ فَلا تَأمَن شَرَّه**﴾([1]) ، لأنَّ الإنسان مجبول على الحفاظ على نفسه ، فإذا هانت عليه لم يكن له رادعٌ ولا يخاف من شيء أبدًا ، فيكون الشر منه متوقع .

٧-قال نجم السماء العلوية (عليه السلام) : ﴿**الْمُصِيبَةُ لِلصَّابِرِ وَاحِدَةٌ، وَ لِلْجَازِعِ اثْنَتَانِ**﴾([2]) ، لأنَّ الصابرَ يحافظ على حالته النفسية من الإنهيار ، في حين الجازع يحمل همَّ المصيبة وهمَّ تعبه النفسي ، وإلى هذا أشار الإمام (عليه السلام).

٨-قال نور الله في أرضه (عليه السلام) : ﴿**مَن رَضِي عَن نَفسِهِ كثُرَ السّاخِطُونَ عليه**﴾([3]) ، لأنَّ ذلك يُؤدي به إلى العجب ومنه إلى التكبر فيرى الناس صغاراً ويروه أصغر ولا يشعر في ذلك .

٩-قال صاحب السر المكنون (عليه السلام) : ﴿**مُخَالَطَةُ الْأَشْرَارِ تَدُلُّ عَلَى شِرَارِ مَنْ يُخَالِطُهُمْ، وَ الْكُفْرُ لِلنِّعَمِ أَمَارَةُ الْبَطَرِ، وَ سَبَبٌ لِلْغِيَرِ، وَ اللَّجَاجَةُ مَسْلَبَةٌ لِلسَّلَامَةِ، وَ مُؤَدِّيَةٌ إِلَى النَّدَامَةِ، وَ الْهُزُوءَةُ فُكَاهَةُ السُّفَهَاءِ، وَ صِنَاعَةُ الْجُهَّالِ، وَ التَّسَوُّفُ مَغْضَبَةٌ لِلْإِخْوَانِ وَ مُورِثُ الشَّنَآنِ وَ الْعَقِبُ يُعَقِّبُ الْقِلَّةَ، وَ يُؤَدِّي إِلَى الذِّلَّة**﴾([4])، فالإمام (عليه السلام) يُحذر بطريقة الإرشاد مِن أن يقع الناس في هذه الأمور.

---

[1]) تحف العقول : ٤٨٣ .

[2]) نزهة الناظر وتنبيه الخاطر ، حسن بن محمد بن نصر الحلواني ت(القرن الخامس) ، مدرسة الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه الشريف) ، قم ، ايران ، ط١ ، ١٤٠٨هـ : ١٤٠ .

[3]) بحار الأنوار : ٢١٥/١٧ .

[4]) نزهة الناظر وتنبيه الخاطر : ١٤١ .

١٠ـ قال نور الأنوار وشمس الأطهار (عليه السلام) : ﴿**الْأَخْلَاقُ تَتَصَفَّحُهَا الْمُجَالَسَة**﴾([1]) ؛ لأنَّ المجالسة تكشف عن مَعدِن الإنسان ، وهذا الحديث جاء بطريقة الخبر وأريد منه التحبيب والإرشاد .

وغيرها عشرات الحكم الواردة من قبل الإمام علي بن محمد الهادي (عليه السلام) وللأسف لم تُسلط عليها الأضواء من قبل الدارسين وهي جديرة بالدراسة .

*** نهاية المطاف لمنار سر الألطاف**

لم يُعمِّر الإمام العاشر (عليه السلام) إذ ((روي أنَّه قبض في رجب سنة أربع وخمسين ومائتين وله أحدى وأربعون سنة وستة أشهر ، وأربعون سنة على المولد الآخر الذي روي ، وكان المتوكل أشخصه مع يحيى بن هرثمة بن أعين من المدينة إلى سر من رأى ، فتوفي بها ودفن في داره))([2]) ، وكانت سبب وفاته (عليه السلام) هو السُّم ، إذ ((نقل كثير من المؤرخين والمحدثين أنّ الإمام الهادي (عليه السلام) مات مسموما، منهم : المسعودي ، وسبط ابن الجوزي ، والشبلنجي ، وابن الصباغ المالكي ، والشيخ أبوجعفر الطبري الشيعي ، وصرح الشيخ الكفعمي بأن الذي سمّه هو المعتز ، ونقل عن ابن بابويه أنّ الذي سمّه هو المعتمد العباسي ، لكن المعتمد بويع بالخلافة في النصف من رجب سنة ٢٥٦ بعد قتل المهتدي ، فإمّا أن يكون مصحفا ، أو أن المعتمد هو الذي دسّ السمّ بايعازٍ من المعتز ، فيكون ذلك جمعاً بين قول الشيخ الصدوق والشيخ الكفعمي.))([3]) ، ولا يخفى على ذوي المعرفة في

---

[1]) نزهة الناظر وتنبيه الخاطر : ١٤١ .

[2]) الكافي : ٤٩٧/١ .

[3]) الإمام علي الهادي (عليه السلام) سيرة وتاريخ ، علي موسى الكعبي ، مركز الرسالة ، سلسلة المعارف الإسلامية ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ٢٠١٢م : ٢٦٠ ، يُنظر : مروج الذهب ومعادن الجوهر، المسعودي، ابي الحسن بن علي، ت(٣٤٦هـ)، راجعه مرعي، كمال حسن،

أحوال أهل البيت (عليهم السلام) إذ ما منهم إلا مسموم أو مقتول ، ورحل الإمام من هذه الدنيا لكنَه لا ولم ولن يرحل من قلوب شيعته ومحبيه ، فله عرش في هذه القلوب لا يحتويه غيره ، فسلام عليه يوم ولد ويوم استُشهدَ ويوم يُبعث حيًا .

المكتبة العصرية، بيروت، ط١، ٢٠٠٥م :٤ / ٤٢٣ ، تذكرة خواص الأمة في خصائص الأئمة، سبط ابن الجوزي ت(٦٥٤ هـ) ، تحقيق ودراسة : الدكتور عامر النجار : أستاذ الفلسفة الإسلامية بجامعة قناة السويس ، مكتبة الثقافة الدينية ، ط١، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م: ٣٢٤ ، نور الأبصار في مناقب آل بيت النبي المختار صلى الله عليه و[آله] وسلم ، مؤمن بن حسن مؤمن الشبلنجي ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى بالبابي الحلبي وأولاده ، مصر ، ط٢ ، ٢٠٢٠م : ٣٣٧ ، الفصول المهمة في أصول الأئمة ، محمد بن الحسن الحر العاملي ت(١١٠٤هـ) ، مؤسسة الإمام الرضا (عليه السلام) للمعارف الإسلامية ، قم ، ايران ، ط١، ١٤١٨هـ : ٢ /١٠٧٦ ، دلائل الإمامة ، محمد بن جرير بن رستم الطبري ت(القرن الخامس الهجري) ، دار البعثة ، قم ، ايران ، ط١ ، ١٤١٣ هـ : ٤٠٩. بحار الأنوار ٥٠ : ١١٧ ، مناقب آل أبي طالب ، محمد بن علي ابن شهر آشوب المازندراني ت(٥٨٨هـ)، علامة ، قم ، ط١، ١٤٢١هـ : ٤ / ٤٣٣ .

المطلب الرابع

الزيارة الجامعة الكبيرة

سندها ، شروحها ، رموز الشروح المختارة.

وهي من الزيارات التي وضَّحت مقامات آل محمد (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) ، فقد أشارت إلى مقاماتهم الملكوتية ومقاماتهم الملكية على لسان الإمام العاشر من أئمة الهدى وأركان التقى ونور الورى علي بن محمد الهادي النقي (عليه السلام) ، ولو أنَّ أحداً من الخلق دون الثقلين أراد أن يُبيّن مقاماتهم ما بلغ إلى ذلك سبيلاً ، وقد قال في ذلك رسول الله (صلى الله عليه وآله) لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) : ﴿**يا عليُّ خُلقَ الناسُ من شجرٍ شتَّى، وخُلقتُ أنَا وأنتَ منْ شجرةٍ واحدةٍ أنَا أصلُها وأنتَ فرعُها، والحسنُ والحسينُ أغصانُها، وشيعتُنا ورقُها، فمَنْ تعلَّقَ بغصنٍ منْ أغصانِها أدخلَه اللهُ الجنَّة**﴾(١) ، وهل للأوراق أن تصف الأغصان أو الفرع أو الأصل ؟!! .

وكما ورد عن إمام المتقين وسيد الوصيين (عليه السلام) في مقامات آل محمد (صلوات ربي عليهم أجمعين) قوله : ﴿**لاَ يُقَاسُ بِآلِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله مِنْ هَذِهِ اَلْأُمَّةِ أَحَدٌ وَ لاَ يُسَوَّى بِهِمْ مَنْ جَرَتْ نِعْمَتُهُمْ عَلَيْهِ أَبَداً هُمْ أَسَاسُ اَلدِّينِ وَ عِمَادُ اَلْيَقِينِ إِلَيْهِمْ يَفِيءُ اَلْغَالِي وَ بِهِمْ يُلْحَقُ اَلتَّالِي وَ لَهُمْ خَصَائِصُ حَقِّ اَلْوِلاَيَةِ وَ فِيهِمُ اَلْوَصِيَّةُ وَ اَلْوِرَاثَةُ..** ﴾(٢) ، ومن الطوام الكبرى حينما يُقاس من الناس بآل

---

١) بحار الأنوار : ٢٥/٣٥ .

٢) شرح نهج البلاغة ، عبد الحميد بن هبة الله المعروف بابن أبي الحديد ت(٦٥٦هـ) ، مكتبة آية الله المرعشي النجفي ، قم ، ايران ، ط١ ، ١٤٠٤هـ : ١٨.١٧/٥ .

محمد وهم الذين نقَّاهم الله من كل رجس وشين ؛ لذا فلا يمكن لأحد أن يصف النور إلا أن يصف ذاته بذاته ، كيف إذا كان هذا النور هو نور الله (عزَّ وجلّ) ؟!!.

فكان السائل للإمام الهادي (عليه السلام) يعرف أنّ هذه المقامات لا يمكن أن يبلغها أحد ولا يصفها أحد إلا هم ؛ لذلك جاء إلى نورهم العاشر لينهل منه ما يروي صداه ، فكان الجواب قولاً بليغاً كاملاً كما أراد .

أمّا عن سند هذا السفر الخالد فقد ذكره الشيخ أبو جعفر محمد بن علي بن بابويه القمي المعروب بالصدوق ت(٣٨١هـ) في قوله : ((روى محمّد بن إسماعيل البرمكي([1])، قال: حدّثنا موسى بن عبدالله النخعي([2]) ، قال قلت لعلي بن محمّد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمّد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السّلام: علّمني يا ابن رسول الله قولاً أقوله بليغاً كاملاً إذا زرت واحداً منكم))([3])، وقد اعتمد على هذا السند والرواية مَن أتى بعد الشيخ الصدوق وأخذوها أخذ المسلمات.

---

[1]) وثقه السيد الخوئي في رجاله ، يُنظر : معجم رجال الحديث ، أبو القاسم الموسوي الخوئي ت(١٩٩٢م) ، مطبوعات دار الأندلس ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ٢٠٠٦م : ٧٦/١٦ .

[2]) وثقه السيد الخوئي في رجاله ، يُنظر : المصدر نفسه : ٣٨/٢٠ .

[3]) من لا يحضره الفقيه ، محمد بن علي بن بابويه القمي ت(٣٨١هـ): تحقيق: علي أكبر الغفاري، طبع ونشر، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ، قم – إيران ، ط٥– ١٤٢٩هـ : ٦٠٩/٢ . وذكر ذلك في كتابه : عيون أخبار الرضا ، أيضا ، يُنظر : عيون أخبار الرضا ، محمد بن علي بن بابويه القمي ت(٣٨١هـ) ، تصحيح وتعليق : الشيخ حسين الأعلمي ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٤٠٤ . ١٩٨٤م : ٣٠٥/١ .

وكذلك رواها الشيخ نصير الدين الطوسي ت(٤٦٠هـ) عن شيخه محمد بن النعمان المفيد ت(٤١٣هـ) عن الشيخ الصدوق ذاكراً ذات السند ([1]) ، وتبعهم في إيراد السند نفسه ؛ الشيخ عباس بن محمد رضا بن أبي القاسم القمي ت(١٢٩٤ هـ – ١٣٥٩ هـ)([2]) ، وقد تعقَّب الشيخ محمد السند ؛ الرواة في كل أحوالهم ومن ثمَّ جزم بوثاقتهم ([3]) ، بالإضافة إلى ذلك ؛ فقد صححها كل الذين شرحوها والذين استشهدوا بكلمات منها ، وما ذكرناه للمثال وليس للحصر ، وبذلك يثبت صحة ورودها عن الإمام علي بن محمد الهادي (عليه السلام) .

- **شروح الزيارة الجامعة الكبيرة**

للزيارة الجامعة الكبيرة شروح كثيرة تصل إلى أكثر من ثلاثين شرحًا ، وما تزال بعض الشروح قيد الإكمال ، من هذه الشروح على سبيل البيان :

١ـ **الأعلام اللامعة في شرح الجامعة** ، للسيد محمد بن عبد الكريم الطباطبائي البروجردي المتوفى حدود سنة ١١٦٠هـ ، مجلد واحد.

٢ـ **الإلهامات الرضوية في شرح الزيارة الجامعة الكبيرة المشهورة** ، (فارسي) ، للسيد محمد بن السيد محمود الحسيني اللواساني الطهراني الشهير بالسيد محمد العصار ت(١٣٥٥هـ).

---

[1]) يُنظر : تهذيب الأحكام ، محمد بن محمد بن االحسن نصير الدين الطوسي ت(٤٦٠هـ) ، تحقيق وتعليق : حسن الموسوي الخرسان ، دار الكتب الإسلامية ، مطبعة خورشيد ، طهران ، إيران ، ط٤ ، ١٣٦٥ش : ٩٥/٦ .

[2]) يُنظر : مفاتيح الجنان ويليه الباقيات الصالحات ، عباس بن محمد رضا بن أبي القاسم القمي ت(١٣٥٩ هـ ـ ١٩٤١م) ، دار المحجة البيضاء ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٩٩٧م : ٣١٧ .

[3]) يُنظر : في رحاب الزيارة الجامعة الكبيرة ، الشيخ محمد السند ، إعداد : علي جلال الشرخات، مكتبة فدك ، قم ، إيران ، ط١ ، ٢٠٠٧م : ١٣. ١٠٠ .

٣ـ **شرح الزيارة الجامعة الكبيرة** ، للشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي ت(١٢٤١هـ)، وهو مطبوع في أربعة مجلدات ، ويُعدّ من أوائل الشروح للزيارة الجامعة من حيث المادة وإيراد الرواية.

٤. **الأنوار اللامعة في شرح الزيارة الجامعة** ، للسيد عبد الله شبر ت(١٢٤٢هـ) مجلد واحد .

٥ـ **البروق اللامعة** (تعليقات على الزيارة الجامعة الكبيرة المعروفة وعلى بعض الأدعية المتداولة أيضاً) ، الشيخ علي بن محمد جعفر الاسترابادي الطهراني ت(١٣١٥هـ) .

٦ـ **شرح الزيارة الجامعة** ، الشيخ محمد تقي المجلسي، والد العلامة المجلسي صاحب البحار ت(١٠٧٠هـ) ، مختصر جُمع ضمن ثلاثة شروح ، شرح المجلسي محمد تقي، وشرح المجلسي محمد باقر ، وشرح نعمة الله الجزائري.

٧ـ شرح الزيارة الجامعة (فارسي) ، للعلامة السيد حسين بن السيد محمد تقي الهمداني (ت ١٣٤٤هـ)، اسمه (الشموس الطالعة).

٨ـ **شرح الزيارة الجامعة** ، الميرزا علي نقي بن السيد حسين المعروف بالحاج آغا ابن السيد المجاهد الطباطبائي الحائري ت(١٢٨٩هـ) ، مجلدان باللغة الفارسية.

٩ـ **شرح الزيارة الجامعة** ، للميرزا محمد علي بن المولى محمد نصير الچهاردهي الرشتي النجفي ت(١٣٣٤هـ). فارسي كبير .

١٠. **شرح الزيارة الجامعة** ، للسيد بهاء الدين محمد بن محمد باقر الحسيني النائيني المختاري ، شرح مختصر للزيارة الجامعة .

١١. **شمس طالعة في شرح الزيارة الجامعة** ، للسيد عبد الله بن أبي القاسم الموسوي البلادي ، باللغة الفارسية .

١٢. **شمس طالعة في شرح الزيارة الجامعة الكبيرة** ، للميرزا محمد بن أبي القاسم ناصر حكمت طبيب زاده الأصفهاني المعاصر الأحمد آبادي، باللغة الفارسية .

١٣ـ **الشموس الطالعة في شرح الزيارة الجامعة الكبيرة**، للسيد حسين بن السيد محمد تقي الهمداني الدرودآبادي ت(١٣٤٤هـ)، مجلد واحد لكنه احتوى على نفائس التحقيقات الروائية.

١٤ـ **الشموس الطالعة في شرح الزيارة الجامعة الكبيرة** ، للسيد ريحان الله البروجردي ت(١٣٢٨هـ) .

١٥ـ **الأنوار الساطعة في شرح الزيارة الجامعة** ، الشيخ محمد رضا الغراوي المعاصر .

١٦ـ **في رحاب الزيارة الجامعة الكبيرة** ، الشيخ محمد السند ، إعداد : علي جلال الشرخات، مكتبة فدك ، قم ، ايران ، ط١ ، ٢٠٠٧م .

١٧ـ **شرح الزيارة الجامعة الكبيرة** ، الشيخ عبد الحليم الغزي ، برنامج تلفزيوني ثم حُرر وطبع في لندن ، فيه من أسرار الروايات كثير .

١٨ـ **أنوار الولاية الساطعة في شرح الزيارة الجامعة** ، السيد محمد الوحيدي الخراساني .

١٩ . **في رحاب الزيارة الجامعة الكبيرة** ، صدر الدين القبنجي ، أربع مجلدات ، وهو عبارة عن محاضرات ألقاها على تلامذته في الحوزة وبعدها جمعت في كتاب .

٢٠ـ **مع الأئمة الهداة في شرح الزيارة الجامعة الكبيرة** ، السيد علي الميلاني ، مجلد واحد وهو من أقصر الشروح تقريبًا .

٢٠ـ **الصوارم القاطعة والحجج اللامعة في اثبات صحة الزيارة الجامعة** ، الشيخ عبد الكريم العُقيلي ، مجلد واحد ، أثبت فيه صحة السند والمضامين التي جاءت فيها الزيارة الجامعة الكبيرة .

٢١ـ **أدب فناء المقربين شرح الزيارة الجامعة الكبيرة** ، عبد الله جوادي آملي ، باللغتين (العربية والفارسية) ، إلى الآن وصل عشر مجلدات ولم يكتمل بعد ، فالزيارة في هذا الشرح لم تصل إلى الفقرات النهائية ، وما تزال تُطبع ما إن يكتمل جزء من هذا الكتاب .

وغيرها من الشروح التي جالت في سبر غور هذا السفر المحمدي الذي لا ينضب.

- **رموز الشروح المختارة للدراسة**

كما تقدَّم ، اختارت الدراسة عشرة شروح للزيارة الجامعة وكما هو مُبيَّن في الجدول التالي :

عنوان الكتاب	اسم المؤلف	اختصار اسم المؤلف في الدراسة
شرح الزيارة الجامعة الكبيرة	محمد تقي المجلسي ت(١٠٧٠هـ)	المجلسي الأول
شرح الزيارة الجامعة الكبيرة	محمد باقر المجلسي ت(١١١١هـ)	المجلسي الثاني
شرح الزيارة الجامعة الكبيرة	نعمة الله الجزائري ت(١١١٢هـ)	الجزائري
شرح الزيارة الجامعة الكبيرة	أحمد بن زين الدين الأحسائي ت(١٢٤١هـ)	الأحسائي

الشموس الطالعة من مشارق الزيارة الجامعة	حسين الهمداني ت(١٣٤٤هـ)	الهمداني
في رحاب الزيارة الجامعة الكبيرة	علي الحسيني الصدر الكتاب مطبوع ٢٠٠٧ م	الصدر
في رحاب الزيارة الجامعة الكبيرة	محمد السند الكتاب مطبوع ٢٠٠٧م	السند
مع الأئمة الهداة شرح الزيارة الجامعة الكبيرة	علي الميلاني الكتاب مطبوع ١٤٣٢هـ	الميلاني
شرح الزيارة الجامعة الكبيرة	عبد الحليم الغزي الكتاب مطبوع ٢٠١٢ م	الغزي
أنوار الولاية الساطعة في شرح الزيارة الجامعة	محمد الوحيدي د.ط	الوحيدي

الباب الأول

الفنون البلاغية

في

شروح الزيارة الجامعة الكبيرة

الفصل الأول

مباحث علم المعاني

في

شروح الزيارة الجامعة الكبيرة

الفصل الأول

مباحث علم المعاني

في شروح الزيارة الجامعة الكبيرة

مدخل

تستوي البلاغة على ثلاثة أوتاد رئيسة منذ بداية تأسيسها وحتى الآن ، وهي (علم المعاني ، وعلم البيان ، وعلم البديع) وهذه الفنون البلاغية كانت وما تزال عماد البلاغة ، وعلم المعاني يمثِّل الوتد المهم الموطد للفنون البلاغية ، وكان مرتبطًا بعلم النحو عند نشأة العلوم ، وقد ((نشأ علم النحو وهو على صلة وثيقة بالمعاني، فكانت للنحاة الأوائل عنايتهم الفائقة بدراسة الكلام العربي والوقوف على أساليب التعبير به، والبحث فيما يعرض لها من تعريف وتنكير، وتقديم وتأخير، وإضمار وإظهار، وفق ما تقتضيه معاني الكلام وظروف القول ومناسباته))([1]) ، وهذا كلُّه تابع لعلم المعاني على الرغم من أنَّه كان بين طيات كتب النحو .

- **المعاني في اللغة**

المعاني ؛ جمع معنى ، وحدُّ المعنى : ((عَنِيَ: العين والنون والحرف المعتل أصول ثلاثة: الأول القصد للشيء بأنكماش فيه وحرص عليه، والثاني: دال على خضوع وذلّ، والثالث: ظهور شيء وبروزه، والذي يدل عليه قياس اللغة أن المعنى هو القصد الذي يبرز ويظهر في الشيء إذا بحث عنه))([2]) ، وكذلك : ((معنى كل

---

[1]) أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين ، د. قيس إسماعيل الأوسي ، مطبعة بيت الحكمة، بغداد ، العراق ، ط١، ١٩٨٨ م :٢٥ .

[2]) معجم مقاييس اللغة ، أحمد بن فارس ت(٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر ، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩ م : ١٤٦/٤ . ١٤٧ .

شيء: محنته وحاله التي يصير إليها أمره، والمعنى والتفسير والتأويل واحد، وعنيت بالقول كذا: أردت. ومعنى كل كلام ومعناته ومَعْنيَّتُهُ مقصده))([1]) .

- **علم المعاني في الاصطلاح**

أمَّا في الاصطلاح : فإنَّ المصطلح الذي وصل إلينا من مفهوم علم المعاني البلاغي قد مرّ بمراحل وانتقالات وتحوّلات طويلة حتى استقر مصطلحًا تامّا مستقلًا عن العلوم الأخرى ، ويُعدُّ ركيزة مهمة من ركائز البلاغة العربية ، وقد تضافرت جهود العلماء على مدى خمسة قرون أو أكثر بالدراسة والبحث في نشأته وتطويره واستقلاله عن علم النحو ، وهذا تطلب وقتًا طويلًا .

وكان مفهوم هذا المصطلح ـ المعاني ـ يتردد في محاضرات ومكاتبات الأوائل وفي نصوصهم اللغوية وبحوثهم القرآنية والشعرية ، ويبدو أنَّ عبارة (معاني النحو) التي كانت تُذكر في المناظرة التي وردت بين أبي بشر متى بن يونس ت(٣٢٨هـ)، وبين أبي سعيد السيرافي ت(٣٦٨هـ)، هي الإشارات الأقدم التي ذكرت هذا المصطلح وهو قريب من المفهوم البلاغي منه إلى المفهوم النحوي([2]) .

والمعروف ؛ أنَّ النحويين درسوا الجملة وحللوها ووضعوا إشاراتهم على جميع مفاصل الجملة ورصدوا كلَّ ما يطرأ عليها من (تقديم وتأخير)، أو (ذكر و حذف) أو (تعريف وتنكير) ، وهذا يدور في فلك اطار النص ولم يدخلوا إلى البنية العميقة

---

[1]) معجم لسان العرب ، جمال الدين أبي الفضل محمد بن مكرم المعروف بابن منظور ت(٧١١هـ)، حققه وعلّق عليه، ووضع حواشيه: عامر احمد حيدر، راجعه: عبد المنعم خليل إبراهيم، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ط١، ١٤٢٤هـ–٢٠٠٣م : مادة (عنا) .

[2]) يُنظر : معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ، أحمد مطلوب، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد ، العراق ، ١٤٠٧هـ–١٩٨٧م : ٢٧٧/٣ ، يُنظر : القزويني وشروح التلخيص ، د. احمد مطلوب، منشورات مكتبة النهضة، بغداد، العراق ، ط١، ١٣٨٧هـ–١٩٦٧م : ٢٨٧ .

له، إلّا أنَّ دور البلاغيين كان منصبًّا ومتجهاً إلى ما هو أعمق من شكل الجملة ولم يكن مجرد بيان بناء الجملة، والوصف السطحي لما تحويه الجملة ، إذ إنَّ البلاغيين بحثوا عن البنية العميقة للنص ، متوغلين في الدواعي الباحثة عن المعاني الداخلية وما يطرأ على الجملة من تغيرات وخروجها عن النمط التركيبي الذي درج عليه التقليد السائد في مجمله، وهذا التطور اكتمل على يد عبد القاهر الجرجاني ت(٤٧١هـ) الذّي كان يحرص على توخي معاني النحو وبيان ما بين النحو والدلالة من علاقة([1]).

والتداخل بين علم المعاني وعلم النحو جعل عبد القاهر الجرجاني يضعه مع النحو في دراسة واحدة ، وما نظرية النظم إلا مزيج من علم النحو وعلم المعاني ؛ لذا عرفها الجرجاني بقوله : ((اعلمْ أنّا إذا أضفنا الشعرَ أو غيرَ الشعر من ضروب الكلامِ إلى قائِلِه لم تكن إضافتُنا له من حيثُ هو كَلِمٌ وأوضاعُ لغةٍ ولكنْ من حيثُ تُوخِّيَ فيها النظمُ الذي بيّنا أنه عبارةٌ عن تَوخّي معاني النحو في معاني الكلم وذاك أنَ من شأن الإضافة الاختصاصِ فهي تتناولُ الشيءَ من الجهة التي تختصُّ منها بالمضاف إليه.))([2]) ، وبقيَ علم المعاني يرزح بين طيات بحوث النحو ودراساته حتى مجيء السكاكي ت(٦٢٦هـ) الذي قام بفصله ووضعه مع علمي البلاغة (البيان والبديع) وتبعه في ذلك الخطيب القزويني ت(٧٣٩هـ)([3])، فصار علم

---

[1]) يُنظر : علم المعاني ودلالات الامر في القرآن الكريم دراسة بلاغية ، د. مختار عطية ، دار الوفاء، الإسكندرية، جمهورية مصر العربية ، ط١ ، د.ت : ١٢ .

[2]) دلائل الإعجاز ،عبد القاهر الجرجاني ، ت(٤٧١هـ) ،تحقيق : محمد التنجي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٩٩٥م: ٢٧٣ .

[3]) يُنظر : مفتاح العلوم ، أبو يعقوب يوسف بن محمد بن علي السكاكي ت(٦٢٦هـ)، حققه وقدم له وفهرسه: د. عبد الحميد هنداوي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان، ط١، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م : ٣٤١ ، الإيضاح في علوم البلاغة، لجلال الدين

المعاني من الركائز المهمة التي ترتكز عليها البلاغة العربية ، وبقيت هذه الفنون حتى الآن .

- **مباحث علم المعاني**

تقتصر مباحث هذا العلم على نوعية الجملة وما يطرأ عليها من تغيير في الشكل، ودراسة تقلبات الجملة وأحوالها من طولها وقصرها وتقديم بعض تراكيبها على بعض وتعريف جزء وتنكير آخر ، وحذف فقرة وذكر أخرى والتغيير في الخطاب من الغيبة إلى التكلم ومن التكلم إلى الخطاب والعكس ، ويتكفل في بيان ذلك علم المعاني ، فعلم المعاني يشمل المباحث الآتية :

١-الخبر والإنشاء .
٢-التقديم والتأخير .
٣-التعريف والتنكير.
٤-الفصل والوصل .
٥-الايجاز والإطناب .
٦-الذكر والحذف .
٧-القصر (الحصر) .
٨-الإلتفات .

وسنذكر من هذه المباحث ما ورد في الشروح المختارة للدراسة ، والله ولي التوفيق.

محمد بن عبد الرحمن الخطيب القزويني ت(٧٣٩هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر الفاطمي، المكتبة العصرية، ، بيروت، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م : ١٦ .

المبحث الأول

دراسة الجملة وبيان ماهيَّتها

تنقسم الجملة العربية على قسمين (جملة خبرية) و (جملة إنشائية) والجمل الخبرية تنقسم على (جملة فعلية وجملة اسمية) والجمل الإنشائية تنقسم على (جمل انشائية طلبية) وهي الجمل التي أشار إليها البلاغييون ووضعوها في خانة علم المعاني ؛ و(جمل انشائية غير طلبية) قالوا عنها : إنَّها تحمل في طيَّاتها الخبر ؛ لذا اخرجوها من دائرة الجمل الإنشائية ، ومن ذلك يتبيَّن لنا : إنَّ الجمل الخبرية تفيد البيان ، والجمل الإنشائية تفيد الطلب ، وهذا ما سيتضح لنا في أثناء البحث .

وينقسم هذا المبحث على مطلبين :

المطلب الأوَّل

الخبر

حدَّه ، وأنماطه ، وأغراضه البلاغية في شروح الزيارة الجامعة

تقدَّم الحديث عن ماهيَّة الجملة الخبرية وأنَّها جملة تفيد البيان ، إلا أنَّنا لن نوضح الخبر بمفهومه البلاغي .

فالخبر في اللغة

لم يُفرِّق اللغويون بين الخبر والنَّبأ ، فقد فسَّروا الخبر بالنبأ ، والنبأ بالخبر([1]) ، ((والخبر: ما أتاك من نبأ عمن يستخبر، والخبر: النبأ وخبّره بكذا وأخبره: نبأه))([2])،

---

[1]) ينظر : كتاب العين ، الخليل بن أحمد الفراهيدي ت (١٧٥هـ) ، تحقيق د. مهدي المخزومي و د. إبراهيم السامرائي ، دار الرشيد للنشر ، د.ط ، ١٩٨١م ، (مادة خبر) : ٢٥٨/٤ .

[2]) لسان العرب : مادة (خبر) .

وإلى مثل ذلك ذهب أصحاب المعجمات الحديثة([1]) ، وهذا التعريف يؤمن بوجود الترادف في اللغة، ولكنّ اللفظين قد اختلفا في البنية اختلافاً تامّاً، واللغويّون يؤكدون أن زيادة الحرف تؤدي إلى زيادة في المعنى العام للكلمة ، ((فإن الكلمات العربية إكتنفها الغموض ، مما أفقد اللفظ إيحاءه وظلاله، فلم نعد . نحن العرب . نملك رهافة الحس التي كانت تكشف الفرق ما بين لفظتي " قرب . اقترب " أو " فكر . إفتكر " ، حتى لم نعد نعرف الفرق بين كلمتي " سار ـ سارب " ... وما اشبه))([2]) .

فهناك فرق بين اللفظة واختها بتغيير حرف واحد ، فكيف اذا كانت اللفظة تختلف عن الأخرى تماماً مثل [الخبر والنبأ] ؟ .ومن الممكن أن يكون استعمالهما من باب الإستعمال الخاطئ للغة والبحث يؤيد هذا الرأي ويسير على عدم الترادف في جميع الاستعمالات .

فالخبر هو العلم بالشيء([3]) بعد وقوعه لغرض بيانه ، وما التأكيدات التي تأتي في سياقاته إلا لرفع الشكّ عن ذهن المتلقي ، أمَّا النبأ : فهو الخبر الذي يحمل أمراً هامًّا لا يتخلل إليه الكذب ، والعلم به يُوجب استحضار الحذر والإنتباه والاستعداد.

الخبر في الاصطلاح

أشار القدماء إلى حدّ الخبر وأشبعوه بحثاً ودراسة([1]) ، ويبدو أنَّ المبرد ت(٢٨٥هـ) من أوائل من أعطاه التعريف البلاغي الذي استقر عليه حتى الآن وهو

---

[1]) يُنظر : المعجم القرآني ، دراسة معجمية لألفاظ القرآن الكريم ، د. حيدر علي نعمة ، د. أحمد علي نعمة ، مطبعة السيماء ، بغداد ، د.ط ، ٢٠١٣ م : ٥/٢ .

[2]) من هدى القرآن ، السيد محمد تقي المدرِّسي ، دار القارئ ، بيروت ، لبنان ، ط٢ ، ١٤٢٩هـ ـ٢٠٠٨م : ١٠٥/١ .

[3]) ينظر: معجم مقاييس اللغة ، أحمد ابن فارس ت(٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر ، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩ م : ٢٤٠/٢.

: ((ما جاز على قائله التصديق والتكذيب))([٢]) ، والمراد بالتصديق : هو ما كان مطابقاً لمقتضى الواقع ، والتكذيب ما خالف ذلك .

وهذه التعريفات ـ بالنسبة لكلام الثقلين ـ فيها نظر ، لأنّ كلام الله تعالى صادق وقد وصف نفسه أنَّه : ﴿ لا يأتيه الباطلُ مِنْ بَينِ يَدَيهِ ولا مِنْ خَلْفِهِ ﴾ ﴿فصلت/٤٢﴾ ، والكذب باطل، فكيف يصدق عليه مثل هذا التعريف ؟ ، وكل أخبار القرآن الكريم صادقة؟!.

وكذلك كلام الثقل الثاني وهم محمد وآل محمد (صلوات الله عليهم أجمعين) ، إذ قال الله تعالى في حقِّهم : ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ ﴿الأحزاب/٣٣﴾ ، بالتوكيد بوساطة الحصر ، والكذب من الرجس([٣]) ، فلا

---

[١]) يُنظر : الكتاب، كتاب سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ت(١٨٠هـ) ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ط٢ ، ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م. : ١/ ٣١٤ ، و (أبي عبيدة ت٢١٠هـ) مجاز القرآن ، معمّر بن المثنى أبو عبيدة ت(٢١٠هـ) ، عارضه بأصوله وعلق عليه : د. محمد فؤاد سركين ، نشر مطبعة سامي الخانجي ألكتبي ، مطبعة السعادة ، مصر ، ط١، ١٣٧٤هـ-١٩٥٥م : ١/ ٧٤، وتأويل مشكل القرآن ، ابن قتيبة ت(٢٧٦ هـ)، حققه وشرحه ونشره : السيد احمد صقر ، دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي وشركاه ، بيروت ، د.ت : ٢١٤.٢١٣ ، و (المبرد ت٢٨٥هـ) و (ابن فارس ت٣٩٥هـ) الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها ،احمد **بن فارس** ت(٣٩٥هـ)، تحقيق مصطفى الشويمي ، مؤسسة بدران للطباعة ، بيروت ، لبنان، ١٣٨٣هـ ،١٩٦٤ م :١٧٩ ، و (عبد القاهر الجرجاني ت٤٧١هـ) ، دلائل الإعجاز: ٥٢٨ .

[٢]) المقتضب ، لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد ت(٢٨٥هـ) ، تحقيق: حسن حمد، مراجعة: أميل يعقوب، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط١، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م : ٨٩/٣ .

[٣]) يقول الأزهري : ((الرِّجسُ فِي اللُّغَة: اسمٌ لكل مَا استُقذِرَ من عَمَلٍ)) ، تهذيب اللغة ، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور ت(٣٧٠هـ) ، المحقق: محمد عوض مرعب ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، لبنان ، ط١، ٢٠٠١م : ٣٠٦/١٠ .

يمكن أن ينطبق تعريف الخبر البلاغي على الأخبار الواردة في كلام الثقلين ومكاتيبهم.

وتقترح الدراسة أن يكونَ حدُّ الخبرِ : **هو الإخبار بشيءٍ لم يكنْ معلوماً قبل إلقاء الخبر ليعلمَ المتلقي به وإزالة الجهل عنه .**

- **حدُّ الخبر في شروح الزيارة الجامعة**

ورد حدُّ الخبر في قول الهمداني في شرحه لمفردة الصادقين ؛ قال : ((إعلم أنَّ حقيقة الصدق عبارة عن جدِّ الشيء وواقعه وتقريره ووجوده ، ولذا كل ما كان مطابقاً له يُسمى صادقاً ، مثل النسبة الخبرية إن كان له جدٌّ يسمى الخبر صادقاً وإلّا فكاذباً، فكذلك المخبر إن كان لنسبة اخباره جدٌّ فصادقٌ وإلّا فكاذبٌ وإن اعتقد لإخباره جدّاً ـ نعم هو معذورٌ في كذبه ـ لقوله تعالى : ﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ **{المائدة/١١٩}**، اذ من المعلوم لا ينفع يوم القيامة إلّا جد الإيمان وحقيقته وواقعه ، لا ما اعتقده المعتقدون واقعاً.))([1]) ، فيستدرك قائلًا : ((فالمراد بالصادقين في الآية الأولى الذين هم الحاملون للجد والواقع ، وهم آلُ محمد (صلى الله عليه وآله) الذين هم الحاملون لاسم الله ومظاهره الكلية، ولذا نُقلَ في الكافي عن الباقر (عليه السلام) في هذه الآية أنَّه قال : **إيَّانا عنى** ...))([2]) ، فحدُّ الخبر لا ينطبق على جميع الأخبار الواردة في النصوص، لأنَّه يعتمد على المادِّية ويُلغي ما هو يقين عقلي ، فالأخبار غير المحسوسة ـ وفق حدِّ الخبر البلاغي ـ تكون كاذبة لعدم انطباقها وجدها في الواقع المحسوس .

---

[1]) الشموس الطالعة من مشارق الزيارة الجامعة ، حسين الهمداني الدرود آبادي ، تحقيق : محسن بيدار فر ، شريعت ، قم ، ايران ، ط١ ، ١٤٢٦هـ : ٣٩٠ .

[2]) المصدر نفسه : ٣٩٠ ، يُنظر : الكافي : ٢٠٨/١ ، بصائر الدرجات : ٣١/١ .

ومن الممكن إعادة صياغة حدِّ الخبر ليشمل جميع النصوص فيكون : هو العلم المكتسب بالتجربة أو بالاعتبار ، بالسماع أو المشاهدة أو كلاهما معاً .

وعملية الإخبار : **هي إعلام المخبر لمن لا يعلم بما خفيَ عنه معتمداً في ذلك على قائل القول وجدَّته في الإخبار** .

وبهذا سينطبق على جميع النصوص الإخبارية في السياقات العربية ، فالقائل هو الركيزة الرئيسة في تثبيت الخبر ونفيه ، إضافة إلى النص الحامل للخبر ، فلا يكون الاعتماد على النص دون المخبر كما ورد .

- **أغراض الخبر**

ذكر الخطيب القزويني ت(٧٣٩هـ) غرضين للجملة الخبرية ، وذلك في قوله : ((من المعلوم لكل عاقل أن قصد المخبر بخبره، إفادة المخاطب أمّا نفس الحكم كقولك: (زيد قائم) لمن لا يعلم أنّه قائم، ويسمى هذا فائدة الخبر، وامّا كون المخبر عالماً بالحكم، كقولك لمن زيد عنده، ولا يعلم انك تعلم ذلك (زيد عندك) ويسمى هذا لازم فائدة الخبر))([1]) ، فغرضا الخبر. عند القزويني وغيره من البلاغيين . هما : فائدة الخبر ، ولازم الفائدة ، فالغرض يعتمد على العلم في ظرفية الخبر وعدمها .

إلّا أنَ لازم الفائدة يقتضي أكثر مما ذُكر عند البلاغيين ؛ وعلى سبيل المثال :

١. **علم المخبر بالخبر** : هذا ما أشار إليه البلاغيون وهو لا يحتاج إلى كدّ الذهن ، لأنَّه من البديهيات ؛ فكيف يُخبر بشيء وهو لا يعلم به ؟! .

٢. **العلم بالشيء** . الذي هو الخبر . يكون بوساطة اكتسابه بالتجربة : وهذه التجربة لها عدَّة مقتضيات ، فالمخبر اكتسبها بالسماع أم عيانية ؟ فاعلية أم منفعلية ؟ ،

---

[1]) الإيضاح في علوم البلاغة : ٢٩ .

وجدانية أم خارجية ؟ وكل هذه أجزاء تنضوي تحت التجربة ، ينكشف من طريقها العلم بالشيء المكتسب ، وتتضح بها البنية العميقة التي انطلق بوساطتها المخبر.

٣. **العلم بالشيء يكون بوساطة الاعتبار** : هذا يعني أنَّ لازماً وملزوماً آخرين عُلما؛ وتكرر الملزوم في الحالة المقصودة وهي الثانية ، فإنّ الاعتبار يقتضي تكرر اللازم أيضاً ، مثال على ذلك : الذي يتعاطى شرب الخمر يتضح من طريقه عدم التوازن في التعامل ، فالذي يُخبر عن الخمر يُوضح بعدم التوازن في التعامل ؛ لأنَّ ذلك حصل في ذهنه أنّ لازم الخمر يورث عدم التوازن فملزومه حاصل بالاعتبار، وقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿يوسف/١١١﴾ ، فتكون العبرة بتكرر الملزوم . وهو المصداق المشابه للقصة المذكورة ـ فيتكرر اللازم أخذ الحيطة والحذر ، وقد قال أمير البلاغة والكلام الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) : ﴿**مَا أَكْثَرَ الْعِبَرَ وَ أَقَلَّ الِاعْتِبَار**﴾([1]).

- **أضرب الخبر**

تكاد تتفق آراء علماء البلاغة ـ قديماً وحديثاً ـ على أنَّ أضرب الخبر ثلاثة :

١. **الخبر الإبتدائي** : وهو الخبر الذي يخلو من المؤكِّدات (أدوات التوكيد) في سياق الكلام ؛ لأنَّ المخاطب خالي الذهن من الحُكم الذي تضمنه الكلام([2]) .

---

[1]) نهج البلاغة ، الإمام علي (عليه السلام) ت(٤٠هـ) ، جمع : محمد بن حسين الشريف الرضي ت(٤٠٦هـ) ، شرح : صبحي الصالح ، الهجرة ، قم ، إيران ، ط١ ، ١٤١٤هـ : ٥٢٨ .

[2]) ينظر: مفتاح العلوم : ص٣٥٣ ، البلاغة والتطبيق ، أحمد مطلوب ، د. كامل حسن البصير، بغداد ، ط١ ، ١٩٨٢: ١٠٧ ، الأساليب البلاغية في تفسير نظم الدُّرر في تناسب

٢. **الخبر الطلبي** : وهو الخبر الذي يحمل في أثنائه مؤكِّداً واحداً لرفع الشك عن ذهن المخاطَب ، بسبب تردد المتلقي في قبول الخبر أو حكمه .

٣. **الخبر الإنكاري** : ((هو الخبر الذي يكون فيه المخاطَب منكراً للخبر ويعتقد خلافه فيحتاج الى اكثر من مؤكد كـ(إنَّ ، لام الإبتداء ، نوني التوكيد ، ضمائر الفصل ، وغيرها) لتثبيته وإزالة الشك من ذهن المتلقي))([1]) .

نترك تفصيلات الجملة الخبرية ومؤكداتها ومفاصلها الأخرى ، لأنَّها أُشبعت دراسة وبحثاً ، وقد تتبع الباحثون تفاصيلها الدقيقة([2]) فلا حاجة لذكرها هنا .

- **الأغراض البلاغية وتطبيقاتها في شروح الزيارة الجامعة الكبيرة**

الآيـات والسّـور،(اطروحة) ، عقيد خالد العزاوي ، جامعة بغداد ، ابن رشد ، ٢٠٠٢ م :ص٢٦ .

[1]) مباحث علم المعاني في تفسير من هدى القرآن للسيد محمد تقي المدرسي ،(رسالة) ، خالد عبد النبي عيدان ، جامعة كربلاء ، كلية العلوم الإسلامية ، ٢٠١٧م : ١٨ ، ينظر : علم المعاني، دراسة وتحليل ، كريمة محمود أبو زيد ، دار التوفيق النموذجية ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٨٨ : ٤٢ ، البلاغة فنونها وأفنانها ، فضل حسن عباس ، دار الفرقان ، الأردن ، ط٤ ، ١٩٩٧ : ١١٣ .

[2]) يُنظر : أسرار التكرار في القرآن المسمى :(البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان) ، محمود بن حمزة الكرماني ت(٥٠٥هـ) ، تحقيق : عبد القادر أحمد عطا ، دار الفضيلة ، لا توجد معلومات أخرى في الكتاب : ١٩٨ ، شرح التسَّهيل– تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد ، جمال الدين محمَّد بن عبد الله بن عبد الله ابن مالك الطائي الجياني الاندلسي، (ت ٦٧٢هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا ، وطارق فتحي السيّد ،ط٢ ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ، ٢٠٠٩: ٢٤٥/١ ، مغني اللبيب عن كُتُب الأعاريب، لابن هشام الأنصاري (ت٧٦١هـ) : خرج آياته وعلق عليه : أبو عبد الله علي عاشور الجنوبي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت، ط٢، ٢٠٠٨م : ٦١/١ ، : في النحو العربي نقد وتوجيه ، د. مهدي المخزومي ، دار الرائد العربي، بيروت ، ط٢ ، ١٩٨٦ : ٢٣٤ ، التكرار مظاهره وأسراره، (رسالة)،عبد الرحمن محمد الشهراني ، جامعة أم القرى ، السعودية ، ١٩٨٣: ٢.

الأغراض البلاغية شغلت الباحثين قديماً وحديثاً ؛ بسبب تعلقها بالسياق الذي ترد فيه الجمل الخبرية ؛ لأنَّها خاضعة لذوق الباحث وحصيلته اللغوية والعلمية ، وكذلك لتداخلها مع الإيراد الحقيقي للسياق ؛ لأنَّ الأغراض متعلقة في خروج الخبر عن مقتضى مفهوم الظاهر ، وقد ورد في شروح الزيارة الجامعة الكبيرة كثير من الأغراض البلاغية ، ومنها على سبيل التمثيل :

١. **التنبيه** : يأتي الخبر في سياقات جمل ويُراد منه التنبيه لموضع الخبر ، ومنه ما جاء في قول الهمداني في شرح قول الإمام الهادي (عليه السلام) ((**أَشْهَدُ اَنْ لا اِلهَ اِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَريكَ لَهُ**))([1]) ، قال الهمداني : (("شَهِدَ " . كعَلِمَ و كَرِمَ . شهوداً : حضر ، فالمراد التنبيه على أنَّ التوحيد لا بدَّ أن يكون شهوديَّاً ، لا مجرد التلفظ أو التعبد ، فإنَّه لا يفيد إلّا حقن الدماء وحفظ الأموال))([2]) ، فهو يرى أن التنبيه جاء باستعمال لفظ (شَهِدَ)، إلّا أنّ التنبيه لم يكن بالمفردات بل يكون في كامل السياق ، كما يُقال : شاهدَ محمدٌ المباراة ، فلا تنبيه فيها ، وإنَّما التنبيه يكون في السياق وليس في المفردة المنضوية في ثنايا السياق ، إلّا أن تكون المفردة قرينة لأداة من أدوات التنبيه فيكون التنبيه بها وبقرينتها من الأدوات مثل : (ألا ، أما) ، في حين التنبيه جاء في سياق التشهد بتمام الجملة ، والخبر هنا خبر ابتدائي ، ويبدو أنّ التقريرية والتسليم أقرب من التنبيه في التشهد .

ومثله ما جاء في قول الأحسائي في شرحه لقول الإمام (عليه السلام) : ((**وَوَصِيَّتُكُمُ التَّقْوى**))([3]) ، قال الأحسائي : ((...هنا تنبيه على حقيقةٍ من حقائق التوحيد و هو أَنَّ قولنا هذا الشئ منه نريد به أنّه من فعله أي أثر من فعله أي من

---

[1]) الشموس الطالعة من مشارق الزيارة الجامعة ، الهمداني : ٢٣٩

[2]) المصدر نفسه : ٢٣٩ .

[3]) شرح الزيارة الجامعة ، للأحسائي : ٨٣/٤ .

المحلّ الممكن الإمكان الراجح لفعله فحقيقته مخترعة بتبعيّة اختراع فعله تعالى يعني أنَّها محل فعله و متعلّقه فهي متقوِّمة بالفعل تقوّم تحقّق و الفعل متقوّم بها تَقَوُّمَ ظهور و الشئ المكوّن من تلك الحقيقة متقوّم بالفعل تقوّم صدورٍ أبداً فلا حقيقة له إلّا بفعله تعالى و لا وجود له إلّا من فعله تعالى أي من أثر فعله و قولنا هذا الشئ نريد به إنّ حقيقته من نفس ما منه تعالى مِنْ حيثُ نفسِه و وجوده من أثرِ شُعَاع فعله تعالى فما به تعالى مبني على ما منه تعالى و الشئ بحقيقة الشيئيّة واحدٌ لا شريك له تعالى و ما سواه شئ بفعله تعالى ...))([1]) ، يرى أنَّ ذكر الوصية في سياقها الخبري أريد منها التنبيه على وصيتهم ، إلّا إنَّ السياق يكشف عن التوكيد على الوصية وليس التنبيه عليها ؛ لأنَّ التنبيه يأتي في سياق المعرفة في الشيء ونسيانه من قبل المخاطَب ، في حين أنَّ التوكيد يأتي في سياق المعرفة في الشيء ونكران المخاطَب له ، فيأتي التوكيد لرفع الشك عن ذهن المتلقي ، فهي للتوكيد وليس للتنبيه ، والجملة هنا جاءت بالخبر الطلبي.

وجاء الخبر في سياقات متعددة وأريد منه التنبيه في شروح الزيارة الجامعة الكبيرة إلّا أننا نذكر نماذج منها للتمثيل لا للحصر([2]) .

٢. **التوكيد** : جاء الخبر في سياقات جمل الزيارة الجامعة الكبيرة كثيراً جدّاً ، وقد أشار إليه الشارحون كما جاء في قول المجلسي الأوّل في شرحه لقول الإمام الهادي

---

[1]) شرح الزيارة اللجامعة ، للأحسائي: ٨٣/٤ .

[2]) يُنظر : شرح الزيارة الجامعة ، للأحسائي : ١٩١/٤. ٢٠٠ـ ، الشموس الطالعة من مشارق الزيارة الجامعة ، الهمداني : ٢٠ ـ ٤٤٥ ، في رحاب الزيارة الجامعة ، علي الحسيني الصدر ، دار الغدير ، قم ، ايران ، د.ط، ١٤٢٣ : ٢٥٩ .

(عليه السلام) : ((**وَمُسَلِّمٌ فيهِ مَعَكُمْ**))[1] ، يقول المجلسي الأوَّل : ((أي : كما سلَّمتم لله تعالى أوامره ، عارفين إيَّاها ، فأنا مسلِّم أيضاً وإنْ لم يصل عقلي إليها ، أو كالسابق؛ تأكيداً))[2] فالمجلسي أورد التأكيد في هذا الموضع على سبيل الاحتمال بسبب العطف ، فهذه الجملة معطوفة على ما سبقها وهو أراد أن يُبيِّن أنَّ هذا العطف ـ في سياق الجملة كاملة ـ جاء توكيداً لما سبق ، وهو كذلك .

وكذلك ما جاء في قول الأحسائي في شرحه لقول الإمام الهادي (عليه السلام) : ((**سُبْحانَ رَبِّنا اِنْ كانَ وَعْدُ رَبِّنا لَمَفْعُولاً**))[3]، يقول الأحسائي : ((...و هذه القرينة مرجّحةٌ لِلّحاظ الثاني و يرجّح الاوّل و هو إرادة الوعد من هذا الوعد أنَّه صدّره بإن المخفّفة من الثقيلة و هي للتأكيد و دخول لام التأكيد في خبرها و إن كان أُتي بها للفرق لكنّها مع ذلك تفيد التأكيد لأنَّها إذا خفّفت و أُتي لها باللام للفرق بينها و بين الشرطيّة لم يؤت للفرق إلّا بلامها التي تدخل و إن كانت مشدّدة للتأكيد و إنّه أُتي بلفظ الوعد و استعماله في الوَعيد بعيد و على فرض الوجه الثاني فإنّما لوحظ به مصلحة الآخر...))[4] ، فقد أشار الأحسائي إلى المؤكدات في الجملة الخبرية التي تصدرها التعظيم ، ولو أنعمنا النظر في سياقها لوجدناها أقرب للتعظيم منه إلى التوكيد ، فالمعنى في الإطار العام قد أحاط به التعظيم والاعتراف بالعجز أمام العظيم ، وهذا هو أدب فناء المقرَّبين في عبادة إله العالمين ، حيث ترى ذوبان الذات في حضرة معبودها يكشف عن مدى معرفتهم في ربِّهم ، فهم ينسلخون عن

---

[1] شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، محمد تقي المجلسي ت(١٠٧٠هـ) ، و محمد باقر المجلسي ت(١١١١هـ) ، و نعمة الله الجزائري ت(١١١٢هـ) ، تحقيق : احمد بن حسين العبيدان الاحسائي، دار الكرامة للطباعة ، قم ، ايران ، ط١ ، ٢٠١١م : ١٨٠ .

[2] شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، المجلسي الأوَّل : ١٨٠ .

[3] شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، للأحسائي : ١٩٨/٤ .

[4] المصدر نفسه : ١٩٨/٤ .

ذواتهم وإنّيتهم ويُظهرون ما لله تعالى عليهم ، وتسليمهم المطلق وفناء ذواتهم وموت وجودهم بين يديه ، والجملة الخبرية جاءت طلبية في هذه العبارة المباركة .

ومثله كذلك في شرحه لقول الإمام (عليه السلام) : ((**فَإِنّي لَكُمْ مُطيعٌ مَنْ اَطاعَكُمْ فَقَدْ اَطاعَ اللهَ ، وَمَنْ عَصاكُمْ فَقَدْ عَصَى اللهَ ، وَمَنْ اَحَبَّكُمْ فَقَدْ اَحَبَّ اللهَ ، وَمَنْ اَبْغَضَكُمْ فَقَدْ اَبْغَضَ اللهَ**))([1])، يقول الأحسائي : ((أقول [:] قوله فانّي لكم مُطيع يريد أنَّه تجب لي الشفاعة و استيهاب ذنوبي لأجل طاعتي فجعل طاعته لهم علّة لاستيهاب الذنوب و الشفاعة له فيها أوْ مطلقاً أوْ أنّ قوله فإنّي لكم مطيع استعطافٌ اَرْدفَ القسم عَلَيْهم به للتّأكيد فيه فعلى العلّة يكون فيه استنجاز لما وعَدوا به مَن أطاعهم و أحبّهم من تحمّل الذنوب عنه و الشّفاعة له كما تكرّم به سبحانه و تعالى عليهم عليهم السلام من الإذن في الشفاعة لمن أحبّهم و أطاعهم ...))([2]) ، وهذا من الخبر الإنكاري ، وقد أشار إليه الشارح دون التصريح بمصطلحه ، وذلك بوساطة تعدد أدوات التوكيد في الجمل ، والجملة الخبرية جاءت بطريقة دفع الإنكار.

ومنه ما جاء في قول الغزي في شرحه لآية التطهير في قوله تعالى : ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**﴾ **{الأحزاب/٣٣}** ، يقول الغزي : ((آية التطهير تتحدث عن ثلاث مراتب من التطهير، يطهركم فعل مشدد عبارة عن يُطهركم ويُطهركم، وتطهيراً مفعول مطلق والمفعول المطلق حين يكون من نفس لفظ الفعل فإنّا هو تأكيد لمعنى الفعل هكذا يقول علماء النحو، حينما يكون المفعول المطلق من نفس لفظ الفعل وهو يأتي بصيغة المصدر والمصدر ينوب مناب الفعل يعني ويطهركم ويطهركم، المصدر هنا يعني إذا أخذنا تطهيراً مصدراً فإنَّ المصدر ينوب مناب الفعل، يعني يقوم مقام الفعل ولذلك المصدر أيضاً في كلام

---

[1]) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، الأحسائي : ٤/٢١٩

[2]) المصدر نفسه : ٤/٢١٩ .

العرب يأخذ فاعلاً ويأخذ مفعولاً به كما يأخذ الفعل، وإذا كان بلحاظ المفعولية المطلقة ومن نفس لفظ الفعل فهو يؤكد معنى الفعل يعني يعيد الفعل مرة أخرى يكون ويُطهركم ويُطهركم ويطهركم ثلاث مراتب من التطهير، فكانوا أطهر الطاهرين))([1])، إذ إنَّ أشارة الشارح إلى موضع الفعل ومفعوله المطلق **(وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا)** في ذيل الآية المباركة ، في حين أن الآية كلها خبرية وفيها مؤكدات عدّة كـ(أداة الحصر "إنَّما" ولام التعليل مع الفعل أفادت التوكيد، وتقديم متعلق الفعل (عنكم) على مفعوله، وحذف أداة النداء من " أهل" والمفعول المطلق وفعله) فالجملة كلها توكيدات مما يُعطي ملمحاً انكاريّاً في الآية المباركة ، فالجمل في الآية المباركة ـ بوساطة السياق ـ تُشير إلى الضرب الإنكاري من مفهوم الخبر ، فلم يكن المفعول المطلق مع فعله مَن أعطى مفهوم التوكيد فحسب .

وقد أشار الوحيدي في شرحه لآية التطهير إلى ما أشرنا في قوله : ((و[في] الآية من التأكيدات على الطهارة من الرجس ما لا يخفى على علماء اللغة والأدب إذ أكّد ذلك بـ «إنّما» و «اللام» ، والاختصاص وتقدم الجار ونصب المصدر والتعبير بالاذهاب وكل هذه الموارد توجب التأكيد والانحصار.))([2]) ، وهذا ما أشرنا إليه .

وغيرها من السياقات الخبرية التي ذكرها الشارحون في أنَّها جاءت وأُريد منها التوكيد([3]) وما ذكرناه للتمثيل لا للحصر .

---

[1]) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، عبد الحليم الغزي ، منشورات زهرائيون ، د.ط ، د.ت : ٩٤/١ . ٩٥.

[2]) أنوار الولاية الساطعة في شرح الزيارة الجامعة ، آية الله العظمى محمد الوحيدي ، ترجمة وتحقيق : الشيخ هاشم الصالحي ، مطبعة سبهر ، قم ، إيران ، ط١ ، د.ت : ١٣٧ .

[3]) للاستزادة : يُنظر : شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، للأحسائي : ١٣٧/٤ . ١٥٣ . ١٩١ ، أنوار الولاية الساطعة ، للوحيدي : ٥٣.١٨ ، الشموس الطالعة من مشارق الزيارة الجامعة ، الهمداني : ٧٥٢ ، شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، للغزي : ١٢٢/٣ . ١٨٨ . ٢٢٦ ، في رحاب الزيارة الجامعة ، للصدر : ١٢٢ . ٦١٦ . ٦٥٧ .

٣. **بيان الحكم** : هذا الغرض يندرج تحته مجموعة أغراض ثانوية ، منها :

أ . **بيان علو المرتبة** : يأتي الإخبار في سياقات النص لبيان مرتبة من مراتب متعلِّق النص، وما يُشير إليه الكلام ، ومنه ما جاء في قول الهمداني في شرحه لقول الإمام الهادي (عليه السلام) : ((**وَانْتَجَبَكُمْ بِنُورِهِ، وَاَيَّدَكُمْ بِرُوحِهِ**))(١)، يقول الهمداني : ((ثمَّ بيَّن عليه السلام أنَّ ذلك كله بانتجابكم ورفع تمام الحجب عنكم بنوره الذي هو اسم "الله" الذي هو مبدأ ظهوركم ، فقال : ((**وَانْتَجَبَكُمْ بِنُورِهِ، وَاَيَّدَكُمْ بِرُوحِهِ**)) الذي هو شأنٌ من شؤون اسم " الله " ومرتبة من مراتبه ، وبانبعاث هذه المرتبة في الحجج))(٢) ، فالمرتبة التي حازها أهل البيت (عليهم السلام) هي بانتجابهم بوساطة نور الحق سبحانه وتعالى، وهذا الانتجاب كان باستحقاقهم له بسبب تسليمهم للحق تعالى فكانوا سمعه وبصره ونوره وبرهانه ويده ، لذا صاروا في كل شيء يرون الله تعالى أمامه وخلفه ومنه وفيه .

ومثله قول الأحسائي في شرحه لقول الإمام الهادي (عليه السلام) : ((**ذِكْرُكُمْ فِي الذّاكِرِينَ ، وَاَسْماؤُكُمْ فِي الأسْماءِ**))(٣) ، يقول الأحسائي : ((...وكانَ الذاكر مَن سواهم من الخلق فإن كان هو الخالق سبحانه كان على هذا بدل كلٍّ من كُلٍّ لأنَّه تعالى محيطٌ بهم في كل رتبةٍ من مراتب وجوداتهم فأوّل مرتبة ذكرهم فيها ذكرهم بهم فبكلِّ ما يعزّ عَليّ أُفْدي ذكر اللهِ تعالى لكم وبكم من بين ذكره لجميع خلقه بهم بل وبمحمد وآله صلى اللهُ عليه وآله أي من بين ذكر الله تعالى لخلقه بهم و من بين ذكر الله تعالى لخلقه بكم...))(٤) .

---

١) الشموس الطالعة من مشارق الزيارة الجامعة ، الهمداني : ٣٩٦ .
٢) المصدر نفسه : ٣٩٦ .
٣) شرح الزيارة الجامعة ، للأحسائي: ٩/٤ .
٤) المصدر نفسه : ٩/٤ ، وينظر : في رحاب الزيارة الجامعة ، للصدر:٦٠١.

وكذلك ما جاء عند الوحيدي في قوله : ((... أن يقرأ فقرات أسمائكم وأرواحكم إلى آخره ... مجروراً ، معطوفاً على ضمير الخطاب المجرور في ذكركم ، فيكون المعنى هكذا : يذكركم الله في جنب الذّاكرين ، فيكون من قبيل الاضافة الى المفعول، بمعنى: إذا ذكر النّاس الذّاكرين بالمدح والثّناء وجرت أسماؤهم على السنتهم وكذا أرواحهم وأجسادهم ، ذكركم الله سبحانه وتعالى في جنبهم وذكر أسماءكم ومدحها وكذا أرواحكم وأجسادكم في جنب ذكرهم لها بعلو المرتبة والدّرجة عند الملأ الأعلى وأهل السّماء والأرض كما ورد في تفسير قوله تعالى : ﴿**وَلَذِكْرُ اللَّـهِ أَكْبَرُ**﴾))[1] ، فلعلو المرتبة التي حازها أهل البيت (عليهم السلام) كان ذكرهم مغروساً في ذكر الذاكرين، فقد أشار الشارحون إلى هذا المعنى . هذه النصوص وغيرها أشارت إليها شروح الزيارة الجامعة الكبيرة في بيان علو المراتب وكمالها التي بيَّنت مقام أهل البيت (عليهم السلام) ، وذكرها في هذا المضمار يجعلنا نُسهب في المقام[2] ، وما ذكرناه على سبيل التمثيل لا الحصر .

ب . **الاستمرار** : يُوتى في السياقات الخبرية ومنها يُراد بيان الاستمرار كما جاء في قوله تعالى : ﴿**وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ**﴾{**الأنبياء/٧٣**} ، قال الميلاني في بيان معنى استعمال الفعل المضارع في الآية المباركة التي جاء بها في سياق شرحه لقول الإمام الهادي (عليه السلام) :

---

[1]) أنوار الولاية الساطعة ، للوحيدي : ٢٤٤ .

[2]) للاستزادة : يُنظر : شرح الزيارة الجامعة ، للأحسائي : ٦٣/٤ . ٩٧ . ١٠٧ . ١٧١ ، أنوار الولاية الساطعة ، للوحيدي : ٦١ . ٧٧ . ٨٢ . ٨٤ . ١١٠ . ٢٠١ ، في رحاب الزيارة الجامعة، للصدر : ١٨١.١٧٤ . ٢٤٣ . ٦٠١ .

((**وَاَشْهَدُ اَنَّكُمُ الأئِمَّةُ الرّاشِدُونَ الْمَهْدِيُّونَ الْمَعْصُومُونَ...**))([1]) ، قال : ((وإنّ الأئمة عليهم السلام هداة للخلائق تكويناً فهم وسائط الفيض الإلهي وببركتهم الوجود كلّه، وهداة للبشر تشريعاً ، بتزكيتهم وتعليمهم المعارف والأحكام وحفظهم من الانحراف الضلال وإيصالهم إلى الكمال المطلوب ... وقد عبَّر بالفعل المضارع " يهدون" لاستمرار هدايتهم ودوامها.))([2]) ، ومنه ما جاء في شرح الهمداني لمفهوم الجملة الفعلية على أنها تفيد التجدد والحدوث والاستمرار([3]) ، كان رؤيتهما لمفهوم الجملة رؤية لغوية ، فقد بيَّنا في شرحهما الاستمرارية وفقاً لما أفاده الفعل المضارع الذي يفيد التجدد والحدوث والاستمرار ، وهذه الإشارات تعطي ملمحاً استدلالياً في استمرار خط الهداة ، لأنَّه من غير وجودهم يستحيل إيجاد الهداية بالضرورة .

٤. **النفي** : يأتي السياق في الجمل الخبرية إلّا أنَّ المعنى المستنبط من طريق قرائن السياق أو القراءة التامَّة له ؛ توحي إلى معنى يتبادر إلى الذهن دون المعنى المحيط بالألفاظ ، ومنه ما يعطي معنى النفي كما جاء في شرحه لقول الإمام الهادي (عليه السلام) : ((**وَمَجَّدْتُمْ كَرَمَهُ**))([4]) ، يقول الهمداني : ((... فقولك " إنَّ اللهَ قديرٌ"، خبَّرتَ أنَّه لا يُعجزه شيء ، فنفيت بالكلمة العجز وجعلت العجز سواه ، وكذلك قولك " عالم " إنَّما نفيت بالكلمة الجهل وجعلت الجهلَ سواه ؛ وإذا أفنى الله الأشياء أفنى الصورة والهجاء والتقطيع ، ولا يزال مَن لم يزل عالماً))([5])، إذ خرج

---

[1]) مع الأئمة الهداة في شرح الزيارة الجامعة ، السيد علي الحسيني الميلاني ، مركز الحقائق الإسلامية : ١٥١ .

[2]) مع الأئمة الهداة ، الميلاني : ١٥١ .

[3]) الشموس الطالعة من مشارق الزيارة الجامعة ، الهمداني : ٣٧٦ .

[4]) المصدر نفسه : ٤٢٤ .

[5]) المصدر نفسه : ٤٢٤ .

السياق الخبري عن مقتضاه الذي أريد منه إلى النفي ، فهو يحمل معنى التأكيد على النفي أنَّهم لا يُمجدون كرم غيره تعالى .

ومثله قول الأحسائي في شرحه لقول الإمام الهادي (عليه السلام) : ((**وَحَفَظَةِ سِرِّ اللهِ**))([1])، قال الأحسائي : ((... يكون معنى ((**وَحَفَظَةِ سِرِّ اللهِ**)) ، أنَّهم لا يُغيّرون فيه ولا يُبدلونه فما كان ذاتاً لهم فإنَّهم عن التغيير بدوام التعهد وحفظ ما لهم وما لغيرهم بالعلم والعمل...))([2]) ، فضلًا عن ذلك ؛ تُشير هذه العبارة المباركة إلى حصر حفظ سر الله عندهم فقط ، وفيه إخراج غيرهم من فحوى هذا الحفظ ، لأنَّه لا يحتمله ملك مقرَّب ولا نبيّ مرسل ولا عبد امتحن الله قلبه للإيمان كما ورد عن الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) قوله : ((**إِنَّ حَدِيثَنَا صَعْبٌ مُسْتَصْعَبٌ شَرِيفٌ كَرِيمٌ ذَكْوَانُ ذَكِيٌّ وَعْرٌ لَا يَحْتَمِلُهُ مَلَكٌ مُقَرَّبٌ وَ لَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ وَ لَا مُؤْمِنٌ مُمْتَحَنٌ**))([3])، فقد حُصر حفظ السر فيهم دون غيرهم .

٥. **الأمر** : وردت الجمل الخبرية في سياقات شروح الزيارة الجامعة وأشار الشارحون إلى أنَّ السياق دلّ على مفهوم الأمر ، من ذلك ما جاء في قول الهمداني في شرحه لقول الإمام الهادي (عليه السلام) : ((**مَنْ اَرادَ اللهَ بَدَأَ بِكُمْ**))([4])، يقول الهمداني : ((**مَنْ اَرادَ اللهَ بَدَأَ بِكُمْ** ، إنشاء للأمر بالبدء بذلك الإسم ، بالتخلية عن تمام العوالم والوصول إليه، فإنَّه لا يمكن إرادة إله الآلهة إلا به .))([5]) ، حيث لا وجه للأمر في سياق هذه العبارة المباركة ، فمن الممكن أن تفيد الحصر والتأكيد ، فهي بعيدة عن

---

[1]) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، للأحسائي : ١/١٧٤ .
[2]) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، الأحسائي : ١/١٧٤ .
[3]) بصائر الدرجات : ١/٢٢ .
[4]) الشموس الطالعة من مشارق الزيارة الجامعة ، الهمداني: ٦٨١ .
[5]) المصدر نفسه : ٦٨١ .

الأمر لأنَّها تُشير إلى الأئمة (عليهم السلام) ؛ ولو كان الخطاب موجهاً للناس ؛ يكون له وجه من الأمر ، إلا أن الخطاب لا يحمل من الأمر شيء .

٦. **التعجيز** : وقد يخرج معناها إلى بيان العجز ، ومنه ما جاء في شرح قوله (عليه السلام) : ((**وَأَنْتُمْ نُورُ الْأَخْيارِ وَهُداةُ الْأَبْرارِ وَحُجَجُ الْجَبّارِ**))(١) ، يقول الهمداني : ((... ومن الأخيار ؛ الأنبياء والمرسلون والشهداء والصالحون والملائكة المقربون وأنا عاجز عن إحصاء ما لأحد منهم من الخيرات المتفرعة عن كمالاتهم ، فكيف لي بإحصاء ما لكم ، وقد جمعتم كل كمال بحقائقها وطبائعها ،[؟!] .

((**وَأَنْتُم عَناصِر الْأَبْرارِ**)) الذين هم يتقون ويأتون البيوت من أبوابها لكونهم مخلوقين من أنواركم ، وأنا عاجز عن ادراك كنه صفة من صفاتهم ، فكيف بصفاتكم وهم قطرة من بحاركم))(٢) ، حقيقة لا يُدرك كنههم ولا يُحصى جميلهم وهم العناصر التي خلق الله منها كل شيء ، فكيف لمخلوق أن يُحيط بعنصره ؟!

ومنه ما جاء في شرح قوله الإمام الهادي (عليه السلام) : ((**وَأَنْتُمْ نُورُ الْأَخْيَارِ**))(٣)، يقول الوحيدي : ((المراد أنتم كالشمس من بينهم ، فكما أنّ البصر عاجز عن رؤية الشمس كذلك البصيرة عاجزة عن إدراك مراتب شمس كمال صفاتكم.))(٤) ، وإلى هذا ذهب الصدر في شرح الفقرة ذاتها(٥) .

---

١) المصدر نفسه : ٦٨٣ .
٢) الشموس الطالعة من مشارق الزيارة الجامعة ، الهمداني : ٦٨٣ .
٣) أنوار الولاية الساطعة ، للوحيدي : ٢٣٠ .
٤) المصدر نفسه : ٢٣٠ .
٥) يُنظر : في رحاب الزيارة الجامعة الكبيرة ، للصدر : ٥٦٦ .

٧. **الدعاء** : يخرج الخبر عن سياقه المعتاد إلى مفهوم الدعاء ، ومنه ما جاء في شرح قول الإمام الهادي (عليه السلام) : ((**فَثَبَّتَنِي اللهُ أَبَدَاً مَا حَيَيْتُ عَلَى مُوَالاتِكُم وَمَحَقَّتِكُم وَدِينْكُم**))([1]) ، قال الهمداني : ((...حيث سبق منه الدعاء بقوله: ﴿**فَثَبَّتَنِي اللهُ أَبَدَاً مَا حَيَيْتُ عَلَى مُوَالاتِكُم وَمَحَقَّتِكُم وَدِينْكُم**﴾واستنجاز لوعده تعالى وتثبيت له..))([2]) .

وإلى هذا المعنى ذهب الوحيدي في شرحه لهذه الفقرة ، وذلك في قوله : ((﴿**فَثَبَّتَنِي اللهُ أَبَدَاً مَا حَيَيْتُ عَلَى مُوَالاتِكُم وَمَحَقَّتِكُم وَدِينْكُم**﴾ وهذه الفقرة جملة دعائية ، يعني ثبتني الله على موالاتكم ومحبّتكم ودينكم مدّة حياتي))([3]) ، ومثله في شرح الصدر([4]) ، فهذه الجملة على سبيل الدعاء .

وقد ورد في نهاية شرح الجزائري قوله : ((﴿**وأعلى كعبي بموالاتكم**﴾ دعاء له بالشرف والعلو))([5]) ، فهو دعاء في سياق الخبر بالجملة الفعلية التي تفيد التجدد والحدوث والاستمرار .

إذ يُشير الشارحون ـ المذكورون ـ إلى هذه الجملة الخبرية المتضمنة لمعنى الدعاء بمعنى قول القائل : اللهم ثبِّتني على ولايتهم أبداً ما حييت ، ونحن نقول آمين رب العالمين .

---

[1]) الشموس الطالعة من مشارق الزيارة الجامعة ، الهمداني : ٧٥٢ .
[2]) الشموس الطالعة من مشارق الزيارة الجامعة ، الهمداني : ٧٥٢ .
[3]) أنوار الولاية الساطعة في شرح الزيارة الجامعة ، للوحيدي : ٢٢٣ .
[4]) يُنظر : في رحاب الزيارة الجامعة الكبيرة ، للصدر : ٥٥٦ .
[5]) شرح الزيارة الجامعة ، للجزائري : ٢٦٥ .

٨. **الثبوت والاستقرار** : من مفاهيم الجملة الاسمية في السياقات العربية ـ كما أشار لها أهل اللغة ـ أنها تدل على الثبوت والاستقرار ، وهذا ما نجده في شرح قول الإمام على الهادي (عليه السلام) : ((**وَالْمُسْتَقِرّينَ فِي اَمْرِ اللهِ...**))([1]) ، يقول الميلاني : ((ما يستدعي الدقّة في جملة " وَالْمُسْتَقِرّينَ فِي اَمْرِ اللهِ " هو تعدية مادة الاستقرار بـ(في) الموضوعة في اللغة للظرفية ، فالأئمة مستقرّون في أمر الله، لا يزولون عنه ولا يتحوّلون، وهذا يقتضي أن يكون المراد هو المعنى : إنَّ الأئمة ثابتون في إرادة الله.

وبعبارة أُخرى: هم مظاهر الإرادة الربانية ، فكأنّ إرادته سبحانه ظرفٌ والأئمة مستقرون في هذا الظرف ، ثابتون فيه ولا ينفكّون عنه. وحاصل ذلك: محو إرادتهم في الإرادة الربّانية، وأنّهم لا يشاءون إلاّ ما شاء الله... وأين هذا المعنى من ذاك!))([2])، وهذا يُعدُّ شرحاً للفقرة المباركة من سبيل اللغة ومفهومها للجملة ، وقد وضع الشارح الجملةَ على طاولة البحث التفكيكي وأرجع اسم الفاعل إلى فعله وأشار إلى تعديته بحرف المعنى (في) ومنه استنبط المفهوم العام للثبات والاستقرار للمعنى العام .

مما تقدَّم ؛ نجد أنَّ الشارحين لنصوص الزيارة الجامعة الكبيرة المباركة قد أشاروا إلى المواضع الخبرية التي وضعها الإمام علي بن محمد الهادي (عليه السلام) على نحو الإجمال أو بنحو الإشارات للتمثيل ، أمَّا الجمل الخبرية في نصوص الزيارة الجامعة الكبيرة المباركة فهي كثيرة جد ا وأغراضها لا تنتهي ، وقد أشرنا إلى بعضها للتمثيل لا للحصر.

---

[1]) مع الأئمة الهداة ، للميلاني : ٢٢٤ .

[2]) مع الأئمة الهداة ، للميلاني : ٢٢٤ ، ومثلها أشار الميلاني إلى مفهوم الثبات والاستقرار في شرحه لقول الإمام الهادي (عليه السلام): (**وَهُمْ بِاَمْرِهِ يَعْمَلُونَ**) ،يُنظر : المصدر نفسه : ٢٤٢.

المطلب الثاني

الإنشاء : حدُّه ، أقسامه ، تطبيقاته في شروح الزيارة الجامعة

تقدَّم الكلام في تقسيم الجملة العربية بين الخبرية والإنشائية ، وهذا ما اتفق عليه علماء العربية منذ أنْ مُدَّ البساطُ للبحث والدراسة في اللغة والأدب والقرآن الكريم ، وهنا الكلام في الشِقِّ الثاني لمفهوم الجملة ، وهو الإنشاء ، ولابدَّ من إيضاح المفهوم بين المصطلح والإجراء من اللغة إلى مفهومه في اصطلاح أرباب البلاغة .

الإنشاء في اللغة

حال الإنشاء في اللغة حال المفردات الأخرى في التبيين ، إذ بيَّنه اللغويون في معجماتهم التي حوت بين دفتيها المعاني العامة للمفردات ، أو المعاني المركزية التي تُلازم المفردات أينما وقعت في أي جملة أو أيِّ سياق وأيِّ نصٍّ ، فالمفردة لها معنى مركزيّ يلازمها ولا ينفك عنها مهما تغيَّرت السياقات والأغراض .

فالإنشاء من نشأ ، يَنشأ ، إنشاءً ، وهو الابتداء ، و((النون والشين والهمزة أصلٌ صحيح يدل على ارتفاع في شيء وسموٍّ ونشأ السحاب : إرتفع ، وأنشأه الله : رفعه))([1]) ، حيث يُقال : نَشأ الله السحاب ، أي : ابتدأها ، وأنشأ الخطيب الخطبة ،

[1]) معجم مقاييس اللغة ، مادة (نشأ) : ٥ /٤٢٨ .

حينما يبدأ بها ، وكذلك جاء عند بعضهم أنَّه يعني : الاختراع أو الإيجاد أو الخلق([1])، فهو متأت من جذره اللغوي : نشأ ينشأ منشأ ، و نشوءاً ، ونشاءة ، فالذي نشئ على شيء وتربى عليه شبَّ عليه([2]) ، فرأي أهل اللغة يُرادف بين الإنشاء والإيجاد والخلق والابتداء .

في حين أنَّ الإنشاء يعني : ترتيب الألفاظ داخل النص ، والإيجاد : ما يأتي من العدم ، والخلق : هو الصناعة بوساطة المادَّة ؛ فلا خلق من دون مادّة ، أمّا الابتداء: فهو ما كان فيه سباق وتحديد خط للشروح في البدء ، ولا نريد التفصيل في ذلك لأنَّه بحث دلالي صِرف ، ولكن لا بدَّ من هذه الإشارة المبسطة للتوضيح.

الإنشاء في الاصطلاح

عنى اللغويون بفن الإنشاء منذ أن بزَّ الباحثون العلوم البلاغية بعد أن بدأ البحث في الدراسات النصية ، وهذه كانت على شكل إشارات متناثرة بين ثنايا البحوث النحوية وبيان المعاني العامة للجمل الإنشائية ، ولمَّا اكتملت أُطره واستوى على سوقه وصار مصطلحاً خاصاً له مطالبه وأقسامه ؛ اكتمل تعريفه عند البلاغيين فصار عندهم: الكلام الذي يحوي طلباً ولا يحتمل الصدق والكذب لذاته ، وليس لمدلوله واقع في الخارج ، فلا مطابقة له أو عدم المطابقة في الخارج قبل النطق

---

[1]) يُنظر : جمهرة اللغة ، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي ت(٣٢١هـ) ، المحقق: رمزي منير بعلبكي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، ط١، ١٩٨٧م : ١١٠٥/٢ ، لسان العرب ، مادة (نشأ) : ١ /١٧٠-١٧١ ، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي ت(٣٩٣هـ) ، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين، بيروت ،لبنان ، ط٤ ، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م . ، مادة (نشأ) : ٧٧/١، المعجم القرآني : ٣ /٥٣٤.

[2]) يُنظر : المحكم والمحيط الأعظم ،ابو الحسن علي بن اسماعيل (ابن سيدة) ، تحقيق :عبد الحميد الهنداوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د.ط ، ٢٠٠٠ م ، مادة (نشأ) : ٩٠/٨ .

به([1]) ، فهو ((قولٌ لا يُوصف بصدق ولا بكذب ، كأن تقول لإنسان : قِفْ ، فهذا أمر لا يُقال لقائله: صادق ولا كاذب))([2]) ، فيعتمد سياق الإنشاء على ملقيه ، فلا يمكن أن يتعرَّف عليه المتلقي ما لم يكون له واقع في الخارج من الباث ، فهو يقف على الإلقاء .

ولا علاقة بين كلمة الإنشاء وبين مفهومه ؛ لأنَّ كلمة الإنشاء تعني الابتداء والإيجاد في اصطلاح الثقلين ، فقد جاء في تفسير قوله تعالى : ((﴿هُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ﴾ أي ابتدأكم و خلقكم، و كلّ من ابتدء شيئا فقد أنشأه، قال الفيومي: نشأ الشّيء نشاء مهموز من باب نفع: حدث و تجدّد و أنشأته أحدثته هذا.

وقد يفرّق بينهما حيث اجتمعا صونا للكلام عن التكرار تارة بأنّ الإنشاء هو الإيجاد لا عن مادّة، و الابتداء هو الايجاد لا لعلّة، ففي الأوّل إشارة إلى نفي العلّة المادية، و في الثّاني إشارة إلى نفي العلة الغائية في فعله سبحانه و أخرى بأن

---

[1]) يُنظر : الإيضاح : ٢ /١٣٠ ، التلخيص في علوم البلاغة ، الخطيب القزويني ت(٤٠٦هـ)، ضبطه وشرحه : عبد الرحمن البرقوقي، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط٢، ١٩٣٤م : ١٥١، الإيضاح ،جلال الدين أبو عبد الله محمد بن قاضي القضاة سعد الدين أبي عبد الرحمن القزويني (ت ٧٣٩هـ)، تحقيق: لجنة من أساتذة الأزهر، أعيد طبعه في مطبعة المثنى ببغداد بالأوفست، (د.ت) : ٢/١٣٠-١٣٢؛ والمطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني ت(٧٩٢هـ)، تحقيق: الدكتور: عبد الحميد هنداوي ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ،بيروت . لبنان ، ط١، ١٤٢٢هـ . ٢٠٠١م : ٤٠٦؛ والتّعريفات ، أبو الحسن علي بن محمد الجرجاني ت(٨١٦هـ) ، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان ، ط٣، ١٤٠٨هـ . ١٩٨٨م : ٣٨؛ والأساليب الإنشائية في النحو العربي ، عبد السلام محمد هارون ، الناشر مكتبة الخانجي بمصر ، ط٢، ١٣٩٩هـ . ١٩٧٩م : ١٣. المباحث البلاغية في حاشية شيخ زادة على تفسير البيضاوي،(رسالة)، سارة علي ناصر العامري، جامعة ذي قار، ٢٠١٢ : ٣٤.

[2]) الكافي في البلاغة، أيمن أمين عبد الغني، دار التوفيقية للتراث ، القاهرة، د.ط ، ٢٠١١م : ٣٣٠ .

الإنشاء هو الإيجاد الذي لم يسبق غير الموجد إلى إيجاد مثله، و الابتداء هو الإيجاد الذي لم يوجد الموجد قبله مثله و ثالثة بأن الإنشاء هو الإيجاد من غير مثال سابق، و الابتداء هو الإيجاد من غير صور إلهاميّة فائضة على الموجد (و الروية) الفكر و التّدبر))([1]) ، فالطلب أقرب للمفهوم من لفظ الإنشاء ، فمن الممكن إعادة النظر في اللفظ ليتطابق العنوان على المعنون .

أقسام الطلب :

قسَّمه البلاغيون على قسمين : القسم الأول وَسَمُوهُ بـ [الإنشاء الطلبي] ، وهذا النوع من الإنشاء يُعرف بأساليب أو صيغ متعددة ، فيشمل : الإستفهام ، الأمر ، النهي، النداء ، والتمنِّي ، والقسم الثاني وَسَمُّوهُ بـ [الإنشاء غير الطلبي] ، وهذا القسم أيضًا له أساليب أو صيغ يُعرف بها ، مثل : المدح ، الذم ، التعجب ، الرجاء، القسم ، وصيغ العقود([2]) ، وقد أشاروا إلى هذا القسم بالخبرية دون الطلبية .

فالذي يدخل في دراستنا ؛ هو القسم الأوَّل (الطلبي) ، وسنورد صيغه بحسب ما ورد في شروح الزيارة الجامعة الكبيرة المباركة .

أوَّلاً : الأمـــر

---

[1]) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ، حسن زادة الآملي، حسن وكمرئي، محمد باقر حبيب الله الهاشمي الخوئي ت(١٣٢٤هـ) ، المكتبة الإسلامية ، طهران ، ايران ، ط٤ ، ١٤٠٠هـ : ٣٥١/١ ، يُنظر : التبيان في تفسير القرآن ، أبو جعفر محمد بن الحسن نصير الدين الطوسي ت(٤٦٠هـ) ، تحقيق: أحمد حبيب قصير العاملي ، مكتب الإسلام الإعلامي ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٩م : ٦٦/١٠، مجمع البيان في تفسير القرآن ، أبو عليّ الفضل بن الحسن الطّبرسيّ ت(٥٤٨هـ) ، طبعة جديدة منقّحة ، دار المرتضى ، بيروت ، لبنان ، ط١، ١٤٢٧هـ . ٢٠٠٦م : ١٠٧/٤ . ٦٩/١٠ ، الميزان : ١٥٩/٧ ، وغيرها من التفاسير التي أشارت إلى معنى الانشاء.

[2]) يُنظر: مفتاح العلوم : ٤١٤ ، المطوَّل شرح تلخيص مفتاح العلوم : ٣٨ ، الإيضاح : ١٣١، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها : ١/ ٣٣٢ ، البلاغة الاصطلاحية ، د. عبده عبد العزيز قلقيلة ، دار الفكر العربي، القاهرة ، ط٣ ، ١٤١٢ هـ ـ ١٩٩٢م : ١٤٧ .

صيغة طلبية تستدعي الإيجاد والحصول على سبيل الإستعلاء والفرض ، أو هو ((صيغة تستدعي الفعل أو قول ينبئ عن استدعاء الفعل من جهة الآخر على جهة الاستعلاء))([1]) ، فالذي يستدعي مطلوباً يجب أن تكون له جهة الإلزام لفرض الفعل وحصول الإيجاد ، وهذا الأمر الحقيقي ، في حين أنّ الجمل الأمرية تأتي في سياقات مختلفة لتعطي أغراضاً يخرج إليها الأمر عن مقتضى ظاهره كما سنرى .

أمّا الأمر في شروح الزيارة الجامعة الكبيرة ؛ فقد أشار إليه الأحسائي في شرحه؛ فيقول : ((الأمر هو الطلب المعروف المقتضي للوجوب و المندوب طلب غير الأمر المعروف و صورة اللفظ فيهما واحدة فإذا وردتِ الصورة المعلومة عارية عن جميع القرائن حُمِلَت على الوجوب للأصل و الأمر بها عليه البيان و التعريف و التعليم فقد جعل أمره واجباً و إذا لم يردِ الوجوب نَصب له قرينة من قولٍ أو تقريرٍ أو عملٍ أو اجماعٍ كما لو أمر بتركه أمراً لا يدلّ علي النَسْخ و انقضاء مدّته أو تركه المكلَّف بمشهدٍ منه و قرّره عليه أو أنّه عليه السلام لم يفعل في وقتٍ مّا أو ينصّ على ندبيّته أو تحقق اجماع على عدمِ وجوبه من جماعةِ الأمام (عليه السلام) فيهم بذلك القول..

وإنّه جعل حقيقة الطلب الواجب غير صالح للمندوب لا لملاحظة قيده الذي تقوّم به وهو المنع من التّرك ليتميّز عن طلب المندوب بقيده و إلا لزم أن يكون معنى قولهم [:] إنّ المندوب غير واجب و ليس كذلك بل يريدون أنّه لم يؤسّس بالأمر ولا أمر عندهم إلّا الطلب المقترن بالمنع من تركه أو يلزمهم أنّ المندوب غير مطلوب

---

[1]) الطراز المتضمن أسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى بن حمزة العلوي (ت٧٤٩هـ)، أشرفت على مراجعته وضبطه وتدقيقه جماعة من العلماء ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان، ١٩٨٢م : ٣/٢٨١-٢٨٢. يُنظر : الامالي الشجرية ، ابن الشجري (ت ٥٤٢هـ)، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر اباد ، الدكن ، ١٣٤٩هـ : ١/٦٨ ، مفتاح العلوم : ٥٤٣ .

أو تحقق الأمر بلا منع من الترك و يلزمهم أنّ المندوب مأمور به...))([1]) ، فقد وضع شروطاً لخروج الأمر عن حقيقته إلى الأغراض ؛ وهو فقدان القرينة الدالة على عدم إرادة الطلب على حقيقته ، فإذا لا توجد قرينة ؛ فالأمر لا يخرج عن معناه الحقيقي لإرادة الإلزام والإيجاد والوجوب في التنفيذ ، وهو يستدعي أن يكون الآمر له السلطة الإستعلائية لفرضه وإلزام المأمور بالطاعة والتنفيذ .

وللامر صيغ رئيسة يُعرف بها ؛ وهي (فعل الأمر ، الفعل المضارع المقترن بلام الأمر ، اسم فعل الأمر ، والمصدر النائب عن الفعل) فلا يخرج السياق عن استعمال هذه الصيغ أو الصور .

- **الأغراض البلاغية التي يخرج إليها الأمر**

يخرج الأمر عن حقيقة الإلزام والتنفيذ والإيجاد الواجب إلى معانٍ ثانوية تكشف عنها القرائن السياقية ، وذلك ((ليُثير الانتباه ، ويوقظ الذهن ، ويُعْمِل العقل ، ويأخذ المتلقي إلى ما وراء الظاهر ، ويُمتع النفس بالمشاركة الوجدانية بين المتكلم والسامع أو المتلقي ليُفيد))([2]) فائدة .

ولم يكن تعريف الأغراض غائباً عن شروح الزيارة الجامعة ؛ إذ عرَّفها الأحسائي بالتضمين ، في قوله : ((إنّ طلب الندب طلب عرضي صورته النوعية جواز الترك و الشخصية عدم استحقاق المدح على الفعل و الذم على الترك و الحرام و المكروه على نحوِ ما سمعتَ و المباح هل هو ما لم يتعلّق به طلب أو ما تعلّق به طلب تسوية بين الفعل و الترك هو حكم أم هو إرشاد و بيان أم هو للتوسعة على المكلّفين أو لتمييز ما يتعلّق به أحد الأربعة الواجب و الحرام و الندب و الكراهة أم تعلّق به

---

[1]) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، للأحسائي : ١/٢٢٠.٢٢١ ، يُنظر : في رحاب الزيارة الجامعة، للصدر : ٣٣٥ .

[2]) الكافي في البلاغة ، أيمن أمين عبد الغني ، دار التوفيقية للتراث ، القاهرة ، د.ط ، ٢٠١١م : ٣٣٢ .

في نفسه أنَّه أحد الأربعة قبل الخطاب به يعني [؛] إنّ المباح قبل الخطاب به في نفسِه منه واجب و منه مندوب و منه حرام و منه مكروه و بالنسبة إلى المكلّفين مباح حتى يرد التكليف به))([1]) ، وهو بيان بلاغي لمفهوم الأغراض التي يفيدها السياق الإنشائي بصور الأمر المتعددة ، وهذه الأغراض حاكميتها بوجود القرينة الصارفة لعدم إيراد الحقيقة وعدمها .

وللأمر أثرٌ كبير في إنضاج الخطاب وتوجيه ذهن المتلقي ، وكشف درجة الفهم عند المخاطَب من إلقاء الأمر إليه ،ومدى استجابته وقبوله له ، وبيان الغايات التي ينتجها السياق الأمري ، ومن الأغراض التي وردت في شروح الزيارة الجامعة الكبيرة:

١. **التخيير** : في سياقات الأمر يأتي معنى التخيير كما جاء في شرح قول الإمام الهادي (عليه السلام) : ((**وَاَوْفى عَهْدَكُمْ**))([2]) ، أورد الأحسائي في شرحه لهذه الفقرة المباركة ؛ قوله تعالى: ﴿ **وَأَوْفُواْ بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ** ﴾ **{البقرة/ ٤٠}** ، فقال : ((في وقتِ الحاجة يجب على الآمِر أنْ يعيّن أحدهما و في غير وقت الحاجة لا محذور فيه و الفائدة فيه تهيّؤ المكلّف للامتثال بما يُعَيَّن عليه عند الحاجة و لا بدّ أن يعيّن الحكيم على المكلّف و لو فرض وقت الحاجة و عدم التعيين فلا مَناص عن القول بالتخيير إذا لم يحتمل عدم التكليف لأنّ الناس في سعةٍ ما لم يعلموا و التخيير من وجوه العلم واحتمال عدم التّكليف مع وُرود ما يدلّ على التكليف ليس الّا بدليل صارفٍ))([3])، فيرى الشارح أنّ الأمر أفاد غرض التخيير ، في حين أنَّ التهديد والتحذير أقرب منه إلى التخيير، لأنّ ختام الآية المباركة أشارت إلى الترهيب ، فكان التحذير على الإيفاء بالعهد أقرب من التخيير ، والله أعلم .

---

[1]) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، للأحسائي : ٢٢١/١ .
[2]) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، الأحسائي : ٧٧/٤
[3]) المصدر نفسه : ٧٧/٤ .

٢. **الاحتراز** : يخرج الأمر عن وجوب الإيجاد والتنفيذ إلى الاحتراز من واقع خارجي، وقد ورد هذا المفهوم في شرح قول الإمام الهادي (عليه السلام) : ((**وَقُل اللهُ اَكْبَرُ ثَلَاثِيْنَ مرّةٍ ثُمَّ امْشِ قَلِيْلاً وَعَلَيْكَ السَّكِيْنَةَ وَالْوِقَارَ وَقَارِبْ بَيْنَ خُطَاكَ ثُمَّ قِفْ وَكَبّرْ اللهَ عزَّ وَجَلَّ ثَلَاثِيْنَ مَرّةٍ ثُمَّ ادنُ مِنَ القَبْرِ وَكَبّرْ اللهَ أَرْبَعِيْنَ مَرّةٍ تَمَامَ مَائَةِ تَكْبِيْرَةٍ**))(١) ، يقول الوحيدي في شرح هذه الفقرة : ((علّمني يا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قولاً أقوله بليغاً كاملاً إذا زرت واحداً منكم فقال [:] ((**إذا صِرْتَ إلَى البَابِ فَقِفْ وَاشْهِدْ الشَّهَادَتَيْنِ أَيْ قُلْ اَشهَد اَنْ لا اِلهَ اِلَّا اللهُ حْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ وَاَشْهَدُ اَنَّ مُحَمَّداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَاِلِهِ عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ وأنت على غسل فإذا دَخَلْتَ وَرَأَيْتَ فَقِفْ وَقُل اللهُ اَكْبَرُ ثَلَاثِيْنَ مرّةٍ ثُمَّ امْشِ قَلِيْلاً وَعَلَيْكَ السَّكِيْنَةَ وَالْوِقَارَ وَقَارِبْ بَيْنَ خُطَاكَ ثُمَّ قِفْ وَكَبّرْ اللهَ عزَّ وَجَلَّ ثَلَاثِيْنَ مَرّةٍ ثُمَّ ادنُ مِنَ القَبْرِ وَكَبّرْ اللهَ أَرْبَعِيْنَ مَرّةٍ تَمَامَ مَائَةِ تَكْبِيْرَةٍ**)).

ولعلّ الوجه في الأمر بهذه التكبيرات هو الاحتراز عمّا قد تورثه أمثال هذه العباير الواردة في الزّيارة من الغُلوّ والغفلة عن عظمة الله سبحانه وتعالى فالطّباع مائلة إلى الغلوّ أو غير ذلك من الوُجُوه))(٢) ، خشية أن يتسلل الشك بالغلو ، لذا ورد عن إمام المتقين وأمير المؤمنين (عليه السلام) : ((**نزّهونَا عنِ الرُّبوبيَّةِ وارفعُوا عنّا حظوظَ البشريةِ**))(٣) ، فكان أمر الإمام (عليه السلام) للاحتراز ، أو التحريز عن أمر الغلو حسب مفهوم الوحيدي ، والدراسة تذهب إلى حقيقة الأمر في هذا

---

١) أنوار الولاية الساطعة ، للوحيدي : ٢٧٩ .

٢) أنوار الولاية الساطعة ، للوحيدي : ٢٧٩ .

٣) مشارق أنوار اليقين في أسرار أمير المؤمنين عليه السلام ، رجب بن محمد المعروف بالحافظ البرسي ت(٨١٣هـ) ، الأعلمي ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٤٢٢هـ : ١٠٥ .

المورد لأنَّ الغلو ووصف الأئمة (عليهم السلام) بالأرباب في ذلك الوقت كان كثيراً ؛ لذا أمرهم بتركه.

وقد ذهب **الصدر** إلى هذا المعنى في شرحه لهذه الفقرة ، إذ قال : ((... لعلّها للإحتراز عمّا قد تورثه هذه المضامين من الغلوّ أو الغفلة عن عظمة الله سبحانه.))([1])، يبدو أنَّ هذا الأمر بعيدٌ عن الاحتراز ، لأنَّ السائل يُعدّ من الثقاة عند الإمام الهادي (عليه السلام) . كما تقدَّم في توثيقه . ومن المقرَّبين ، وما من مقرَّب لأهل البيت (عليهم الصلاة والسلام) إلا مَن كان ذا علمٍ ومعرفة وإيمان وتقوى ، ومضامين الزيارة الجامعة الكبيرة ((من حيث جزالة المعنى وجزالة اللفظ والتراكيب، كلها تدل على قوَّة مضمون الزيارة ، وإنَّها في مصاف أعالي متون الروايات الصادرة منهم (عليهم السلام)، كما أنَّ مضامينها وبنودها كقواعد في معرفته قد ورد بمضمونها الروايات المستفيضة في أبواب المعارف ، وإن اختلف اللفظ في بعضها ، لكن لباب المعنى ومآله واحد))([2])، فالذي يعطيه الإمام (عليه السلام) هذه المضامين العالية يُحترز من أنَّه يقع في الغلو؟!، يبدو أَنَّ التكبيرات التي أمر الإمام (عليه السلام) بأدائها قبل الزيارة هي ثناء وحمد لله سبحانه وتعالى ، إذ إنَّ خطابات الأئمة وأدعيتهم كلها تبدأ بالمدح والثناء ، والزيارة الجامعة الكبيرة تخلو من المدح والثناء ، والتكبيرات هي استعاضة عن المدح والثناء ، والله أعلم .

٣. **للاستحباب** : يأتي الأمر في سياق يُبيِّن الاستحباب منه على وجه المجاز ، كما جاء في شرح الصدر لقول الإمام الصادق (عليه السلام) : ((**فإذا قال أحدكم : لا إله إلاّ الله محمّد رسول الله ، فليقل : علي أمير المؤمنين ولي الله**))([3]) ، قال

---

[1]) في رحاب الزيارة الجامعة الكبيرة ، للصدر : ٢٢ .

[2]) في رحاب الزيارة الجامعة الكبيرة ، السند : ٢٥ .

[3]) الاحتجاج، أبو علي الطبرسي ت(٥٤٨هـ)، دار النعمان للطباعة والنشر ،النجف الاشرف، ط١ ، ١٤٢٤هـ :١/ ٢٠٩_٢١٠

الصدر : ((الأمر بها في الأحاديث التي حكيت عن شيخ الطائفة في المبسوط ، والمحقّق في المعتبر ، والعلاّمة في المنتهى ، والشهيد الأوّل في الدروس ، وهي وإن كانت مرسلة ومرميّة بالشذوذ إلاّ أنّها تكفي في الإستحباب بضميمة التسامح في أدلّة السنن لأحاديث من بلغ.))([1])، فيشير إلى استحباب الأمر في الشهادة الثالثة ، وهذا رأي أغلب العلماء التابعين لمدرسة أهل البيت (عليهم السلام)([2]) .

٤. **الدعاء** : يخرج الأمر عن مقتضى الحال ؛ وهو الإلزام والتنفيذ إلى مفهوم آخر يكشف عنه السياق ، من ذلك يعطي مفهوم الدعاء ، وهو أن يكون الآمر برتبة أدنى من الرتبة التي عليها المدعو ، وجاء ذلك في شرح قول الإمام الهادي (عليه السلام) : ((**فَاكْتُبْنا مَعَ الشّاهِدِينَ**))([3])، يقول الصدر : ((أي اكتبنا مع المؤمنين الشاهدين الذين آمنوا بذلك عن شهود وحضور ، أو مع أئمّتنا الشاهدين عليهم السلام الذين هم شهداء الله على خلقه. وهذا دعاءٌ بأن يجعلنا الله تعالى مع أهل الإيمان والمؤمنين.))([4]) ، وفي شرحه هذا يُشير إلى البيان البلاغي في سياق الأمر، إذ يُوضح الأثر البلاغي في انتاج الدلالة السياقية .

٥. **الكثرة وطلب الزيادة** : جاء الأمر في سياق أعطى دلالة طلب الكثرة والزيادة في شرح قول الإمام (عليه السلام) : ((**وَقَارِبْ بَيْنَ خُطَاكَ**))([5])، يقول الوحيدي : ((..وعلّة الأمر بتقريب الخطوات ، إمّا لحصول كثرة الثّواب ؛ لأنّ الزّائر يحصل في

---

[1]) في رحاب الزيارة الجامعة ، للصدر : ٩٩ .

[2]) يُنظر : روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه، محمد تقي المجلسي الأول ت(١٠٧٠)،دار الفكر،دمشق ، سوريا ، ط١ ، ١٩٩٨م : ٤٤٥/٢ ، بحار الانوار: ٨١/ ١١١ ، منهاج الصالحين ، السيد علي الحسيني السيستاني ، أنصاريان ، قم ، إيران، ط١ ، ١٤٢٨هـ:١٩١/١.

[3]) في رحاب الزيارة الجامعة الكبيرة ، للصدر : ٦٥٣ .

[4]) المصدر نفسه : ٦٥٣ .

[5]) أنوار الولاية الساطعة ، للوحيدي : ١١ .

كلّ خطوة ثواباً وأجراً مقدّراً ، أو حصول الوقار ومراعاة الأدب في مقام الأئمّة الأطهار عليهم السلام.))([1]) ، وهذا من رحمة ورأفة الإمام (عليه السلام) برعيته ومحبيه ، فقد أرشدنا إلى هذه الأمور تحنناً منه ورحمة لنحصل على الثواب الجزيل والثناء الجميل من الله عزَّ وجل ، ودعوته إلى مقاربة الخُطى تدل على أنَّ الخطى التي تُحثُّ إلى قبور الأولياء لها من الثواب الكثير ؛ لذلك كان الأئمة (عليهم السلام) يحضُّون على زيارة الإمام أبي عبد الله الحسين (عليه السلام) مشياً على الأقدام لما فيها من السمو والرفعة وحصول الأجر وقبول الأعمال .

٦. **التعرُّف والتهيأة** : تأتي بعض الأوامر لبيان التأني لغرض التهيأة والاستعداد والتعرُّف على المقصود ، وقد جاء ذلك في شرح قول الإمام (عليه السلام) : ((**إِذَا صِرْتَ إِلَى البَابِ فَقِفْ وَاشْهَدْ الشَّهَادَتَيْنِ وَأَنْتَ عَلَى غُسلٍ**))([2]) ، يقول الوحيدي : ((الأمر بالوقوف وقول الشّهادتين إشارة الى الآية الشّريفة : ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ**﴾. وكأن الزّائر عندما يتوقف يستأذن من صاحب القبر الشّريف والإمام المزور ، وبقوله الشّهادتين يعرّف نفسه أنَّه من المؤمنين والمحبّين لهم. ويحتمل أنّ يكون سبب الوقوف لأجل أن المشاهد المشرفة مدفن آيات واصفياء الله ، ومرقد الأجساد الطيبة لأئمّة الهدى عليهم‌السلام ، ومشهد المظاهر الإلهية الكاملة ، وكأنّ المقام بعينه مقام الزّيارة في محضر الله عزّ وجلّ ، ولازم هذا المعنى الخشوع والخضوع والتّذلل والاضطراب للزائر ، ولا تحصل هذه الحالة النّفسية للانسان إلّا بوقوفه وعدم جرأته على الحركة.))([3]) ، ويبدو أنّ المراد من هذا المقطع بيان آداب

---

[1]) المصدر نفسه : ١١ .

[2]) أنوار الولاية الساطعة ، للوحيدي : ٩ .

[3]) المصدر نفسه : ١٠.٩ .

الزيارة والتهيأة لها ؛ لأنَّ الوقوف أمام المقدَّس يجب أن يكون على آداب خاصَّة لبيان فضل المزور من جهة ، وتأدية الزيارة على أكمل وجه من جهة آخرى .

٧. **الاستحقاق** : يأتي الأمر في سياقات لغوية ويُراد منه بيان استحقاق المأمور به ، وقد ورد ذلك في شرح الأحسائي لمَّا مرَّ على قوله تعالى : ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾{الحشر/٧} ، يقول الأحسائي : ((بأنّ كلّ واحدٍ منهم قوّام بأمر الله تعالى على أكمل وجهٍ يمكن وقوعه في الإمكان بالنّسبة إليه و لا يكون ذلك من أحدٍ غيرهم كما فصّلنا سابقاً فراجع و المراد من الأمر ظاهراً هو المعروف الذي هو الحكم و هو طلب الشارع من المكلّف الفعل مع استحقاق الذّم بتركه و يدخل فيه النهي كما قال تعالى فليحذرِ الّذين يخالفون عن أمره إذ لا تختصّ مخالفة الأمر بالتحذير دون مخالفة النهي اجماعاً فإنَّه مطابق لقوله تعالى ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ فيكون طلب الشارع من المكلّف الفعل أو تركه))(١)، ولعلّ المراد من الآية المباركة التسليم المطلق وليس الاستحقاق ، لأنَّ السياق الذي ورد فيه الأمر لم يُحدد الأخذ والنهي بقرينة ، وإنَّما رفع القرينة ليفيد التسليم المطلق أو الإطلاق .

هذا وغيره جاء في شروح الزيارة الجامعة الكبيرة المباركة ، وما ذكرناه على سبيل التمثيل لا الحصر(٢) .

ثانياً : الاستفهام

---

١) شرح الزيارة الجاممعة الكبيرة ، للأحسائي : ١/٣٢٠ .

٢) للاستزادة : يُنظر : أنوار الولاية الساطعة للوحيدي : ١١٧. ١٨٠. ١٨١ .

في اللغة :من فَهِمَ الشيء يفهمهُ فهماً ؛ أي : عَلِمه ، و يُقال : فلانٌ إستَفْهَمَنِيْ عن أمر كذا ، أي : طَلَبَ مني الفهم في الشيء والعلم به ([1]) ، والسؤال و الاستفهام بمعنى واحد ([2]) ، لأنَّ كليهما يستدعي مطلوباً لغرض العلم به .

وفي الاصطلاح : أشار سيبويه ت(١٨٠هـ) إلى الإستفهام كأسلوب نحوي في الكتاب تحت عنوان " **باب الإستفهام** " وأشار إلى أدواته وخروجه عن مقتضى حال الظاهر، وضرب كثيراً من الأمثال له([3]) وذكره الفراء ت(٢٠٧هـ) أيضاً ، و أبو عبيدة ت(٢١٠هـ) ، والأخفش الأوسط ت(٢١٥هـ)([4]) ، فهو مصطلح قديم يراد به طلب الفهم بوساطة أدواته ، وقد نهل منه المفسرون والبلاغيون على مدى تاريخ البحث البلاغية للوصول إلى الدلالة في النصوص العربية والقرآن الكريم .

والاصطلاح البلاغي للاستفهام : هو طلب حصول صورة الشيء المستفهم عنه في ذهن السائل أو المستفهم فتتم الإجابة على السؤال الصادر بحسب الفهم الذي حصل عند المسؤول ([5]) ، ويُعدُّ الاستفهام أشد أساليب الإنشاء الطلبي إثارة

---

[1]) يُنظر: كتاب العين مادة (فهم) : ٤ /٦١ ، الصحاح مادة (فهم) : ٤/٢٠٠٥ .

[2]) يُنظر: المعجم الوسيط : ٢ /٧٠٤ .

[3]) يُنظر: الكتاب، كتاب سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (ت ١٨٠هـ) ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ط٢ ، ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م :١٧٣/٣ . ١٨١.

[4]) يُنظر: معاني القرآن، الفراء (ت٢٠٧هـ) تحقيق د. محمد علي النجار، واحمد يوسف نجاتي، عالم الكتب، بيروت ، ط٢ ، ١٩٨٠م : ٢٣/١ ، مجاز القرآن ، أبو عبيدة (ت٢١٠هـ) ، عارضه بأصوله وعلق عليه : د. محمد فؤاد سركين ، نشر مطبعة سامي الخانجي الكتبي ، مطبعة السعادة، مصر ، ط١ ، ١٣٧٤هـ –١٩٥٥م : ٢ /٢٣١ ، معاني القرآن (الاخفش الأوسط) ت(٢١٥هـ)، تحقيق : د. فائز فارس ، دار الرشيد للنشر ، ط٢ ،١٤٠١هـ – ١٩٨١م : ٥٦/١.

[5]) ينظر: الإيضاح: ١٣٢/١–١٣٣؛ ومعجم البلاغة العربيّة ، د. بدوي طبانة ، دار ابن حزم، بيروت . لبنان ، ط٤، ١٤١٨هـ . ١٩٩٧م : ٥٢٣.

للفكر والتفكير ، لأنَّه يشدّ انتباه السامع ويُثير فيه التفكير للوصول إلى الإجابة ، فهو يتَّجه من البنية السطحية إلى بيان البنية العميقة ، لذلك صار أشدّ أساليب الطلب إثارة للتفكير والفكر([1]).

والاستفهام منه ما يكون حقيقياً يُراد منه الفهم ؛ ومنه ما يُراد منه المعنى الثانوي الذي يخضع لسلطة السياق وسلطة النص ، وهذا ما يهمنا في بحثنا البلاغي ؛ لأنَّ الأوَّل يُراد منه الفهم والعلم بالشيء بوساطة طرح السؤال بوساطة إحدى أدوات الاستفهام المعروفة ، والثاني ؛ يُراد منه بيان الغرض ، وللاستفهام أغراض كما للأمر وغيره من صيغ الانشاء الطلبي .

- **أدوات الإستفهام**

للاستفهام أدوات يُعرف بها إذا كان مباشراً ؛ وقسمه البلاغيون على قسمين :.

القسم الأول : **حروف الإستفهام** / كـ(هل ، الهمزة) ، وتأتي (هل) للاستفهام التصديقي الذي يفيد إدراك النسبة ؛ وهي الإسناد ، مثل : هل سافر عليٌ ؟ فالمتكلم يجهل حصول السفر لعلي ، فهو يريد معرفة نسبة السفر لعلي ، وتأتي (الهمزة) للتصديق وللتصور ، والتصور يفيد إدراك المفرد ، مثل : أعليٌّ مسافرٌ أم محمد ؟ فلم تكن النسبة مطلوبة ؛ وإنَّما المراد من ذلك التعيين أيهما كان السفر إليه منسوباً . و (هل ، الهمزة) حرفان لا محلَّ لهما من الإعراب ، حسب اصطلاح النحويين .

القسم الثاني : **أسماء الإستفهام** / وهي [ما ، مَنْ ، متى ، أينَ ، كيف ، كم ، أيُّ ، أيان ، أنَّى]([2]) ، وهذه الأسماء تُعرب حسب موقعها من الجملة .

---

[1]) ينظر: البلاغة العربية قراءة أخرى ، د. محمّد عبد المطلب ، طبعة دار نوبار للطباعة، القاهرة. مصر ، ط١، ١٩٩٧م : ٢٨٥.

[2]) يُنظر : الكافي في البلاغة : ٣٤٠ ، البلاغة العربية أسسها ، علومها ، فنونها ، عبد الرحمن حسن حبنَّكة الميداني ، دار القلم ، دمشق ، ط١ ، ١٩٩٦ م : ١ /٢٥٨ .

- **أنواع الإستفهام**

للاستفهام نوعان :

١. **الاستفهام الحقيقي** / ويُقصد به الإستفهام الذي يراد منه المعرفة الحقيقية .

٢. **الإستفهام المجازي** / يخرج هذا الإستفهام عن معناه الحقيقي إلى أغراض أخرى كالتقريري والإنكاري والتعجبي والتعجيزي([1]) وغيرها ، وهذا الذي يعده البلاغيون استفهاماً بلاغياً ، وهذا ما يعنينا في البحث البلاغي ؛ لأنّه ـ كما يؤكد عليه البلاغيون ـ هو الأسلوب البليغ ، فهو الذي سيدخل في دائرة البحث.

- **الأغراض التي خرج إليها الاستفهام في شروح الزيارة الجامعة الكبيرة**

جاء الاستفهام البلاغي في شروح الزيارة الجامعة بأغراض متعددة ؛ منها :

١. **الإنكـار** : فقد ورد الاستفهام وأُريد من سياقه الإنكار ، وذلك في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ **{آل عمران/١٠١}** ، يذكر الميلاني في شرحه ؛ تفسير هذه الآية فيقول : ((قال النيسابوري في تفسيره : **(وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ)** استفهام بطريقة الإنكار ... والمعنى : من أين يتطرق إليكم الكفر ؟ والحال أن آيات الله تتلى عليكم على لسان الرسول صلى الله عليه وآله غضة في كل واقعة ، وبين أظهركم رسول يبين لكم كل شبهة

[1]) يُنظر : الكافي في البلاغة : ٣٤٠ ، من بلاغة القرآن ، أحمد أحمد بدوي ، نهضة مصر للطباعة والنشر ، الجيزة ، مصر ، د. ط ، ٢٠٠٣م : ١٦٤ .

ويزيح عنكم كل علة ...))([1] ، ولم يُعقب الميلاني على التفسير مما يدل على موافقته على معنى الإنكار .

في حين لو نظرنا إلى الآية التي سبقتها وهي قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ ﴾{آل عمران/١٠٠} ، الآية التي تلتها وهي قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾{آل عمران/١٠٢}، نجد أنَّ الخطاب خاص بالمؤمنين ، فالاستفهام في هذه الآية أقرب للتهديد والتقريع منه إلى الإنكار ، لأنَّهم لم يكفروا بعد ، فلذا كان التهديد يحيط بمفاصل الاستفهام ، لأنَّ الاستفهام الإنكاري ((يقتضي أنَّ ما بعدها واقعٌ ، وأنَ فاعله معلوم ، نحو : ﴿قالَ أَتَعْبُدُونَ ما تَنْحِتُون ﴾))([2]) ، والكفر لم يقع منهم بعد .

٢. **التعجب** : جاء الاستفهام في شروح الزيارة الجامعة وسياقه يُشير إلى التعجب وعدم طلب الفهم ، من ذلك ما جاء في شرح الصدر ؛ فهو يذكر قصة بين نبي الله موسى (عليه السلام) وحواره مع جبرائيل (عليه السلام) فيقول : ((أنّ موسى عليه السلام قال : «أرني أحبّ خلقك إليك وأكثرهم لك عبادة».

فأمره الله تعالى أن ينتهي إلى قرية على ساحل بحر ، وأخبره أنّه يجده في مكان قد سمّاه له ، فوصل عليه السلام إلى ذلك المكان فوقع على رجل مجذوم مقعد أبرص

---

[1]) مع الأئمة الهداة ، للميلاني : ١٢٧ . يُنظر : غرائب القرآن ورغائب الفرقان ، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري ت(٨٥٠هـ) تحقيق : زكريا عميرات ، دار الكتب العلميه ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٤١٦ هـ : ٣٤٧/١ .

[2]) مغني اللبيب عن كُتُب الأعاريب، ابن هشام الأنصاري ت(٧٦١هـ) :خرج آياته وعلق عليه : أبو عبد الله علي عاشور الجنوبي ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ،ط٢، ٢٠٠٨م : ١٦/١ .

يسبّح الله تعالى ، فقال موسى : يا جبرئيل اين الرجل الذي سألت ربّي أن يُريني إيّاه؟

فقال : جبرئيل : هو يا كليم الله هذا.

فقال : يا جبرئيل إنّي كنت أُحِبُّ أن أراه صوّاماً قوّاماً.

فقال جبرئيل : هذا أحبّ إلى الله تعالى وأعبد له من الصوّام والقوّام ، وقد أُمرت بإذهاب كريمتيه فاسمع ما يقول ، فأشار جبرئيل إلى عينيه فسالتا على خدّيه ، فقال : متّعني بهما حيث شئت ، وسلبتني إيّاهما حيث شئت ، وأبقيت لي فيك طول الأمل يا بارّ يا وصول. فقال له موسى عليه السلام : يا عبد الله إنّي رجل مجاب الدعوة فإن أحببت أن أدعو لك تعالى يردّ عليك ما ذهب من جوارحك ويبريك من العلّة ، فعلت.

فقال (رحمة الله عليه) : لا أُريد شيئاً من ذلك ، اختياره لي أحبّ إليّ من اختياري لنفسي (وهذا هو الرضا المحض كما ترى).

فقال له موسى : سمعتك تقول : يا بارّ يا وصول ، ما هذا البرّ والصلة الواصلان إليك من ربّك؟ فقال : ما أحد في هذا البلد يعرفه غيري ، أو قال يعبده.

فراح عليه السلام متعجّباً وقال : هذا أعبد أهل الدنيا))([1]) ، وقد حُذفت همزة الاستفهام لدلالة السياق عليها ، وقد أشار الصدر إلى التعجب من السؤال مباشرة .

٣. **الحيرة** : يأتي الاستفهام لبيان الحيرة كما جاء في شرح قول الإمام الهادي (عليه السلام) : ((**كَيْفَ اَصِفُ حُسْنَ ثَنائِكُمْ**))([2]) ، يقول الغزي في شرح هذه الفقرة : ((ما قالت الزيارة : كيف أصف حسنكم وإنَّما : ((**كَيْفَ اَصِفُ حُسْنَ ثَنائِكُمْ**)) ، يعني

---

[1]) في رحاب الزيارة الجامعة الكبيرة ، للصدر : ٣٥٠.٣٥١ .

[2]) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، للغزي : ٣/٢٣٤ .

جمالكم ، وبعد الجمال يأتي الثناء على جمالكم وبعد الثناء يأتي حسن هذا الثناء وأنا متحيرٌ كيف أصف حسن ثنائكم...))([1]) ، ويبدو أن العجز أقرب من الحيرة في الاستفهام ، وقد ورد هذا الكلام من المعصوم للسائل بتعليم الزيارة وأراد أن يُبيِّن له أنّ الخلق عاجز عن معرفتهم والثناء عليهم ووصف جمالهم وحسنهم لأنَّهم خلق الله المختار ، والمقربون منه بالمنزلة الخصيصة ، وليس لبيان حيرة الخلق في وصفهم؛ فالعجز أولى ، والله أعلم .

ومثل ذلك ورد في شرح الأحسائي أثناء بيان تفسير قوله تعالى : ﴿**قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا**﴾**{طه/١٢٥}** ، قال الأحسائي : ((عن الصادق عليه السلام في قوله : ﴿**وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى**﴾**{طه/١٢٤}** ، قال ولاية أمير المؤمنين عليه السلام أعمى البصر في الآخرة أعمى القلب في الدنيا عن ولاية أميرالمؤمنين عليه السلام و هو متحيّر في القيامة يقول ﴿**قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا**﴾))([2]) ، فقد اعتمد الأحسائي على الغرض الوارد في كلام الإمام الصادق (عليه السلام) ، وهل يجرؤ أحد أن يُقدِّم رأياً عليه ؟!.

٤. **التعجيز** : وهو من الأغراض البلاغية التي يفيدها الاستفهام في بعض موارده كما جاء في قول الإمام الهادي (عليه السلام) : ﴿ **كَيْفَ اَصِفُ حُسْنَ ثَنائِكُمْ ، وَاُحْصي جَميلَ بَلائِكُمْ**﴾([3]) ، يقول الغزي في شرح هذه الفقرة : ((... وإنّي عاجز عن

---

[1]) المصدر نفسه : ٢٣٤/٣ .
[2]) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، للأحسائي : ٢٥٥/٤ .
[3]) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، للغزي : ٢٣٥/٣ ،

إحصاء جميل بلائكم ((**كَيْفَ اَصِفُ حُسْنَ ثَنائِكُمْ ، وَاُحْصي جَميلَ بَلائِكُمْ**))([1]) ، فقد بيَّن العجز من إحصاء جميل بلائهم الذي لا يحتمله ملك مقرَّب ولا نبيٌّ مرسل ولا عبدٌ امتحن الله قلبه للإيمان ، فكيف لإنسان من عامَّة الناس أن يصل إلى هذا الإحصاء وهو خارج إطار العقل المختَلَط ؟! ، فالعطف يجري عليه ما يجري على الجملة المعطوف عليها ، فهي تابعة إلى الاستفهام السابق ؛ فيكون المعنى : (كيف أحصي جميل بلائكم؟) .

٥. **التوبيخ والذم** : يأتي الاستفهام للتوبيخ والذم في بعض السياقات القرآنية والنصوص العربية كما جاء في بيان الاستفهام من قوله تعالى : ﴿ **. . . أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاء سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ اللّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ فَانتَظِرُواْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ** ﴾ **{الأعراف/٧١}** الذي وردت في سياق شرح قول الإمام الهادي (عليه السلام) : ((**مَنْ أَرَادَ اللهَ بَدَأَ بِكُم**))([2]) ، يقول الهمداني في بيان معنى الاستفهام في الآية المباركة : ((فإنَّ مفاد هذه الآيات هو التوبيخ والذم على عبادتهم لتلك الأسماء لعدم نزول حجة على عبادتها بل باختيارهم لها بظنونهم وهوى أنفسهم بعد تبليغ الرسل وانزال الكتب بأنَّ السبيل إلى رب العالمين هو اسم الله وساير الأسماء الحسنى التي سمَّى نفسه به وأمر أن يدعوه بتلك الأسماء ...))([3]) ، والتوبيخ واضح من سياق الاستفهام في الآية المباركة، فذهب الشارح إلى المعنى البلاغي لبيان مفاد الاستفهام.

ثالثاً : الـنـداء

---

[1]) المصدر نفسه : ٢٣٥/٣ ، يُنظر : في رحاب الزيارة الجامعة الكبيرة ، للصدر : ٥٦٥ .
[2]) الشموس الطالعة من مشارق الزيارة الجامعة ، الهمداني : ٦٨٠ .
[3]) المصدر نفسه : ٦٨٠.٦٨١ .

في اللغة : النداء كالدُّعاء والرُّغاء والجزاء ([1])، وهو ((صوتٌ مجردٌ غير مفهوم الكلمات ... و" النداء" من العبد في القرآن يأتي بمعنى الدعاء .... فهو رفع الصوت بطلب من يُنادى ، وله حروف مخصوصة .... يُقال : ناداه ، ونادى به ، مناداة ونداء؛ أي صاح به ودعاه بأرفع الصوت))([2]) ، فالنداء : هو رفع الصوت للمنادى أن أقبل.

في الاصطلاح : المعنى الإصطلاحي للنداء قريب للمعنى اللغوي فهو ((طلب الإقبال بحرف نائب مناب أدعو لفظاً أو تقديراً كأيا وهيا للبعيد وقد ينزل غير البعيد منزل البعيد لكونه نائما أو ساهياً))([3]) وغيرها من حروف يُعرف بها سنذكرها تباعاً، إذ المعنى الإصطلاحي قريب جداً من المعنى الوارد في اللغة غير أن المعنى اللغوي يكون عامّاً ؛ والمعنى الاصطلاحي يخصص بأدوات تميزه .

والنداء أقرب للنحو منه إلى البلاغة ، إذ أنَّ النحويين عنوا به كثيراً ، حيث لا نجد كتاباً نحويَّاً يخلو من النداء وأدواته ، وبيان عمل أدواته وبيان معانيها ، كما جاء ذلك في كتاب سيبويه ت(١٧٩هـ) حيث عقد باباً باسم ((ما يكون النداء فيه مضافاً إلى المنادى بحرف الإضافة))([4]) ، ومن جاء بعده لم يغفل موضوع النداء في مؤلفاته.

---

[1]) يُنظر : لسان العرب : مادة (نَدَوَ) .

[2]) المعجم القرآني (دراسة معجمية لألفاظ القرآن الكريم) ، د. حيدر علي نعمة ، د. أحمد علي نعمة ، مطبعة السيماء ، بغداد ، د . ط ٢٠١٣ م : ٣ /٥٠٦ .

[3]) المطوَّل شرح تلخيص مفتاح العلوم : ٤٣٠ ، ينظر : الإضاح : ٨٦ .

[4]) الكتاب : ١ /٣٧٢ .

وأشار إليه البلاغيّون ضمن صيغ الإنشاء الطلبي لبيان المعاني الثانوية له ، وعرَّفوه : بطلب الإقبال بحرف نائب مناب الفعل [أدعو] بلفظ ظاهر أو مقدر([1]).

- **أدوات النداء**

النداء حاله حال الموضوعات الطلبية الأخرى ؛ له أدواته التي يُعرف بها فـ((حروف النداء ، يا : أعمَّها ، وأيا ، وهيا ، للبعيد ، أي ، والهمزة للقريب ؛ [قال الرضي :] قد تنوب (وا) مناب (يا) في النداء ، والمشهور استعمالها في الندبة ، وقد جاء (آ) بهمزة بعدها ألف، و: (آي) بهمزة بعدها ألف ، بعدها ياء ساكنة ؛ فيا : أعمّها، وأي ينادى بها للقريب والبعيد))([2])،وقد اشترط النحويون بعدم تنوين المنادى، وجعلوا ذلك من الشائع . وكذلك لا تدخل (ال) التعريف على المنادى وما جاء مخالفاً لهذه الشروط جعلوه من الضرورات أو النادر الذي لا يُقاس عليه([3]) .

- **الأغراض البلاغية للنداء في شروح الزيارة الجامعة الكبيرة**

للنداء في شروح الزيارة الجامعة الكبيرة حصَّة لا بأس بها ، فقد ورد بأغراض متعددة أشار إليها الشارحون في شروحهم لنصوص الزيارة المباركة ، منها :

---

[1]) يُنظر : مفتاح العلوم : ٤٣١ ، التلخيص : ١٧٢ ، البرهان في علوم القرآن ، بدر الدين الزركشي (ت ٧٩٤هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، ط١، ١٣٧٧هـ – ١٩٥٨م. : ٢ /٣٢٣، الطراز : ٥٣٥ .

[2]) شرح الرضي على الكافية ، رضي الدين الأسترآبادي ، تحقيق وتعليق : يوسف حسن عمر ، مؤسسة الصادق ، طهران ، د.ط ، ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م : ٤ /٤٢٥ ، يُنظر : • شرح ابن عقيل على الفية ابن مالك ، بهاء الدين بن عقيل ت(٧٦٩هـ)، تحقيق ، محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار التراث ، مصر ، د.ط، ٢٠٠٥م : ١٩٧/٣ ، أوضح المسالك إلى الفية ابن مالك ، ابن هشام الأنصاري ، ت (٧٦١هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد ، ذوي القربى ، قم، ط١، ١٤٣٢هـ : ٤ /٣ ، في النحو العربي قواعد وتطبيق ، مهدي المخزومي ، دار الرائد ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٨٦م : ٢١٧ .

[3]) يُنظر : شرح ابن عقيل : ٣ /٢٠٣ وما بعدها .

١. **التخصيص** : للنداء سياق يفيد التخصيص كما ورد في شرح قول الإمام الهادي (عليه السلام) : ((**يا اَهْلَ بَيْتِ النُّبُوَّةِ**))([1])، قال الأحسائي في معنى هذه الفقرة : ((...والحاصل أنّ المراد بالأهل الأئمة المعصومون (عليهم السلام) لا غير هذا إذا أُريد السلام على أهل البيت بالأصالة و لو لوحظ ما هو أعم دخلوا الخُلّص من الشيعة بالتبعيّة فإنَّهم من أهل البيت (عليهم السلام) خُلِقوا من فاضل طينتهم و عُجِنوا بماء ولايتهم...))([2]) ، فقد خصص الإمام بندائه مفهوم أهل البيت وحصرهم بالمعرفة وإذهاب الرجس عنهم بمضمون الآية المباركة في قوله تعالى : ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**﴾ **{الأحزاب/٣٣}** ، وأخرج غيرهم من دائرة دلالة الأهل .

في حين الميلاني ذهب إلى أنَّ النداء بالأداة (يا) دلَت على إباحة الزيارة من قريب أو بعيد ، وذلك في قوله : ((يا : حرف نداء ، وينادى به القريب والبعيد كما نصت عليه كتب اللغة والنحو .

وعليه ، يمكن زيارة الأئمة المعصومين بالزيارة الجامعة من قريب أو بعيد ، على الرغم من أن الزيارة بحضور الروح والجسد عند المعصوم أفضل ...))([3]) ، فهو يتكلم بمعنى الياء ولم يُبيّن الغرض الذي أفادته في النداء بوساطة السياق العام للفقرة، فالتخصيص أولى .

٢. **العتاب** : يخرج النداء من مفهوم الدعوة للإقبال إلى العتاب ، وقد ورد هذا الغرض في سياق شرح قول الإمام (عليه السلام) : ((**مَنْ أطاعَكُم فَقَدْ أطاعَ اللهَ وَمَنْ عَصَاكُم**

---

[1]) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، الأحسائي : ٣٩/١ .

[2]) المصدر نفسه : ٣٩/١ ، يُنظر : أنوار الولاية الساطعة ، للوحيدي: ٢٠ ، في رحاب الزيارة الجامعة الكبيرة ، للصدر : ٣٥ .

[3]) مع الأئمة الهداة ، للميلاني : ٥٨ .

فَقَدْ عَصى اللهَ وَمَنْ أَحَبَّكُم فَقَدْ أَحَبَّ اللهَ وَمَنْ أبغَضَكُم فَقَدْ أبغَضَ اللهَ))[1]، ففي شرح هذه الفقرة المباركة جاء الميلاني في قوله تعالى : ﴿ قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾{هود/٤٦} ، فقال الميلاني : إنَّ قصة نوح (عليه السلام) ((تدعو الإنسان للتدبر في الأسباب التي أدت إلى افتراق ابنه عنه ليكون من الهالكين ، ولم تغنه شفاعة أبيه النبي عند الله تعالى لانتشاله من الورطة التي أحاطت به ، فحال بينهما الماء وكان من المغرقين ، وعلى أثر ذلك جاء العتاب الإلهي : ﴿ قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾))[2] ، لعلَّ الآية المباركة أرادت التسلية وتخفيف وطأة الفراق التي واجهت النبي نوح (عليه السلام) ، والعتاب ليس محله والله أعلم .

٣. **الدعاء** : يخرج النداء في بعض سياقاته إلى الدعاء ، كقولنا : (يا ربِّ) ، وقد ورد ذلك في تفسير قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى ﴿ ١١ ﴾ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴾{طه/١٢} ، التي أوردها الغزي في أثناء شرحه ؛ فقال : ((والنداء دعوة ودعاء ، هذه دعوة موسى إلى أي شيء ؟ إلى عالم النبوة ، إلى عالم الوحي ، إلى عالم الرسالة))[3] ، ولعلَّ التنبيه في سياق النداء أقرب منه إلى الدعاء ؛ لأنَّ نبي الله موسى (عليه السلام) لم يكن على علم بالنداء ، وإنّما كان عنصر المفاجئة مهيمناً على القصة القرآنية ، فالتنبيه أقرب .

---

[1] المصدر نفسه : ٢٦٦ .

[2] المصدر نفسه : ٢٦٦ .

[3] شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، للغزي : ٩/٣ .

٤. **التأكيد** : يأتي النداء وفي سياقه يحمل معنى التوكيد كما ذكر ذلك الأحسائي في شرحه للبيت الشعري الذي يقول : [من الرجز]

إنّي إذا ما حدثٌ ألَمّا أقولُ يَا اللّهمّ يا اللّهُمَّا([1])

قال الأحسائي : ((قصدَ التأكيد في إرادة التوجه والإقبال و لضرورة الشعر و لأنَّه جمع بين (يا) و بين (الميم) بلحاظين [؛] بلحاظ الابتداء أتى بيا و بلحاظ الدعاء أتى بالميم و قولي قليل في الاستعمال إنَّه قياسي و لكن لأجل التخفيف غلب في الاستعمال الحذف و ليس فيه في الحقيقة جمع بين العوض و المعوّض لأنّ الميم لم يؤتَ بها للعوض عن يا و إنّما أتى بها للمبالغة في طلب الاقبال و التنبيه عليها قبل ذكرها و لكنّها لمّا أفادت فائدة و هو طلب الإقبال و توجّه المدعوّ للدعاء استغنوا عنها طلباً للتخفيف وإنّما قطعت الهمزة في (يا ألله) لأنّها و إن كانت على الصحيح إنّها همزة وصل و لكنها للزومها للاسم طلباً لملازمة التعريف ليلحق بالأعلام بل هو اسم علم بالتغليب))([2])، وهذا رأي نحوي خاص بالاحسائي ، إذ ذكر النحويّون الجمع بين النداء والميم المشددة للضرورة الشعرية وهو شاذ ، إلّا أنّ الأحسائي يرى أنَّ الميم جيء بها للتنبيه وليست عوضاً عن النداء ، وما النداء الآتي معها إلّا في موضعه بلا تعويض ولا معوض عنه ، والياء ههنا التي هي للنداء أفاد سياقها التأكيد ، ويبدو الدعاء لها أقرب .

٥. **الإطلاق** : يُطلق النداء في سياقات ويُشير بوساطة المعنى العام له بالإطلاق ، كما جاء شرح الدعاء الوارد في شرح قوله الإمام الهادي (عليه السلام) : **{وَأَنْتُمْ نُورُ**

---

[1]) البيت لأمية بن أبي الصلت ، وقد استشهد به النحويّون في مؤلفاتهم كشاهد شعري شاذ لاجتماع النداء مع الميم المشددة التي يؤتى بها عوضاً عن حرف النداء ، يُنظر : شرح بن عقيل : ٢٦٥/٢، شرح الرضي على الكافية : ٣٨٤/١ .

[2]) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، للأحسائي : ٢٧٣/٤ .

الأَخْيارِ}([1]) ، ففي سياق شرح هذه الفقرة أورد الغزي زيارة رسول الله (صلى الله عليه وآله في قوله : ((السلام عليك يا محمد : هنا في مقام الإطلاق من دون أوصاف من دون قيود . السلام عليك يا محمد . الذات التي تتأبى على القيود ، فإنّي لا أحب القيود في معصميك ، ذاتٌ تتأبى على القيود [؛] جمالها في عدم قيودها ... هذه عناوين تتنزه عن القيود ، تتنزه عن الإضافات أجلى أجلى من أن توصف بأنها رسول الله ...))([2])، يبدو أنَّ التعظيم أقرب إلى السياق من الإطلاق في مقام النداء (يا محمد) ؛ لأنَّ هذا الإسم له من العظمة ما لا تحصيه الأقلام ولا تحمله الصحف وما يخطر على قلب بشر ، فالإطلاق من القيود أقل بكثير من تعظيم الإسم في سياق النداء .

رابعاً : الـنـهـي

<u>في اللغة</u> : نهاه عن الأداء ؛ يعني : كفَّه عن الفعل ، و((النون والهاء والياء أصل صحيح يدل على غاية وبُلوغ ، ومنه أنهيتُ إليه الخبر: بلَّغتُه ، ونهايةُ كلِّ شيء : غايتُه ، ومنه : نهيتُه عنه ، وذلك لأمر يفعله ، فإذا نهيته فتنتهى عنك ؛ فتلك غاية ما كان ..... والنُّهية : العقل ؛ لأنه ينهى عن قبيح الفعل ، والجمعُ : نُهى))([3]) ، والنهي : خلاف الأمر ، وهو طلب بالمنع والترك والكف عن الفعل والزجر عنه([4]) .

وورد حدُّ النهي عند الصدر في شرحه ؛ فيقول : ((والنهي عن الشيء : الزجر عن ذلك ، والتحذير عن إتيانه.))([5]) ، وهو حدٌّ لغوي كما اتضح ذلك من

---

[1]) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، للغزي : ١٠٩/٢ .
[2]) المصدر نفسه : ١٠٩/٢ .
[3]) معجم مقاييس اللغة ، مادة (نهو) : ٥ /٣٥٩ـ ٣٦٠ .
[4]) يُنظر : المعجم القراني : ٦١٦/٣ .
[5]) في رحاب الزيارة الجامعة الكبيرة ، للصدر : ٣٣٥ .

المعجمات، والصدر كان رأيه في معنى النهي معنى لغوي دون ذكر الأغراض التي يخرج إليها النهي.

في الاصطلاح : النهي من الأقسام البلاغية التي تنتمي إلى الإنشاء الطلبي على وجه الاستعلاء ، وفائدته المنع ([1]) ، ويُوتى به للإقلاع والكف عن أداء الفعل بطلب ملزم جازم دالٍّ على المنع الفوري والاستمرار ، وله صورة واحدة وهي : (لا) الناهية المقترنة بالفعل المضارع ، هذا على وجه الحقيقة .

وينتج عن النهي في سياقاته المختلفة بملاحظة القرائن وسياق الحال ؛ دلالات جديدة تتكشف عند الملاحظة والقراءة الفاحصة ، وهذا ما يُسمّى بالأغراض البلاغية التي يفيدها السياق كما سيتضح ذلك في شروح الزيارة الجامعة .

- **الأغراض البلاغية للنهي في شروح الزيارة الجامعة الكبيرة** : للنهي أغراض يخرج إليها عن المعنى العام للنهي ، هذا ما وجدناه في شروح الزيارة الجامعة الكبيرة المباركة وهي :

١. **دعاء** : يخرج النهي عن مقتضى الردع والكف وطلب الترك إلى الدعاء كما جاء في شرح الجزائري لبيان قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴾{آل عمران/٨} ، يقول الجزائري : ((لا تمنعنا ألطافك فتميل قلوبنا عن الإيمان بعد الاهتداء إليه ، وهذا دعاء للتثبيت على الهداية والإمداد بالألطاف))([2]) ، وإلى هذا المعنى ذهب الأحسائي والوحيدي والصدر([3]) ، وقد أشار أهل البلاغة إلى النهي الصادر من الرتبة الأدنى إلى الرتبة الأعلى على انَّه يفيد

---

[1]) يُنظر : الأمالي الشجرية : ١ /٢٧١ ، مفتاح العلوم : ٥٤٥ ، الإيضاح : ١ /١٤٥ .

[2]) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، للجزائري : ٢٦١ .

[3]) يُنظر : شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، الأحسائي : ١٨٢/٤ ، أنوار الولاية الساطعة ، الوحيدي: ٢٦٥ ، في رحاب الزيارة الجامعة الكبيرة ، للصدر : ٦٥٣ .

الدعاء ، لأنَّ النهي الحقيقي يستلزم السلطة لتنفيذ الكف عن الفعل والردع ، وإذا افتقر النهي إلى السلطة والاستعلاء ؛ يخرج عن الحقيقة غرض يكشف عنه السياق والقرائن، وهذا من المسلَّمات .

في حين ذهب الهمداني إلى أنّ النهي ههنا أريد منه الالتماس ، وذلك في قول : ((الزيغ: هو الميل عن نهج الحق إلى الباطل ، وإنَّما نسبه إلى الله ؛ لأنَّه إنَّما يكون إمّا بامتحانه أو بخذلانه تعالى ، فالمراد هو التماس أن لا يعرضنا معرض الامتحان ولا يكلنا بخطايانا وجرائمنا إلى أنفسنا فتزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا واستنقذنا من الضلالة والشرك))(١) ، لكن الدعاء أقرب إلى سياق الأية المباركة ؛ لأنَّ الالتماس يكون بين رتبتين متساويتين ؛ لا من رتبةٍ أدنى . وهو الإنسان الناهي . إلى الرتبة الأعلى . وهو الله تعالى . ، فما ذهب إليه الجزائري والأحسائي والوحيدي والصدر أقرب .

٢. **التماس** : ذكر الهمداني هذا الغرض في شرحه لقول الإمام الهادي (عليه السلام): ((**لا تَجْعَلْهُ آخِرَ العَهْدِ مِنْ زِيَارَةِ قُبُورِكُمْ وَ إِتْيَانِ مَشَاهِدِكُمْ**))(٢) ، يقول الهمداني : ((هذا التماس للعود إلى التشرف بمشاهدهم))(٣) ، إلّا أنَّ الدعاء أولى ؛ لأنّ النهي صادر من الرتبة الأدنى . وهو الإنسان . إلى الرتبة الأعلى . وهو الإمام المزور. فهو دعاء وليس التماس كما ذكرنا في الفقرة السابقة ، وقد ذهب إلى معنى الدعاء ؛ الأحسائي في شرحه (٤) .

وبهذا الغرض الذي ينتمي إلى النهي في إطار الإنشاء الطلبي؛ وهناك أساليب أخرى في متن الزيارة الجامعة الكبيرة ولم يذكرها الشارحون كالنفي والشرط والفاصلة وهذا للتنويه .

---

١) الشموس الطالعة من مشارق الزيارة الجامعة ، الهمداني : ٧٥٠ .
٢) الشموس الطالعة من مشارق الزيارة الجامعة ، الهمداني : ٧٧٣ .
٣) المصدر نفسه : ٧٧٣ .
٤) يُنظر : شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، للأحسائي : ٢٤٨/٤ .

المبحث الثاني

دراسة أحوال الجملة

وسبل تطبيقها في شروح الزيارة الجامعة الكبيرة

نقصد في دراسة أحوال الجملة ، دراسة تقلباتها وتغيُّر شكلها النمطي الذي اعتادت عليه لأغراض بلاغية وبيان المعنى الثانوي الذي تحمله هذه الجمل ؛ لذا فإنّ هذا المبحث يشتمل مطالب عدَّة ؛ هي : (التقديم والتأخير ، والحصر ، التعريف والتنكير، الالتفات) ، ولكلِّ مطلب من هذه المطالب حدّه وصوره وتطبيقاته الخاصّة به في شروح الزيارة الجامعة المختارة .

المطلب الأوَّل

التقديم والتأخير

يعمل التّقديم والتّأخير على خلق أجواء خطابية خاصة تسترعي انتباه السامع وتلذ به أعين القرّاء ، وتُعدّ هذه اللمعة الخطابية ثيمة خاصَّة تستجلب النفوس وتروي حاجة المستقبِل للاستعلام عن أمر ما أوموضوع معيَّن ، وهذا يكشف عن المعاني الثانية التي تقبع خلف المعاني المعجمية للألفاظ وتُسمّى بـ(دقائق المعاني) ، وتنجلي بها الدلالة الهامشية بوساطة القرائن والأحوال المتراصة في سياق الخطاب ، ومن هنا يتضح تأثير الباث ومدى قدرته على تطويع الكلام وتمكّنه في التّعبير عن غرضه الذي يريد إيصاله ؛ بعبارة بليغة حسنة جزلة ذات حكمة تبلغ في النفوس أثراً لطيفاً ، رغم أنّ هذا يُعدُّ خرقاً لمعايير الجملة العربية من ناحية البناء ؛ إلّا أنّه من مقومات البليغ وحكمته .

وقد اعتنى البلاغيون في هذا المطلب وعدّوه من عماد علم التراكيب البلاغية ، وقال عنه عبد القاهر الجرجاني ت(٤٧١هـ) : ((ولا تزال ترى شعراً يروقك مسمعه ويلطف لديك موقعه ثمّ تنظر فتجد سبب أن راقك ، ولطف عندك أن قدّم فيه شيء

وحوّل اللّفظ عن مكان إلى مكان ...))([1]) ، ويعدّه الزركشي ت(٧٩٤هـ) من دلائل قوَّة المتكلم وتمكنه في الكلام ، وذلك في قوله : ((هو أحد أساليب البلاغة ، فأنّهم أتوا به دلالة على تمكّنهم في الفصاحة ، وملكتهم في الكلام وانقياده لهم ، وله في القلوب أحسن موقع ، وأعذب مذاق))([2]) ، لذا كان من أهم الفنون البلاغية .

ولم ياتِ التقديم والتأخير في سياقات الخطاب دون غرض ؛ إذ إنَّ ((تقديم جزء من الكلام أو تأخيره لا يرد اعتباطاً في نظم الكلام وتأليفه ، وإنَّما يكون عملاً مقصوداً يقتضيه غرض بلاغي أو داعٍ من دواعيها))([3]) ، ولم يقتصر التقديم والتأخير على غرض واحد ؛ وإنَّما تختلف الأغراض باختلاف السياقات .

وقد اهتمّ شارحو الزيارة الجامعة في بيان الأغراض البلاغية التي أدّاها التقديم والتأخير في شروحهم وهي :

١. **الأسبقية** : بعض الألفاظ تتقدَّم ؛ لأنّ لها السبق الزمني ، كما جاء ذلك في شرح قول الإمام الهادي (عليه السلام) : ((**وَحُجَجِ اللهِ عَلى اَهْلِ الدُّنْيا وَالآخِرَةِ وَالأولى وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكاتُهُ**))([4])، يقول الأحسائي في تقديم الدنيا على الآخرة : ((المراد بأهل الدنيا كلّ مَن وجد فيها مَنْ مضى و مَن بقي من هبوط آدم إلى قيام قائم آل محمّد (صلى الله عليه وآله) اللّهم عجل فرجه و سهّل مخرجه و هي مأخوذة من الدّناءة لِخِسَّتها كما أشار سبحانه الي ذلك في قوله تعالى : ﴿**وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً**

---

[1]) دلائل الإعجاز : ١٠٦.

[2]) البرهان في علوم القران : ٣ / ٣٢٥ .

[3]) علم المعاني ، د.عبد العزيز عتيق، دار الافاق العربية، سوريا ، ط١ ، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٤م : ١١٦ .

[4]) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، للأحسائي : ١٥٨/١ .

﴿وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾ {الزخرف/٣٣} ، إلى أن قال : ﴿وَزُخْرُفًا وَإِن كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ {الزخرف/٣٥} ، أو من الدنوّ لأنّها قبل الآخرة فلِتقدّمها على الآخرة سمّيت بذلك كما أنّ الآخرة سمّيتْ بذلك لتأخُّرِها و المراد بالآخرة هنا ما بعد الموت ؛ لانّ القبر أوّل منزل من منازل الآخرة فيكون المعنى إنّهم حجج الله على أهل البرزخ و أهل الآخرة في الحشر و النشر و عند الصراط))([1])، فأشار الشارح إلى أنَّ التقديم هنا جاء بالسبب الزمني ، ولعلّ تقديم الدنيا على الأخرة في هذه الفقرة للاهتمام ؛ لأنّ الزيارة تكون في الدنيا ، وكذلك هي أقرب للإنسان المخاطَب ، لذلك تقدَّمت .

٢. **بيان الرتبة** : في بعض السياقات العربية يتقدّم لفظ على آخر لغرض بيان الرتبة، وهذا ما وجدناه في سياق شرح قول الإمام الهادي (عليه السلام) : ((**وَالقَادةِ الهُداة**))([2])، في شرح هذه الفقرة من قول الإمام ؛ أورد الهمداني قوله تعالى : ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ **{الملك/٢}** ، يقول الهمداني في تقديم الموت على الحياة : ((ففي تقديم (الموت) على (الحياة) دليل ظاهر على أنّ المراد بالموت ليس إذهاق([3]) الروح ، بل هو مرتبة الفقر والعدم، وهذه المرتبة من الإيمان؛ هي إيمان خاصّ الخاصّ من أهل الولاية))([4]) ، إلّا أن التخويف والتهديد أقرب من بيان الرتبة ؛ لأنّ سياق الآية المباركة يتكلم في الإبتلاء لبيان أيُّهم أحسن عملاً ، لذا أختُتمت الآية المباركة بـ (عزيز غفور) فالعزَّة لبيان القوّة والاستطاعة على التنفيذ ؛ والمغفرة لمن ينجح في الابتلاء ، والله أعلم .

---

[1]) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، الأحسائي : ١٥٨/١ .

[2]) الشموس الطالعة من مشارق الزيارة الجامعة ، الهمداني : ٣٢١ .

[3]) كذا في الأصل ، والصواب : إزهاق .

[4]) المصدر نفسه : ٣٢١ .

وأورد الأحسائي غرض الرتبة وبيان سبب التقديم لها ، وذلك في شرحه لقول الإمام الهادي (عليه السلام) : ((**وَعِبَادِهِ الْمُكْرَمِيْنَ**))([1]) ، يقول: ((أقول : يريد بالأئمّة من قبله علي و الحسن و الحسين و يحتمل و على القائم كما هو الظاهر لأنّ الترتيب على حسب الشرف و الرتبة في المكانة و التقدم الذاتي لا التقدم الظاهري ثم بعد القائم (عليه السلام) عليهم و قوله (عليه السلام) إلينا يريد الأئمّة الثمانية لتساوي رتبتهم في الفضل و يحتمل مراعاة تقدّم الأبوّة))([2]) ، فيُشير الشارح إلى تقديم الله تعالى لذوات أصحاب الكساء ومعهم القائم على باقي الأئمة تقديماً لرُتبهم وعلو شأنهم ومكانتهم ، فتقديمهم لا ينحصر على التقُّدم الظاهري ؛ لأنَّ القائم (عجل الله تعالى فرجه الشريف) هو خاتمهم ، ودلَّت الروايات على تقدُّمه على آبائه الثمانية دون أصحاب الكساء لعلو مرتبته ، وإلى ذلك ذهب الشارح في بيان مفهوم التقديم وهو من الأغراض البلاغية التي يخرج إليها التقديم والتأخير.

٣. **التخصيص** : في أغلب سياقات التقديم والتأخير تأتي الإشارة إلى التخصيص ، من ذلك ما ورد في بيان قول الإمام الهادي (عليه السلام) : ((**وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ**))([3])، يقول الوحيدي في شرحها : ((إلتزامهم عليهم السلام بأمره سبحانه في الأقوال والأفعال والأحوال يختص بهم عليهم السلام دون الناس ، لأنّ تقدّم الظّرف([4]) ((**وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ**)) يفيد الاختصاص ، وكيف لا ، وأنى يتعجب المتعجبون من هذا الكلام وقد وصف الله سبحانه بهذا القول ملائكته بقوله سبحانه :

---

[1]) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، للأحسائي : ٢٣١/١

[2]) المصدر نفسه : ٢٣١/١

[3]) أنوار الولاية الساطعة ، للوحيدي : ٨٦ .

[4]) كذا في الأصل ، والصواب : الضمير .

﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ * لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾))[1] ، فقد خصص الشارح التقديم للضمير على سبيل الاختصاص ، إلّا أنّ استشهاده بهذه الآية المباركة وهي تُشير إلى الملائكة ؛ دليل على عدم التخصيص ، بدخول الملائكة مع أهل البيت عليهم السلام في العمل بأمر الله سبحانه وتعالى ، ويبدو أن التقديم ههنا أفاد التشريف ، وهو أقرب من التخصيص.

وجاء التقديم ليفيد الاختصاص في شرح قول الإمام الهادي (عليه السلام) : ((**إلَى جَدُّكُم بُعِثَ الرُوحُ الأمِين**))[2] ، في تقديم شبه الجملة (الجار والمجرور) ، يقول الصدر : ((... والروح الأمين : هو أمين وحي الله جبرائيل عليه السلام كما عبّر عنه بذلك في قوله تعالى : ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾.

وهذا من معالي مزاياهم عليهم السلام أن يكون جدّهم وأخو أمير المؤمنين عليه السلام هو من بُعث إليه جبرئيل عليه السلام رسولاً من قبل الله تعالى ، بأتمّ بعثة وأكمل إرسال.

ولعلّ تقديم ((**إلى جدّكم**)) المفيد للاختصاص يفيد هذه الخصوصية المنحصرة برسول الله صلى الله عليه وآله أن كانت بعثة جبرئيل إليه بأتمّ وأكمل بعثة.

من حيث الكمّية والكيفية ، بحيث لم تكن بهذه الخصوصية لسائر الأنبياء ، عليهم سلام الله في جميع الآناء.))[3] ، نعم ؛ التقديم أفاد التخصيص ، إلّا أنَّ الشارح ذهب إلى معنى الروح الأمين وفسرها بـ (جبرائيل عليه السلام) ، في حين جاءت الروايات بتغيير المفهوم السائد عن الروح الأمين ، حيث ورد ((عن أبي

---

[1]) أنوار الولاية الساطعة ، للوحيدي : ٨٦ .
[2]) في رحاب الزيارة الجامعة ، للصدر : ٥٧٣ .
[3]) المصدر نفسه : ٥٧٣ .

بصير قال: سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن قول الله عز و جل: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾{الإسراء/٨٥} قال: خلق أعظم من جبرائيل و ميكائيل كان مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) و هو مع الأئمة و هو من الملكوت.))([1]) ، أمَّا جبرائيل (عليه السلام) فقد لازم مجموعة من الأنبياء ولم يكن نزوله محصوراً برسول الله (صلى الله عليه وآله) ، أمَّا الروح الأمين فكان نزوله خاصاً ، حيث خُصّ القرآنُ الكريم بنزوله بوساطة الروح الأمين لا بوساطة جبرائيل (عليه السلام) وذلك في قوله تعالى : ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾{الشعراء/١٩٤}، وهذا من شؤونات القرآن وخواصّه ، وهو النزول الأوَّل الذي كان دفعة واحدة على صدر الخاتم (صلى الله عليه وآله) ، أمّا النزول الثاني ؛ فكان بطريقة الإخراج على دفعات ، وهذا ما كفَّل الله به جبرائيل (عليه السلام) ، وما ورد عن أئمة الهدى ومصابيح الدجى هو الحق .

٤. **الحصر** : يقترب معنى الحصر من التخصيص في سياق التقديم والتأخير ، ومن ذلك ما جاء في شرح قول الإمام الهادي (عليه السلام) : ((**إِلَى اللهِ تَدْعُونَ وَعَلَيْهِ**

([1]) روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه ، محمد تقي بن مقصود علي المجلسي ت(١٠٧٠هـ) ، مؤسسة كوشانبور للثقافة الإسلامية ، قم ، ايران ، ط٢ ، ١٤٠٦هـ : ٤٧٠/٥ ، يُنظر : مجمع البيان في تفسير القرآن ، أبو عليّ الفضل بن الحسن الطّبرسيّ ت(٥٤٨هـ) ، طبعة جديدة منقّحة ، دار المرتضى ، بيروت ، لبنان ، ط١، ١٤٢٧هـ . ٢٠٠٦م : ٢٢٢/١٠ ، الميزان في تفسير القرآن ، السيد محمد حسين الطباطبائي ت(١٤٠٢هـ . ١٩٨٢م) ، الأعلمي ، بيروت، ط٣ ، ١٣٩١هـ : ٤٢/١٨ ، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ، الشيخ ناصر مكارم **الشيرازي**، مؤسسة البعثة ، بيروت،ط١، ١٩٩٢م : ٣٦٠/١٩ ، وغيرها من المصادر التي تناولت تفسير (الروح الأمين) بالرواية .

تَدُلُّونَ وَبِهِ تُؤْمِنُونَ وَلَهُ تُسَلِّمُونَ وَبِأَمْرِهِ تَعْمَلُونَ))([1]) ، يقول الصدر في تقديم شبه الجملة : ((ويفهم الحصر والاختصاص من تقديم قوله إلى الله ، وعليه ، وبه ، وله ، وبأمره وإلى سبيله ، وبقوله ، على أفعالها.

إذ إنّ تقديم ما حقّه التأخير يفيد الحصر ، فيستفاد إنحصار شؤونهم بربّهم المتعال جلّ جلاله. فمعنى هذه الجملة الشريفة أنّكم أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله إلى الله تدعون بالحكمة والموعظة الحسنة ، ودعوتكم منحصرة بالله تعالى.))([2]) ، نعم : هنا أفادت الحصر ، لكنَّ قوله : (إذ إنّ تقديم ما حقّه التأخير يفيد الحصر)، غير دقيق ؛ لأنَّ مقام الحال والقرائن تعطي غير الحصر في موارد أخرى . كما أشرنا إلى ذلك في النقاط السابقة .

هذا من جانب ؛ ومن جانب آخر قوله : (تقديم ما حقّه التأخير) وهذا مما درج عليه الباحثون ، إلّا أنّه إذا كان حقَّه أن يتأخر فلماذا تقدَّم ؟! ، لأنَّ ذلك يشير إلى وضعه في غير محله ؛ وهو عبث وغير الحق ؛ لأنَّ حقه التأخير! ـ كما يقولون ـ وما بعد الحقِّ إلا الضلال ، لذلك نقول : كان حقّه التقديم لبيان الغرض البلاغي فتقدّم ليكشف عن الحكمة المستغلقة من بلاغة السياق ، ولم يكن التقديمُ طارئاً عليه.

وكذلك جاء التقديم ويفيد الحصر، في شرح قول الإمام الهادي (عليه السلام): إلى اللهِ تدعونَ،يقول الهمداني: ((وفي تقديم الظرف([3]) إشارة إلى أنَّهم لم يدعوا . ولن يدعوا . إلا إلى الله الذي أمر عباده أن يدعوه به في قوله تعالى : ﴿**قُلِ ادْعُواْ اللّهَ أَوِ ادْعُواْ الرَّحْمَنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ الأَسْمَاء الْحُسْنَى وَلاَ تَجْهَرْ بِصَلاَتِكَ وَلاَ تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ**

---

[1]) في رحاب الزيارة الجامعة ، للصدر : ٤٠٦ .

[2]) المصدر نفسه : ٤٠٦ .

[3]) كذا في الأصل ، والصواب : شبه الجملة من الجار والمجرور (إلى الله ، عليه ، به ، له ، بأمره)

سَبِيلاً﴾{الإسراء/١١٠}))[١] ، ودليله قول إمام المتقين أمير المؤمنين (عليه السلام) : ((**ما رأيتَ شيئاً إلاّ و رأيتُ اللهَ قبلَهُ و بعدهُ و معهُ**))[٢] ، فدعوتهم (عليهم السلام) منحصرة في الله وإلى الله ومع الله .

المطلب الثاني

القَصْرُ

حدّهُ ، أركانه، وطرقه

في اللغة

جاء القَصْرُ في المعجمات اللغوية في معنيين ؛ إذ إنَّ ((القاف والصاد والراء أصلان صحيحان ، أحدهما يدل على أن لا يبلغ الشيء مداه ونهايته، والآخر الحبس، .... فالأول : القِصَر : خلاف الطول..... والأصل الآخر القَصْر: الحبس، يُقال : قصرته ؛ إذا حبسته ، وهو مقصورٌ : أي محبوس))[٣]، فقد وردت دلالات القَصْر في اللغة بمفهوم (الحبس والحصر) و(عدم بلوغ الشيء) .

في الاصطلاح

---

[١]) الشموس الطالعة من مشارق الزيارة الجامعة ، الهمداني : ٤٩٢ .

[٢]) شرح أصول الكافي ، محمد بن إبراهيم صدر الدين الشيرازي ت(١٠٥٠هـ) ، مؤسسة الأبحاث الثقافية ، طهران ، ايران ، ط١ ، ١٤٢٥هـ : ٢٥٠/١ ، يُنظر : مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول ، محمد باقر المجلسي ت(١١١١هـ) ، دار الكتب الإسلامية ، طهران ، ايران ، ط٢ ، ١٤٠٤هـ : ٣٩١/١٠ ، الميزان في تفسير القرآن : ١٤٦/٨ .

[٣]) معجم مقاييس اللغة ، مادة (قصر): ٥ /٩٦. ٩٧ ، يُنظر : تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن محمد الزبيدي (مرتضى الحسيني) ت(١٢٠٥هـ)، دار الفكر ، بيروت ، د.ت ، مادة (قصر) : ٢ /١٢١ . ١٢٣ ، المعجم القرآني ، مادة (قصر) : ٣ /٦٧ .

القصر من الأساليب البلاغية التي عنى بها البلاغيون في أبحاثهم وخصصوا له مواضعَ خاصة في كتبهم ، ولا نجد مؤلَّفاً في البلاغية يخلو من القَصْر ، فهو عندهم ((تخصيص أمرٍ بآخر بطريق مخصوصٍ))([1]) ، وهذا المعنى لا يبعد كثيراً عن المعنى اللغوي ، فهو حبس وحصر ، و((حاصل معنى القصر راجع إلى تخصيص الموصوف عند السَّامع بوصف دون ثان، كقولك: زيد شاعر لا منجم، لمن يعتقده شاعراً ومنجماً))([2]) .

وأشار بعضهم إلى لفظ (الحصر) وهو ما اصطلح عليه الأصوليون في مباحث الألفاظ ، ويُقصد به المعنى ذاته([3]) .

---

[1]) التلخيص في علوم البلاغة ، الخطيب القزويني ت(٤٠٦هـ)، ضبطه وشرحه : عبد الرحمن البرقوقي، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط٢، ١٩٣٤م : ١٣٧ ، يُنظر : الإتقان في علوم القرآن ، جلال الدين **السيوطي** ت(٩١١هـ) ، تحقيق : محمد أبو الفضل ابراهيم ، المكتبة العصرية، صيدا ، بيروت ، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م. : ٤٩/٢ ، الإيضاح : ١١٨ ، مفتاح العلوم : ٢٨٨ ، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح ، عبد المتعالي الصعيدي ، مطبعة محمد علي صبيح وأولاده ، ط٨ ، ١٩٧٣م : ٢ /٣ ، مدخل إلى البلاغة العربية ، يوسف مسلم أبو العدوس ، دار الميسرة ، عمان ، الأردن ، ط١ ، ٢٠٠٧ م : ١١٢ ، علم المعاني ، درويش النجدي ، مطبعة الرسالة ، مصر ، ط٢ ، ١٩٦٢م : ١٢٧ ، تهذيب البلاغة في تلخيص مختصر المعاني لسعد الدين التفتازاني ، علي عرب خراساني ، مركز المصطفى العالمي للترجمة والنشر ، قم المقدسة، ط١، ١٤٣٢ هـ : ٨١ .

[2]) مفتاح العلوم: ٤٠٠.

[3]) يُنظر : معترك الأقران في إعجاز القرآن ، أبو الفضل جلال الدين السيوطي ت(٩١١هـ) ، ضبطه وصححه وكتب فهارسه: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م : ١٣٦/١ ، أصول الفقه ، الشيخ محمد رضا المظفر ، إسماعيليان ، قم ، إيران ، ط١٠ ، ١٤٢١هـ : ١ /١١١ ، علم المعاني ودلالات الأمر في القرآن الكريم دراسة بلاغية ، د. مختار عطية، دار الوفاء للطباعة والنشر، الإسكندرية، جمهورية مصر العربية، ٢٠٠٤م : ١٤١ .

- **أركان جملة القصْر**

أشار البلاغيون إلى أركان جملة القصر ، إذ لا تخرج هذه الجملة عن الأركان المشروطة للقصْرِ ، وهي :

١. المقصور : ويقصد به (الشيء المخصص) .

٢. المقصور عليه : ويُقصد به (الشيء المخصص به) .

٣. أداة القصر : أدوات يُعرف بها مثل : [إنَّما][١] .

- **طرق القَصْر**

للقَصْر طرق لابدَّ من توافر أحدها ليَتمَّ الحكم على الجملة بأنّها تنتمي إلى القصْر، وهذه الطرق تؤدي فائدة خاصَّة ؛ حيث توجز الكلام وتقدّم المعنى باختصار لا على نحو التطويل ؛ كأنْ يكون ((بجملة واحدة بدلاً من جملتين ويمكَّن الكلام ويقرره في الذهن، وينفي عن الذهن كل إنكار وشك))[٢] ، والطرق هي :

١. الجملة التي تشتمل على النفي والاستثناء في سياق واحد .

٢. الجملة التي تتصدرها الأداة (إنَّما) : وهي الأداة الخاصَّة بالقصْر ، وتُعدُّ أمَّ الباب.

٣. القصْر بالعطف بـ(بل ، لا ، لكن) .

---

[١] يُنظر : مدخل إلى البلاغة العربية ، يوسف مسلم أبو العدوس ، دار الميسرة ، عمان ، الأردن، ط١ ، ٢٠٠٧ م : ١١٢ ، التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني ، د. عبد الفتاح لاشين ، دار المريخ ، الرياض ، د.ط ، ١٩٨٠م : ١١٢.

[٢] قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم ، د. سناء حميد البياتي، دار وائل للنشر، الاردن (عمان) ، ط١، ٢٠٠٣م : ٤٠٠ .

٤. تقديم ما حقَّه التأخير([1]) .

أمَّا الأخير ؛ فهو ليس من طرق القصر وإنَّما تقديم اللفظ أفاد القَصْر ، إلّا أنَّ البلاغيين ذكروا ذلك في مصنفاتهم ، وقد أوضحنا مفهوم العبارة (تقديم ما حقَّه التأخير) ولا سبيل لذكرها هنا .

- **القَصْرُ في شروح الزيارة الجامعة الكبيرة**

ورد القَصْر في شروح الزيارة الجامعة الكبيرة بصيغتين :

١. النفي والاستثناء : عالج شارحو الزيارة الجامعة الكبيرة (القَصْر) في شروحهم ؛ إلَّا أنَّهم تبعوا الأُصوليين في مفهوم المصطلح ؛ فقد أشاروا إليه بعنوان (الحصْر) ، كما جاء في شرحهم لقول الإمام الهادي (عليه السلام) : ((**وَحَفَظَةِ سِرِّ اللهِ**))، يورد الأحسائي في شرح هذه الفقرة قولاً للإمام الصادق (عليه السلام) وهو : ((**حَدِيثُنَا صَعْبٌ مُسْتَصْعَبٌ لَا يُؤْمِنُ بِهِ إِلَّا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ أَوْ نَبِيٌّ مُرْسَلٌ أَوْ عَبْدٌ امْتَحَنَ اللَّهُ قَلْبَهُ لِلْإِيمَانِ فَمَا عَرَفَتْ قُلُوبُكُمْ فَخُذُوهُ وَ مَا أَنْكَرَتْ فَرُدُّوهُ إِلَيْنَا**))([2]) ، قال الأحسائي : ((... أقول و هذا أيضاً قسم من أحاديثهم و لم يكن عدم الاحتمال محصوراً فيه و إنّما ذكره (عليه السلام) بصورة الحصر لأنّه عني هذا القسم الخاصّ و الّا فكون بعض أحاديثهم مما لايحتمله غيرهم مما لا شكّ فيه ...))([3]) ، ولعلَّ الحصر هنا أفاد بيان قبولها احتمالية استيعاب حديث العترة الطاهرة ، أمَّا الناس فمنهم من لم يستطع إدراك مثل هذه الأحاديث التي يكون قابلياتهم فقيرة لتقبلها ، وبعض

---

[1]) ينظر : الإيضاح : ٧٢؛ علوم البلاغة البيان والمعاني والبديع ، أحمد مصطفى المراغي بك، المكتبة العربية ومطبعتها ، مصر، ط٣، (د.ت) : ١٥٦-١٥٧.

[2]) بصائر الدرجات : ٢١/١ .

[3]) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، للأحسائي : ١٧٣/١ .

الأحاديث حصرها أهل البيت (عليهم السلام) فيهم لعدم قابلية الأصناف المذكورة لهذه الحالات التي يتمتع بها أهل البيت (عليهم السلام) .

وجاء أيضاً في شرح قول الإمام الهادي (عليه السلام) : ((وَخُزَّانَ العِلْمِ))([1]) ، عند الهمداني ؛ فقد ورد في شرح هذه الفقرة قوله تعالى : ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾{الأنعام/٥٩} ، يقول الهمداني : ((... فالتعبير بـ﴿وَعِندَهُ﴾ للدلالة على إحاطة اسمه المستأثر بها ، وبقوله ﴿لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾ الدالة على انحصار تشخيص تلك المفاتيح في المستقبل به تعالى ، المستلزم عدم تشخيصها بعد الدلالة على حدوث المعلومات مع إحاطة العلم بها.))([2]) ، فيذهب إلى مفهوم التأكيد على انحصار تشخيص مفاتيح الغيب ، وهنا الغيب المستأثر الوارد في الروايات التي تنص على استئثار الله تعالى بعلم من أصل ثلاثة وسبعين ، فهذا التأكيد على الحصر في هذا المورد .

ومن موارد الحصر في شروح الزيارة الجامعة الكبيرة ، ما جاء في شرح قول الإمام الهادي (عليه السلام) : ((اَلسَّلامُ عَلى مَحالِّ مَعْرِفَةِ اللهِ))([3])، ففي شرح هذه الفقرة المباركة ؛ ذكر الميلاني قول الإمام الحسين الشهيد (عليه السلام) بقوله : ((...((**ما خلق الله العباد إلَّا ليعرفوه**)) وعبارته دالَّة على الحصر، ظاهر كون

---

[1]) الشموس الطالعة من مشارق الزيارة الجامعة ، الهمداني : ١٢٤ .
[2]) المصدر نفسه : ١٢٤ .
[3]) مع الأئمة الهداة ، للميلاني : ١٨٣.

العبادة فرع المعرفة ... ومن الواضح كلما زادت المعرفة زادت العبادة والطاعة))([1])، حيث أنّ المعرفة مخُ العبادة ، لذلك مَن عرف الله تعالى أدنى معرفة ؛ عبده دون تردد، إلى هذا المعنى أشار أبو الشهداء (عليه السلام) ، ولا معرفة لله إلا بسبيلهم ومن طريقهم .

٢. **القصْر بالأداة (إنَّما)** : جاء القصْر بالأداة في مواضع متعددة من الشروح ؛ كما جاء في شرح قول الإمام الهادي (عليه السلام) : ((**وَأَوْلِيَاءَ النِّعَمِ**))([2]) ، استشهد الهمداني بقوله تعالى : ﴿**إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ**﴾ **{المائدة/٥٥}** ، يقول الهمداني في شرحه : ((... ففي الآية الشريفة حيث خصَّ الله الولاية بالله والرسول والذين آمنوا إشارة إلى المراتب الثلاثة التي للرسالة في عالم الشهادة ، وهي مرتبة المعلومية التي هي مرتبة المفاتيح التي ليست قابلة للإشارة الوجودية إلا في عالم الإلهي ومرتبة الوجود المطلق وعالم الوجود النوري...))([3])، وهنا الحصر دلَّ على التخصيص في الولاية وانحصارها في هذه المراتب الثلاث ، وتخصيص الولاية دلَّ على توحيدها وسلخ ما سواها من ولاية العباد .

ومثلها جاء في شرح قول الإمام الهادي (عليه السلام) : ((**مَنْ أَتَاكُم نَجَا**))([4]) ، أورد الغزي في سياق شرح هذه الفقرة المباركة ؛ قوله تعالى : ﴿**قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ**

---

[1]) مع الأئمة الهداة ، للميلاني : ١٨٣ ، يُنظر : علل الشرائع ، محمد بن علي بن بابويه القمّي (الشيخ الصدوق) ت(٣٨١هـ) ، داوري ، قم ، ايران ، ط١ ، ١٤٢٧هـ : ٩/١ ، بحار الأنوار : ٣١٢/٥ .

[2]) الشموس الطالعة من مشارق الزيارة الجامعة ، الهمداني : ١٦٤ .

[3]) المصدر نفسه : ١٦٤ .

[4]) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، الغزي : ٧٨/٢ .

﴿الْمُتَّقِينَ﴾ {المائدة/٢٧} ، قال الغزي : ((﴿قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ إنما تفيد الحصر، التقبل من المتقين [،] والمتقون هم الذين إمامهم إمام المتقين –عليٌّ صلوات الله وسلامه عليه.))([1]) ، فقد حصر الله تعالى قبوله من المتقين دون غيرهم ، وقد عمَّم الغزي مفهوم المتقين ليشمل كل المتقين من آدم إلى قيام الساعة وشخَّص إمامهم في جميع العوالم وهو إمام المتقين ويعسوب المسلمين أمير المؤمنين (عليه السلام) ، وهو كذلك؛ أنَّ البحث يميل إلى هذا المعنى كما أكدت الروايات المباركة في عرض إمامته (عليه السلام) على جميع الأنبياء (عليهم السلام) وجميع الخلق ومَن قَبِلَها كان من المتقين وكان عمله مقبولاً عند الله تعالى ، ومَن رفضها لا يُقيم الله له وزناً .

وكذلك ما جاء في سياق شرح قول الإمام الهادي (عليه السلام) : ((**السَّلَامُ عَلَى أَئِمَّةِ الهُدَى**))([2]) ، ذكر الميلاني في شرحه لهذه الفقرة المباركة ؛ قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ {الرعد/٧} ، يقول الميلاني : ((...حيث جاء فيها كلمة (**إنَّما**) الدَّالة على الحصر ، ووقع فيها المقابلة بين (الإنذار) وهو يُلازم إرائة الطريق فقط و(الهداية)...

فإنَّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) . لمَّا نزلت الآية . وضع يده على صدره وقال: ((**أَنَا المُنْذِرُ ، وَلِكلِّ قَوْمٍ هَادٍ** ، وأومأ بيده إلى منكب عليٍّ (عليه السلام) فقال: **أَنْتَ الهَادِي يا عليُّ ، بِكَ يَهْتَدِي المُهْتَدُونَ بَعْدِي**))))([3]) ، فإشارة الشارح إلى الآية

---

[1]) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، الغزي : ٧٨/٢ .

[2]) مع الأئمة الهداة ، الميلاني : ١٥٢

[3]) المصدر نفسه : ١٥٢ ، والحديث وارد في : تفسير القمي ، علي بن إبراهيم القمي ت(القرن الثالث الهجري) ، دار الكتاب ، قم ، ايران ، ط٣ ، ١٤٠٤هـ : ٣٥٩/١ ، الكافي :١/ ١٩٢ ، بصائر الدرجات : ٢٩/١ ، الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، جلال الدين السيوطي

والرواية لتأكيد الهداية بهم (عليهم السلام) ولا يشترك بها معهم أحد ؛ لأنَّها محصورة فيهم ، وقول الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) قوله المذكور والتأكيد بالإشارة إلى الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) ؛ دليل على حصرها به من دون غيره من الصحابة .

ثمَّةَ دليل آخر إلى حصر الهداية في أمير المؤمنين (عليه السلام) ؛ قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) للصحابي الجليل عمار بن ياسر (رضوان الله تعالى عليه) : ((**يَا عَمَّارُ إِنَّهُ سَيَكُونُ مِنْ بَعْدِي فِي أُمَّتِي هَنَاتٌ حَتَّى يَخْتَلِفَ السَّيْفُ فِيمَا بَيْنَهُمْ وَ حَتَّى يَقْتُلَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً وَ حَتَّى يَبْرَأَ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ فَإِذَا رَأَيْتَ ذَلِكَ فَعَلَيْكَ بِهَذَا الْأَصْلَعِ عَنْ يَمِينِي، يَعْنِي** [عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ] **فَإِنْ سَلَكَ النَّاسُ وَادِياً وَسَلَكَ عَلِيٌّ، وَادِياً فَاسْلُكْ وَادِيَ عَلِيٍّ وَ خَلِّ عَنْ النَّاسِ. يَا عَمَّارُ إِنَّ عَلِيّاً لَا يَرُدُّكَ عَنْ هُدًى، وَ لَا يَدُلُّكَ عَلَى رَدًى. يَا عَمَّارُ طَاعَةُ عَلِيٍّ طَاعَتِي، وَ طَاعَتِي طَاعَةُ اللَّهِ عَزَّ وَ جَل**))([1]) ، وأيُّ هدى في غيره (عليه السلام) ؟! ، لذا أشارَ الميلاني إلى الآية والرواية للتأكيد على حصر الهداية في أئمة الهدى (عليهم السلام) .

أمَّا قول الميلاني : ((ووقع فيها المقابلة بين (الإنذار) وهو يُلازم إرائة الطريق فقط و(الهداية)) فلا يقصد فيها المقابلة البلاغية ؛ لأنَّه لا يُوجد تقابل بلاغي بين الهداية والإنذار ، وإنَّما يقصد التقابل الجهوي ؛ فأحدهما منذر والآخر هادٍ ولا تنافي

ت(٩١١هـ) ، تحقيق : عبد الله بن عبد المحسن التركي ، مركز هجر للبحوث والدراسات ، القاهرة ، ط١، ٢٠٠٣ م : ٤/٤٥ ، وغيرها من المصادر .

[1]) الأربعون حديثا عن أربعين شيخا من أربعين صحابيا في فضائل الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) ، منتجب الدين، علي بن عبيد الله بن بابويه الرازي ت(٥٨٥هـ) ، مدرسة الإمام المهدي عجّل الله تعالى فرجة الشريف ، قم ، ايران ، ط١ ، ١٤٠٨هـ : ٦٠ .

في الممازجة بين المعنيين ، في حين التقابل البلاغي يُوكد تنافي الممازجة ، فالمقابلة البلاغية بين لفظينِ ؛ هو وقوعهما على خطينِ متوازيين لا يلتقيانِ .

فضلاً عن ذلك ؛ جاء الحصر في شرح قول الإمام الهادي (عليه السلام) : ((وَأُوْلِي الأَمْر))([1]) ، ففي شرح هذه الفقرة المباركة استشهد الصدر في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ {المائدة/٥٥} ، وقال الصدر : ((فهم أصحاب ولاية الأمر المقترنة ولا يتهم مع ولاية الله والرسول ، بل إنحصرت بهم الولاية العظمى في قوله عزّ إسمه : ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾))([2]) .

أشار الشارح من طرف خفي إلى أنَّ الولاية الواردة في الآية المباركة قد شملت الأئمة مع أبيهم أمير المؤمنين (صلوات ربي وسلامه عليهم أجمعين) ، وجعلها من المسلمات ، لأنَّ ذلك جاء ((عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ- **﴿إِنَّما وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا** قَالَ : **إِنَّمَا يَعْنِي أَوْلَى بِكُمْ أَيْ أَحَقُّ بِكُمْ وَ بِأُمُورِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ وَ أَمْوَالِكُمْ ﴿ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ يَعْنِي عَلِيّاً وَ أَوْلَادَهُ الْأَئِمَّةَ عليهم السلام إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ وَصَفَهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ فَقَالَ ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكاةَ وَ هُمْ راكِعُونَ﴾ وَ كَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام فِي صَلَاةِ الظُّهْرِ وَ قَدْ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ وَ هُوَ رَاكِعٌ وَ عَلَيْهِ حُلَّةٌ قِيمَتُهَا أَلْفُ دِينَارٍ وَ كَانَ النَّبِيُّ صلى اللهُ عليهِ وآلهِ كَسَاهُ إِيَّاهَا وَ كَانَ النَّجَاشِيُّ أَهْدَاهَا لَهُ فَجَاءَ سَائِلٌ فَقَالَ السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا وَلِيَّ اللَّهِ وَ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ تَصَدَّقْ عَلَى مِسْكِينٍ فَطَرَحَ الْحُلَّةَ إِلَيْهِ وَ أَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَيْهِ أَنِ**

---

[1]) في رحاب الزيارة الجامعة ، الصدر : ١٩٩ .

[2]) المصدر نفسه : ١٩٩ .

احْمِلْهَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ فِيهِ هَذِهِ الْآيَةَ وَ صَيَّرَ نِعْمَةَ أَوْلَادِهِ بِنِعْمَتِهِ فَكُلُّ مَنْ بَلَغَ مِنْ أَوْلَادِهِ مَبْلَغَ الْإِمَامَةِ يَكُونُ بِهَذِهِ الصِّفَةِ مِثْلَهُ فَيَتَصَدَّقُونَ وَ هُمْ راكِعُونَ وَ السَّائِلُ الَّذِي سَأَلَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عليهِ السلام مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَ الَّذِينَ يَسْأَلُونَ الْأَئِمَّةَ مِنْ أَوْلَادِهِ يَكُونُونَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ.))[1] ، والأئمة جميعاً من ولد أميرِ المؤمنينَ (صلوات الله عليهم أجمعين) دخلوا في مضمون الولاية التي حصرها الله تعالى به وبرسوله وبأمير المؤمنينَ ، وقد أدخلهم الله عزّ وجلَّ في هذه الآية قبل أن يُولدوا ويوجدوا في الوجود الدنيوي وعالم الملك ، وهو استشراف من الله تعالى وأمرٌ منه لهم بأن يؤدوا الزكاة وهم راكعون، فجاءت الآية المباركة بصيغة الجمع كي يدخلوا مع أبيهم (صلوات الله عليهم) في الولاية الكلية ولو بعد النزول بعشرات السنين ، فالحصر جاء للبيان والتوكيد .

والشارح استشهد بالآية المباركة مرة أُخرى في ذيل شرحه لقول الإمام الهادي (عليه السلام) : ((**وَاَشْهَدُ اَنَّكُمُ الأئِمَّةُ الرّاشِدُونَ**))[2] ، يقول الصدر بعد أن يذكر الآية المباركة : ((...وهذه الآية صريحة في إنحصار الولاية بمن إشتملت عليه دون غيرهم بواسطة كلمة (إنّما) المفيدة للحصر))[3] ، وهنا الحصر للبيان والتوكيد كما ذكرنا.

---

[1]) الكافي : ٢٨٩/١ .

[2]) في رحاب الزيارة الجامعة الكبيرة ، الصدر : ٢٣٢ .

[3]) المصدر نفسه : ٢٣٢ .

المطلب الثالث

التعريف والتنكير

أقسامهما ، أغراضهما البلاغية

هما من الموضوعات التي عنى بدراستها البلاغيون والنحويون معاً ، إذ اتصلت دراستهما بيان أحوال المسند والمسند إليه ، فالنحويون بالغوا بالعناية في دراستهما من ناحية الإعراب وتوضيح الموقع الإعرابي الذي يرد أحدهما فيه ، وهو دراسة شكلية للجملة ، وغاص البلاغيون في تفصيلات هذا الموضوع ؛ متوغلين في دراسة أغراضهما وتبيين أسرارهما البلاغية ، والذي يهمنا ههنا هو البحث البلاغي للتعريف والتنكير ، فسيكون البحث فيهما بوساطة محورين ؛ **المحور الأول** : يُعنى بالتعريف حدُّه وأقسامه وأغراضه البلاغية ؛ و**المحور الثاني**: التنكير حدَّه وأقسامه وأغراضه البلاغية.

المحور الأوَّل

التعريف

حدُّه ، أقسامه ، أغراضه البلاغية في شروح الزيارة الجامعة الكبيرة

في اللغة : أشار أهل اللغة إلى مفهوم التعريف بالدلالة المركزية وبيان حدِّهِ العام؛ قال ابن فارس ت(٣٩٥هـ) : ((العين والراء والفاء أصلان صحيحان ، يدل أحدهما على تتابع الشيء متصلا بعضه ببعض ، والآخر على السكون والطمأنينة ..... فالأول العُرْفُ : عُرفُ الفرس ، وسميَّ بذلك لتتابع الشعر عليه ، ..... والأصل الآخر : المعرفة والعرفان ، تقول : عرف فلانٌ فلاناً عِرْفاناً ومعرفةً))([1]) ، أي :

[1]) مقاييس اللغة : مقاييس اللغة مادة (عرف): ٤ /٢٨١ ، يُنظر : المعجم القرآني: ٢/٧١٦.

يعني الإعلام بعد الجهل بالشيء للاطمئنان في معرفته ، والدلالة على الشيء ذاته لا تتعدى معرفته إلى غيره.

في الإصطلاح : أشار البلاغيون إلى حدِّ التعريف في الاصطلاح ، حيث عرَّفه السكاكي ت(٦٢٦هـ): بأنَّه ((الحالة التي تقتضي تعريفه : فهي إذا كان المقصود من الكلام إفادة السامع فائدة يعتد بها))([1]) ، في حين أنَّ القزويني ت(٧٣٩هـ) عرَّفه بتعريف ذي معنى أدق ووضوح أرقّ ، فيقول ((وأما تعريفه لتكون الفائدة أتم ؛ لأن احتمال تحقق الحكم متى كان أبعد كانت الفائدة في الإعلام به أقوى ،ومتى كانت أقرب كانت أضعف، وبعده بحسب تخصيص المسند إليه ، والمسند كلما ازداد تخصيصاً ازداد الحكم بعداً ، وكلما ازداد عموماً ازداد الحكم قرباً))([2]) واختصر العلوي ت(٧٤٩هـ) هذه المعاني في قوله : هو ((ما دلَّ على شيء بعينه))([3]) ، فمن هذا يتَّضح لنا أنَّ التعريف لا يشتمل على أوسع من اللفظ ، إلّا أنّ الأغراض البلاغية فيها ما يشمل العموم بطريقة التعريف كما ورد ذلك في تفسير قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾{النساء/١٣٦}

.

---

[1]) مفتاح العلوم : ١٧٨ .

[2]) التلخيص : ٥٧ .

[3]) الطراز : ٢ /١٤ ، ويُنظر : جوهر الكنز (تلخيص كنز البراعة في أدوات ذوي البراعة)، نجم الدين احمد بن إسماعيل ابن الأثير الحلبي ت(٧٣٧هـ)، تحقيق: د. محمد زغلول سلام، الناشر: منشأة المعارف بالإسكندرية، د.ت: ٢٨٨ ، الفوائد الغياثية في علوم البلاغة ، للعلامة عضد الدين الايجي ت(٧٥٦هـ) ، تحقيق : عاشق حسين الناشرون، دار الكتاب اللبناني ، بيروت، الطبعة الأولى ، ١٩٩١م : ١١٦ ، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها : ٢ /٢٨٢ .

قال الفخر الرازي ت(٦٠٦هـ) في تفسير الآية المباركة : ((إِنَّ الْمُخَاطَبِينَ بِقَوْلِهِ آمَنُوا لَيْسَ هُمُ الْمُسْلِمُونَ، وَفِي تَفْسِيرِ الْآيَةِ تَفْرِيعًا عَلَى هَذَا الْقَوْلِ وُجُوهٌ :

الْأَوَّلُ : أَنَّ الْخِطَابَ مَعَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، وَالتَّقْدِيرُ: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا بِمُوسَى وَالتَّوْرَاةِ وَعِيسَى وَالْإِنْجِيلِ آمِنُوا بِمُحَمَّدٍ وَالْقُرْآنِ.

وَثَانِيهَا : أَنَّ الْخِطَابَ مَعَ الْمُنَافِقِينَ، وَالتَّقْدِيرُ: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللِّسَانِ آمِنُوا بِالْقَلْبِ، وَيَتَأَكَّدُ هَذَا بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الْمَائِدَة: ٤١].

وَثَالِثُهَا : أَنَّهُ خِطَابٌ مَعَ الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَكَفَرُوا آخِرَهُ، وَالتَّقْدِيرُ: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ آمِنُوا أَيْضًا آخِرَهُ.

وَرَابِعُهَا : أَنَّهُ خِطَابٌ لِلْمُشْرِكِينَ تَقْدِيرُهُ: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّاتِ وَالْعُزَّى آمِنُوا بِاللَّهِ، وَأَكْثَرُ الْعُلَمَاءِ رَجَّحُوا الْقَوْلَ الْأَوَّلَ ؛ لِأَنَّ لَفْظَ الْمُؤْمِنِ لَا يَتَنَاوَلُ عِنْدَ الْإِطْلَاقِ إِلَّا الْمُسْلِمِينَ.))([1]) ، وكذلك تفسير المركب الإضافي (أهل البيت) لم يخصّ من يوجد

---

[1]) التفسير الكبير المسمى(مفاتيح الغيب)، فخر الدين محمد بن عمر الرازي ت(٦٠٦هـ)، دار احياء التراث العربي ، ط٣، ١٤٢٠هـ : ٢٤٢/١١ ، يُنظر : التبيان في تفسير القرآن ، أبو جعفر محمد بن الحسن نصير الدين الطوسي ت(٤٦٠هـ) ، تحقيق: أحمد حبيب قصير العاملي ، مكتب الإسلام الإعلامي ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٩م : ٣٥٦/٣ ، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل، جار الله الزمخشري ت(٥٣٨هـ) ، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود ، علي محمد عوض ، مكتبة العبيكان ، الرياض ، ط١ ، ١٩٩٨م : ٥٧٥/١ ، مجمع البيان في تفسير القرآن ، الشيخ أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي ت(٥٤٨هـ)، تحقيق : لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين ، قدم له : السيد محسن الأمين العاملي (مؤلف كتاب الغدير) ،مؤسسة الأعلمي ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م : ١٩٠/٣ ، البحر المحيط: محمد بن يوسف (أبو حيان الأندلسي) ت(٧٤٥هـ)، دراسة وتحقيق وتعليق: الشيخ عادل احمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض ، (دار الكتب العلمية)، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م : ٩٧/٤ .

في البيت بل خرج من بيت نساء النبي إلى بيت أمير المؤمنين (صلوات الله عليهم) ، فلم يكن التعريف منحصراً في بيان المؤمنين دون غيرهم في الآية التي ذكرناها ، وغيرها من الآيات المباركة التي جاء فيها التعريف والمراد به العموم ، وأكثر ذلك جاء في تفسير ﴿يا أَيُّهَا الذِيْنَ آمَنُوْا﴾ لتشمل المؤمنين وغيرهم ، ولسنا بصدد التوسع في ذلك ؛ وما ذكرناه على سبيل التمثيل لا الحصر، فالدلالة البلاغية للتعريف أوسع مما جاء به البلاغيون ، وممكن أن نقول : التعريف يأتي للتعيين ويأتي للعموم .

- **حدُّ التعريف في شروح الزيارة الجامعة الكبيرة**

ذكر الشارحون حد التعريف في شروحهم ، فقال الهمداني في شرحه لقول الإمام الهادي (عليه السلام) : ((**إلاّ عَرَّفَهُمْ جَلالَةَ أَمْرِكُمْ**))([1]) ، قال : ((حقيقة التعريف تمييز الشيء بما لا يشتبه بغيره))([2]) ، ونقل هذا التعريف ؛ الصدر في شرحه لهذه الفقرة المباركة([3]) وهذا التعريف أقرب من التعيين والتخصيص ، الذي ذهب إليه البلاغيون، وهو توضيح المبهم، فهذا التعريف جامع شامل لمفهوم التعريف.

- **أقسام التعريف**

جاء بيان تقسيم التعريف وفق موضوعات أشار إليها الدارسون في بواكير البحث في موضوعات القرآن الكريم ؛ وقد أشارإلى ذلك الزملكاني ت(٦٥١هـ) بقوله : ((وأقسام المعرفة المضمر ، والعلم، وأسم الإشارة ، والاسم الموصول ، والمعرَّف

---

[1]) الشموس الطالعة من مشارق الزيارة الجامعة ، الهمداني : ٥٥٨ .

[2]) المصدر نفسه : ٥٥٨ .

[3]) يُنظر : في رحاب الزيارة الجامعة الكبيرة ، الصدر : ٤٧١ .

بالألف واللام ، والمضاف إلى واحد إضافة معنوية))([1]) ، وتبعه النحويون و البلاغيون المحدثون وتوسعوا فيه([2]) .

- **الأغراض البلاغية التي أفادها التعريف في شروح الزيارة الجامعة الكبيرة**

ورد التعريف في شروح الزيارة الجامعة الكبيرة ؛ بأغراض متعددة بتعدد السياقات الوارد فيها ، وهي كما سيأتي :

١. **الاختصاص** : من ذلك ما جاء في شرح الإمام الهادي (عليه السلام) : ((**اَلسَّلامُ عَلى اَئِمَّةِ الْهُدى**))([3])، يوضح الأحسائي إضافة الأئمة إلى الهدى ؛ بقوله : ((والحاصل الذي تقتضيه الأدلّة أنّهم مهديّون من الله سبحانه وهم ﴿**لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ**﴾ وأنّهم هادون بالله إلى الله سبحانه فيوصلون إلى المطلوب وإلى ما يوصل إلى المطلوب بل هم المطلوب و المطلوب ثوابهم و ظاهر إضافة الأئمة إلى الهدى الاختصاص والواقع كذلك لأنَّهم مع الحق والحق معهم وفيهم وبهم ومنهم ولهم فلا يفارقهم الهدى ولا يفارقونه فافهم ما أجملنا لك فقد جمعتُ في هذه الكلمات تفسير الظاهر والباطن وباطن الباطن وليس طلب أزيد من هذا.))([4]) ، أي أريد من

---

[1]) البرهان الكاشف عن اعجاز القرآن ، عبد الواحد بن عبد الكريم الزملكاني ت(٦٥١هـ) ، تحقيق : د. أحمد مطلوب، د. خديجة الحديثي ، مطبعة العاني ، بغداد ، ط١ ، ١٩٧٤م : ١٣٣ .

[2]) يُنظر : علم المعاني (دراسة تاريخية لاصول البلاغة ومسائل البيان)، د. بسيوني عبد الفتاح فيود، دار الامين للطباعة، القاهرة، ط٢، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م : ١ /٩٦ ، علوم البلاغة (البيان والمعاني والبديع)، احمد مصطفى المراغي، راجعه واشرف على تصحيحه أبو الوفا مصطفى المراغي، المكتبة المحمودية التجارية، مصر، ط٥ ، د.ت : ١٢٥.

[3]) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، الأحسائي : ١٢٥/١ .

[4]) المصدر نفسه : ١٢٥/١ .

التعريف بالإضافة بيان تخصيصهم بالهدى ، من سار مع غيرهم فلا هديَ في سيره؛ لأنَّ الله جعل طريقه الحقَّ من خلالهم .

ومثل هذا أشار الأحسائي إلى التخصيص في سياق التعريف في شرحه لقول الإمام الهادي (عليه السلام) : ((**وَالأَدِلاَّءِ عَلى مَرْضاة اللهِ**))([1])، أستشهد الاحسائي في شرحه لهذه الفقرة المباركة بقوله تعالى : ﴿**وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا**﴾ {**الفرقان/٦٣**} ، إذ فسرها بالرواية فقال : ((عن محمد بن النعمان عن سلام قال سألتُ أبا جعفر (عليه السلام) عن قول الله عزّ و جلّ ﴿**وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا**﴾ قال [:]((**هُمُ الأَوْصِيَاءُ مِنْ مَخَافَةِ عَدُوِّهِم**))، ومعني قوله عباد الرحمن هذه (هذا) تخصيص و تشريف و المراد أفاضل عباده الذين يمشون على الأرض هوناً أي بالسكينة و الوقار و الطاعة غير أَشِرِينَ و لا مَرحين و لا متكبّرين و لا مفسدين))([2]) ، فهنا خصَّ الله تعالى الذين يمشون على الأرض هوناً هم العباد المخلَصون ، وهذه هي صفة من صفات محمد وآل محمد (صلوات الله عليهم أجمعين)، ونجد السيد رضا الهندي يقول في كوثريته الشهيرة : [من المتدارك]

آياتُ جلالكَ لا تُحصى وصفاتُ كمالكَ لا تُحصر([3])

وهم كذلك لا يمكن إحصاء فضلهم أو حصر كمالاتهم ، والشاعر جاء في هذا البيت لبيان الإعجاز وعدم التمكن من معرفتهم إلّا بوساطتهم .

---

[1]) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، الأحسائي : ١٩٦/١ .

[2]) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، الأحسائي : ١٩٦/١ .

[3]) ديوان السيد رضا الموسوي الهندي ، جمعه : السيد موسى الموسوي ، مؤسسة الثقلين ، دمشق، سوريا ، ط٢ ، ٢٠٠٨م :٢٢ .

٢. العموم : ورد التعريف في سياقات دلَّ على العموم من ذلك ما جاء في شرح قول الإمام الهادي (عليه السلام) : ((**وَأُمَنَاءَ الرَّحْمنِ**))([١]) ، قال الهمداني في إضافة الأمناء للرحمن : ((الأمناء : جمع الأمين ، وفي إضافتها إلى الرحمن إشارة إلى أنَّهم (عليهم السلام) لا ينحصر علمهم وقدرتهم وإحسانهم وسائر صفاتهم فيما يتعلق بالمؤمنين خاصة، بل يعم جميع الخلق ؛ كما أنَّ الرحمة الرحمانية الإلهية تعمهم كافة ، فهم (عليهم السلام) مظاهر الرحمة الواسعة التي وسعت كلَّ شيء ، ولذا خُصّوا بعرض ولايتهم على جميع الخلق))([٢]) ، وفي هذا الاستدلال اتضح ما ذهبنا إليه في مفهوم التعريف ، فهنا اشتمل التعريف على العموم ولم يختص أو يُخصص التعريف بالجنس البشري بل عمَّ جميع الخلق ، وهو كذلك ، وإلى مثل قول الهمداني ذهب الميلاني في عموم واطلاق الإضافة في هذه الفقرة المباركة([٣]).

ومن السياقات التي جاء بها التعريف لغرض العموم ما جاء في شرح قول الإمام (عليه السلام) : ﴿**وَأَوْلِيَاءَ النِّعَمِ**﴾([٤]) ، قال الميلاني في تعريف (النعم) : ((فإنَّ الألف واللام في (النعم) للعموم ، فكل نعمة مادية أو معنوية ، ظاهرة أو باطنة ، صغيرة أو كبيرة، وكل ما له دخل في طيب الحياة وحسن الحال ، من الشمس والقمر والهواء ... وأعضاء البدن ، والمال ، والزوجة المطيعة ، وغير ذلك ، فإنَّ النبي وأهل بيته الطاهرين هم "الأولياء" لها ، ومن المعلوم أنَّ أفضل النعم . بعد الوجود . هو الإيمان والمعرفة...))([٥]) .

---

[١]) الشموس الطالعة من مشارق الزيارة الجامعة ، الهمداني : ٢١٧ .
[٢]) الشموس الطالعة من مشارق الزيارة الجامعة ، الهمداني: ٢١٧ .
[٣]) يُنظر : مع الأئمة الهداة : ١٣٩.١٣٨ .
[٤]) مع الأئمة الهداة ، الميلاني : ١٠٠ .
[٥]) المصدر نفسه : ١٠٠ .

وإلى مثل هذا أشار الميلاني للعموم في شرحه ﴿**وَعَنَاصِرَ الأَبْرَارِ**﴾([1]) أي: إنَّ الأبرار دلت فيها الألف واللام على العموم([2]) ، فالتعريف في هاتين الفقرتين أفاد غرض العموم ، وغير ذلك من الموارد التي دلَّ فيها التعريف على العموم في شروح الزيارة الجامعة الكبيرة([3]).

٣. **الاستيعاب** : يرد التعريف في سياقات يتضح من طريقها أنَّهُ يفيد الاستيعاب ، والفرق بين الاستيعاب والعموم ، هو أنّ الاستيعاب يدخل في دائرته الجنس ومثله فقط، أمَّا العموم يدخل فيه مجموعة أجناس مختلفة ، والاستيعاب جاء في سياق المعرفة كما جاء في شرح قول الإمام الهادي (عليه السلام) : ((**وَسُلاَلَةَ النَّبِيّينَ**))([4]) ، قال الغزّي : ((هنا ((**وَسُلاَلَةَ النَّبِيّينَ**)) ، النبيين جمع مذكر سالم محلى بالألف واللام ذلك يعني الاستيعاب، الجمع المذكر السالم المعرَّف بالألف واللام ذلك يعني أن المراد من قولنا النبيين يعني كل الأنبياء من أولهم إلى آخرهم وَسُلاَلَةَ النبيينَ يعني من آدم إلى محمدٍ صلى الله عليه وآله، فأهل البيت هم سلالة النبيين...))([5])، فهو يعتقد بنبوة آباء النبي (صلى الله عليه وآله) ، بيد أنَّنا لم نجد ما يُشير إلى ذلك بوساطة النقول الواردة عن أهل البيت (عليهم السلام) إلَّا الرواية الدالّة على أنّ عبد المطلب وأبا طالب (عليهما السلام) كانا من أوصياء نبي الله إبراهيم (عليه السلام) وقد دفع أبو طالب (عليه السلام) الوصايا إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) بعد

---

[1]) مع الأئمة الهداة ، الميلاني : ١٠٣ .

[2]) يُنظر : المصدر نفسه : ١٠٣.١٠٤ .

[3]) يُنظر : المصدر نفسه : ١١٨ ، في رحاب الزيارة الجامعة ، الصدر : ٥٧٥ ، شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، الغزي : ٧.٦/٢ .

[4]) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، الغزي : ٩٣/٢

[5]) المصدر نفسه : ٩٣/٢ .

البعثة([1])، وهذا لا يعني أنَّا وقفنا على كل ما روي عن أهل البيت (عليهم السلام) ولكن ما وقع في أيدينا لم نجد فيه ذلك . إذن : جاء التعريف في سياق أفاد الاستيعاب .

٤. **البيان والتوضيح** : ورد في سياق الشروح الخاصة في سياقات الزيارة الجامعة الكبيرة ؛ التعريف بالإضافة للبيان والتوضيح ، وهذا ما نجده في شرح قول الإمام الهادي (عليه السلام) : ((**وَنَشَرْتُمْ شَرائِعَ أَحْكَامِهِ**))([2])، قال الهمداني في إضافة الشرائع للأحكام : ((الشرائع ؛ جمع شريعة ، وهي مورد الناس للاستسقاء ، وإضافتها إلى الأحكام بيانيّة يعني بها الإلزامات والتروك التي جعلوها لكل شيء من مظاهر اسم الله والطاغوت ، لتكون تلك الإلزامات شرعة . أي طريقاً . للوصول إلى مرتبة اسم الله، وتلك التروك مبنيَّة لمراتب الطاغوت ليكون الفرد على بصيرة في سلوكه...))([3])، يبدو أنَّ التخصيص أقرب من البيان والتوضيح في مسألة التعريف بالإضافة ، حيث أن الأحكام لا يفصل في حدودها إلا أهل البيت (صلوات الله عليهم) وكان نشرهم هو الوحيد يرتقي إلى الصحة والقطع فيها .

٥. **الأفضلية** : يأتي التعريف ليدلَّ على الأفضلية بوساطة السياق الذي ورد فيه التعريف ، وهذا ما جاء في شرح قول الإمام الهادي (عليه السلام) : ((**وَعِتْرَةَ خِيَرَةِ رَبِّ الْعالَمينَ**))([4]) ، قال الهمداني في تعريف الخيرة بإضافتها لرب العالمين : ((...وفي إضافتها إلى رب العالمين دلالة جلية على أفضلية محمد (صلى الله عليه وآله) وعترته (عليهم السلام) على جميع المربوبين في جميع العالمين ، وإنَّما اختاره

---

[1]) يُنظر : بصائر الدرجات : ١٩١ ، بحار الأنوار : ١٤٢/١٧ .
[2]) الشموس الطالعة من مشارق الزيارة الجامعة ، للهمداني : ٤٤٧ .
[3]) الشموس الطالعة من مشارق الزيارة الجامعة ، الهمداني: ٤٤٧ .
[4]) المصدر نفسه : ٢٢٢ .

(صلى الله عليه وآله) من جميع المربوبين لقربه (صلى الله عليه وآله) به تعالى من حيث تنزه نوره (صلى الله عليه وآله) عن حدود جميع المربوبين وطهارة مبدئه من تمام مراتب المخلوقين ، لا يُسمَّى باسمٍ من الأسماء غير أنَّه (صلى الله عليه وآله) مربوبٌ وهو تعالى ربُّه ، وهو (صلى الله عليه وآله) مخلوقٌ ، وهو تعالى خالقه.))([1])، نعم : هنا اتضح المفضول من الفاضل في خلق الله تعالى ، إذ أضاف الإمام (عليه السلام) (الخيرة) إلى (ربّ العالمين) لبيان القرب وأفضليتهم على غيرهم.

ومثل هذا ؛ جاء في شرح قول الإمام (عليه السلام) : ((**وَصَفْوَةَ الْمُرْسَلِيْنَ**))([2])، قال الميلاني : ((إنَّ الأئمة (عليهم السلام) خلاصة المرسلين في جميع صفاتهم، ففيهم الصفات الحميدة والملكات الفاضلة التي تفرّقت في المرسلين وهم القائمون بوظائفهم والحافظون لشرائعهم والمروّجون لتعاليمهم من بعدهم ، ولعلَّ إلى هذا تشير إضافة كلمة (الصفوة) إلى (المرسلين).))([3]) ، فهم الخلاصة الخالصة التي خَلُصت عن المرسلين فكانت إضافتهم تُشير إلى فضلهم وفضيلتهم وأفضليتهم .

٦. **التشريف** : يأتي التعريف بالإضافة لبيان مرتبة الشرف أو لتشريف المذكور بالمضاف إليه كما ورد في شرح قول الإمام (عليه السلام) : ((**اَلسَّلامُ عَلَيْكُمْ يا اَهْلَ بَيْتِ النُّبُوَّةِ**))([4])، فالميلاني في شرحه لهذه الفقرة المباركة ؛ أورد قوله تعالى : ﴿**رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي**

---

[1]) المصدر نفسه : ٢٢٢ .

[2]) مع الأئمة الهداة ، الميلاني : ١٤٣.

[3]) المصدر نفسه : ١٤٣ ، وكذلك أكَّد على هذا المعنى في موضع آخر ؛ يُنظر : ١٤٥ .

[4]) المصدر نفسه: ٦٠ .

﴿إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ {إبراهيم/٣٧} ، ففي إضافة البيت إلى الله تعالى؛ قال الميلاني : ((فقد أضيفَ " البيت" إلى "الله" إضافة تشريفية ، ولا شكَّ أن المراد كون (الكعبة) محلاً لتوجه الناس لعبادة الله سبحانه، فعبادة الله ومعرفته والتضرع إليه مستقرّة في هذا المكان.))([1]) ، نعم : كلُّ شيء يتشرف بإضافته إلى الله تعالى، فتنبه الميلاني لهذه الإضافة فكان تعريفها لغرض التشريف ، مع ذلك أشار السياق إلى الاسترحام وطلب الاهتمام .

٧. **بيان حكم** : تحت هذا المركب تنضوي مجموعة من الأغراض وهي كالآتي :

أ . **بيان كمال المرتبة** : يأتي التعريف في سياقات نستلهم منها بيان كمال المرتبة التي يُلمِّح لها اللفظ المعرَّف ، وهذا ما نجده في شرح قول الإمام الهادي (عليه السلام) : ((**وَالتّامّينَ فى مَحَبَّةِ اللهِ**))([2]) ، قال الميلاني : ((ولعلّ السر في إضافة "المحبة" إلى لفظ الجلالة "الله" دون غيره من أسمائه عزَّ وجلَّ هو أنَّ لفظ الجلالة إسمٌ للذات المستجمعة لجميع صفات الكمال كما قال العلماء ، ولمّا كان الأئمة عليهم السلام هم " التامّين" في محبة المحبوب المستجمع لجميع صفات الكمال ، فإنَّه يقتضي أن تكون ذواتهم المقدَّسة في أعلى مراتب الكمال.))([3]) ، استنبط الشارح معنى علو المرتبة بوساطة القرائن الموجودة في سياق الفقرة ، فكانت لكلمة (الله) إشارة واضحة لكشف الغرض المراد من الإضافة ، ولو إضيفت هذه اللفظة . المحبة . إلى غير إسمٍ من أسماء الله الحسنى ؛ لدلَّت على غرض آخر ، وهذا ما أشرنا إليه سابقاً في أنّ القرائن وسياق الحال لهما الفضل في بيان الغرض البلاغي .

---

[1]) المصدر نفسه : ٦٠ .

[2]) مع الأئمة الهداة ، الميلاني : ٢٢٩ .

[3]) المصدر نفسه : ٢٢٩ .

وكذلك جاء في شرح قول الإمام الهادي (عليه السلام) : ((**وَأُصولَ الكَرَمِ**)) ، ذكر الغزّي في سياق شرح هذه الفقرة المباركة قوله تعالى : ﴿**اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ**﴾{**العلق/٣**}، قال الغزي : ((﴿**اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ**﴾ الأكرم هنا صيغة أفعل التفضيل ومعرفة بالألف واللام ﴿**اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ**﴾ أي لا كريم فوقه، الأكرم هو الذي صدر منه حقيقة الكرم، حقيقة الكرم أين تجلت هذه؟ ﴿**اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ**﴾ ربك هو الأكرم ومنه صدر الكرم..))([1])، فهنا أشار إلى المعنى اللغوي لهذه المفردة ، فالأكرم: هو الذي وصل إلى أعلى مراتب الكرم ، نعم : فلا أكرم منه ولا يصل إليه غيره .

ب . **بيان الاستمرار** : من مفاهيم بيان الحكم ؛ الإشارة إلى الاستمرارية ، وهذا ما نجده في شرح قول الإمام (عليه السلام) : ((**وَذُرِّيَّةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ**))([2])، قال الميلاني في بيان إضافة الذرية إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله): ((وفي إضافة " الذرية " إلى " الرسالة " إشارة إلى أنَّ الأئمة عليهم السلام هم السبب لبقاء وانتشار الرسالة المحمدية ، لأنّ الدين الإسلامي خاتمة الأديان ، وهو الدين الباقي إلى يوم القيامة ، والنبي صلى الله عليه وآله لم يُكتب له البقاء ، فلا بدَّ أن يكون للرسالة الإسلامية من حملة ينتشرون في البلاد ويبلغون الرسالة إلى الناس وقد عرِفت تقوّم لفظ " الذرية " بـ" الانتشار " فناسب أن يأتي هذا اللفظ دون الأولاد والأبناء ، وأن يكون مضافاً إلى " الرسالة " دون " النبوة " للفرق الواضح بينهما ، وهو أنّ : كل رسول نبي وليس كل نبي رسول))([3])، اعتمد الشارح في بيان المعنى

---

[1]) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، الغزي : ٢٣٣ .

[2]) مع الأئمة الهداة ، للميلاني : ١١٠.

[3]) المصدر نفسه : ١١٠.١١١ ، يُنظر : لسان العرب ، مادة (رسل) .

على اللغة ؛ وقام باستنباط الغرض البلاغي من طريقها ، فالرسالة الإلهية مستمرة ؛ لذا لابدَّ من وجود قيِّم عليها، فكان ذلك القيِّم هم آل محمد (صلوات الله عليهم أجمعين).

ج . **بيان السنخية أو الجزئية** : يرد في بيان الحكم ؛ بيان السنخية والجزئية بوساطة التعريف والإضافة ، وهذا ما نجده في شرح قول الإمام الهادي (عليه السلام) : ((**وَسُلَالَةَ النَّبِيّينَ**))([1]) ، يقول الميلاني : ((والظاهر أنَّ (اللام) في (النبيين) للعهد، لأنَّ عدة من النبيين هم آباء الأئمة الطاهرين لا كلهم ... لا يتوهم أفضلية النبيين من الأئمة ؛ ولا يتوهم كون النبيين أفضل من الأئمة لأنَّهم قد تولدوا منهم ...لوجوه:

الأوَّل : إنَّه قد تقرر في محله ؛ أنَّ الإنسان إنسان بروحه لا ببدنه ، وإنَّ البدن دائماً في خدمة الروح ، تستخدمه في مقاصدها ، وإن ثبت أنَّ البدن أيضاً يعاد في القيامة للحساب ، وأنَّ المعاد روحاني وجسماني معاً .. وعلى هذا ؛ فإنَّ الأفضلية ترجع إلى الروح وإن كان البدن المتعلقة به متولداً من المفضول .

والثاني : إنَّه لا ريب لأحد في أفضلية نبينا (صلى الله عليه وآله) من آبائه وسائر الأنبياء السابقين ، وأنَّهم وسائط لتولده لا يقتضي أفضليتهم منه ...

والثالث : إنَّه قد ثبت من آية المباهلة ، وهي قوله تعالى : ﴿**فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ**﴾{**آل عمران/٦١**} ، والمراد من "الأنفس" علي (عليه السلام) ، هو مساواة أمير المؤمنين للنبي في جميع فضائله ومناصبه إلا النبوة...

---

[1]) مع الأئمة الهداة ، الميلاني : ١٤١

والرابع : إنَّ مقتضى حديث النور المتفق عليه ، وهو قوله (صلى الله عليه وآله) في أحد ألفاظه : ((**كُنْتُ أَنَا وَعَلِيٌّ نُوْرَاً بَيْنَ يَدَيْ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ اللهُ آدَمَ بِأَرْبَعَةَ عَشَرَ أَلْفِ عَامٍ ، فَلَمَّا خَلَقَ الله آدَمَ قَسَمَ ذَلِكَ النُّوْرَ جُزْئَيْنِ ، فَجُزْءٌ أَنَا وَجُزْءٌ عَلِيٌّ ، فَلَمْ نَزَلْ فِيْ شَيءٍ وَاحِدٍ حَتَّى افْتَرَقْنَا فِيْ صُلْبِ عَبْدِ المُطَّلِبِ ، فَفِيَّ النُّبُوَّةُ وَفِيْ عَلِيٍّ الخِلَافَةُ**))...))([1])، فقد أفاد التعريف هنا ؛ العهد : وهو ما عُهد بالنبيين (عليهم السلام) فالأئمة الطاهرين المنتجبين (عليهم السلام) هم من سنخية النبيين وجزء منهم إلا أنّهم ليسوا بأنبياء كما دلّ على ذلك حديث المنزلة المبارك ، فاستلهم الشارح من الإضافة والتعريف بيان السنخية والجزئية، وإلى هذا يذهب الباحث أيضاً.

أضف إلى ذلك ؛ هو التقريع بالضد ببيان الشرفية لهم ، بوساطة ذكر هذا المركب لبيان مرتبة غيرهم .

وغير ذلك من الأغراض التي تندرج تحت مفهوم بيان الحكم ، إذ نقتصر على هذه الموارد خشية الإسهاب ، فما ذكرناه للتمثيل لا للحصر([2]) .

---

[1]) مع الأئمة الهداة ، الميلاني: ١٤١.١٤٢ .

[2]) يُنظر : مع الأئمة الهداة ، الميلاني : ١٨٦ .

المحور الثاني

التنكير

حدُّه ، فوائده البلاغية في شروح الزيارة الجامعة الكبيرة

عنى اللغويون بالتنكير كثيراً . نحويون وبلاغيّون على حدٍ سواء . وبحثوه بحثاً مفصَّلاً في القرآن الكريم والنصوص العربية ، وجاء الحدُّ عندهم :

في اللغة : أصل التنكير من نَكَرَ ، يَنْكُرُ ، نُكراً ، أو نُكراناَ أو تنكيراً ، و((النون والكاف والراء أصلٌ صحيح يدلُّ على خلاف المعرفة التي يسكن إليها القلب ، ونَكِرَ الشيء وأنكره : لم يقبلْه قلبه ولم يعترف به لسانه .... والإنكار خلاف الإعتراف))([1])، وكذلك هو: إخفاء شكل الشيء الأصلي من إطاره الخارجي ؛ ففي تغيير هيئته وملامحه يصل المتنكر إلى مبتغاه ، ويأتي في اللغة أيضاً بمعنى القباحة([2]) .

---

[1]) معجم مقاييس اللغة مادة (نكر) : ٥ /٤٧٦ ، يُنظر : المعجم القرآني : ٣ /٦٠٠.

[2]) يُنظر: المعجم القرآني : ٣ /٦٠٦ .

في الإصطلاح : اختزل السكاكي ت(٦٢٦هـ) حدَّ التنكير قديماً ؛ فكان عصارة الحد الذي جاء به القدماء ، ولم يخرج المحدثون عن هذا الحد إلى يومنا هذا ، قال السكاكي : ((وأما الحالة التي تقتضي تنكيره فهي : إذا كان المقام للإفراد شخصاً أو نوعاً ، كـ .... قوله تعالى : ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ﴾ [النور:٤٥] ، أي من نوع من الماء مختص بتلك الدابة ، أو من ماء مخصوص ، وهي : النطفة))([1]) ، وإلى هذا ذهب الزملكاني ت(٦٥١هـ) والقزويني ت(٧٣٩هـ) وابن الأثير ت(٧٣٧هـ) ، مذهبه([2]) ، فهو ((ما دلَّ على شيء لا بعينه))([3]) ، أو إلفات النظر إلى المعنى مهما يتغيَّر اللفظ ([4]) ، فهي غير محدودة الدلالة ، ((ولذلك فإنَّ النكرة تُثري التعبير التي ترد فيه بدلالات وأغراض بلاغية لا ترتقي في تأديتها المعارف))([5]) ، كما جاء عند العلوي ت(٧٤٩هـ) في الطراز اذ يرى أن التنكير أبلغ من التعريف في

---

[1]) مفتاح العلوم : ٢٨٦ـ ٢٨٧ .

[2]) يُنظر : البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن : ١٣٤ ، التلخيص : ٦٨ ، ١١٨ ، الإيضاح : ١٠٢ ، جوهر الكنز : ٢٨٨ .

[3]) التبيان في علم البيان المطلع على إعجاز القرآن ، كمال الدين عبد الواحد بن عبد الكريم الزملكاني ، تحقيق: د. أحمد مطلوب، ود. خديجة الحديثي، مطبعة العاني، بغداد، ١٣٨٣هـ-١٩٦٤م : ٥٠ ، البرهان الكاشف : ١٣٣ ، الطراز : ٢/ ٢٠٨ ، معجم المصطلحات البلاغية : ٢٨٢/٢ .

[4]) يُنظر : الفوائد الغياثية في علوم البلاغة ، عضد الدين الأيجي ت(٧٥٦هـ) ، تحقيق عاشق حسين ، دار الكتاب المصري ، القاهرة ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٩١م: ١١٦.

[5]) المباحث البلاغية في حاشية شيخ زادة على تفسير البيضاوي،(رسالة) ، سارة علي ناصر العامري، جامعة ذي قار ، التربية للعلوم الإنسانية، ٢٠١٢م :٩٢ .

تقرير المقاصد المعنوية([1]) ، ونفهم من هذا التعريف ؛ أنّ سبب التنكير هو الدعوة للبحث عن مفهوم الشيء المُنَكَّر .

- **فوائد التنكير البلاغية في شروح الزيارة الجامعة الكبيرة**

التنكير شأنه شأن الموضوعات الأخرى في البنية التركيبية البلاغية ؛ له أغراض بلاغية يُشير إليها من طريق السياقات التي يرد فيها وكذلك ؛ للقرائن ومقام الحال أثر بالغ في بيان الغرض البلاغي ، فمن هذه الأغراض التي جاءت في شروح الزيارة الجامعة الكبيرة :

١. **العموم** : أكثر الأغراض التي يفيدها ورود النكرة ؛ هو العموم ، ولهذا الغرض سياقات متعددة ، منها ما يأتي نكرة في سياق النفي فتفيد العموم ، كما ورد في شرح قول الإمام الهادي (عليه السلام) : ﴿**آتاكُمُ اللهُ ما لَمْ يُؤْتِ اَحَداً مِنَ الْعالَمينَ**﴾([2])، قال الصدر في تنكير (أحداً) : ((...وأحداً نكرة في سياق النفي ، فيفيد عموم كلّ أحد أيضاً. فأهل البيت وسيّدهم الرسول الأكرم سلام الله عليهم أعطاهم الله هذه العطايا الفضلى ، وتفضّل عليهم بهذه المنح العظمى ، لأنّهم المفضّلون على الخلق أجمعين، والمصطفون على العالمين. حيث إنّهم سبقوا جميع الخلق إلى طاعة الله ، وفاقوهم في التقرّب إلى الله من النشأة الأُولى إلى المراحل الأُخرى.))([3]) ، فقد تنبه الصدر إلى الغرض من تنكير مفردة (أحد) وأشار إليها لغويَّاً ، فهي نكرة في سياق النفي تفيد العموم .

---

[1]) يُنظر : الطراز : ٢ /٢٠٨.٢٠٩ .

[2]) في رحاب الزيارة الجامعة ، للصدر : ٥٧٥ .

[3]) المصدر نفسه : ٥٧٥ .

ومن ذلك ما ورد في شرح قول الإمام الهادي (عليه السلام) : ((**وَمَهْبِطَ الْوَحْيِ**))([1])، أورد الغزي في شرحه لهذه الفقرة ؛ قوله تعالى : ﴿**وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ**﴾ {الشورى/٥١}، ففي تنكير (لبشرٍ) قال الغزي : ((لبشرٍ نكرة منونة بشكل عام...))([2]) ، فالنكرة في سياق النفي تفيد العموم ، ولم يكن هذا دائماً ، فقد يرد غرض آخر في ذات السياق، وهذا خاضع للقرائن ومقام الحال.

٢. **القلّة** : يأتي سياق النكرة ليكشف إفادتها عن معنى القلَّة ، وهذا ما نجده في شرح قوله الإمام(عليه السلام) : ((**وَدَعَائِمَ الأَخْيَارِ**))([3]) ، حيث ذكر الميلاني حديثاً للإمام الصادق (عليه السلام) وهو قوله : ((...**ما جعلَ اللهُ لأَحدٍ خيراً في خلافِ أَمرِنا فإنَّ أَمرُنا أَمرُ اللهِ عزَّ وَجلَّ**))([4]) ، قال الميلاني : ((... فقد جاءت كلمة (خيراً) نكرة في سياق النفي ، لتدل على عدم وجود أقل قليل من الخير خلاف أمرهم...))([5])، أشار الميلاني هنا إلى أنَّ النكرة أفادت القلَّة في سياق الحديث الذي أشار إلى أقل الخير ، فلا خير في مخالفة أمرهم مهما صغر هذا الخير أو كثر، إلّا

---

[1]) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، للغزي : ١٤٣/١ .
[2]) المصدر نفسه : ١٤٣/١ .
[3]) مع الأئمة الهداة ، الميلاني : ١١٧ .
[4]) هذا الحديث ورد في المصادر بتغيير في لفظ النكرة ، فالحديث هو : ((...**ما جعل الله لأحد من خير في خلاف أمرنا فإنَّ أمرنا أمر الله عز وجل**)) ، الكافي : ٢٦٥/١ ، يُنظر : الفصول المهمة في أصول الأئمة(تكملة الوسائل) ، الحر العاملي، محمد بن حسن ت(١١٠٤ هـ) ،مؤسسة الإمام الرضا عليه السلام للمعارف الإسلامية ، قم ، ايران ، ط١ ، ١٤١٨هـ : ٦٤٦/١.
[5]) مع الأئمة الهداة ، الميلاني : ١١٧ .

أنَّ العموم أقرب منها إلى القلَّة ، فأراد الإمام (عليه السلام) ليبيِّن ؛ أنَّه لا خير في مخالفتهم البتَّة ، وهو عموم الخير لا قلَّته فقط، والله أعلم .

وحسب الاستقصاء لشروح الزيارة الجامعة الكبيرة المختارة ؛ لم يجد الباحث أغراضاً أخرى للتنكير سوى ما ذُكر ، لذا ينتهي هذا المبحث عند غرض القلة .

المطلب الرابع

الإلتفات

حدُّهُ ، صوره ، فوائده البلاغية

وضع البلاغيون الإلتفات في إطار علم البديع ؛ وبحثوه بحثاً جمالياً بعيداً عن التركيب ، ولم يُخالفهم في ذلك سوى الزمخشري ت(٥٣٨هـ) الذي وضعه في علم البيان كما سنرى ، إلّا أنّ البحث يرى قربه إلى علم المعاني أكثر من علم البديع والبيان .كما جاء عند مجموعة من علماء البلاغة الذين سنذكرهم آنفاً . ؛ لأنَّ أسلوبه يعني بتراكيب الجملة وبيان جماليات التركيب في هذا الأسلوب، فهو أحد الأساليب التي تُشير إلى تقلّبات الجمل داخل النص اللغوي ، وهذا ما دعا الباحث إلى وضعه في خانة علم المعاني المختص ببيان جماليات التركيب البلاغي.

<u>الإلتفات في اللغة</u> : ذكر أصحاب المعجمات الإلتفات على أنَّه من ((لَفْتُ فلاناً عن رأيه أي صرفه عنه ومنه الإلتفات))([1]) ، فـ((اللام الفاء والتاء كَلِمَةٌ واحدة تدلُّ

[1]) كتاب العين مادة (لفت) : ٨ /١٢١ .

على اللَّيِّ ، وصرف الشيء عن وجهته المستقيمة .... منه : لَفَتُّ الشيءَ: لويته ، ولفتُّ فلاناً عن رأيه : صرفته ... ومنه الإلتفات ؛ وهو أن تَعْدِلَ بوجهك ، وكذا التلفُّت))([1])، وهذا يُشير إلى التحويل من جهة إلى أخرى .

الإلتفات في الاصطلاح : ذكر البلاغيون أسلوب الإلتفات وأولوه من العناية الكثير لكثرة وروده في القرآن الكريم ، وأول مَن ذكره وقصد الأسلوب البلاغي ؛ الأصمعي ت(٢١٦هـ) ([2]) ، وذكره إبن وهب الكاتب ت(٣٣٥هـ) بمصطلح "الصرف" ، وعنده هو((صرف القول من المخاطبة إلى الغائب ومن الواحد إلى الجماعة))([3]) ، ومجموعة من البلاغيين ذكروه بمصطلح (الإعتراض) و(العدول) ([4]) ، وهو عند ابن المعتز ت(٢٩٦هـ): ((انصراف المتكلم عن المخاطبة إلى الإخبار وعن الإخبار إلى المخاطبة وما يشبه ذلك . ومن الإلتفات الانصراف من معنى الى آخر))([5]) ،

---

[1]) مقاييس اللغة مادة (لفت) : ٥ /٢٨٥ . يُنظر : المفردات في غريب القرآن ، الراغب الأصفهاني ت(٥٠٢ هـ) ، تحقيق ، صفوان عدنان داودي ، دار القلم ، دمشق ، ط٤ ، ٢٠٠٥م : ٧٤٣ ، أساس البلاغة ، جار الله الزمخشري ت(٥٣٨هـ) ، قرأه وعلق عليه: د. محمد نبيل طريفي، دار صادر، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٩م : ٣٤٧/٢ ، لسان العرب مادة (لفت).

[2]) يُنظر : كتاب الصناعتين الكتابة والشعر: ٣٩٢، البلاغة تطور وتاريخ، د.شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط٦ ، ١٩٦٥م :٣٠ .

[3]) البرهان في وجوه البيان، أبو الحسين إسحاق بن إبراهيم ابن وهب الكاتب، ت(٣٣٥ هـ)، تحقيق: احمد مطلوب، خديجة الحديثي، مطبعة العاني، ط١، ١٣٨٧هـ-١٩٦٧م : ١٥٢.

[4]) يُنظر : حلية المحاضرة في صناعة الشعر، لأبي علي محمد بن الحسن بن المظفر الحاتمي ت(٣٨٨هـ)، تحقيق: د. جعفر الكتابي، الجمهورية العراقية، دار الرشيد للنشر، ١٩٧٩م : ٩٩ ، نهاية الايجاز في دراية الإعجاز، محمد بن عمر فخر الدين الرازي ت(٦٠٦هـ) ، تحقيق وتقديم: د. إبراهيم السامرائي، ود. محمد بركات حمدي أبو علي، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان-الأردن، ١٩٨٥م : ١٤٦ .

[5]) البديع. عبد الله ابن المعتز، (ت٤٩٦هـ)، نشر وتعليق افناطيوس كراتشكوفسكي، مطابع دار الشعب، القاهرة، ط١، ١٩٦٥م : ٥٨ .

وعدَّه كثير من البلاغيين . كما ذكر الباحث . من فن علم البديع بما فيهم المحدثين([1])، في حين عدّهُ الزمخشري ت(٥٣٨هـ) من فن علم البيان وعلل سبب الإتيان بالالتفات في كلام العرب ؛ لأنَّ فيه هز وتحريك للسامع ([2]) .

وبعد ذلك عدّه السكاكي ت(٦٢٦هـ) من مباحث علم المعاني([3]) وتبعه ابن الأثير ت(٦٣٧هـ) وابن مالك ت(٦٨٦هـ) والقزويني ت(٧٣٩هـ) والعلوي ت(٧٤٩هـ)([4])، إذ وضعوه في مباحث علم المعاني وإلى هذا الرأي ذهب الباحث في أن أسلوب الإلتفات من علم المعاني ، فهو مختص في تراكيب الجمل لا في جمالياتها.

وحسب ما تقدَّم يكون الإلتفات : تحويل جهة الخطاب بوساطة اللغة بتغيير الصيَغ والأسلوب والسياق ، وهذا المفهوم يكون من جهة النصّ وشكله .

---

[1]) يُنظر : كتاب الصناعتين الكتابة والشعر : ٣٩٢ ، ثلاث رسائل في إعجاز القران الكريم : الرماني ت(٣٨٦هـ) والخطابي ت(٣٨٨هـ) وعبد القاهر الجرجاني ت(٤٧١هـ) ، تحقيق محمد خلف الله ، د. محمد زغلول سلام ، دار المعارف ، مصر، ط٣ ، ١٩٥٦م.: ص٩٩، فن الالتفات في مباحث البلاغيين ، جليل رشيد فالح . بحث منشور في مجلة آداب المستنصرية العدد التاسع ١٩٨٤م : ١٣٣.١٣٢ .

[2]) يُنظر : الكشاف : ٦٢/١. ٦٣ .

[3]) يُنظر : مفتاح العلوم : ٢٩٦ .

[4]) يُنظر : المثل السائر في آدب الكاتب والشاعر ، ضياء الدين أبن الأثير الجزري (ت٦٣٧هـ) ،تحقيق الشيخ كامل محمد عويضة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٩٩٨م : ٤٠٨/١ ، المصباح في المعاني والبيان والبديع ، للإمام أبي عبد الله بدر الدين بن مالك الشهير بابن الناظم (ت٦٨٦هـ)، حققه : عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ٢٠٠١م : ٣٠ ، الإيضاح : ٨٣ ، الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز : ٢٦٥ .

أمَّا من ناحية المعنى؛ فيرد سؤال : هل الإلتفات الصادر من الباث مريداً بإلتفاته عن الرسالة أم عن المُرسل إليه ؟ .

لم يخرج المفهوم العام في بلاغة الإلتفات عن ما جاء به الزركشي (ت ٧٩٤هـ) ، حيث قال : ((هو نقل الكلام من أسلوب إلى أسلوب آخر تطرية واستدراراً للسامع وتجديداً لنشاطه ، وصيانة لخاطره من الملل والضجر بدوام الأسلوب الواحد على سمعه كما قيل [:] لا يصلح النفس إن كانت مصروفة إلّا التنقل من حال إلى حال))([1])، وهذا الكلام يكشف عن البحث في الشكل لا في البنية العميقة ، وابن الأثير(ت٦٣٧هـ) يُشير إلى أنَّ غرض التوكيد والتثبيت([2]) ، فأشار العلماء إلى الأغراض الشكلية من المجيء بالإلتفات ولم يُشيروا إلى المعنى الحقيقي الذي أراده الملتفت([3]) ، ((ويقوم على مقتضيات التخطي والانحراف عن الأنماط المعتادة، وهو خاصية تعبيرية ذات طاقات إيحائية يبنى على الإنزياح عن النسق اللغوي المألوف، وذلك بوساطة انتقال الكلام من صيغة إلى أخرى، كالانتقال من الخطاب إلى الغيبة، أو العكس))([4])، فالعناية الخاصة بالنسبة إلى البنية العميقة في مفهوم الإلتفات وسياقة هو : إمّا للتعظيم أو التوبيخ أو التنبيه أو الاهتمام أو التخصيص أو المبالغة([5]) وكل هذه الأغراض مختصَّة بالمتلقي (المُخاطَب) ، إذ ينصبّ مفهوم الإلتفات على المتلقي دون الرسالة . حسب ما جاء في ما تقدَّم . .

---

[1]) البرهان في علوم القرآن : ٣/٣١٤ .

[2]) جوهر الكنز ، نجم الدين بن الأثير (ت٦٣٧هـ) ، تحقيق : محمد زغلول سلام ، الإسكندرية ، مصر ، ط١ ، ١٩٩٨م : ١/١٠٦ .

[3]) يُنظر : تنوع صور الإلتفات في القران الكريم ومقاصده البلاغية والإعجازية ، (رسالة) ، إسماعيل الحاج عبد القادر سيبوكر ، جامعة ام درمان ، السودان ، ٢٠٠٨م : ٧٥.٨ .

[4]) خصائص الأسلوب في شعر طرفة بن العبد، رؤى جمعة يونس، رسالة ماجستير: ٨٣ .

[5]) يُنظر : البرهان في علوم القرآن : ٣٩٥.٣٨٩ .

وأشار أحد الباحثين المحدثين إلى جماليات الإلتفات بحصره لها بوساطة نقطتين:

١. الإتيان بمعنى ينصرف من طريقه عن المعنى المذكور في صدر السياق.

٢- إكساب هذا المعنى سماتٍ التباسية بمحاولة تضليل القارئ([1]).

وحسب هذا الرأي يكون الإلتفات : من السمات التضليلية التي يلجأ إليها الكاتب لإشغال القارئ أو لتشتيت ذهنه أوتطرية لنشاط سمعه ، وعدّه قطب رحى الإنزياح؛ لشموليّته على بنية تضليليّة تقوم بإلتباس الفهم عند المتلقي ، يشترك في أدائها فكر الكاتب ومنظومته اللغوية فيصبها في قالب الأسلوب والدلالة.

في حين يرى البحث أنّ الإلتفات غير ما ذهبوا إليه في هذه المعاني ، إذ الغرض من الخطاب هو التفهيم والإقناع وليس التلبيس والتضليل ، هذا من جهة ؛ أمّا الإلتفات في بنيته العميقة فهو التفات عن الرسالة والإتيان بأسلوب آخر لتوضيح مبهمات في السياق المُلتفت عنه ، أو تفصيل لمجملات ، فالغرض من ذلك هو إضاءة ما أُبهمَ من الخطاب أو التُبس على المتلقي فيُلتفتُ عن السياق بسياق آخر للتوضيح ، لا زيادة التلبيس على المتلقي أو إيهامه ، أمَّا من ناحيته الشكلية ؛ فهو كما جاء به البلاغيّون من تطرية السمع وتشويق لما في التغيير بوساطة تغير الأسلوب .

- **صور الإلتفات وفوائده في شروح الزيارة الجامعة الكبيرة**

يرد الإلتفات بصور متعددة أولاها البلاغيون اهتماماً كبيراً في بيانها وتحديد أسسها ومواردها في القران الكريم والشعر العربي والنصوص الأدبية الأخرى ،

---

[1]) يُنظر : شعرية الإنزياح دراسة في جماليات العدول، د.خيرة حمزة العين ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، ط١، ٢٠١٢ م :٢٢٤.

وبرزت في ذلك مؤلفات متخصصة في الإلتفات ، فمن الصور التي جاء بها الالتفات:

١. إلتفات من الغيبة إلى الخطاب .

٢. إلتفات من الخطاب إلى الغيبة .

٣. إلتفات من التكلم إلى الغيبة .

٤. من التكلم إلى الخطاب .

٥. من الغيبة إلى التكلم .

٦. من الخطاب إلى التكلّم .

٧. إلتفات بين الأفعال : أي ؛ من الماضي إلى المضارع إلى الأمر ، والعكس .

٨. إلتفات بين المشتقات ، من إسم الفاعل إلى المفعول إلى صيغة المبالغة إلى الصفة المشبهة ، والعكس .

٩. إلتفات بين الصيغ : من المفرد إلى الجمع إلى المثنّى ، والعكس .

١٠. إلتفات بالضمائر .

وهكذا تكون الإلتفاتات في السياقات المختلفة .

وقد ورد في شروح الزيارة الجامعة الكبيرة الإلتفات في موردين :

١. جاء الإلتفات في شرح قول الإمام الهادي (عليه السلام) : ((**اللهمّ صلّ على محمّد وآل محمّد ، وأبلغ أرواحهم وأجسادهم منّي السلام ، والسلام عليه وعليهم ورحمة الله وبركاته**))([1])، يقول الهمداني : ((هذا إلتفات من الخطاب إلى الغيبة

[1]) الشموس الطالعة من مشارق الزيارة الجامعة ، الهمداني : ٧٧٦ .

فالتفت منهم (عليهم السلام) إلى الله سائلاً من الله الصلاة عليهم وإبلاغ سلامه إيّاهم...))([1])، وقد أشار الهمداني إلى المعنى الذي ذهب إليه البحث ؛ أنَّ الإلتفات عن الرسالة لا عن المُرسل إليه ، وهنا جاء توضيح لما أبهم في كيفية السلام ، فأردف الإمام (عليه السلام) قوله : ((**والسلام عليه وعليهم ورحمة الله وبركاته**)) ، بطريقة الإلتفات عن النص وتوضيحه للمتلقي ، وهذه هي غاية الإلتفات .

٢. ورد الإلتفات في شرح قول الإمام الهادي (عليه السلام) : ((**وَخَصَّكُم بِبُرهانِهِ – وَانتَجَبَكُم لِنُورِهِ وَأَيَّدَكُم بِرُوحِهِ، وَرَضِيَكُم خُلَفاءَ فِي أَرضِهِ وَحُجَجاً عَلى بَرِيَّتِهِ**))([2])، قال الغزي : ((.... أنا أكرر قراءتها لكي يلتفت محبو أهل البيت إلى صيغة التعبير، لأنّه في أول العبارات في المقطع الأول من هذا المقطع ، الخطاب: **أَنَّكُم الأَئِمَّةِ الرَّاشِدُونَ**، أنتم بصيغة الفاعل، **راشدون**، فاعلون، **مهديون**، **معصومون**، ثُم انتقل الخطاب: **اصطَفاكُم بِعِلمِهِ** ، الرابطة فيما بينهم وبين الله . **اصطَفاكُم بِعِلمِهِ** وهذا – استمر إلى أربعة عشر، وفي داخل الأ ربعة عشر هناك خطاب استمر إلى اثني عشر . **وَرَضِيَكُم خُلَفاءَ فِي أَرضِهِ وَحُجَجاً عَلى بَرِيَّتِهِ وَأَنصاراً لِدِينِهِ وَحَفَظَةً لِسِرِّهِ** . من دون واصطفاكم، ورضيكم ثُم فَرع على كلمة ورضيكم **. وَخَزَنَةً لِعِلمِهِ وَمُستَودَعاً لِحِكمَتِهِ** . ثُم رجع الكلام **عَصَمَكُم الله مِنَ الزَّلَلِ** ... إلى آخر ما جاء في هذا المقطع . **وَطَهَّرَكُم تَطهِير** . ثُم انتقلنا إلى مقطع آخر . **فَعَظَّمتُم جَلالَهُ وَأَكبَرتُم شَأنَهُ وَمَجَّدتُم كَرَمَهُ وَأَدَمتُم ذِكرَهُ ووَكَّدتُم مِيثاقَه** . وكدتم يعني أكدتم **فَعَظَّمتُم جَلالَه** الآن العلاقة بين أهل البيت وبين الله من حيث هم هم، بينما المقطع السابق العلاقة بين الله وبين أهل البيت من حيث هو هو...))([3]) ، في هذا المقطع المبارك وردت انتقالات متعددة

---

[1]) المصدر نفسه : ٧٧٦.٧٧٧.

[2]) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، الغزي : ١٠٠/٣ .

[3]) المصدر نفسه : ١٠٠/٣ .

بوساطة الإنتقال من المشتقات إلى صيغ الأفعال (راشدون ، مهديون . اصطفاكم ، ورضيكم) وكذلك في بيان المعاني (الرشد ، والاصطفاء) والإنتقال بين الضمائر(ميم الجمع ، وهاء الغيبة) وكل هذا جاء لبيان مبهمات الخطاب وتفصيل مجملاته ، فلم يأتِ الإلتفات لغرض الجمال البديعي أو إبهام السياق أو إيهام المتلقي ؛ وإنَّما جاء ليضع الخطاب بين الإجمال والتفصيل .

ولم نجد إلتفاتاً في شروح الزيارة الجامعة الكبيرة غير ما ذكرناه ، وعلى الرغم من وجوده في متن الزيارة الشريفة بكثرة ؛ إلَّا أنَّ الشارحين لم يذكروا سوى موردين ، وبهذا ينتهي المبحث الثاني بحمد الله .

المبحث الثالث

دراسة أحوال العبارة

توطئة ..

تكلَّم البحث في أحوال الجملة ومتقلّباتها . في المبحث السابق . ، والجملة تشترك في دراستها ؛ الدراسات النحوية والدراسات البلاغية على حدٍّ سواء ، في حين أنَّ العبارة هي من تخصص الدراسات البلاغية حصراً إذا ما أنعمنا النظر في بنيتها العميقة ، أو الدراسة التي تُفتِّش في دلالتها الهامشية ، وهذا ما يدفع الدراسات الخاصَّة في العبارة إلى بيان طول السياق وقصره من ناحية ؛ وتكامل اللفظة وضغطها من ناحية أخرى ، إلّا أنَّ النحوَ تغلغل في هذه الدراسات وصار ركيزتها الرئيسة ، وأصبحت . الدراسات . لا تقوم إلّا بعُكازة النحو العربي وقواعده التي ألبسها النحويون هالة من القداسة لا يمكن خرقها ؛ لذا اتجهت إلى التأويل والتقدير وفقاً لفقدان الجملة النحوية لأحد أركانها الأساسية ، ومن المفترض أنّ هذا غير ملزم للدراسات غير النحوية .

ولم نجد دراسةً خاصَّة في مفهوم أحوال العبارة بعيدة عن القواعد النحوية وأركان الجملة المفترضة ، مما حدا بالبحث إلى الولوج لهذا المفهوم ولو على بيان إطاره العام وبيان تطبيقاته وفق المنهج الذي يرتأيه البحث في تخصص هذا المفهوم بعيداً عن القواعد النحوية ، وهو أقرب للتصحيح منه في البلاغية العربية مستقلَّة عن النحو العربي .

وهذا التداخل بين المستويات اللغوية وعدم استقلالية بعضها عن البعض ؛ أشار إليه الدكتور رمضان عبد التواب في قوله : ((يجرى ترتيب المركبات القالبية، على هيأة طائفة من المستويات المحددة المعالم. وأكثر هذه المستويات شيوعاً في الدراسات اللغوية المعاصرة، هي: مستويات "الكلمة" Word و"العبارة" Phrase

و"التركيب" Clause و"الجملة" Sentence فضلا عن مستوى "المورفيم" Morpheme.

فمستوى "الكلمة" هو ذلك المستوى من النحو، الذي نحلل عنده الكلمة إلى مورفيماتها المكونة لها.

ومستوى "العبارة" هو ذلك المستوى من النحو، الذي نحلل عنده مجموعات الكلمات، ذات الأبنية المعينة –باستثناء التراكيب– إلى كلمات.))[1] ، وكل ذلك يتداخل في الدراسات دون استقلال أحدها عن درس الآخر ، وهذا التشعّب يُحدثُ إرباكاً في تمييز الدراسات النحوية عن الدلالية عن الأسلوبية عن البلاغية عن الصرفية ...إلى آخره ، و((ما دامت العبارة اللغوية تقليدية، فإن من الواجب أن نميز في الاتفاقات، التي توجد بين لغتين أو أكثر، بين ما يعد منها نموا ذاتيا، وما يفترض قيام تقليد مشترك بين تلك اللغات، فمن الممكن أن يكون التوافق بين مفردات منعزلة، نتيجة للمصادفة البحتة، كما أنَّه من الممكن أن يكون ذلك نتيجة لاستعارة اللغتين من لغة واحدة. ولكن مجموعة الاتفافات في الصيغ النحوية، تدل على وحدة الأصل دلالة قاطعة.))[2] ، مما دعا البحث إلى بيان وجوب دراسة العبارة بعيداً عن الاتفاقات النحوية التي جعلت كلَّ الدراسات تنتمي إليها وينحدر السيل من تحتها ، وكأنّها المهيمنة عليها ولا يجوز خرقها والتظاهر عليها .

وإلى ذلك أشار الدكتور صبحي الصالح ت(١٤٠٧هـ) في كلامه عن ابن جني لمفهوم العبارة ومتعلقاتها وشؤوناتها بقوله عن مادة (جبر) : ((...لقد جمع ابن جني تقاليب هذه المادة وما علم أنه متصرف منها، فأهمل بلطف ورشاقة ما لم ينسجم مع

---

[1]) المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي ، د. رمضان عبد التواب ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، مصر ، ط٣ ، ١٩٩٧م : ١٩٥/١ .

[2]) المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي : ٢١٠/١ .

المعنى العام الذي استنبطه، وسدَّ الثغرات فيما كان عليه شيء من الغموض، وأسهب العبارة وأطال النفس فيما بدا له متناسقًا مع المعنى الذي غاص عليه. وإذا هو يرى أن تقاليب "ج ب ر" إن وقعت، فهي للقوة والشدة))([1])، فكان الاسهاب من شؤونات العبارة . حسب قوله . وإشارته إلى وقع اللفظ على النفس كانت دقيقة في بيان القوَّة والشدّة ، هذا ما يشير إلى المعنى البلاغي في كلمة (اللفظ) .

فاعتماد الدراسات اللغوية كلها على الإطار الجملي وإن خرج بعضها إلى بيان العمق المعنوي ؛ ((لكنَّ الفكرة كامنة في قدر كبير من النظرية النحوية التي لا تستخدم بالفعل هذا المصطلح، والجانب الأكثر إثارة للجدل والأكثر انتفاء للتقليدية من فكرة التكافؤ كما طرحناها الآن هو تقليلها للفوارق التقليدية بين المسند إليه والخبر "في العبارة" من ناحية والمسند إليه والمفعول "للفعل" من جهة أخرى، ويجب أن نلاحظ أن وجهي الخلاف مستقلان من الناحية المنطقية، ويعتمد الأول على تقسيم العبارة "طبقا للافتراضات التقليدية" إلى قسمين متكاملين والثاني ليس كذلك، والمسند إليه الخاص بالفعل هو الوحدة التي تحدد صيغة الفعل فيما يطلق عليه بصفة عامة "المطابقة النحوية بين المسند إليه والفعل" على الرغم من أنه يعتمد على الفعل بنفس الدرجة التي يعتمد فيها على المفعول))([2]) ، حيث إنَّ العبارة تشمل اللفظ أو الجملة أو سياق أو نص ، ولا تعتمد على طرف في جملة ما دون طرف آخر لبيان التكامل أو القِصر . فسيعتمد البحث هذا المفهوم من دراسة العبارة .

ومن أهميَّة دراسة العبارة بمكان ؛ أنّها احتوت البلاغة بمفهومها العام في بعض ما ورد ، حيث جاء في بعض تعريفات البلاغة ؛ إنَّ ((البلاغة حسن العبارة، مع

---

[1]) دراسات في فقه اللغة ، د. صبحي إبراهيم الصالح ت(١٤٠٧هـ) ، دار العلم للملايين ، ط١ ، ١٣٧٩هـ – ١٩٦٠م : ١٩٣/١ .

[2]) اللغة وعلم اللغة ، جون ليونز ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، مصر ، ط١ ، د.ت : ١٦٥/١.

صحة الدلالة.))([1] ، إلَّا أنَّ هذا التعريف يحصر البلاغة بالعبارة الحسنة فقط ، في حين أنَّ بعض العبارات البليغة كانت في الهجاء والتهكم والتحقير ، ويبقى تعريف الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) بمفهوم البلاغة ؛ لا يعلو عليه تعريف لاستكماله مفاصل البلاغة من الأسس إلى الأطر ، وهو **(إفصاح القول عن الحكمة المستغلقة)** في العبارة ، والعبارة كلَّما قلَّت الألفاظ وأشارت إلى معانٍ كثيرة ؛ كانت البلاغة أقوى فيها وأكثر ، ففي هذا المبحث ستكون دراسة العبارة في ثلاثة مطالب : **الإيجاز** و**الإطناب** و**الذكر** ، وما ورد من ذلك في شروح الزيارة الجامعة الكبيرة .

[1]) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني ت(٤٥٦هـ) ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل ، بيروت ، ط٤ ، ١٩٧٢م : ٢٤٤/١ .

المطلب الأوَّل

الإيـجاز

حدُّهُ ، أنواعه، فوائده البلاغية في شروح الزيارة الجامعة الكبيرة

عنى البلاغيون في الإيجاز عنايةً كبيرة ، وأولوه من الاهتمام كثيراً ؛ وذلك لأنَّ العرب . في جميع مشاربهم وأفراحهم وأتراحهم . يميلون إلى الوجازة وحصر الكلام بألفاظ قليلة ، لذا عدّوا الأمثال من أروع بلاغات العرب ؛ لأنَّها تحصر المعاني الكثيرة في ألفاظ قليلة، حتى قال قائلهم : (خير الكلام ما قلَّ ودلَّ) ، فهو من فنون القول العربي ، فـ((كان للإيجاز مكانته الأثيرة بين الأساليب البلاغية، فحددوا أنواعه ومواضعه وفوائده البلاغية والدلالية في الكلام ولا سيما في الكلام الإلهي المعجز القرآن الكريم))([1])، فمال العرب إلى اختصار الألفاظ دون بسطها.

فلذلك ورد في ((البلاغة بالإيجاز أنجع من البيان بالإطناب. وقيل: المكثار كحاطب الليل. وقيل لبعضهم: من أبلغ الناس؟ قال: من حلّى المعنى المزير باللفظ الوجيز، وطبّق المفصل قبل التحزيز.))([2]) ، فهذا مما يحبّذه العرب في كلامهم .

فالإيجاز في اللغة : هو من وَجُزَ الكلامُ وجازةً ؛ اختصره اختصاراً ، أو هو التقليل أو ضغط الشيء المراد إيجازه ، وأوجزَ : قلَّ في إبلاغه في الكلام ... وأمرٌ وجيز، وكلام وجيز ، أي مقتصر وخفيف ، فيقال : أوجزَ في كلامه : قلله ([3]) .

---

[1]) مباحث علم المعاني في تفسير من هدى القرآن : ١٥٢ .

[2]) كتاب الصناعتين الكتابة والشعر : ١/١٧٥ .

[3]) يُنظر : لسان العرب مادة (وجز) : ٦ /١٦٦ ، المعجم الوسيط ، اخراج ابراهيم مصطفى ، احمد الزيات ، حامد عبد القادر ، محمد على النجار ، تحقيق: لجنة في مجمع اللغة العربية في القاهرة ، دار الدعوة ، إسطنبول ، ١٩٨٩م. مادة (وجز) : ٢ /١٠٢٥ .

وفي الإصطلاح : من أجمل ما جاء في تعريفات البلاغيين في الإيجاز ؛ قول الرماني ت(٣٨٦هـ) إذ قال : هو ((تقليل الكلام من غير إخلال بالمعنى وإذا كان المعنى يمكن أن يُعبر عنه بألفاظ كثيرة، ويمكن أن يعبَّر عنه بألفاظ قليلة ، فالألفاظ القليلة إيجاز))([1]) ، وجاء عند ابن سنان الخفاجي ت(٤٦٦هـ) بلفظ الإشارة والتلميح فيقول : ((هو أن يكون المعنى زائداً على اللفظ أي أنَّه لفظ موجز يدل على معنى طويل على وجه الإشارة واللمحة))([2]) ، والإيجاز : في مسلكه دقيق وعجيب، وله صورة من السحر ، والحذف فيه أبلغ من الذكر ، والصمت أكثر فائدة([3]) .

*** نوعا الإيجاز**

للإيجاز نوعان . كما ورد عند البلاغيين . وهما (الإيجاز بالقِصَر والإيجاز بالحذف) وقد حفلت مؤلفاتهم في بيان هذين التقسيمين بوساطة الجمع والدراسة والبحث في ثنايا التراكيب القرآنية والشعر العربي والأمثال والحِكم والخطب والمقالات وغيرها من النصوص العربية ؛ ولا تكاد تجد كتاباً بلاغيّاً يخلو من هذا النوع التركيبي . نعني الإيجاز بنوعيه . فنوعا الإيجاز :

١. إيجاز القِصَر : منذُ بداية الشروع في البحوث والدراسات الإسلامية التي اختصَّت في البحث عن الإعجاز القرآني ؛ تلمَّس أهل البلاغة هذا اللون في السياقات القرآنية وهو ما أسماه أبو عبيدة معمَّر بن المثنّى ت(٢١٠هـ) ((مجاز المختصر))([4]) ،

---

[1]) النكت في إعجاز القرآن (ضمن ثلاث رسائل) ، ثلاث رسائل في إعجاز القران الكريم : للرماني (ت٣٨٦هـ) والخطابي (ت٣٨٨هـ) وعبد القاهر الجرجاني (ت٤٧١هـ) ، تحقيق محمد خلف الله ود. محمد زغلول سلام ، دار المعارف، مصر، ط٣ ، ١٩٥٦م : ٧٦ .

[2]) سر الفصاحة ،أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد ابن سنان الخفاجي الحلي ت(٤٦٦هـ)، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م : ٢٠٧.

[3]) يُنظر : دلائل الإعجاز : ١٤٦ .

[4]) مجاز القرآن : ٢/٢ ، ٩٨ .

وهو من أروع ألوان الأداء السياقي عند العرب ، وينماز عن غيره من السياقات ؛ بتكثيف المعاني في ألفاظ قليلة من دون حذف يُذكر ، ((فالقِصَرُ[:] تقليل الألفاظ، وتكثير المعانى؛ وهو قول الله عزّ وجل: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصاصِ حَياةٌ﴾.

ويتبيّن فضل هذا الكلام إذا قرنته بما جاء عن العرب فى معناه، وهو قولهم: «القتل أنفى للقتل» . فصار لفظ القرآن فوق هذا القول لزيادته عليه فى الفائدة، وهو إبانة العدل لذكر القصاص وإظهار الغرض المرغوب عنه فيه لذكر الحياة، واستدعاء الرّغبة والرّهبة لحكم الله به ولإيجازه فى العبارة. فإنّ الذى هو نظير قولهم: «القتل أنفى للقتل» إنما هو: «**القصاص حياة**» وهذا أقلّ حروفا من ذاك، ولبعده من الكلفة بالتكرير، وهو قولهم: «القتل أنفى للقتل» . ولفظ القرآن برىء من ذلك، وبحسن التأليف وشدة التلاؤم المدرك بالحسّ؛ لأنّ الخروج من الفاء إلى اللام أعدل من الخروج من اللام إلى الهمزة.))([1]) ، ويبدو أنَّ هذا اللون هو أصل الباب ومنه ينحدر سيل المعرفة في الإيجاز وإليه ينتمي مفهومه .

وهذا اللون أشار إليه الغزّي في شرحه لقول الإمام الهادي (عليه السلام) : ((**اَلسَّلامُ عَلَيْكُمْ يا أَهْلَ بَيْتِ النُّبُوَّةِ**))([2])، فاشار إلى معنى النبوَّة في قوله : ((...إذاً المراد من النبوة، النبوة بهذا المعنى حين نسلِّم على أئمتنا : ((**اَلسَّلامُ عَلَيْكُمْ يا أَهْلَ بَيْتِ النُّبُوَّةِ**))، هذا هو بيتهم وهذه هي نبوتهم التي ينتمون إليها، نبوة جدهم، هذه هي ولايتهم، هذه هي خلافتهم الإلهية، من هنا تتضح لنا ولو بشكلٍ إجمالي المعاني التي وردت في الزيارة الجامعة الكبيرة، السائل طلب من الإمام قولاً بليغاً كاملاً، القول البليغ الكامل لا يتناول جانباً من الجوانب لا بد أنْ يتناول جميع الجوانب ولو بنحوٍ

---

[1]) كتاب الصناعتين : ١/١٧٥ .

[2]) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، للغزي : ١/٧٢ .

إجمالي وأنا هنا أبين المعاني بنحوٍ إجمالي، إذا أردتُ أنْ أبسط القول في كل هذه التفاصيل فإذاً سنقف عند النبوة ولا نستطيع أن نستمر في شرح عبارات الزيارة الجامعة الكبيرة وستبقى الحلقات متواصلة في بيان معنى النبوة لكثرة النصوص الواردة عن النبي والأئمة في بيان هذه المراتب وبيان هذه الحقائق.))([1]) فالإمام (عليه السلام) أوجز القول في كلمة (النبوَّة) وأشار من خلالها إلى المراتب التي تندرج تحتها فهي كلمة شاملة وجامعة ومانعة لبيان المراتب العليا التي يتمتع بها أهل البيت دون غيرهم .

ومنه ما جاء في شرح قول الإمام الهادي (عليه السلام) : ((**وَمَوْضِعَ الرِّسالةِ**))([2])، يقول الغزي : ((... فالروايات هنا تتحدث عن معنى الرسالة بهذا المعنى العميق، هذا المعنى الذي كتبهُ والقلم ﴿**ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ**﴾ فماذا سطر القلم، وماذا سطر نون ؟ وهما معاً يسطرون ، سطروا هذه الأنوار، هذه الأنوار التي تجلت في كل الوجود ومن أعظم مجالي هذه الأنوار مجالي نور مُحمد وعليٍّ في العالم الأرضي، أما في العوالم العلوية فلكلّ منهما المجالي التي تجلى فيها إلى أن ينتهي الكلام عند الكلمة الأولى وهي الحقيقة الأتم هي الحقيقة المحمدية والحقيقةُ العلوية الأكمل، وإلى هذه المضامين وإلى هذه المعاني تشير النصوص الكثيرة الواردة عن المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فكل ما في هذا الوجود إنّما هو من مجالي أنوار الحقيقة الأولى ﴿**ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ**﴾ فماذا سطروا؟ الروايات تتحدث عن ألنون والقلم للكلمة الأولى تجليات منها ما ذكُر بالنحو الإجمالي لأنَّنا لا نستطيع أن نتصورها، ومنها ما ذكُر بعناوين فيها شيء من

---

[1]) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، الغزي : ٧٢/١ .

[2]) المصدر نفسه : ٩٥/١ .

الوصف ، شيء من التفصيل، وهذا التفصيل الذي جاء لا يمكن أن ندركه بهذه المدارك المحدودة، وإنّما النصوص المعصومة تقرّب لنا المعاني، لأنَّنا نجدُ في الروايات نجدُ عالم الستر، نجد عالم الحجاب، هذه عوالم الحجب وهذه العوالم سابقة ومتقدمة على عالم العرش، وعالم العرش متقدم وسابق على عالم الكرسي، وعالم الكرسي إنّما كلَّ السماوات السبع كل هذه العوالم تكون في جوف عالم الكرسي، لذلك حين نقرأ في آية الكرسي المباركة ماذا نقرأ في سورة البقرة ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ الكرسي وسع السماوات والأرض ولكن الكرسي لا يعدُّ بشيء إذا قيس بعالم العرش، ... إنّ العرش إنّما هو تجلٍ من نور مُحمد صلى الله عليه وآله، تجلٍ من التجليات...))([1]) ، فقد كثَّف الإمام (عليه السلام) المعاني المرادة من التجليات المحمدية والأهل بيتية في كلمة (وموضع الرسالة) وهذا ما تنبه إليه الغزي في شرحه لهذه الفقرة المباركة . وإيراده لتفسير قوله تعالى : ﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ ، للدلالة على أنّ هناك إشارات إلى الأصول القرآنية التي ينطلق الأئمة من طريقها لبيان مقاماتهم السامية التي وضعهم الله فيها .

٢. **إيجاز الحذف** : ورد الإيجاز بالحذف في مظان البلاغة على أنَّه : الإيجاز الذي ينماز بالألفاظ القليلة مع تكثير المعاني ؛ وذلك يتم بطريقة حذف جزء من أجزاء الجملة ، ويكون الحذف لجملة تامّة أو متعلق الجملة ؛ كشبه الجملة (الجار والمجرور أو الظرف) أو لركن عمدة في الجملة كـ(المبتدأ أو الخبر ، الفعل أو الفاعل)، أو حذف ما يتعلق بالفعل كالمفعول به([2]) ، وقد شرطوا عدم الإخلال

---

[1]) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، الغزي : ٩٥/١ .

[2]) يُنظر : الإيضاح : ١٦٨ ، المعاني في ضوء أساليب القرآن ، د. عبد الفتاح لاشين ، دار المعارف ، القاهرة ، ط٣ ، ١٩٧٨م : ٣٤٥ ،محاضرات في علم المعاني ، د٠محمد هيثم غرة، د٠منيرة محمد فاعور، منشورات جامعة دمشق، كلية الآداب، ٢٠٠٤م : ٢٤٥ ، جماليات

بالمعنى ، وكذلك يجب أن توجد قرينة دالة على ما حُذف من الجملة ، وإلا فلا يجوز الحذف .

وقد ورد هذا المعنى في شرح الغزي للزيارة الجامعة الكبيرة لمَّا أورد قوله تعالى: ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾{الإنسان/٨} ؛ قال : ((...العرب في كثيرٍ من الأحيان تحذف الأسماء أو تحذف الكلمات التي حينما تُحذف يوجد هناك من الآثار المعنوية أو من الآثار اللفظية الذي يدل على حذفها ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾على حب الله، ولكن لو أردنا نحن والألفاظ الظاهرة فإن الضمير يعود على الأقرب، وأقرب الأسماء إلى الضمير هو الطعام في الآية ...على حب الطعام))([1]) فهو ناظر إلى مفهوم الحذف نظرة لغوية، سار فيها على منهاج البلاغيين الذين سبقوه.

ويذهب ابن الناظم ت(٦٨٦هـ) إلى أنَّ الإيجاز بالحذف هو ((سلوك طريق التضييق بحذف بعض الكلام تحقيقاً لقوة الدلالة على معناه))([2]) ، فيركز السياق على دلالة المحذوف بوساطة قرينة معينة ، ويقرره في الذهن ، ويُشعر بخفائه المتلقي ؛ تواصلا بالمحذوف الذي أشعر الذهن بوجوده([3]) ، هذا ما اتفق عليه أهل البلاغة والمختصّون في شأن الإيجاز وأقسامه ، وفي ذلك نرى سلطة النحو العربي

التركيب اللغوي في السور الطوال في القرآن الكريم ، حيدر عذاب حسين ، دار الفراهيدي ، بغداد، ط١، ٢٠١٥م : ١٠٣ .

[1]) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، الغزي : ٣٧/٢ .

[2]) المصباح في المعاني والبيان والبديع ، أبو عبد الله بدر الدين بن محمد بن مالك الشهير بابن الناظم ت(٦٨٦هـ) ، تحقيق : عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ٢٠٠١م : ٣٦ .

[3]) يُنظر : المباحث البلاغية في حاشية شيخ زادة على تفسير البيضاوي،(رسالة) ، سارة علي ناصر العامري، جامعة ذي قار ، التربية للعلوم الإنسانية، ٢٠١٢م: ١٤٨.

على البلاغة ومفاصلها، وهذا المبحث كفيل ببيان مدى تسلّط النحو العربي على البلاغة من حيث تشبثها بأركان الجملة النحوية وعدم التحرر منها ، والمعروف عن الجملة تنتمي بالدرجة الأولى إلى النحو ؛ وما البلاغة إلّا بيان المعنى الثانوي للجملة، وهنا يرد سؤالٌ مفاده: من أين جاء الافتراض بوجود حذف في الجملة البلاغية ؟.

القاعدة النحوية فرضت الجملة في الكلام العربي ؛ والجملة أن تكون جملةً متكاملةً؛ يجب أن تتألف من عناصر فرضها الدرس النحوي ولا يمكن الخروج عليها، كـ(الجملة الإسمية) تتألف من مبتدأ وخبر ، و(الجملة الفعلية) تتألف من فعل وفاعل إذا كان الفعل لازماً . وفعل وفاعل ومفعول به . إذا كان الفعل متعدّياً . وهناك متعلِّقات ثانوية أطلقوا عليها (الفضلة) ، وهذا الافتراض خاص بالدرس النحوي ، وقد أكَّد عليه النحويون في غير موضع في مؤلفاتهم كقولهم: ((توخي معاني النحو))([1])، وقولهم : ((...لا تكون الكلمة المفردة التي هي أسماء وأفعال وحروف كلامًا وشعرًا من غير أن يحدث فيها النظم الذي حقيقته توخي معاني النحو وأحكامه))([2]) ، وكذلك قالوا : ((...لابد لكل كلمة في النظم أو الصورة أن تأخذ مكانها بين أخواتها على أساس توخي معاني النحو حتى تحقق الوحدة الفنية في النص الأدبي.))([3]) ومنهم مَن جعل الخروج على عناصر الجملة النحوية من العيوب التي ينفر منها العربي أو جعلوها من العيي .

---

[1]) دلائل الإعجاز : ١٢٤ .

[2]) الصورة الأدبية تاريخ ونقد ، علي علي صبح ، دار إحياء الكتب العربية ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ٢٠٠٨م : ٧٦/١ .

[3]) في النقد الأدبي ، علي علي صبح ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ٢٠١٤م : ١٤٣/١ .

وإلى ذلك يذهب الميداني ت(١٤٢٥هـ) فيقول : ((شرح العيب الثالث: "التعقيد اللفظي" ويكون بجعل الكلمات في جملة الكلام مرتَّبةً على غير الترتيب الذي يقتضيه نظام الكلام وتأليفُه في اللّسان العربيّ.

كتقديم الصفة على الموصوف، والصلة على الموصول، وكالتشتيت في الروابط بين عناصر الجملة الواحدة، أو بين عناصر الْجُمَل في الكلام الواحد.

وهذا العيب أشدّ نكارةً وبعداً عن فصيح الكلام من عيب "ضَعْفِ التَّأْليف" ولا يُغْني عن ذكره وبيانه ذكْرُ عيْبِ "ضَعْفِ التَّأْليف" وَإِنْ كان الصنفان يلتقيان في كون كُلٍّ منهما يخالِفُ نظام الكلام في اللّسان العربيّ، لأنّ ضعْف التأليف قلّما يؤدي إلى ما يُسِيءُ في الدلالة، بل هو مُجرَّد خروجٍ عن المشهور من فصِيحِ كلامِ العرب... ورُتَبُ عناصر الجملة تشبه رُتَب جلساء رئيس القوم، فإذا قدَّم الرئيس إلى جواره من هو في العادة يجلس بعيداً عنه بحسب رتبته، فإنما يُقَدِّمه لغاية يفهمها الفطناء، فإذا وضعه في موضع وزيره الأول، أدرك أهل الفطانة أنّه مُهْتَمٌّ به وبتكريمه، أو أنّه سوف يستوزره.))([1])، وبهذا نجد حاكمية الدرس النحوي على الدرس البلاغي .

وكذلك نجد أنَّ هذا القانون لا يسري على النحويين بقولهم في شرح لفظ (مفيد) : ((والمراد بالمفيد: ما دل على معنى يحسن السكوت عليه))([2]) ، فإذا كان اللفظ يكفي لأداء المعنى ولم يسأل المتلقي ؛ فهذا يدل على بلوغ المعنى ، وهذه الغاية من الكلام وهو بلوغ المعنى ، أمَّا إذا استفهم المتلقي ؛ فهذا يدل على عدم بلوغه المعنى فيحتاج إلى تكملة أو توضيح لعدم إتمام المعنى في ذهنه . فلم يتقيَّد النحوي في

---

[1]) البلاغة العربية ، عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي ت(١٤٢٥هـ) ، دار القلم، دمشق، سوريا ، ط١ ، ١٩٩٦م : ١٤٦.١٢٣/١.

[2]) أوضح المسالك إلى الفية ابن مالك ، ابن هشام الأنصاري ، ت (٧٦١هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد ، ذوي القربى ، قم ، ط١ ، ١٤٣٢هـ : ٣٣/١ .

بادئ الأمر ؛ إلّا أنَّه بعد ذلك يفرض قاعدته على جميع الدراسات والبحوث من أنّ الجملة يجب أن تخضع لقاعدته في تثبيت عناصرها ، وإذا سقط عنصر منها فيجب تأويله وإن بلغ المعنى المتلقي .

أمّا البلاغة . بحسب التعريف القديم . ((مطابقة الكلام لمقتضى حال السامع مع فصاحة عباراته))([1]) ، والتعريف الجديد : ((**البلاغةُ : الإفصاحُ عن حكمةٍ مستغلقة وإبانة علم مشكل**))([2])، نجدها لا تفترض وجود محذوف وعدمه في بيان البلاغة في السياقات اللغوية.

وعند النحويين : لا يمكن حذف العمدة . المسند والمسند إليه . ولا يمكن الاستغناء عنها ، أمَّا متعلقاتها ؛ فمن الممكن حذفها ، فهل هذا يُعدُّ حذف ؟

الجواب : كلا ؛ لأنَّ المتلقي لا يفطن لوجود حذف في الكلام إذا لم يحسن السكوت عليه ، وهذا ما جعل النحويين والبلاغيين يقدرون محذوفاً ، لغرض الخروج من مأزق عدم إيصال الفكرة .

فقضية الحذف متمسكة بتلابيب التشريح المدرسي للجملة العربية ، فكانت اسقاطات الدرس النحوي العربي واضحة جليّة في الدرس البلاغي مما أدى إلى التقدير والتأويل والتعليل، وقد تكلَّف النحويون في جعل القاعدة النحوية تمتاز بهالة من القداسة لا يمكن خرقها، وإذا خُرقت ؛ اضطروا إلى التقدير والتأويل ، فعلى سبيل المثال : إنَّ ((إذا" فيها معنى الشرط، والشرط يقتضي الفعل؛ فلا يجوز أن يحمل

---

[1]) جواهر البلاغة ، أحمد **الهاشمي** ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، د.ط، ٢٠٠١م : ٤٣.

[2]) ديوان المعاني : ٨٨/٢ .

على غيره..))([1]) ، وذهب غير واحد من النحويين إلى هذا المعنى([2]) ، وإذا جاء بعدها إسم ؛ ذهبوا إلى تقدير فعل محذوف وارتفاع الإسم به لا بالابتداء ، كما أنَّ الكوفيين أعطوا مرونة للقاعدة في هذه المسألة ، في حين أنّ النحو العربي يميل إلى المدرسة البصرية كثيراً([3]) ، فسار أغلب المفسرين على هذا التقدير في تفسير قوله تعالى : ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ {التكوير/١}([4]) ، وغيرها كثير أحصاها الدكتور خليل بنيان في كتابه (النحويون والقرآن) ، لذا نجد تسلل الفرض النحوي إلى جميع البحوث والدراسات ؛ بما فيها التفاسير ، رغم أنَّ القرآن الكريم ليس لنا حجة عليه ؛

---

[1]) الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين ، عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري، أبو البركات، كمال الدين الأنباري ت(٥٧٧هـ) ، المكتبة العصرية ، بيروت ، لبنان ، ط١، ٢٠٠٣م : ٥٠٧/٢ .

[2]) يقول سيبويه : (("جملة هذا الباب أن الزمان إذا كان ماضيا إلى الفعل، وإلى الابتداء والخبر لأنه في معنى "إذ" فأضيف إلى ما يضاف إليه "إذ".وإذا كان لما لم يقع لم يضف إلا إلى الأفعال؛ لأنه في معنى "إذا".و"إذا" هذه لا تضاف إلا إلى الأفعال".)) الكتاب ، في باب (مايُضاف إلى الأفعال من الأسماء) : ٤٦٠/١ . وقال الرضي الاسترابادي : ((وإذا وليها اسم بعده فعل جعل الفعل المتأخر مفسرا لفعل متقدم رافع للاسم. لا يجيز سيبويه غير هذا))، شرح الرضي على الكافية الشافية : ٩٤٤/٢ ، يُنظر : الجنى الداني في حروف المعاني ، أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ المرادي المصري المالكي ت(٧٤٩هـ) ، المحقق: د. فخر الدين قباوة –الأستاذ محمد نديم فاضل ، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤١٣ هـ – ١٩٩٢ م : ١/ ٣٦٨ . وغيرها من الآراء النحوية.

[3]) يُنظر : الإنصاف في مسائل الخلاف : ٥٠٧.٥٠٦/٢ .

[4]) يُنظر : الكشاف : ٧٠٦/٤ ، مجمع البيان : ٢٤٨/١٠ ، التفسير الكبير : ٦٣/٣١ ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، المعروف بتفسير البيضاوي ، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي ت(٦٨٥هـ) ، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٤١٨هـ : ٢٨٩/٥ . وغيرها من التفاسير .

بل له الحُجَّة والسلطة علينا ، ويجب إخضاع قواعدنا الدراسية إليه ، وتكون طوع أمره.

- **إيجاز الحذف في شروح الزيارة الجامعة الكبيرة**

سار شارحو الزيارة الجامعة الكبيرة على خُطى النحويين والبلاغيين في مفهوم الحذف ، إذ نجدهم يُقدِّرون محذوفاً في فقرات مختلفة من الزيارة الجامعة الكبيرة ، منها :

١. **حذف الجملة** : ورد حذف الجملة في شروح الزيارة الجامعة الكبيرة على سبيل التأويل في الشرح ، من ذلك ما جاء في شرح الأحسائي لقول الإمام الهادي (عليه السلام) : ((**وَالْمُظْهِرِينَ لأَمْرِ اللهِ وَنَهْيِهِ**))([1]) أورد في شرحها قوله تعالى : ﴿**وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللّهِ آلِهَةً أُخْرَى قُل لاَّ أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ**﴾ **{الأنعام/١٩}** ، يقول الأحسائي : ((أي و من بلغ منهم أن يكون إماماً يُنذرهم به وأمّا أنّهما فيهم فلأنّهم خزائنهما في الصُّدُورِ و في التقوّم وفي التعلّق و أمّا أنّهما بهم فلأنّ أعمال العاملين من جميع الخلائق إنّما هي بوجودهم و بأمرهم و تعليمهم و هدايتهم و أمّا أنّهما لهم فلأنّ جميع الأعمال الصّادرة من الخلائق عن الأوامر و النّواهي موافقةً و مخالفةً آثارُ سلطانهم إثباتاً و نفياً..))([2])، وهذا على

---

[1]) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، للأحسائي : ٣٦٨/١ .

[2]) المصدر نفسه : ٣٦٨/١ ، **ملاحظة** : الأية المباركة في شرح الأحسائي ورد فيها خطأ في بعض الطبعات ، فقد جاءت (**و أُنْزِلَ اليّ هذا القرءان لِأُنْذِركم به و مَن بلَغ**) بدلاً من ﴿**وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ**﴾ وعمد الباحث إلى تصحيحها كما في المصحف ، رغم أنّه تتبع هذا الخطأ في أكثر من طبعة ووجد الخطأ في طبعة دار المفيد :٢٢٣/١، وطبعة دار طيبة : ١٣٧/١ ، والنسخة الأليكترونية الموجودة على الشبكة العنكبوتية بصيغة (وورد) ، وقد صُححت في طبعة مؤسسة الأحقاقي : ٣٦٨/١ ، لذا اقتضى التنويه .

سبيل التأويل من قبل الأحسائي ، وهذا هو رأي الإمام الصادق (عليه السلام) ولم يُشر إلى ذلك الأحسائي ، فقد ورد ذلك عن ((أحمد بن عائذ عن ابن أُذينة عن مالك الجهنى قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام قوله عزوجل : ﴿**وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ**﴾ قال : **مَنْ بَلَغَ أَنْ يَكُوْنَ إِمَاماً مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ فَهُوَ يَنْذِرُ بِالْقُرْآنِ كَمَا أَنْذَرَ بِهِ رَسُوْلُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ.**))(١)، فكان للتفسير تأثيره في بيان منهج الأحسائي في إيراد المعاني وإن لم يذكر الرأي المتبنّى من قبله .

في حين أنّ الطاهر بن عاشور له رأي آخر في الحذف ، فقال : ((﴿ **ومن بلغ** ﴾ عطف على ضمير المخاطبين ، أي ولأنذر به من بلغه القرآن وسمعه ولو لم أشافهه بالدعوة، فحذف ضمير النصب الرابط للصلة لأنّ حذفه كثير حسن))(٢) ، فعنده لم يكن الحذف لجملة وإنَّما لضمير ، وكما يذهب البحث إلى أنَّ هذا الحذف يشير إلى التسلط الذي فرضه الدرس النحوي على مفهوم الجملة ، وإن كان في بيان الغرض يميل البحث إلى رأي الأحسائي ؛ فيبقى ذلك منوطاً في بيان الغرض لا الموافقة على وجود الحذف .

من ذلك ما جاء في شرح قول الإمام الهادي (عليه السلام) : ((**مُصَدِّقٌ بِرَجْعَتِكُم**))(٣)، أورد الهمداني في شرح هذه الفقرة المباركة ؛ قوله تعالى : ﴿**وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الأَرْضِ لافْتَدَتْ بِهِ وَأَسَرُّواْ النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ الْعَذَابَ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لاَ**

---

١) تفسير نور الثقلين ، عبد علي بن جمعة العروسي الحويزي ت(١١١٢هـ) ، تحقيق : السيد علي عاشور ، مؤسسة التاريخ العربي ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ٢٠٠١م : ٢/ ٢٩٠ .

٢) التّحرير والتّنوير ، الشّيخ محمّد الطّاهر بن عاشور ت(١٣٩٣هـ) ، مؤسّسة التّأريخ، بيروت، لبنان ، ط١، ١٤٢٠هـ . ٢٠٠٠م : ٣٨٧/٤ ، يُنظر: الكشاف : ١٠١/٢ .

٣) الشموس الطالعة من مشارق الزيارة الجامعة ، للهمداني : ٦٢٨ .

﴿يُظْلَمُونَ﴾{يونس/٥٤}، فقال في بيانها : ((...وجواب (لو) محذوف ؛ يعني (لا تنفعه)، ولو كانت توبتهم مقبولة لا يحتاجون إلى الفدية . كما هو صريح الآية . وينفعهم([1])التوبة))([2]) ، فهو يرى بحذف جملة جواب (لو) ، إلّا أنّ المعنى العام يكفي لأداء الغرض من دون فرض محذوف في الآية المباركة ، لأنَّ النفس التي تضيق أمورها تفتدي بكل ما تملك راجيةً الخلاص دون النظر إلى المنفعة ، وهذا السياق لا يحتاج إلى بيان الجواب وإنَّما أراد بيان الفعل الذي يحصل عند تضييق الخناق على النفس .

٢. **حذف المضاف** : ورد في شروح الزيارة الجامعة الكبيرة حذف المضاف بحسب تقدير مضافٍ من قبل الشارحين لنصوص الزيارة الجامعة ، من ذلك ما جاء في شرح قول الإمام الهادي (عليه السلام) : ((**وَالدّعوَةِ الحُسنَى**))([3]) ، يقول الأحسائي : ((إنّهم أهل الدعوة الحسنى على حذف مضاف و الدعوة الحسنى إنَّهم يدعون إلى الإيمان و إلى الجنّة التي هي الحسنى كما في قوله تعالى : ﴿**لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ...**﴾{يونس/٢٦} ، و ذلك أنَّهم دعوا الخلقَ عن بَعْثِ رسول الله (صلى الله عليه وآله) في أصل الإيجاد فعمل الخلائق في قبولهم الإيجاد بحكمتهم (عليهم السلام) فحسنت صورة من أحسن عملاً و قبحت صورة مَن عمل سوءاً...))([4]) ، فقدَّر محذوفاً في سبيل بيان سبب الخفض في (الدعوة) ، وهذا التقدير يدل على النسبة بين الدعوة وأهلها ، في حين أنّ الإمام الهادي (عليه السلام) أراد أن يوضح أنّهم هم الدعوة الحُسنى وليست هم أهلها والدليل على ذلك أنها جاءت في سياق

---

[1]) كذا في الأصل ، والصواب : تنفعهم .
[2]) الشموس الطالعة من مشارق الزيارة الجامعة ، للهمداني: ٦٢٨ .
[3]) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، الأحسائي : ١٥٣/١ .
[4]) المصدر نفسه : ١٥٣/١ .

البدلية عن المعطوفات السابقة إذ ابتدأ النص بالقول : ((**اَلسَّلامُ عَلى اَئِمَّةِ الْهُدى ، وَمَصابيحِ الدُّجى ، وَاَعْلامِ التُّقى ، وَذَوِى النُّهى ، وَاُولِى الْحِجى ، وَكَهْفِ الْوَرى ، وَوَرَثَةِ الأَنْبِياءِ ، وَالْمَثَلِ الأعْلى ، وَالدَّعْوَةِ الْحُسْنى ، وَحُجَجِ اللهِ عَلى أَهْلِ الدُّنْيا وَالآخِرَةِ وَالأولى**))([1]) ، فلم يكن للتقدير محلٌّ ، فهي بدل من ((**اَئِمَّةِ الْهُدى**)) في صدر القسم الثاني من الزيارة الجامعة .

وأشار الوحيدي في شرحه إلى حذف المضاف في هذه الفقرة ؛ في قوله : ((والمراد إمّا أن يكون للمبالغة من باب «زيد عدل» يعني أنّهم عليهم السلام أهل الدعوة الحسنى والكلمة الطّيبة لأنّهم عليهم السلام يدعون النّاس إلى الصّراط المستقيم وطريق النّجاة وسبيل الخيرات والحسنات ، وهم خير دعاة الى الله الواحد الأحد ، والدّعوة الحسنى من فضائلهم التي لا يشاركهم فيها أحد.

أو يكون المراد أنّ أئمّة الهدى عليهم السلام أهل الدعاء والمناجاة الشريفة ، كما كانت أكثر أوقاتهم تقضى في الدّعاء والذّكر والعبادة ، والمظهر الكامل لهذا المعنى الإمام سيّد السّاجدين عليه السلام ، وتعتبر الصّحيفة السّجادية وهي زبور آل محمّد صلى الله عليه وآله رشحة من رشحات مناجاته ودعواته العالية.))([2])، وهذه الإشارة لا تحتاج إلى تقدير محذوف ، بل كان إيصال المعنى واضحاً من دون تقدير مضاف، وإلى هذا المعنى ذهب المجلسي الثاني والصدر في شرحيهما لهذه الفقرة([3]).

---

[1]) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، الأحسائي : ٥٤/١ .

[2]) أنوار الولاية الساطعة ، للوحيدي : ٥٥ .

[3]) يُنظر : شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، للمجلسي الثاني : ٢١٦، في رحاب الزيارة الجامعة الكبيرة، للصدر : ١٣٥ .

٣. **حذف الفعل** : أشار بعض الشارحين إلى حذف الفعل لكثرة الاستعمال في بعض فقرات الزيارة الجامعة الكبيرة ؛ ومن ذلك ما جاء في شرح قول الإمام الهادي (عليه السلام): ﴿**بِأبي أَنْتُم وَأمّي وَأَهْلِي وَمَالِي وَأُسْرَتِي**﴾([1])، قال الأحسائي : ((أقول : قد تقدّم الكلام في **بأبي أنتم و أمّي** و أنّ بأبي خبر مقدّم وَ أَنْتُمْ مُبْتدأ مؤخّر و أنّه [أَيْ] بِأبي كان معمولاً ثانياً لِاَفْدي وأنتم كان معمولاً أوّلاً له فلمّا حُذِفَ لكثْرةِ الاِسْتعمالِ حَتَّى أَنَّهُ غلَب حُضورُ مَعْنَاهُ بالبَالِ ضمِن مَعناهُ المعمول الثَّاني لأنّهُ ثَمرةُ عَامِله فَنَابَ عَنْهُ وَ لِأنّه نفسُ الْفِدَاءِ فيكون اَوْلى مِنْ أنتم بالتضمنِ وَ بالنِّيَابةِ و لِأجْلِ هٰذَا تَصَدَّرَ و تقدّم و تأخّر المبتدأ))([2])، فكان اعتماد الشارح على اللغة للوصول إلى دلالتته التي ينشدها.

وإلى ذلك ذهب الغزي في قوله : ((**بِأَبِي أَنتُم وَأُمِّي وَأَهلِي وَمالِي وَأُسرَتِي** وواضح التقدير هنا أفديكم – أئمتي وسادتي **بِأَبِي أَنتُم وَأُمِّي وَأَهلِي وَمالِي وَأُسرَتِي** قطعاً هنا ليس مساواة بين الأئمة وبين الإنسان – كي يُعبر عن حبّه لأهل البيت وعن استعدادهم بالتضحية بكل غالٍ ونفيس فهو يحتاج إلى ألفاظ ويحتاج إلى معانٍ تعارف عليها الناس، تعارف الناس على أن يُفَدُّوا العزيز الأعز بما هو عزيزٌ وغالٍ عندهم...))([3])، والسياق في بيان المفهوم لا يحتاج إلى تقدير (أفديكم) ، لأنَّ الإفصاح عن المعنى في ثنايا الألفاظ موجود يستشعره المتلقي أو القارئ من دون بيان التقدير ، وهذه غاية البلاغة .

---

[1]) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، الأحسائي : ٣/٤ .
[2]) المصدر نفسه : ٣/٤ .
[3]) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، الغزي : ١٧٣/٣ .

ومثله أشار الوحيدي والصدر إلى ذات الحذف في هذا الجزء من الزيارة([1])، ولم يحدد الإمام (عليه السلام) معنى الفداء في هذه الفقرة ، إلّا أن الشارحين حددوها بالفداء لأنّ الجار والمجرور ـ في عرف النحو . يجب أن يتعلَّق بعمدة إمّا فعل أو اسم، لذا كان التقدير واجباً في بيان المعنى ، وهذا يدل على مدى استحكام قبضة النحو بتلابيب البلاغة ، في حين أنَّ المعنى العام لهذه الفقرة تشير إلى أنّها واضحة في أدائها للمعنى ، وإذا سرنا على خطوات الحذف ؛ فلِمَ تحدد بالفداء دون غيره؟ !! هل نستطيع أن نجعل من (الباء) في (بأبي) معنى الواسطة ؟ ، أي بواسطة أبي وأمي عرفتكم أو واليتكم أو عارفكم ومواليكم ؟ ، أو هل أنّ الباء تأتي بمعنى (الظرفية) لتكون أنتم في كيان أبي وكيان أمي وفي نفسي أم لا ؟ لذا من دون تقدير أجدى وأجدر لإحاطتها جميع المعاني ، فالتقدير يحصر المعنى في واحد ويقصي المعاني الأخرى ، والبحث يذهب إلى عدم تقدير محذوف .

ونجد حذف الفعل قد ورد في شرح استشهاد الإمام (عليه السلام) في الآية القرآنية المباركة : ﴿سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً ﴾{الإسراء/١٠٨} ، قال الصدر في شرحه لهذه الآية المباركة : ((أي منزّه ربّنا تنزيهاً عمّا لا يليق به. وسبحان منصوب على المصدرية : لفعل محذوف.))([2]) ، إلَّا أنَّ الإمام الهادي (عليه السلام) أراد من هذا الاقتباس بيان أنّ هذه الآية المباركة نازلة فيهم ، فلو نظرنا إلى الآية التي تسبقها وتكملة الآية لوجدنا أنَّ الإمام لم يُشر إلى الحذف بقدر إشارته لدلالة الآية عليهم ، قال تعالى : ﴿قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ

[1]) يُنظر: أنوار الولاية الساطعة : ٢٠٢ ، في رحاب الزيارة الجامعة الكبيرة ، للصدر : ٤٧٩ .
[2]) في رحاب الزيارة الجامعة الكبيرة ، للصدر : ٦٥٥ .

خُشُوعًا ﴾{الإسراء/١٠٩} ، وإلّا ما المغزى من اقتباس الألفاظ القرآنية ووضعها في هذا المكان بطريقة الجملة الاعتراضية وبعدها التفات من الغيبة إلى الخطاب؟! ؛ فالآية المباركة تشر إلى المعنى القرآني وأنّها نازلة فيهم ومنها إلى الحثّ على الفعل الذي قاموا به عليهم السلام.

٤. **حذف الحروف** : في بعض السياقات التي جاءت بها الزيارة الشريفة ؛ قدر فيها الشارحون حذفَ حروفٍ منها جرياً على عادة اتخذها اللغويون مساراً في تحليل النصوص أو إعرابها ، من ذلك ما جاء في قول الإمام الهادي (عليه السلام) : **((اَللّـهُمَّ وَصَلِّ اللهُ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وأَبْلِغْ أَرْوَاحَهمْ وَأَجْسَادَهُم مِنِّيْ السَّلَامَ))**([1]) ، قال الأحسائي : ((...فاللهم مفيد فائدة يا الله أطلبُ منك حاجتي و هي كذا و يا الله إنَّما يفيد طلب الإقبال عليه و التوجّه إليه من غير إفادة السؤال و لهذا يترجّح اللهم في إرادة المبالغة في الدّعاء علي يا اللهُ و حذفت [يا] تخفيفاً بعد وجود ما يفيد مفادَها و إدخالها مع الميم المشدّدة قليل في الاستعمال فإنّهم إنَّما حذفوها تخفيفاً و كراهةً للجمع بين العوض و المعوّض و لقلّة فائدتها لوجود فائدتها في الميم...))([2]) ، فلا يوجد حذف بوجود العوض ، فإذا استعاض الكلام بحرف؛ فلا يُقدَّر الحرف مرة أخرى بحذفه ، لأنَّ التقدير سيعطي للحرف المعوَّض مفهوم العبثية بوجوده ، فعدم التقدير أولى لوجود البديل الذي استعان به الكلام على سقوط ما أحد أحرفه الأصلية.

---

[1]) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، الأحسائي : ٢٧٢/٤.

[2]) المصدر نفسه : ٢٧٢/٤.

المطلب الثاني

الإطناب

حدُّهُ ، أشكاله ، وفوائده البلاغية

توطئة

من المباحث التي عنى بها دارسو البلاغة ومنظروها ـ على طول خط البحث في الدرس البلاغي ـ بدراسة أحوال العبارة لا سيما في موضوع الإطناب ، وفقاً للحال المُحدث وقت التكلم ، ومحدد أساليبه السكاكي ت(٦٢٦هـ) الذي أطلق عليه بـ((متعارف الأوساط))([1]) ، ووضَّح أن ((الإيجاز هو أداء المقصود من الكلام بأقل من عبارات متعارف الأوساط، والإطناب هو أداؤه بأكثر من عباراته، سواء كانت القلة أو الكثرة راجعة إلى الجمل، أو إلى غير الجمل...))([2])، وعاد القزويني ت(٧٣٩هـ) هذا المعنى بصياغة جديدة موضحاً ذلك في قوله : ((الأقرب أن يُقال : المقبول من طرق التعبير عن المعنى هو تأدية أصل المراد بلفظٍ مساوٍ له، أو ناقص عنه وافٍ ، أو زائد عليه لفائدة .... وقولنا : (وافٍ) إحتراز عن الإخلال، وهو أن يكون اللفظ قاصراً عن أداء المعنى .... وقولنا : (لفائدة) احتراز من شيئين: أحدهما التطويل: وهو أن يتعين الزائد في الكلام ... ، وثانيهما : ما يشتمل على الحشو، والحشو ما يتعين أنه زائد....))([3]) ، وإلى ذلك ذهب معظم المتأخرين([4]).

---

[1]) مفتاح العلوم : ١٣٣ .

[2]) المصدر نفسه : ١٣٣ ، يُنظر : الإيضاح : ١ /١٧٦ ، الطراز : ٥٤٧ .

[3]) الإيضاح : ١ /١٧٧ . ١٧٨ .

[4]) ينظر: المثل السائر: ٢/ ١٠٩، وجوهر الكنز: ٢٥٦، والتلخيص: ٢٠٩-٢١٠، والايضاح :١٩٠، وشروح التلخيص: ٣/ ١٥٩.

نستنتج من ذلك : إشارة اللغويين إلى إمكانية وجود تطويل في سياقات لغوية ما، يقصده الباث لغرض توضيح مراده من هذا التطويل ، وقد عَنى البلاغيون في الإطناب وعدُّوه من ألوان الخطاب ، وجعلوا له مباحثَ خاصَّة ومهمَّة في البحوث البلاغة العربية، ولا تجد كتاباً يتحدَّث في البنية التركيبية البلاغية يخلو من هذا اللون البلاغي .

الإطناب في اللغة : هو من أطنب في المكان إن أقام فيه طويلاً([1]) ،((وهو البلاغة في المنطق والوصف مدحاً كان أو ذمَّاً ، وأطنب في الكلام : بالغ فيه ، وأطنب في الوصف : بالغ واجتهد))([2]) ، أي : هو الإطالة والتكثير لغرض المبالغة بحسب التعريفات اللغوية.

الإطناب في الإصطلاح : لا يبعد المعنى في الاصطلاح للإطناب عن معناه اللغوي كثيراً ، إلا أنَّ الإختلاف فيما بينهما ؛ كالاختلاف بين الخاص والعام ، ففي اللغة يشمل الصفة العامة للتطويل والإكثار لغرض المبالغة ، واختصَّ الاصطلاح في الخطاب اللغوي ، وقد تحدَّث فيه علماء البلاغة قديماً ، فهذا الجاحظ ت(٢٥٥هـ) ، قال فيه : ((الإيجاز في غير عجز ، والإطناب في غير خطل))([3]) ، وأشار إلى ضرورة الاطناب في بعض المواضع ، فقال : ((وقد بَقِيَتْ . أبقاك الله . أبواب توجب الإطالة وتحوج إلى الإطناب، وليس بإطالة ما لم يجاوز مقدار الحاجة، ووقف عن منتهى البغية))([4])، من هذا نجده يرادف بين الإطالة والإطناب، وهما

---

[1]) يُنظر : كتاب العين مادة (طنب) : ٧ /٤٣٨ .

[2]) لسان العرب مادة (طنب).

[3]) البيان والتبيين : ١ /٦٧ .

[4]) الحيوان ، الجاحظ أبو عثمان عمر بن بحر ، ت(٢٥٥هـ)، تحقيق : عبد السّلام هارون ، دار الجيل ، بيروت، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م : ١ / ٧٦ ، يُنظر : البلاغة عند الجاحظ ، د. أحمد مطلوب ، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م : ٨٠ .

يقابلان الإيجاز في السياق ، فالإطناب عنده : الكلام الذي لا يتجاوز مقدار الحاجة ، ولم يقف عند نهاية البغية ، وهذه الإشارة الأولى إلى التعريف الإصطلاحي للإطناب([1]).

وأشار المبرد ت(٢٨٥هـ) للإطناب في قوله: ((من الكلام : الإختصار المُفْهِم ، والإطناب المفخَّم))([2]) ، واتَّضح تعريف الإطناب على يد الرماني ت(٣٨٦هـ) في قوله : ((فأما الإطناب ، فإنَّما يكون في تفصيل المعنى ، وما يتعلق به في المواضع التي يحسن فيها ذكر التفصيل))([3]) ، وفرَّق الرمَّاني بين الإطناب والتطويل ، فذكر: إنَّ الإطناب هو طريق من الطرق التي تؤدي إلى المعنى ، أمَّا التطويل : فهو عيب في الكلام([4]) .

وذهب إلى هذا الفرق أبو هلال العسكري ت(٣٩٥هـ) ، فالإطناب عنده : بلاغة يسلكها المُخاطِب لفائدة يُريدها ، أمَّا التطويل : فهو عييّ في الكلام يبتعد المعنى به([5]).

وابن الأثير ت(٦٣٧هـ) قال : الإطنابُ ((زيادة المعنى على اللفظ لفائدة))([1])، وإليه ذهب البلاغيون المتأخرون([2])، وكذلك ؛ المحدثون([3]) .

---

[1]) يُنظر : علم المعاني في كتاب الدر المصون في علوم الكتاب المكنون (رسالة) ، ريان جبار صالح البرزنجي ، كلية التربية للبنات ، جامعة تكريت ، ٢٠١٣م : ٢٠٩ ، بلاغة الإطناب ، دراسةٌ تطبيقية في القرآن الكريم (رسالة) ، شكر محمود مهوس الجبوري ، جامعة تكريت ، كلية التربية للبنات ،١٤٢٠هـ –١٩٩٠م : ٧ .

[2]) الكامل في اللغة والأدب ، المُبرِّد أبو العباس محمد بن يزيد، ت(٢٨٥هـ)، تحقيق : د. محمد أحمد الداني ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط٣، ١٤١٨ هـ –١٩٩٧م : ١ /٤٠ .

[3]) النكت في إعجاز القرآن : ٧٢ .

[4]) المصدر نفسه : ٧٢.

[5]) يُنظر : كتاب الصناعتين : ١٩١ .

ويرى الدكتور محمد حسين الصغير(رحمه الله) : إنَّه لا يُعَدُّ الإطنابُ من منافيات البلاغة وكذلك الإيجاز لا يُعدّ عنصر البلاغة ، فالألفاظ إذا وضعت في موضعها من البيان . بحسب ما يقتضيه الخطاب . فهذه البلاغة ؛ سواء أكان فيها تطويل ليكون الكلام مطنباً، أم حصر المعنى في كلمات وجيزة([٤]) ، وهذا يكون عمدته (المتكلم) وقضية الشفهية وإيصال المعنى هو الفيصل في الخطاب .

والبحثُ يرى : أنّه لا تطويل ولا إطناب في الخطاب ، وجرياً مع مفهوم الخطاب اللغوي ، وتبعاً لغايته وهي إيصال المعنى : فيُشير ذلك إلى عدم الإطناب ، لأنَّ الخطاب إذا حَسُنَ السكوت عليه وفُهِمَ المعنى بقِصَر العبارة ؛ بلغ الكلامُ مبتغاه ، وإذا لم يُفهم واحتاج إلى تفصيل لغرض الإيصال التام للمعنى؛ فلا إطناب لأنَّ الكلام لم يبلُغْ مبتغاه وكان ناقصاً .

ومن شروط البلاغة : الإفصاح عن الحكمة المستغلقة في الخطاب ؛ سواء أكثُرَتْ الألفاظ أم قلَّت ، فإذا كان الإطناب يعني التفصيل بعد الإبهام؟ فهذا يدل على أنَ الكلامَ لم يكن قد بلغ مبتغاه فاحتاج إلى توضيح وهو من مكمِّلات الخطاب؛ ولا تُعدُّ هذه المكمِّلات إطناباً لأنَّها من أسّ البلاغة ، والخلل فيها يجنِّب البلاغةَ الصواب ، وسيأتي تفصيلات ذلك في أشكال الإطناب بوساطة الأغراض الواردة تحت إطاره.

---

[١]) المثل السائر : ٢ /١٢٠ .

[٢]) يُنظر : الإيضاح : ١٧ ، الطراز : ٣ /١١٧ .

[٣]) يُنظر : علم المعاني ، بسيوني : ٢ /٢٥١ ، البلاغة في سؤال وجواب ، د. ضرغام كريم الموسوي ، دار التوحيد للطباعة ، كربلاء المقدسة ، ط١، ٢٠١٦م : ١٦٢، جمالية التركيب اللغوي : ٨٢ .

[٤]) يُنظر : علم المعاني بين الأصل النحوي والموروث البلاغي ، د.محمد حسين الصغير ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد، ١٩٨٩م : ١٠٤ .١٠٥ .

- **أشكال الإطناب في شروح الزيارة الجامعة الكبيرة**

للإطناب أشكال وأساليب([1])حاله في ذلك حال الموضوعات البلاغية الأخرى ، وقد وردت هذه الاشكال في أثناء شروح الزيارة الجامعة الكبيرة ؛ منها :

١. **الاعتراض** : من أشكال الإطناب التي ورد ذكرها عند البلاغيين وعدَّوه من محاسن الكلام ، وقال عنه ابن المعتز ت(٢٩٦هـ) : ((ومن محاسن الكلام أيضاً في الشعر اعتراض كلام في كلام لم يتم معناه ثم يعود إليه فيتبعه في بيت واحد))([2]) ، وإلى هذا المعنى ذهب أكثر البلاغيين([3]) ، وكذلك نجدهم يعدّوه من علم البديع ؛ في حين هو من جماليات التركيب وليس من جماليات اللفظ .

وورد هذا اللون في شرح قول الإمام الهادي (عليه السلام) : ((**مُسْتَشْفِعٌ اِلَى اللهِ عَزَّوَجَلَّ بِكُمْ**))([4]) ، قال الهمداني : ((فالمراد بقوله ((**مُسْتَشْفِعٌ اِلَى اللهِ عَزَّوَجَلَّ بِكُمْ**)) أنّي مستفيض من الله عز وجل بتوسط ما هو سركم في عالم وجودي ، لا بالطاغوت الذي هو سر أعدائكم ، وفي الاعتراض بالجملتين إشارة إلى أن الله تعالى بذاته أعزّ وأجلّ من أن يُباشر أمر خلقه ، بل يفيض إلى كل موجود بأسمائه . كما عرفته مراراً))([5]) ، فعنده (عزَّ وجلّ) جملتان معترضتان دلَّ وضعهما على إشارة لعدم مباشرة الله لأمر خلقه وإنّما كانت مباشرته للخلق بطريق الوكالة أو التوكيل

---

[1]) يُنظر : الإيضاح : ١٩٠.٢٠٣ .

[2]) البديع: ٥٩.

[3]) ينظر: مفتاح العلوم: ٤٢٨، وجوهر الكنز: ١٢٨، والتلخيص: ١٤٦، والايضاح: ١٩٠ ، أنوار الربيع في أنواع البديع: علي صدر الدين بن معصوم المدني ت(١١١٧هـ)، تحقيق: شاكر هادي شكر، ط١، النجف الأشرف، ١٣٨٨هـ-١٩٦٨م: ٥/ ١٣٦.

[4]) الشموس الطالعة من مشارق الزيارة الجامعة ، للهمداني : ٦٤١ .

[5]) المصدر نفسه : ٦٤١ .

لعباده المكرمين الذينَ وكَّلَهم بحفظ ما يكون من عباده وأداء أوامره لخلقه ، من ذلك نستنبط عدم إمكانية حذف هاتين الجملتين لأنّهما يحويان معنى التوكيل ، ورفعهما من الخطاب يرفع حكمها ، وهذا يعارض مفهوم الجملة الاعتراضية عند البلاغيين التي تعني الزيادة في السياق من الممكن رفعها دون خلل يحدثه رفعها منه ، لذلك أشرنا إلى عدم وجود اطنابٍ بالمفهوم السائد لأنّ ذلك يجعل السياقَ ناقصاً من المفهوم ما لم يعوضه إلا هو .

٢. **التكرار** : أَلِفَ العرب هذا اللون البلاغي منذ القدم ، وهو من كرّرَ يُكررُ تكراراً أو تكريراً ، وكرّ بنفسه ، وكرر الشيء: أعاده مرَّة بعد مرّة([١])، وعند أهل الاصطلاح: هو تكرار اللفظ بعينه مرتين أو أكثر ، بغض النظر من اتفاق المعنى واختلافه([٢])، وعدّه البلاغيون من علم البديع([٣])، وأطلق عليه عدد من البلاغيين بـ(التكرير)([٤])، ويبدو أنّ التكرير أقرب من مصطلح التكرار لأنّ الإعادة تكرير .

ورد التكرير في شروح الزيارة الجامعة الكبيرة بأغراض متعددة ، منها :

أ. **التأكيد** : جاء التكرير ليفيد التأكيد ، من ذلك ما جاء في قول الإمام الهادي (عليه السلام) : ((**فَمَعَكُمْ مَعَكُمْ لا مَعَ غَيْرِكُمْ**))([٥]) ، قال المجلسي الأوَّل : ((**فَمَعَكُمْ مَعَكُمْ**

---

[١]) يُنظر : لسان العرب ، مادَّة (كرر) .

[٢]) يُنظر : الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان ، ابن القيم الجوزية ت(٧٥١هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط٢ ، ١٩٨٨م : ١١١ .

[٣]) يُنظر : المثل السائر : ١٣٧/٢ .

[٤]) الجامع في علم المعاني ، د.جاسم عبد الواحد ، دار الكتب والوثائق ، بغداد ، العراق ، ط١ ، ٢٠١٩م : ٢٠٦ . سأل الباحثُ الدكتورَ جاسم عبد الواحد عن سبب تسميته التكرار بالتكرير ، فأجاب قائلا : (إنَّ كلمة التكرير أقرب إلى المعنى لأنَّ التكرير يدل على الإعادة مرَّة بعد مرَّة ، ومن ذلك تكرير النفط وتكرير المعادن ، فالتكرير أقرب من التكرار للمفهوم) .

[٥]) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، المجلسي الأول : ١٨١ .

أي : فأنا معكم بالقَلْب واللّسان . أو هنا ، وفي الرجعة . أو [أنّه] كرر [الكلمة] للتأكيد.))([1]) ، فالتكرير جاء للتأكيد ، وحذف التكرير يؤدي إلى رفع هذا التأكيد من السياق ، مما يُدلل على عدم الزيادة في الكلام ، لأنّه عند التنازل عنه ؛ يؤدي إلى فقدان السياق جزءاً من المعنى وبلوغ الحكمة المستغلقة فيه .

وإلى هذا ذهب الصدر في شرحه لهذه الفقرة ([2]) .

وجاء التكرير ليفيد التأكيد في شرح الغزّي ، حيثُ أورد رواية عن الإمام الصادق (عليه السلام) تقول : ((**وَبِاسْمِكَ الأَعْظَمِ الأَعْظَمِ الأَعْظَمِ الأَجَلِّ الأَكْرَمِ الَّذي خَلَقْتَهُ فَاسْتَقَرَّ فِي ظِلِّكَ فَلَا يَخْرُجُ مِنْكَ إلى غَيْرِكَ**))([3]) ، قال الغزّي : ((هذا التكرار ثلاث مرات إشارة إلى أن الأعظم الواحدة لوحدها لا تكفي، – إشارة إلى أن اللغة لا تستطيع أن تعَبر عن عَظَمة هذا الإسم لذلك جاء الوصف الأعظم الأعظم الأعظم، والذكر الثلاثي هو أعلى ذكرٍ في الألفاظ معروف عند العرب، حين يريدون تأكيد معنى أو الحديث عن سعة معنى أو أهمية معنى يكررونه ثلاثاً...))([4]) ، ولأنَّ اللغة لا تستوعب المعنى الذي يريده بيان مفهوم العظمة ، لذلك كررها في الرواية ، فكانت الإلتفاتة من قبل الشارح جميلة جداً ، والبحث يميل إلى هذا المعنى .

---

[1]) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، المجلسي الأول : ١٨١ ، وأشار إلى أنّ التكرير جاء ليفيد التأكيد في تكرار (لا إله إلا هو) ، يُنظر : ٨٠.

[2]) يُنظر : في رحاب الزيارة الجامعة الكبيرة ، الصدر : ٥٣٧ .

[3]) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، الغزي : ٤٢/٣ ، يُنظر : الإقبال بالأعمال الحسنة فيما يعمل مرة فى السنة ، علي بن موسى بن طاووس ت(٦٦٤هـ)، مكتب الإعلام الإسلامي ، قم ، إيران، ط١ ، ١٤١٨هـ : ٢٧٧/٣ .

[4]) المصدر نفسه : ٤٢/٣ ، وأشار الغزي إلى التكرير الذي جاء بغرض التأكيد في شرح قول الإمام (عليه السلام) : ((**بِأبي أَنْتُم وَأُمّي وَأَهْلِي وَمَالِي وَأُسْرَتِي**)) ، يُنظر : ٢٠٢/٣ .

وجاء التكرير بغرض التأكيد في شرح قول الإمام الهادي (عليه السلام) : ((**وَحُجَجِ اللهِ عَلى أَهْلِ الدُّنْيا وَالآخِرَةِ وَالأُولى**)) ، قال الوحيدي في لفظ (**الأولى**) : ((**والأُولى** يراد بها الدّنيا ، ذكرت مرّة أخرى للتأكيد ، أو بعنوان تكرار لحفظ سجع وقافية الكلام))([1]) ، يبدو أنَّ الوحيدي أشار إلى الترادف بين (الأولى والدنيا) ، لذا أشار إلى التكرير بالمعنى ، في حين أنّ (الأولى) غير الدنيا ، إذ المقصود بها النشأة الأولى من عالم النور إلى عالم الذر إلى عالم الأصلاب إلى عالم الأرحام وهذه العوالم لا دخل لها بنشأة الدنيا ، فالبحث لا يجد تكريراً في هذه اللفظة .

وجاء التكرير بغرض التأكيد في شرح قول الإمام الهادي (عليه السلام) :((**لا إِلهَ إِلاّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكيمُ**))([2]) ، قال الصدر : ((**لا إِلهَ إِلاّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكيمُ** كرّر ذلك للتأكيد ، أو للتوصيف بالعزّة والحكمة.))([3]) ، يبدو أنّ التكرير للآية المباركة لتثبيت التوحيد والإشعار المستمر بالضعف وعدم الحكمة أمام الواحد الأحد الصمد العزيز الحكيم ، فالتثبيت أقرب للسياق من التأكيد .

ب . **التثبيت** : يأتي التكرار في بعض السياقات لغرض تثبيت مفهوم ما أو لبيان ثبات معنى معيَّن ، من ذلك ما جاء في شرح قول الإمام الهادي (عليه السلام) : ((**وَالمُسْتَقِرّينَ فِي أَمْرِ اللهِ**))([4]) ، قال الميلاني : ((... ما يستدعي الدِّقة في جملة **وَالمُسْتَقِرّينَ فِي أَمْرِ اللهِ** هو تعدية مادة الاستقرار بـ (في) الموضوعة في اللغة للظرفية ، فالأئمة مستقرون في أمر الله ، لا يزالون عنه ولا يتحوَّلون ، وهذا يقتضي

---

[1]) أنوار الولاية الساطعة ، الوحيدي : ٥٩ ، وأشار إلى التكرير بغرض التأكيد في شرحه لقول الإمام(**لا إِلهَ إِلّا العَزِيزُ الحَكِيمُ**) ، يُنظر : ١٠٨ .

[2]) في رحاب الزيارة الجامعة الكبيرة ، الصدر : ٢٢٧ .

[3]) المصدر نفسه : ٢٢٧ .

[4]) مع الأئمة الهداة ، الميلاني : ٢٢٤ .

أن يكون المراد هو المعنى الثاني للأمر ، أعني : الإرادة ، فيكون المعنى : إنَّ الأئمة ثابتون في إرادة الله . وبعبارة أخرى : هم مظاهر الإرادة الربانية ، فكأنّ إرادته سبحانه ظرف والأئمة مستقرون في هذا الظرف ، ثابتون فيه لا ينفكون عنه ... وقد تكرر ذكر هذا المفهوم في الزيارة الجامعة))([1]) ، يتضح استنباط الثبات من مفهوم (مستقرّين) لأنَّها اسم فاعل من (استقرَّ) غير الثلاثي ، وهو يفيد الثبوت ، وهذا ما استوحاه الشارح من تكرير اسم الفاعل في النص ، فالتكرير جاء للمعنى وليس للفظ، وهذا يُعدّ من البلاغة العالية لتثبيت المفهوم في الذهن ورفع الشك من خبايا الفكر.

٣. ذكر العام بعد الخاص : من ألوان الإطناب ما اصطلح عليه البلاغيون بـ(ذكر العام بعد الخاص) ، وقد ورد هذا اللون في شرح قول الإمام الهادي (عليه السلام) : ((**وَأولِي الحِجَى**))([2]) ، قال الهمداني : ((الحِجى . بالكسر . : العقل . وكأنَّه عليه السلام أراد به ما هو مبدء تمام الاعتبارات من نفس ذلك النور من غير اعتبار وصف معه ، من قبيل ذكر العامّ بعد الخاصّ ؛ فإنَّ قوله : **وَاعلامِ التُّقَى** ناظر إلى مرتبته التي بها يحصل التقديس ، وبقوله عليه السلام : **وَذَوِي النُّهِى** أشار إلى ما يحصل به التنزيه ، وبهذه الفقرة أراد ما لا يعتبر معه شيء ، ويطلق من جميع القيود))([3]) ، وهذا يدل على أنَّه لا تطويل في الكلام وإنَّما هو غرض بلاغي أشار للأهم أوَّلاً ومن ثمَّ المهم ، فلأجل إلفات النظر لأهمية الخاص قدَّمه على العام.

٤. ذكر الخاص بعد العام : هذا اللون هو عكس ما سبق ، إذ يأتي اللفظ الخاص لبيان شأن من شؤونات العام الذي سبقه ، ومن ذلك ما جاء في شرح قول الإمام

---

[1]) مع الأئمة الهداة ، الميلاني: ٢٢٤ .
[2]) الشموس الطالعة من مشارق الزيارة الجامعة ، الهمداني : ٢٥٧ .
[3]) المصدر نفسه : ٢٥٨.٢٥٧ .

(عليه السلام) : ((**السَّلامُ عليكم يَا أَهل بَيت اَلنُّبوَّة ، و موضع اَلرسالةَ**))([1]) ، قال الغزّي : ((...الرسالة هي وجهٌ من وجوه النبوة، النبوة الكلية وجهٌ من وجوهها وتجلي من تجلياتها هي الرسالة، والرسالة قد يتبادر إلى الأذهان حينما أقول أرسلتُ إليك رسالة قد تكون هذه الرسالة مقداراً من المال، وقد تكون ثوباً، وقد تكون وروداً وأزاهير، وقد تكون وقد تكون ، لكن المعنى المتبادر الأول للرسالة شيءٌ مكتوب...))([2])، فيرى الشارح أنَّ الرسالة هي شأن من شؤونات النبوّة ، وهذا فيه نظر ، لأنّ الرسالة لها شأنٌ خاص رُبما تجد رسولاً وليس بنبي وكذلك العكس ، إلّا أنّها هنا إشارة إلى امتلاك هذه النبوَّة خصائص الرسالة ، وهذا رُقي آخر يُضاف إلى النبوَّة وليس جزءاً منها أو تجلٍ من تجلياتها ، فموضع الرسالة يكشف المقام العالي الذي حازه هذا البيت الخاص بسلالة النبيين ، فلا خاص ولا عام بين النبوّة والرسالة.

ومن ذلك ما شاء في شرح قول الإمام الهادي (عليه السلام) : ((... **وَارتَضَاكُمْ لِغَيْبِهِ وَاخْتَارَكُمْ لِسرِّهِ**))([3]) ، قال المجلسي الأوّل : ((**واختاركُم لِسِرهِ** للتّأكيد أو التّخصيص بعد التّعميم .))([4]) ، فيرى الشارح : إنَّ السرَّ هو خاص ؛ والغيب العام، إلّا أنّ الغيبُ شيء والسر شيء آخر ، فالسرّ هو ما استودعه الله تعالى في أهل البيت (عليهم السلام) ومن طريقه يُديرون شؤون العالم وهذا لا يطلَّع عليه غيرهم، أمَّا الغيب: فهو ما خفيَ عن أعين الناس ، وربما بفترة من الفترات سيظهر للعلن ، أمّا السر فلا يخرج لأنَّه سرٌّ ، وبالخصوص إذا كان مستودعاً عند آل محمد (صلوات ربي وسلامه عليهم أجمعين) ، أمّا الغيب فمن الممكن إطلاع الخاصَّة

---

[1]) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، الغزي : ٨٧/١ .
[2]) المصدر نفسه : ٨٧/١ .
[3]) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، المجلسي الأول : ٩٣ .
[4]) المصدر نفسه : ٩٣ .

عليه كما قال تعالى : ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ {الجن/٢٨} . فالمرتضى من الرسل بإمكانه الاطلاع على الغيب ولكن لا يطلع على السر.

٥. **التتميم** : لون من ألوان الإطناب ؛ الذي لا يدع شيئاً يحتاج إلى بيان إلّا ذكر بيانه([1]) كي لا يُستغلق من حكمة الخطاب شيء ، وهذا ما نجده في شرح قول الإمام الهادي (عليه السلام) : ((**وَسَلَّمَ تَسْلِيماً كَبِيراً وَحَسْبُنا الله وَنِعمَ الوَكِيلُ**))([2])، قال الأحسائي : ((معنى سلّموا تسليماً أمْرٌ للمكلّفين بأن يقولوا السلامُ عليه على الظّاهر و معناهُ في التأويل و سلِّموا فيما ورد عنه صلى الله عليه و آله كما تقدّم في حديث المعاني و في المحاسن عن الصادق عليه السلام أنّه سُئِل عن هذه الآية فقال : **أثنُوا عليه و سلّموا له** ....ولو خلص لفظ سلِّموا تسليماً في الدلالة على معنى سلّموا الأمر لمن نصبه يوم الغدير لأسقطه أعداؤهم كما أسقطوا نظائره من جميع القرآن لكنه ، لمّا كان ظاهره و المتبادر منه أن يقولوا السلام عليه أو سلّموا له على إرادة العموم أبقوه و لم يحذفوه لعدم منافاة ظاهره لغرضِهِمْ مع أنَّهم يعرفون باطنه و لٰكنّ الله تعالى ألقى في نفوسهم أنّ العوام و سائر الناس الذين يستجلبون قلوبهم لايفهمونه فلا يفوتُ غَرضهُم و لو حدَّثْتَهُم أنفسُهمْ بإسقاطه كراهة أن يعثر احدٌ علَى المنافي لغرضهم ألقى سبحانه في نفوسهم أنّ الإكثار من الاسقاطِ ربّما يكون منافياً لأنّ سائر الناس قد يتنفّرون و يتوحّشون من كثرة التغيير فيقتصرون على أقلّ ما يندفع به المنافي و كلّ ذلك رعاية منه تعالى لاعلاءِ كلمته و إتمام نوره

---

[1]) يُنظر : نقد الشعر : أبو الفرج قدامة بن جعفر ، تحقيق وتعليق : د. محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، د.ط ، د.ت : ١٤٤ .

[2]) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، الأحسائي : ٤/٢٣٦.٢٣٧ .

والى فعله بهم و بما شاء من تدبير النظام بحكمته الإشارة بقوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لاَ يَعْلَمُونَ﴾{الأعراف/١٨٢}))([1])، يرى الشارح : إنّ السلام الختامي الذي ختم به الإمام الهادي (عليه السلام) زيارته المباركة هو من التتميم الذي أُريدَ منه بيان مستكملات الخطاب، إلّا أن ذلك منهجاً اتخذه الأئمة (عليهم السلام) في كل زياراتهم وأدعيتهم وخطبهم وكأنَّه خارطة طريق لكل خطاباتهم، يبدؤون بالحمد والثناء ومن ثمّ عرض الخطاب ومن بعده التسليم .

ومثله ورد في شرح قول الإمام الهادي (عليه السلام) : ((**وَالْبابُ الْمُبْتَلى بِهِ النّاسُ**))([2]) ، قال الصدر : ((أي الباب الممتحن به الناس ، من الإبتلاء بمعنى الامتحان. فإنّ الإبتلاء في الأصل هو : الاختبار والامتحان. قال تعالى : ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ﴾ أي اختبره . واعلم أنّه يقال في الله تعالى : أنّه أبلى فلاناً فليس المراد منه إلاّ ظهور جودته أو رداءته دون التعرّف على حاله والوقوف عليه ، لأنّ الله لا يجهل ذلك وهو علاّم الغيوب.

وبالامتحان يحصل تمييز الخبيث من الطيّب ، والغشّ من الذهب ، والجيّد من الرديء ، إتماماً للحجّة ، وإظهاراً للمحجّة ، وهو عام للجميع.))([3]) ، فيرى أنَّ الابتلاء من متممات الحُجَّة ، في حين أنَّ الإبتلاء يكون إمَّا للتمحيص أو للارتقاء ، فكلُّ ابتلاء يعقبه ارتقاء أو توبيخ ، فلا ابتلاء في إتمام الحُجة .

٦. **التفسير بعد إبهام** : لون من ألوان الإطناب البلاغي ، أشار إليه الباقلاني ت(٤٠٣هـ) من علم البديع ، وحدَّه عنده : ((أن توضع معان تحتاج إلى شرح

---

[1]) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، الأحسائي : ٤/٢٣٦.٢٣٧ .

[2]) في رحاب الزيارة الجامعة الكبيرة ، الصدر : ٤٠٠ .

[3]) المصدر نفسه : ٤٠٠ .

أحوالها، فإذا شرحت أثبتت تلك المعاني من غير عدول عنها ولا زيادة ولا نقصان))([1])، فهو استيفاء المعنى بعد إبهامه في كلامٍ سابق .

وقد ورد هذا اللون في شرح قول الإمام الهادي (عليه السلام) : ((**وَالْمَقَامُ الْمَعْلُوْمُ**))([2]) ، يقول الأحسائي : ((والمقام بفتح الميم : واحد لأنَّ المقام بفتح الميم موضع القيام اذا أُريد به مكان الشفاعة كالمقام المحمود أو الأعم كتولّي أمر الحساب و قسمة الجنّة و النار و إنزال المستحقين منازلهم من الدارَيْنِ و إن قُرئ بضم الميم لم يتناف مع المكان أيضاً و لٰكنَّه يكون موافقاً للمنزلة في الجنّة لأنّه موضع الإقامة فعلى الوجه الأوّل يتّحدان هذا الوجه مع الوجه الأوّل هناك و على الثاني هنا و هناك يعني المنزلة في الجنّة يتّحدان أيضاً إلّا أنَّ مقتضى العطف المغايرة فحمل هذا على المعنى الأعم أو يخصّ المتقدم بما يتعلق بيوم الحساب أو الشفاعة و هذا بالمنزلة في الجنّة أو العكس أو أنَّ يراد بمغايرة العطف الإبهام بأن يقال هما متغايران على جهة الإبهام إن أُريد بالأوّل الشفاعة أريد بالثاني ما يتعلق بيوم القيامة غيرها أو المنزلة في الجنة وإن أُريد بالأوّل المنزلة أو ما يتعلق بيوم القيامة أريد بالثاني الشفاعة أو يُراد بالثاني القرب من الله سبحانه و بالأول ما سواه أو بالعكس))([3]) ، الإلتباس في مفهوم (المقام المحمود) و(المقام المعلوم) ، وهل (المعلوم) هو تفسير (للمحمود) أم هو مقام آخر؟، يبدو أنّ (المقام المعلوم) هو مقام خاصٌّ لا ترقى له عقولنا ، والدليل على ذلك قرنه الإمام الهادي (عليه السلام) بالله

---

[1]) إعجاز القرآن ، أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني (ت٤٠٣ هـ) ، تحقيق : السيد احمد صقر، دار المعارف،بيروت ، لبنان ، ط٥ ،١٩٩٧ م : ٩٥ .

[2]) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، الأحسائي : ١٥٣/٤ .

[3]) المصدر نفسه : ١٥٣/٤ .

عزَّ وجلَّ ، لذلك قال (عليه السلام) : ((**وَالْمقامُ الْمَعْلُومُ عِنْدَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ**))([1]) ، وليس معلومٌ عندنا ، فإشارة الإمام (عليه السلام) إلى هذا المقام يدلّ على أنَّ هنالك مقامات خاصَّة لهم عند الله عزَّ وجل ، وما ذُكرت من مقامات في الزيارة الجامعة الكبيرة ؛ ما هي إلّا على قدر عقولنا لا على قدر مقاماتهم الكلّية .

[1]) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، الأحسائي: ٤/١٥٣ .

المطلب الثالث

الـذِّكْـرُ

حدَّه و أغراضه البلاغية في شروح الزيارة الجامعة الكبيرة

توطئة .

الذكر مع الحذف لهما من الأهمية الكبيرة في البلاغة العربية، إذ يُعبِّران عن حاجة المخاطِب لإيصال فكرته إلى المُخاطَب، في أحيانٍ يكون الذكر للفظ في الجملة يفيد فائدة بلاغية يبغيها الباث ليصلها إلى المتلقي ، وأحيانٍ أُخرى يبُثُّ المتكلم لفظاً ويخفي آخر ليأخذ ذهن السامع إلى خيال أوسع من الملفوظ ، ويقوم بشحذ همه البحثية ليستقصي ما أخفاه ، وعند البلاغيين الحذف أكثر تعبير وتأثيرمن الذكر في الخطاب.

ولذلك كان اهتمامهم منصبَّاً على الحذف أكثر من الذكر ، مما يكشف لنا عنايتهم في الحذف أكثر من الذكر ، لأن ((ترك الذكر أفصح من الذكر والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة وتجدك أنطق ما يكون إن لم تنطق وأتم ما تكون بياناً إذا لم تبن))([1]) ، ولا يمنع ذلك من ورود الذكر لبيان غرض بلاغي ويحقق قيمة معنوية في الأسلوب والأداء ، والفات النظر إلى المذكور ، وبيان مدى عناية المتكلم به ، وعدم الذكر قد يؤدي إلى إبهام أو إيهام في السياق ويستغلق بعض المعنى على مفكك السُّنن([2])، لذا يحتاج إلى ذكر ـ ولو على نحو الإيجاز ـ لتحقيق فائدة الفهم .

---

[1]) دلائل الإعجاز : ١٤٦ .

[2]) مصطلح يطلقه ميخائيل ريفاتير على المتلقي (المُخاطَب) ، يُنظر : معايير تحليل الأسلوب ، ميخائيل ريفاتير ، ترجمة وتعليق : د. حميد لحمداني ، دراسات سيميائية أدبية لسانية (دراسات سال) ، البيضاء ، تونس ، ط١ ، ١٩٩٣م : ٣١ .

والذكر بإيجاز : هو الذكر الذي يعطي ملمحاً بألفاظ معيَّنة فيَفي بالغرض وزيادة، وهذا يُحدث مللاً لدى المتلقي ، فيجب أن يؤدي الغرض البلاغي بلا ترهلٍ في التعبير([1]) .

- **حدُّ الذكر :**

في اللغة : هو من ذَكَرَ ؛ يَذْكُرُ ؛ ذِكْراً ؛ مصدر مادة (ذَكَرَ) فـ((الذال ، والكاف، والراء ... ذكرتُ الشيء ، خلاف نسيته ، ثم حُمل عليه الذكرُ باللسان ، والذِّكر: العلاء والشرف..))([2]) ففي اللغة خلاف النسيان .

في الإصطلاح : إذا ذُكر لفظ ما ؛ يُراد من ذكره الانتباه إليه ؛ لمزيَّة فيه تحتاج إلى تبيانها ، والأصل في تركيب الجمل هو ذكر مفاصلها التي أشار إليها الدرس النحوي، ولا سبيل للعدول عنه ؛ إذا كان وروده بحسب مقتضى الحال في الاستعمال([3]) . بحسب البلاغة القديمة . أو يُفصح عن الحكمة المستغلقة التي تكمن وراء ذكره .

فالذكر: طباق الحذف ، ومفهومه في الإصطلاح البلاغي ؛ هو ذكر ألفاظ الجملة . الذي يُعدُّ أصلاً في الجملة النحوية . ويفيد أغراضاً بلاغية يُفصح عنها بوساطة السياق .

---

[1]) يُنظر : خصائص التراكيب (دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني) : د. محمد محمد أبو موسى، أميرة للطباعة ، ط٤، ١٩٩٦م :١٨٠ .

[2]) معجم مقاييس اللغة : ٢ /٣٥٨ .

[3]) يُنظر : شروح التلخيص : ١ /٢٨٢ ، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها : ٣ /١٢ ، البلاغة والأسلوبية ، محمد عبد المطلب ، مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٤م : ٣٣٤.

والذكر في القرآن الكريم : ((يذكر القرآن ما يذكره ، مما يبدو أن السياق يجيز حذفه ، عندما يكون في هذا الذكر تثبيت للمعنى ، وتوطيد له في النفس ، ويكون في ذكره فضلاً عن ذلك معان لا تستفاد إذا حُذف))([1])، ويأتي لأسباب لابدَّ من احتواء السياق لها لكي يُجيز الذكر في الجمل ، من ذلك : ذكر المسند إذا أفاد غرضاً بلاغياً كـ((زيادة التقرير ، والتعريض بغباوة السامع ، والاستلذاذ ، والتعظيم ، والإهانة ، وبسط الكلام ، واما ليتعين كونه : اسماً فيستفاد منه الثبوت ، أو كونه فعلاً فيستفاد منه التجدد ، أو كونه ظرفاً فيورث احتمال الثبوت والتجدد))([2])، ومثله : ذكر المسند إليه فيفيدُ أغراضاً كضعف الاعتماد على المسند ، فيُعوَّض المعنى في ذكر المسند إليه لتقوية الدلالة ، وإضافة إلى ذلك يأتي للتثبت ، أوللتنبيه ، أو لزيادة الإيضاح لتقرير حالة ما ، أولإظهار المكانة العظيمة ، أو لبيان التوهين ، أو لغرض التبرك كما جاء بذكر النبي الكريم (صلى الله عليه وآله)([3]) ، وغير ذلك من الأغراض البلاغية التي تستدعي حضور الذكر دون حذفه.

- **حدُّ الذكر في شروح الزيارة الجامعة الكبيرة**

ورد تعريف الذكر ـ على طريقة التعريف اللغوي للذكر ـ ؛ في شرح قول الإمام الهادي (عليه السلام) : ((**اللّهمَّ لَا تَجْعَلْهُ آخِرَ العَهْدِ مِنْ زِيَارَتِهِم وَذِكْرِهِمْ**))([4]) ، قال

---

[1]) من بلاغة القرآن : ٩٥ .

[2]) الإيضاح في علوم البلاغة : ٢ /١١٠ ، يُنظر معجم المصطلحات البلاغية وتطورها : ٣ /١٢.

[3]) يُنظر : شرح عقود الجمان في المعاني والبيان ، جلال الدين السيوطي ت(٩١١هـ) ، وبهامشه : حلية اللب المصون على الجوهر المكنون ، الشيخ أحمد الدمنهوري ، مطبعة مصطفى الحلبي وأولاده ، مصر ، د.ط ،١٣٥٨هـ ـ ١٩٣٩م : ٣٢ ، خصائص التراكيب : ٢٨٨ .

[4]) الشموس الطالعة من مشارق الزيارة الجامعة ، الهمداني : ٧٧٣ .

الهمداني في مفهوم (ذكرهم) : ((... وأمّا ذكرهم عليهم السلام : فهو عبارة عن الغفلة عن عالم الجسم وسائر العوالم حتى يصل إلى سرهم في عالمه الذي هو نور اسم الله المكنون فيه لأنَّ ذكر الشيء عبارة عن احضار المذكور وهو إنَّما يتحصل هنا بما ذكرت ، فإنَّ تصوير مثاله عليه السلام لا يمكن لمن لم يشاهده ولم يدرِ شمائله مع أنَّ ذكر شمائله ليس ذكره عليه السلام))([1]) ، يقيناً : إنَّ ذكر شمائله ليس ذكره ؛ لأنَّها متعلق من متعلقاته وليس كله (عليه السلام) على نحو الإجمال والشمول ، فحدُّ الذكر الوارد في الزيارة الجامعة الكبيرة هو ذكر لغوي صرف .

- **أغراض الذكر البلاغية في شروح الزيارة الجامعة الكبيرة**

للذكر أغراضٌ بلاغية كشفت عنها السياقات التي ورد فيها بين ثنايا الزيارة الجامعة الكبير ؛ أشار إلى ذلك الشارحون للزيارة ، منها :

١. **الاهتمام** : يأتي ذكر اللفظ لغرض الاهتمام به ولفت النظر إليه ، من ذلك ما جاء في شرح قول الإمام الهادي (عليه السلام) : ((**وَأَقَمْتُمُ الصَّلَاة**))([2]) ، قال المجلسي الأوَّل: ((**وَأَقَمْتُمُ الصَّلَاة** حقَّ اقامتها ، بل لم يقمها غيرهم كما هو حقّها من الإخلاص وحضور القلب . كما هو متواتر عنهم . وكذلك البواقي وتخصيصها بالذكر من العبادة للاهتمام))([3]) ، في أثناء كلامه يُشير إلى التخصيص ؛ إذ لم يُقمها حقَّ إقامتها غيرهم ، وهذا تخصيص لهم ، فهي للتخصيص أقرب من الاهتمام .

وتكلَّم الغزّي عن ذكر الإنسان دائماً في القرآن الكريم والروايات الشريفة هو لأهميَّته ، إذ قال : و((يوم القيامة الروايات تتحدث إنّما هو يومٌ لكل المخلوقات، لكن التركيز على الإنسان لأن الخطاب القرآني في بنيته العبائرية في بنية العبارة هو

---

[1]) الشموس الطالعة من مشارق الزيارة الجامعة ، الهمداني : ٧٧٣ .
[2]) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، المجلسي الأول : ١٢١ .
[3]) المصدر نفسه : ١٢٢.١٢١ .

خطابٌ للإنسان من هنا كان التركيز على الإنسان ولأهمية الإنسان ...))([1]) ، يبدو أنَّ تكرار اسم الإنسان دائماً لتذكيره وتحذيره من السقوط في الهاوية ؛ هذا من ناحية؛ ومن ناحية أخرى : الرحمة الإلهية والرحمة المحمدية في الإنسان تستقطبه إلى جادة النجاة ودفعه عن مهاوي الردى ، لأنَّ الإنسان أكرم مخلوقٍ خلقه الله وانتجبه لعبادته وكرَّمه بالعقل وأباح له كلَّ شيء إلا المضرّات به رأفة ورحمة به ، إلّا ﴿**إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ**﴾ **{العاديات/٦}**.

٢. **العموم** : يأتِ الذكر لبيان العموم والشمول بوساطة إيراد اللفظ ، من ذلك ما جاء في شرح قول الإمام الهادي (عليه السلام) : ((**وَحُجَجِ اللهِ عَلى أَهْلِ الدُّنْيا وَالآخِرَةِ وَالأُولى**))([2])، قال الأحسائي : ((... وليس هذا الذكر للدّنيا و الأخرة و الأولى حَصْراً لحجّيتِهِمْ بل هم حجج على كلّ من دخل في الوجود ممّا دون العرش الأعلى فهم حجج الله على من سيكون بعد دخول أهل الجنة الجنّة و أهل النارِ النار))([3]) ، هذه الألفاظ متعلقة بقول القائل : ((علّمني يابن رسول الله قولاً أقوله بليغاً كاملاً إذا زرت واحداً منكم))([4]) ، لذلك ذكر له الإمام (عليه السلام) ما ينسجم وعقله لأنَّ الإنسان غير المعصوم مهما بلغ لا يستطيع إدراك ما ورائيات الظواهر لأنَّه يقبع خلف حجب الذنوب وتحت نير رين القلب ؛ لا يقتحم العقبة بسهولة ليلج إلى ما موجود في الجنة والنار والبرزخ ، فأشار إليه الإمام (عليه السلام) بما تُدركه حواسّه أو ما ألفه بوساطة القرآن الكريم والعترة الطاهرة من الدنيا والأخرة والخلق الأول .

---

[1]) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، الغزّي : ١٧٧/١ .
[2]) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، الأحسائي : ١٥٨/١ .
[3]) المصدر نفسه : ١٥٨/١ .
[4]) أنوار الولاية الساطعة ، الوحيدي : ٩ .

ومن ذلك ما جاء في شرح قول الإمام الهادي (عليه السلام) : ﴿**وَأَرْكَانَ البِلاد**﴾([1])، قال الغزّي : ((...هم أركان التوحيد، ما قيمة أن نقول أنّهم أركان الأرض؟ ما قيمة أن نقول أنهم أركان البلاد؟ وإنما جاء ذكر البلاد كعنوان يشير إلى معنىً أوسع، وإنما جاء هذا العنوان متناغماً مع العبارة التي قبلها وساسة العباد، ولأن الزيارة تريد أن تحدث الإنسان بما هو إنسان على وجه الأرض، وإلا المعاني فيها إشارات أعمق وأعمق وأعمق، فما قيمة أن نقول أنهم أركان الأرض وهنا العبارة صريحة ((**فَجَعَلْتَهُم مَعَادِنَ لِكَلِمَاتِكَ وَأَرْكَاناً لِتَوْحِيدِكَ**)) هم أركان التوحيد وأركان كل شيء وفي نفس الدعاء **أَعْضَادٌ وَأَشْهَادٌ هُم آلُ مُحَمَّدٍ..**))([2]) ، فقد تنبه الشارح إلى أنَّ ذكر البلاد أفادت عموم الأرض ولا تخص قطعة من الأرض دون غيرها ، فهم أركان البلاد كلها .

٣. **التخصيص والحصر** : يرد الذكر ويراد به حصر متعلقات السياق وتخصيصها به أو يأتي اللفظ الخاص في جميع الموارد ليدل على مفهوم معيَّن دون أن يأخذ دلالة غيره ، كما ورد ذلك في شرح قول الإمام الهادي (عليه السلام) : ((**يَا أَهْلَ بَيْتِ النُّبُوَّةِ**))([3]) ، قال الميلاني : ((لقد أُتُخذَ عنوان (أهل البيت) في القرآن والسُّنة صفة اصطلاحية . فبالرغم من أن القرآن نزل بلسان عربي مبين ، إلّا أن له خطاباً ينفرد به أسلوباً متميزاً ، ومن جملة مفردات الخطاب القرآني الخاص ؛ مصطلح (أهل البيت) فقد انحصر كتاباً وسنَّة بالرسول الأكرم محمد صلى الله عليه وآله، وأمير المؤمنين علي المرتضى والصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء والأئمة عليهم الصلاة

---

[1]) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، للغزي : ٦٣/٢ .
[2]) المصدر نفسه : ٦٤.٦٣/٢ ، ويُنظر كذلك : ٦١/٢ .
[3]) مع الأئمة الهداة ، الميلاني : ٥٨ .

والسلام...))[1]، وهذا من المقامات التي حباها الله تعالى محمداً وآل محمد بالتخصيص بهذا العنوان ، رُبما أدخل الناسُ معهم غيرهم إلّا أنّ التفاتة الميلاني في حصر الله سبحانه لهم دون قول الناس ، وهو كذلك فهم أهل البيت ولا يدخل معهم فيه أحد .

٤. **المدح** : يذكر اللفظ في بعض السياقات للمدح ، وذلك لشحذ همم الآخرين لكي يكونوا كالملفوظ أو تشريفاً له وإعلاء لشأنه فيذكر للمدح ، وقد ورد هذا الغرض في شرح قول الإمام الهادي (عليه السلام) : ((**وَذَوْي النُّهَى**))[2]، قال الأحسائي : ((ذوي: جمعُ ذي بمعنى صاحب إلّا أنّه أكثر ما يُستعمل في مقام الشرف و الثناء ، و صاحب يستعمل فيهما و في ضدّهما على السواء ؛ فاذا ذُكِرا في شيء في حالتين كان ذو للمدح و صاحب للذم و إذا كان المقام يقتضي المدح و الثناء في الحالين استعمل ذو في الغيب و اللطيف و الباطن و صاحب في الشهادة و الغليظ و الظاهر))[3] ، استنبط الشارح المعنى لـ(ذوي) من استعمالها في السياقات اللغوية ، وهذا يُثبت عدم ترادف لفظ (ذو) مع لفظ (صاحب) ، ومن الخطأ اللغوي تفسير (ذو) بـ(صاحب) لأنَّ الاستعمال الصحيح يكشفه المغزى البلاغي ، وقد أكّد ذلك القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿**وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ**﴾{**الأنبياء/٨٧**} ، وهذا في مقام المدح ، لأنّ نبي الله يونس (عليه السلام) اعترف بعدم مقدرته فتوجَّه إلى الله تعالى فكشف عنه ضره واستجاب له دعوته.

---

[1]) مع الأئمة الهداة ، الميلاني : ٥٨ . وكذلك ذكر الميلاني الذكر للتخصيص في موردين آخرين ، يُنظر : ٦٩ و ١٤٦ .

[2]) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، الأحسائي : ١٣١/١ .

[3]) المصدر نفسه : ١٣١/١ .

ولمَّا أراد الله تعالى الذم للنبي يونس (عليه السلام) ذكر لفظ (صاحب) ، وذلك في قوله تعالى : ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ {القلم/٤٨}، وكلا الآيتين تتكلمان عن النبي يونس (عليه السلام) ، فقد تنبه الشارح إلى هذا المعنى في شرحه .

٥. **التهديد والتخويف والوعيد** : يأتي الذكر للتهديد والوعيد لتخويف مُفكك السُّنن بغية جذبه إلى صراط الحق ، أو دفعه عن مهاوي الضلالة ، من ذلك ما جاء في شرح قول الإمام الهادي (عليه السلام) : ((**وَحُجَجِ اللهِ عَلى أَهْلِ الدُّنْيا وَالآخِرَةِ وَالأُولى**))([1])، قال الأحسائي : ((...إنَّه جعل قيام القائم عليه السلام أو الرجعة يوماً غير يوم القيمة المعبر به عن الآخرة و غير الدنيا فهذا اليوم لا يصلح أن يطلق عليه الدنيا لأن بنيتها للتفضيل فهي أدنى من الكرّة و من قيام القائم عليه السلام و لا الآخرة لأنّ القيامة بعده و هي الآخرة فهو غير الآخرة و غير الدنيا ، و ليس هنا إلّا الدنيا أو الرجعة وقيام القائم عليه السلام أو الآخرة و يصلح أن يكون الأولى بالنسبة إلى الأخرى وإنَّما ذكر في تأويل الأيّام الثلاثة قيام القائم (عليه السلام) والرجعة والآخرة ولم يذكر الدنيا لأنّه في مقام التهديد والتخويف والوعيد بما سيقع عليهم من العذاب ولا يكون ذلك إلّا في هذه الأيّام المذكورة...))([2]) ، هذا الرأي انفرد به الأحسائي في شرحه لهذه الفقرة المباركة ، فهو يرى أنّ الآخرة ههنا تتكلم في قيام القائم (عجل الله تعالى فرجه الشريف) ، وأنّ الآخرة هي التي تكون في نهاية الدُّنيا، لأنّ آخر الشيء؛ نهايته ، يبدو أن هذا الرأي أصوب ، فالبحث يوافق هذا الطرح ، وأنّ الفقرة المباركة لا تُشير إلى يوم القيامة بقدر ما تُشير إلى القيام

---

[1]) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، الأحسائي : ١/١٥٩ .

[2]) المصدر نفسه : ١/١٥٩.١٦٠ .

المبارك والرجعة المنتَظرة ، أرانا الله تعالى الطلعة البهية والغرَّة الحميدة وكحَّل نواظرنا بنظرة منّا إليه ويعجِّل فرجه ويُسهل مخرجه .

٦. **الوصول إلى الغاية** : في بعض السياقات اللغويَّة يأتي ذكر لفظ معيَّن للوصول لغاية ما ، وهذا ما وجدناه في شرح قول الإمام الهادي (عليه السلام) : ((**أَشهَدُ أَن لا إِلهَ إِلاّ الله وَحدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ**))([1]) ، قال الغزي : ((...بعد بيان مراتب أهل البيت في المَقَاطع الخمسة الأخيرة المتقدمة جاء ذكر التوحيد ، وإنّما جاء ذكر التوحيد بهذا الشكل إنه مصداقٌ لما في الزيارة الجامعة ، من أرادَ الله بدأ بكم، الذي يريد الله أن يبدأ بكم لذلك بدأت الزيارة : **السَّلامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ بَيْتِ النُّبُوَّةِ**، فعددت وعددت من أوصافهم ومن مراتبهم في المقاطع الخمسة المتقدمة، نحن نريد الله لذلك بدأنا بهم، نحن ما بدأنا بهم وبذكرهم وبالسلام عليهم إلا لأَّننا نريد الوصول إلى الله ، من أحبكم فقد أحب الله، من أبغضكم فقد أبغض الله، من والاكم فقد والى الله، من عاداكم فقد عادى الله...))([2]) ، يرى الشارح أنَّ ذكر التوحيد لغرض بيان الوصول إلى الغاية وهو الله تعالى ، في حين أن التوكيد على التوحيد أقرب من الوصول إلى الغاية ، لأنَّ المتوجه إلى الأئمة الطاهرين (عليهم السلام) ما يذهب إليهم إلَّا لاعتقاده أنَّهم الوسيلة العظمى والآية الكبرى التي تُرفع الأعمال بهم إلى الله تعالى ، فأراد الإمام أن يؤكد على التمسك بالتوحيد .

٧. **إيهام التناسب** : غرض جديد يذكره الأحسائي في شرحه لقول الإمام الهادي (عليه السلام) : ((**وَحُجَجِ اللهِ عَلى أَهْلِ الدُّنْيا وَالآخِرَةِ وَالأُولى**))([3]) ، قال الأحسائي

---

[1]) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، الغزي : ٣/٨٤ .
[2]) المصدر نفسه : ٣/٨٤ .
[3]) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، الأحسائي : ١/١٦١ .

: ((وقوله: و(**الأولى**) يراد بها الدنيا المعروفة بالمعنى الأعم من الدنيا الملعونة ، والدنيا البلاغ وذكرها من باب إيهام التناسب كما في قوله تعالى : ﴿**وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ**﴾ فإنَّه مراد بالنجم النَبْت المعروف و يوهم أن يكون المراد منه الكوكب لمناسبته لما قبله في قوله : ﴿**الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ**﴾ وإنَّما أتى للدنيا اليوم بالأولى ليدلّ على اليوم ولم يُؤت للآخرة اليوم كما أتى للدنيا اليوم بالأولى لأنّ الدنيا إذا استعملت في الولاية الباطلة قد لا يُفهم منها إلّا الدنيا الملعونة فتبقي الدنيا البلاغ لا دليل على كونهم حججاً فيها فأتِي بما يدلّ عليها أي البلاغ و هو الأولى بخلاف الآخرة...))([1]) ، فيرى الشارح أنَّ (الأولى) تدل على الدنيا الخاصَّة بالبلاغ ، ومن هذا نستخلص قبوله بالترادف ، في حين أنَّ الألفاظ تدل على الأطوار التي مرَّ بها الإنسان ، وقد تقدَّمت الدنيا ؛ لتماسِّها بالإنسان بالمباشر وأخر عنها الآخرة ؛ لأنَّها تعقب الدنيا وهي آخرتها ، وجاءت الأولى في النهاية للتذكير بالعهد الذي أخذه الله تعالى على عباده من عهد ، وهي طور متقدِّم على الدنيا والآخرة في النشأة ، ولا علاقة لها في الدنيا بوساطة المجانسة أوالترادف أو السنخيَّة ، فلكل لفظ طور خاص.

٨. **التشريف** : يأتي ذكر اللفظ ويراد منه بيان الشرف وتشريفه على باقي الألفاظ ، ومن ذلك ؛ ذكر الغزي الرواية المعروفة بالنورانية المباركة وهي قول أمير الكلام الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) لسلمان المحمدي وأبي ذر الغفاري (رضوان الله عليهما): ((**يَا سَلْمَانُ وَيَا جُنْدُبُ** قالا: لبيك يا أمير المؤمنين، قال عليه السلام: **أَنَا الذي حَمَلْتُ نُوْحَاً فِي السَّفِيْنَةِ بِأَمْرِ رَبِّي، وَأَنَا الذي أَخْرَجْتُ يُوْنُسَ مِنْ بَطْنِ الحُوْتِ بِإِذْنِ رَبِّي، وَأَنَا الذي جَاوَزْتُ بِمُوْسَى بنِ عِمْرَانَ البَحْرَ بِأَمْرِ رَبِّي، وَأَنَا الذي أَخْرَجْتُ**

([1]) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، الأحسائي : ١٦١/١ .

إِبْرَاهِيْمَ مِنَ النَّارِ بِإِذْنِ رَبِّي، وَأَنَا الذي أَجْرَيْتُ أَنْهَارَهَا وَفَجَّرْتُ عُيُونَهَا وَغَرَسْتُ أَشْجَارَهَا بِإِذْنِ رَبِّي))[1] ، قال الغزي : ((هذه المعاني هي مظاهرٌ في طبقةٍ من طبقات الوجود لولايتهم على النِعم على مطلق النِعم ، هذه صور هذه أمثلة لنعم مادية وإنما ذكر الأنبياء لأنَّ الأنبياء هم أشرف الخلق هم أفضل الخلق وهم أوضح مظاهر النبوة والولاية في هذه الكائنات، فجاء ذكر الأنبياء لأنَّ الأمر مخصوصٌ بالأنبياء فقط، ذكر الأنبياء هنا لعلو مراتبهم، فإذا كانت نعمة أهل البيت جارية على الأنبياء الذين هم الأفضل والأشرف بين الخلق فمن باب الأولى أن نعمة أهل البيت جارية على غيرهم))[2] ، يبدو أنَّ الأمر ليس كذلك ؛ فذكر الأنبياء هنا لم يكن للتشريف وبيان منزلتهم من الناس ، وإنَّما الحديث يتكلم عن مقامات الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) وظهوراته الأخرى ، وأنَّه في عالم الملكوت أكبر منه في عالم المُلك ، ولولا أنَّ المتلقيينِ سلمان وأبا ذر ؛ لم يقل الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) ذلك ؛ لأنَّ الكلام لا يحمله إلا ملك مقرَّب أو نبي مرسل أو كسلمان وأبي ذر ، فالحديث لم يكن بصدد بيان رفعة الأنبياء وتشريفهم بقدر بيان الظهورات الأخرى في العوالم التي سبقت العهد الإسلامي .

٩. **بيان الرفعة وعلو المرتبة** : من الأغراض التي تُلازم مباحث الذكر ؛ بيان الرفعة وعلو المرتبة ، وقد ورد هذا الغرض في شرح قول الإمام الهادي (عليه السلام) : **((وَعَنَاصِرَ الأَبْرَارِ))**[3] ، قال الغزّي : ((وإنَّما جاء ذكر الأبرار هنا لأنَّ الأبرار هم أرقى مرتبة وأوضح صورة وأجلى مظهر من مظاهر الولاية، ومرادي من الولاية هو

---

[1] شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، الغزي : ٢/٢٢.٢١ ، يُنظر :بحار الأنوار : ٢٦/٥ ، ٧ .
[2] المصدر نفسه : ٢/٢٢.٢١ .
[3] شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، الغزي : ٢/٢٧ .

الرابطة التي تربط الموجودات بالله سبحانه وتعالى))([1]) ، لم تكن مرتبة الأبرار أعلى وأرقى مرتبة في رُتب الولاية ، وإنَّما ورد : ((حسنات الأبرار سيئات المقربين))([2]) ، فالمقربون أعلى درجة وأرفع منزلة من الأبرار ، يبدو أن ذكر الأبرار جاء لتمييزهم من غيرهم لا لبيان المرتبة .

[1]) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، الغزي : ٢٧/٢ .
[2]) الكافي : ٦٠٥/٢ .

الفصل الثاني

جماليات البيان في شروح الزيارة الجامعة الكبيرة

- الحقيقة والمجاز
- التشبيه والتمثيل
- الكناية

الفصل الثاني

جماليات علم البيان في شروح الزيارة الجامعة الكبيرة

توطئة

يُعدُّ البيان من أسس البلاغة العربية عند الدارسين ـ إن لم يُعدّ هو عين البلاغة ـ إذ عنى بدراسته البلاغيون منذ بداية البحث في الدرس البلاغي ، وكان لهُ أثرٌ كبيرٌ في حياة الذائقة العربية ، ولمَّا نزل كتاب الله تعالى بلغة العرب ؛ أبهر بسبكه وحبك معانيه وبلاغة أسلوبه ؛ كل من ينطق بالضاد ، وكان ذلك أبرز الحوافز لدراسة البلاغة والبحث في علومها من الدارسين ، فجاء علم البيان في طليعة اهتماماتهم ؛ لأنَّه يعدُّ ((الأساس في بلاغة العرب إن لم نقل هو البلاغة بعينها))([1])، فلذلك كان اهتمام الباحثين فيه كبيراً ، ومن هنا لا بدَّ من بيان حدِّه ولو على نحو الإيجاز .

ففي اللغة : هو من بانَ يَبينُ بياناً فهو بائن ، وهو ما يُتَّضح به الشيء ، ويُبيِّنه ، ومنه وَبَانَ الشيءُ: أي اتَّضح فهو بيّن ، واستبانَ الشيءُ : ظَهَرَ بعد خفاء ، والبيان: إظهارٌ لما خُفيَ بأبلغ لفظ([2]). ولذلك فسَّروا (البيان والتبيين) بـ(الدلالة والإيضاح) .

وفي الاصطلاح : كانت اللمسات الأولى لحدّ البيان البلاغي على يد الجاحظ ، حيث عرَّفه في قوله : ((البيان اسم جامعٌ لكلّ شيءٍ كشف لك قناع المعنى ، وهتك الحجاب دون الضّمير ، حتّى يفضي السّامع إلى حقيقته ... إنّما هو الفهم والإفهام ، فبأيّ شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى ، فذلك هو البيان في ذلك

---

[1]) أصول البيان العربي، رؤية بلاغية معاصرة ، د. محمد حسين علي الصغير، مطبعة دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ، العراق ، ١٩٨٦ م : ٣٠ .

[2]) يُنظر : لسان العرب ، مادة (بَيَنَ) .

الموضع))([1])، فكان في ذلك التوسع يشمل البلاغة كلها ، فكانت كل فنون البلاغة تُسمَّى بفنون البيان أو علوم البيان([2]) .

لم يستعمل البلاغيون مصطلح (البيان) بالمدلول العلمي الخاص الذي عُرف اليوم، وإنّما كان يسري في أثناء المؤلفات البلاغية بدلالة عامة تقترب من المفهوم العام للدلالة اللغوية الوضعية ، فكانت هذه الكلمة بالنسبة للمؤلفين ؛ مفردة لغوية عامة، فلا تدل على مصطلح بلاغي ذي مدلول علمي محدد ، وإن حاول بعضهم أن يضفي على بعض هذه الكلمات نوعاً من الخصوصة الدالة على المفهوم السائد اليوم، وتبتعد عن دلالته اللّغوية([3]) ، وإلى هذا المعنى ذهب الرماني ت(٣٨٦هـ) بقوله : ((الإحضار لما يظهر به تميز الشيء من غيره))([4]) وقسَّمه على : كلام ، وحال ، وإشارة ، وعلامة([5]).

وقد تدرَّج هذا المفهوم العام حتى اكتمل على يد السكاكي ت(٦٢٦هـ) في قوله: البيان هو ((معرفة ايراد المعنى الواحد في طرق مختلفة بالزيادة في وضوح الدلالة

---

[1]) البيان والتبيين ، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ت(٢٥٥هـ) ، تحقيق : عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي ، القاهرة . مصر ، ط٣ ، ١٩٤٨م : ٧٦/١.

[2]) يُنظر : البيان العربي (دراسة في تطور الفكرة البلاغية عند العرب ومناهجها ومصادرها الكبرى) ، د. بدوي طبانه، دار العودة ، بيروت،لبنان ، ط٥، ١٩٨٢م : ١٥.١٤ .

[3]) يُنظر : المصباح في المعاني والبيان والبديع، لأبي عبد الله بدر الدين بن مالك الدمشقي الشهير بابن الناظم ت(٦٨٦هـ) تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م ، (مقدمة التحقيق) : ٦٧ .

[4]) النكت في إعجاز القرآن: ٩٨.

[5]) يُنظر : المصدر نفسه : ٩٨ .

عليه وبالنقصان))([1])، وقصد في : (إيراد المعنى الواحد في طرق مختلفة) يعني : بطريقة المجاز أو الكناية أو التشبيه .

وإذ حصر السكَّاكي ت(٦٢٦هـ) ((علم البيان في الدلالات العقلية فكانت مباحثه تشمل المجاز والكناية؛ لأنَّهما يمكن إيراد المعنى الواحد بهما في طرق مختلفة بالزيادة في وضوح الدلالة عليه وبالنقصان، أمَّا التّشبيه فدلالته وضعية فلا يدخل في تعريف السكَّاكي ولكنّه لمّا رأى أنّ الاستعارة تعتمد عليه اعتماداً كبيراً اعتبره أصلاً من أصول البيان، وبذلك أصبحت مباحثه عنده ثلاثة هي: التّشبيه، والمجاز بأنواعه، والكناية، وسار البلاغيون على هذا التقسيم ولم يخرج فهمهم للبيان عن فهم السكَّاكي))([2]) ، وكان استقرار مصطلح البيان في البلاغة العربية ومقننة في حدود لا تكاد تتسع ؛ بعد أن كانت شاملة لجميع فنون البلاغة ؛ وفن القول لدى السابقين([3]) .

- **أقسام البيان**

ينقسم البيان على مباحث ؛ منها :

١. **الحقيقة والمجاز** .

٢. **التشبيه والتمثيل** .

٣. **الكناية** .

---

[1]) مفتاح العلوم : ٢٤٩ .

[2]) البلاغة عند السكاكي ، د. احمد مطلوب، منشورات مكتبة النهضة، مطبعة دار التضامن ، بغداد، العراق ، ط١، ١٣٨٤ هـ – ١٩٦٤م : ٣١٠ .

[3]) يُنظر : البلاغة والتطبيق : ٢٥٨ .

المبحث الأوَّل

الحقيقة والمجاز

حدُّهما وسُبل تطبيقهما في شروح الزيارة الجامعة الكبيرة

توطئة

عُرف العربُ بالتوسع في لغتها ، وتفننها في أساليبها ، فتنوعت هذه الأساليب عندهم وتعددت جمالياتها ، وجاؤوا من أشكالها ما يُبهر المتلقي من غير بجدتها ، ودعا ذلك غيرهم إلى الإقتناع بأنَّهم جديرون بالبيان وقمينون بدراية اللسان وكذلك بالبداهة وبالاقتدار والارتجال ، وبيان مدى تمكنهم في إصابة المعنى وقصد الحجة بسبل متعددة ، من دون تكلُّفٍ ولا إجهاد ولامعاناة أو إجالة فكر ولا استعانة بغير حصيلتهم اللغوية ؛ وهذا الأمر مشهور لدى العلماء ممن بحثوا في البلاغة وبعجوا غبار البحث العلمي ، وأجمعوا عليه ، فهذه القدرة على التفنن في الكلام قد جُبلوا وطبعوا عليها ، فكان سبباً في التوسع والبسط في الألفاظ ، مما أطلقوا عليه بعد ذلك مصطلح المجاز عينه الذي ثبته وحدده البلاغيون .

إنَّ هذا التوسع يفتح آفاقاً كبيرة في التعبير ، فتكون مساحة الكاتب أكثر فسحة من غيره في اللغات الآخرى ، بحيث تكون الوسائل لديه مبسوطة ، غنيَّة ، رحبة ؛ يستطيع أن يتحرك بوساطتها للتعبير عن تجربته ، فينطلق يُرخي العنان لخياله ليصول في حلبة اللغة ، يُصوِّر المعقولَ محسوساً أويُجسد المسموع فيجعله منظوراً أو يأخذ نظر المتلقي في آفاق الخيال فيجعله يمرح بين فيافي اللاوعي، وكل ذلك عبارة عن عناصر إيحائية يستغلها الباث في استعمال فنِّه وقدرته الإبداعية في نقل

عاطفته أو تجربته إلى المستقبِل ، فتشترك حواس المتلقي في إستحضار تلك الصورة الجميلة التي يقدِّمها الكاتب أو الباث الأديب والمبدع([1]) .

ويُعدُّ المجاز أكبر الأدوات في التعبير الشعري ؛ لأنَّ الشعر عبارةٌ عن أخيلة وتشبيهات وصور مستعارة وإيحاءات وإشارات ورموز تُشير إلى الحقيقة الشاخصة بوساطة الأشكال المحسوسة وهذه هي اللغة الشاعرة([2])، فالشعر يتعكَّز على هذا المفهوم الذي احتوى على هذه الأصناف ، من غيرها لا يُعدُّ شعراً .

وقد حاز المجاز في الدراسات البلاغية مكانة عالية ومرموقة ، فهو يُعدُّ من تفنن القول إذ يُحيل الخيال إلى آفاق جديدة وجميلة ، ويعطي صورة رائعة ومشاهد ذات نسق يبعث على الجمال لا يأتي باللفظ المباشر والمعنى الحرفي للفظ([3]) .

---

[1]) يُنظر : الجهود البلاغية في تفسير القرآن العظيم لعلم الدين السخاوي ت(٦٤٣هـ) ، زيد مجيد رشيد ، دار الكتب والوثائق العراقية ، بغداد ، العراق ، ط١ ، ٢٠١٥م : ٢٣٣ .

[2]) يُنظر : اللغة الشاعرة ، عباس محمود العقاد ، المكتبة العصرية ، صيدا ، لبنان ، د.ط ، د.ت: ٢٦ .

[3]) يُنظر : الصّورة الفنّيّة في المثل القرآنيّ . دراسة نقديّة بلاغيّة ، محمّد حسين عليّ الصّغير، دار الرشيد للنشر ، بغداد ، العراق ، ١٩٨١م: ١٥٢.

المطلب الأوَّل

الحقيقة وتطبيقاتها في شروح الزيارة الجامعة الكبيرة

لم يختلف أحدهم في الحقيقة على أنَّها في المفهوم العام كالمفهوم الخاص لها ، يعني : إنَّ اللفظ يكون مساوياً للمعنى ، فهي : ((ما قرّ في الاستعمال على أصل وضعه في اللغة))([1]) أو هي : ((كل كلمة أُريد بها ما وقعت له في وضع واضع... وقوعاً لا تستند فيه إلى غيره))([2]) ، واستقرَّ تعريفها عند السكاكي في قوله : ((هي الكلمة المستعملة فيما هي موضوعة له من غير تأويل في الوضع كاستعمال الأسد في الهيكل المخصوص))([3]) ، وكل هذه التعريفات تصبُّ في حوض واحد ومعينها هو المساواة بين اللفظ والمعنى وإن اختلفت ألفاظهم في إيراد معانيها ، وعلى منوالهم سار الذين أعقبوا السكاكي من القدماء والمحدثين([4]) .

جاءت الحقيقة في كثير من نصوص الزيارة الجامعة الكبيرة إلَّا أنَّ الشارحينَ أشاروا إلى بعضها ، ومنها ما جاء في قوله (عليه السلام) : ((**ورحمةُ اللهِ وبركاتهُ عَلَيْكُم يَا أَهْلَ بيتَ النبوّةِ إنّه حَميدٌ مَجيدٌ**))([5])، قال الأحسائي في معنى الرحمة : ((أقول : قد تقدّم في شرح الزّيارة بيان رحمة اللهِ و بركاته وإنّما قالَ هذا ؛ لأنّه الْتَفتَ إلى ما في الآيةِ الشّريفة الّتي في حقّ إبراهيم و سَارة و إنّ ما ذكر من الدّعاء

---

[1]) الخصائص، لأبي الفتح عثمان بن جني (ت:٣٩٢هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، نشر دار الكتاب العربي، بيروت ، لبنان، (د – ت) : ٢٠٨/٢.

[2]) أسرار البلاغة ، عبد القاهر الجرجاني ت(٤٧١هـ)، شرح وتعليق : الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي، مكتبة القاهرة، ط٣، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م : ٢٨٦.

[3]) مفتاح العلوم: ٤٦٧.

[4]) ينظر: المثل السائر: ٦٩/١، والإيضاح: ٢٦١، والتلخيص: ٢٩٢-٢٩٣، جوهر الكنز: ٥١.

[5]) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، الأحسائي : ٢٤٥/٤ .

بالرحمة فظاهره قُصِدَ به إبراهيم و سارة و باطنُه قُصِدَ به آل محمّدٍ صلّى اللهُ عليه و آله فذكر هذا الكلام لمن هو في حقّهم على الحقيقة لأنّ الرحمة التي هي علّة الإيجاد و بها حياة القلوب و صلاح الظاهر و الباطن إنّما قامت بمحمد و آله صلى الله عليه و آله فهم محلّها و خزائنها وأبوابها و مفاتِحُهَا و مصادرُها و الذين يقسمونها بين العباد بإذن الله تعالى))([1])، نعم : هم الرحمة الموصولة بين الله تعالى وعباده على الحقيقة .

ووردت الحقيقة في شرح الغزي إذ أورد قول الإمام الصادق (عليه السلام): ((**حديثنا صَعبٌ مَستصعب لَا يَحتمله مَلكٌ مَقرب وَلا نَبيٌّ مَرسل فهو مَا رَويتم إَن اَلله تَبارك وَتعالى لَا يُوصف وَرسوله لَا يُوصف وَالمؤمن لَا يُوصف**))([2])، قال الغزّي : ((المؤمن هنا المقصود الإمام المعصوم، لأنَّ هذه التسمية هي خاصةٌ بعليٍّ فقط ، هكذا في الروايات، الله سبحانه وتعالى سمى علياً هذه التسمية الخاصة المؤمن فهي تسميةٌ على وجه الحقيقة لعليٍّ ومن كان في درجة عليّ ٍمن أبنائه المعصومين، أما إطلاقها علينا فعلى نحو المجاز، على نحو التجوز، المؤمن عليٌّ وقلب المؤمن كعرش الرحمن ذلك قلب عليٍّ صلوات الله وسلامه عليه، وعرش الرحمن هو مجلى من مجالي مُحمد وعلي كما مر ولكن هذه المجالي تظهر في كل عالم بحسبه وفي كل أفقٍ بحدوده))([3])، نعم ، هذه الصفة خاصَّة في علي وآل علي (صلوات الله عليهم) ، فكانت إشارة الغزي إلى هذه الصفة بخصوصيتها كانت في غاية الدقة .

---

[1]) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، الأحسائي : ٢٤٥/٤ .
[2]) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، الغزّي : ١١١/١ .
[3]) المصدر نفسه : ١١١/١ .

وكذلك وردت الحقيقة في شرح قول الإمام (عليه السلام) : ((**وَذُرِّيَّةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ**))([1]) ، قال الصدر : ((ذرّية على وزن فُعليّة ، وجمعها ذرّيّات وذراري.هي في اللغة اسم لجميع نسل الإنسان من ذكرٍ وأُنثى . وذرّية الرجل : ولده.

مأخوذة من الذرّ بمعنى البثّ والنشر والتفريق. فسمّي نسل الإنسان بالذرّية لأنّ الله تعالى ذرّهم ونشرهم في الأرض حين أخرجهم من صلب آدم عليه السلام في عالم الذرّ ...

هذا مضافاً إلى دليل اللغة وتصريح أهلها بتفسير الذرّية بالأولاد الشامل للذكور والإناث كما تقدّم. وكذلك أنّه قد أُطلق على الحسنين عليهما السلام الإبن، والأصل في الإستعمال الحقيقة... فإن قلت : أتقول إنّ ابن البنت ابن على الحقيقة الأصلية أم على سبيل المجاز؟

قلت : لذاهب أن يذهب إلى أنّه حقيقة أصلية ؛ لأنّ أصل الإطلاق الحقيقة ، وقد يكون اللفظ مشتركاً بين مفهومين وهو في أحدهما أشهر ، ولا يلزم من كونه أشهر في أحدهما ألاّ يكون حقيقة في الآخر.))([2]) ، فاستعمال لفظ الذرية على أهل البيت (عليهم السلام) على سبيل الحقيقة ، فهم أبناؤه الصلبيّون لا على سبيل المجاز.

وأغلب الألفاظ التي وردت في الزيارة الجامعة الكبيرة ؛ شرحوها على أنَّها حقيقة في وضعها وأداء معناها ، والمجاز جاء عرضاً ، فهي الأصل وهو الثانوي .

---

[1]) في رحاب الزيارة الجامعة الكبيرة ، للصدر : ١٥٩.

[2]) المصدر نفسه : ١٥٩.١٦١ . ومثل ذلك جاء في مورد آخر في شرح الصدر، يُنظر : ٦٥٨.

المطلب الثاني

المجاز : حدّه وتقسيماته وتطبيقاته

تكلمنا في الحقيقة وما جاء في بيانها في شروح الزيارة الجامعة الكبيرة ، أمَّا المجاز فقد جرت عليه دول من دراسات وبحوث إذ إنَّ هذا اللون من ألوان البلاغة أثبته قوم ونكره آخرون ، وقبل الولوج إلى بيان ذلك ؛ لا بدَّ من التطرق إلى حدِّه وتوضيح مفهومه .

فالمجاز في اللغة : مصدر ميمي أصله من جَوَزَ ، وقُلِبت الواو ألفاً لأنَّها مفتوحة ومفتوح ما قبلها لمجانسة الفتحة مع الألف ، فهو من جازَ يجوزَ جوازاً ومصدره الميمي ؛ مجاز ،فـ((الجيم والواو والزاء([1]) أصلان ، أحدهما : قطع الشيء ... والأصل الآخر : جزتُ الموضع سِرْتُ فيه ، وأجزته ، خلّفته وقطعْتهُ...وأجزته : نفَّذته))([2])، وهنا لا يوجد تلميح إلى تحويل جهة المعنى من جهة إلى أخرى ، مما يُثير استفهاماً على المعنى الاصطلاحي كما سيرد .

أمَّا المجاز في الاصطلاح : استند التعريف المجازي في الدراسات والبحوث البلاغية ؛ إلى ما جاء به أرسطو في قوله : ((المجاز عبارةٌ عن نقل اسم شيءٍ لشيءٍ. وهذا النقل إمّا من الجنس إلى النوع، أو من النوع إلى الجنس، أو من النوع

---

[1]) كذا في الأصل ، والصواب : الزاي .

[2]) معجم مقاييس اللغة : ٤٩٤/١ ، يُنظر : أساس البلاغة : ٧١/١ ، لسان العرب ، مادة (جوز)، المعجم القرآني : ٨٧١/١ .

إلى النوع؛ لمناسبةٍ أو مشابهة))([1]) ، أمَّا في التراث العربي ؛ فكان التلميح الأوَّل عند سيبويه ت(١٨٠هـ)، حيثُ أسماه ((الاتساع في الكلام))([2]) ، ولم يُسمِّه مجازاً .

وأوّل من استعمل المجاز في معناها البلاغي هو أبو عثمان الجاحظ ت(٢٥٥هـ) الذي عُرف بعد ذلك في اصطلاح البلاغيين ، فقد جاء في كلامه : ((وإذا قالوا: أكله الأسد، فإنما يذهبون إلى الأكل المعروف، وإذا قالوا: أكله الأسود، فإنّما يعنون النهش واللَّدغ والعض فقط، وقد قال الله عز وجل ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً﴾... فهذا كله مختلف وهو كله مجاز))([3]) ،وهذه الإشارة لم تكن واضحة بارزة للبحث ، أو أُفردَ لها موضوعاً خاصَّاً وإنَّما بثَّها في ثنايا كتبه.

وأوَّل مَن ألف بالمجاز بمفهومه الاصطلاحي الذي يُشير إلى الفن البلاغي المنتمي إلى علم البيان ؛ هو الشريف الرضي ت(٤٠٦هـ) في كتابيه (تلخيص البيان في مجازات القرآن) و (المجازات النبوية)، فقد بحث فيهما المجاز بمفهومه البياني البلاغي ؛ من ذلك على سبيل المثال في بيان قوله تعالى : ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضاً وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ ﴿البقرة/١٠﴾ ، قال الشريف الرضي : ((والمرض في الأجسام حقيقة وفي القلوب استعارة ، لأنَّه فساد في القلوب كما أنَّه فساد في

---

[1]) فن الشعر، ارسطو طاليس مع الترجمة العربية القديمة وشروح الفارابي وابن سينا وابن رشد، ترجمة : عبد الرحمن بدوي، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، مصر ، د.ت : ٥٨ . ٩٠ .

[2]) ينظر : الكتاب : ١ / ٢١١ .

[3]) الحيوان: ٥/٢٧-٢٨.

الحقيقة، وإن اختلفت جهة الفساد في الموضعين.))([1]) ، يبدو أنّ وصول المفهوم الاصطلاحي إلى زمن الشريف الرضي وصل متكاملاً ، لذا كان البحث فيه ناضجاً.

وقد اتضحت ملامح المجاز أكثر ودخل موضوع الدرس مستقلاً بنفسه ؛ على يد عبد القاهر الجرجاني ت(٤٧٢هـ) إذ قال فيه : المجاز ((هو كنز من كنوز البلاغة، ومادّة الشّاعر المفلق ، والكاتب البليغ في الإبداع ، والإحسان والاتّساع في طرق البيان .. وأنّه يدق ويلطف حتى يمتنع مثله إلاّ على الشّاعر المفلق والكاتب البليغ))([2])، وعرَّفه على أنَّه : ((كل كلمة أريد بها غير ما وقعت له في وضع واضعها لملاحظة بين الثاني والأول))([3]) ، إلّا أن كلمة (لملاحظة) تعني ارتباط بين الكلمة المستعملة والمعنى الموضوع .

- **القائلون بالمجاز**

إتفق أغلب الدارسين على وجود المجاز بمفهومه العام ، إلّا أنَّ بعضهم قبِله في جميع الموارد من النصوص التي قيلت بالعربية ، وبعضهم قبله في مورد ونفاه في مورد آخر ، وهذا سيتضح بالآتي :

١. **وجود المجاز في القرآن والسُّنَّة والعربية مطلقاً** : فكرة المجاز في القرآن الكريم والسُّنة النبوية الشريفة مقبولة في بادئ الأمر ولم يكن قبولها ((أمراً سهلا عند المسلمين جميعاً ، فهم مجمعون . على اختلاف مللهم ونحلهم . على وقوع الحقيقة فيه . [القرآن]، ولا يفترق في ذلك بعض أصحاب المذاهب عن بعض . والحقيقة

---

[1]) تلخيص البيان في مجازات القرآن ، محمد بن أبي أحمد الحسين بن موسى المعروف بـ(الشريف الرضي) ت(٤٠٦هـ) ، تحقيق : محمد عبد الغني حسن ، دار الأضواء ، بيروت ، لبنان ، ط٢ ، ١٩٨٦م : ١١٣ .

[2]) دلائل الإعجاز: ١٩٣.

[3]) أسرار البلاغة : ٢٨٧ .

عندهم هي كل لفظ بقى على موضوعه ولا تقديم فيه ولا تأخير . وأكثر القرآن من الحقائق. أمَّا المجاز . المقابل للحقيقة . فالجمهور على أنَّه واقع في القرآن))([1]) ، ويُعدّ الرعيل الأوّل من المشتغلين في البلاغة ؛ أبرز القائلين به ، كالخليل بن أحمد الفراهيدي ت(١٧٥هـ) ومحمد بن ادرس الشافعي ت(٢٠٤هـ) والفرّاء ت(٢٠٩هـ) وأبي عُبيدة ت(٢١٠هـ) والجاحظ ت(٢٥٥هـ) والشريف الرضي ت(٤٠٦هـ) والجرجاني ت(٤٧١هـ) والزمخشري ت(٥٣٨هـ) والرازي ت(٦٠٦هـ) وغيرهم من القدماء ، وقد تبعهم أغلب المحدثين الذين ألفوا في البلاغة([2]) .

٢. **وجود المجاز في اللغة دون القرآن والسُّنَّة** : قال في هذا اللون مجموعة ممن أشاروا للمجاز في بحوثهم ومؤلفاتهم ؛ أبرز هؤلاء :

أ . **من المذهب الظاهري** : داود الظاهري ت(٢٧٠هـ) وابنه أبو بكر الظاهري ت(٢٩٧هـ) .

ب . **من المذهب المالكي** : منذر بن سعيد البلوطي ت(٣٥٥هـ) ومحمد بن خويز منداد ت(٤٠٠هـ) .

---

[1]) تلخيص البيان في مجازات القرآن : ٥٥ .

[2]) يُنظر : كتاب العين ، مادة (العين والشين) :٧/١ ، الرسالة ، محمد بن ادريس الشافعي ت(٢٠٤هـ) ، تحقيق : أحمد شاكر، دار الأضواء ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٩٩٥م : ٥١، ٥٢. معاني القرآن للفراء :٢٣١/١ ، ، مجاز القرآن لأبي عبيدة : ٢٧٩/١ ، المجاز في اللغة والقرآن الكريم بين الإجازة والمنع . عرض وتحليل ونقد ، عبد العظيم إبراهيم المطعني ، مكتبة وهبة للطباعة والنشر ، مصر ، ط٢ ، ٢٠١٤م : ٦٢٤/٢ ، جواهر البلاغة : ١٧٧ ، ينظر البلاغة تطور وتاريخ : ٢٤١ ، ٢٧ ،البيان في ضوء أساليب القرآن : د. عبد الفتاح لاشين ، دار المعارف، القاهرة(د.ت) : ١٣٥.١٣٤ ، أصول البيان العربي ، الصغير: ٣٦، وغيرهم.

ج . **من المذهب الحنبلي** : أبو الحسن الجزري البغدادي ت(٣٨٠هـ) وأبو عبد الله الحسين بن حامد ت(٤٠٣هـ)([1]) .

٣. **نفي المجاز مطلقاً** : يُعدّ هذا المفهوم أساس مد بساط الصراع بين العلماء الذين بحثوا في البلاغة حتى وصل الأمر إلى توهين آراء بعضهم ، ومنهم مَن أدخل الأمر في العقيدة والتشريع لينفذ من خلالها إلى التكفير .

أبرز مَن قال بنفي المجاز مطلقاً ؛ أحمد بن تيمية الحرَّاني ت(٧٢٨هـ) في كتابه الإيمان حيث أنكر على من تعرض لبيان حقيقة الإيمان بالقول : ((إنّ الأعمال الصالحة لا تدخل في حقيقة الإيمان إنما تدخل فيه على المجاز))([2]) ، وكان يؤكد أن المجاز لم يكن لفظياً بل حقيقياً معنوياً([3]) ، وتابعه تلميذه ابن القيم الجوزية ت(٧٥١هـ) وكثيرون ممن عقبوه وساروا على منواله([4]) .

مما تقدَّم تكشَّفت لنا خلافات القوم في مفهوم المجاز ، وشبهة المنكرين للمجاز كانت تنظرإلى ((أنَّ المجاز غير الحقيقة ، فهو كذب ، والقرآن منزَّه عن الكذب ، كما أنَّ المتكلم لا ينصرف عن الحقيقة إلى المجاز إلّا إذا ضاقت به الحقيقة أو عجز عن التعبير بها فيستعير ، وذلك محال على الله القادر المنزَّه عن العجز))([5])، بالإضافة إلى ذلك ؛ أن الأمر الذي يستدعي استعمال المجاز إمّا لإغماض أمر ما

---

[1]) يُنظر : حكم وقوع المجاز في اللغة والقرآن ، علي بن ذريان الجعفري العنزي ، مجلة حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية في القاهرة ، العدد (٣٣) ، ٢٠١٦م : ١٢١١ ، المجاز في اللغة والقرآن الكريم بين الإجازة والمنع : ٦٢٣/١.

[2]) الإيمان ، أحمد بن تيمية الحرَّاني ت(٧٢٨هـ) ، خرَّج أحاديثه : محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ط٥ ، ١٩٩٦م : ٧٣ ،

[3]) المصدر نفسه : ٩٥ .

[4]) يُنظر : حكم وقوع المجاز في اللغة والقرآن : ١٢١٢ .

[5]) تلخيص البيان في مجازات القرآن ، (مقدِّمة المحقق) : ٥٥ .

أو تحايل على الحقيقة ، وكذلك : عدم حصول اللذة في استعمال الحقيقة ، إذ إنَّ استعمال اللفظ على حقيقته لسياق العبارة الحقيقية يقتل المتعة واللذة في القراءة أو السماع.

كل ما ذُكِرَ ؛ سببه التعريف الذي وضعوه للمجاز وهو: ((**اللفظ المستعمل في غير ما وضع له لعلاقة مع قرينة دالة على عدم إيرادة المعنى الأصلي**))([1]) ، وهذا التعريف هو المعتمد في بيان مفهوم المجاز ، وهو الذي أربك الدرس البحثي في البلاغة .

- **نقد تعريف المجاز**

جاء في التعريف (اللفظ المستعمل) ولم يقل : (موضوع) ؛ لأنَّ الوضع لا يكون إلّا للحقيقة ، وحينما قال : (استعمال) فهو يريد التصرف فيه. وكلمة (اللفظ) هنا حددت بأنّ المجاز يكون ملفوظاً ولم يكن مكتوباً ، واللفظ يشمل المهمل والمستعمل مثل : ديز و زيد .

وكذلك عبارة : (في غير ما وضع له) ؛ هذه العبارة تدلّ على أنَّ المجاز بعيد عن الحقيقة، لأنَّ اللفظ إذا وضع لغير موضعه ؛ ابتعد معناه .

وأضاف (لعلاقة مع قرينة) هذه الفقرة تقصد : إنَّ العلاقة التي تكون بين ألفاظ المجاز والمعنى الحقيقي فهي ـ وإن دلَّت عليه ـ بعثت في النفس المعنى الحقيقي المراد . والقرينة هنا : إمَّا أن تكون تشبيهية أو مطلقة .

---

[1]) جواهر البلاغة : ١٧٧ ، يُنظر : خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ، عبد القادر بن عمر البغدادي ت(١٠٩٣هـ) ، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي، القاهرة ، مصر ، ط٤، ١٤١٨ هـ – ١٩٩٧ م : ١٢٧/٧ ، البلاغة العربية : ٢٣٣/٢ .

وقوله : (القرينة دالة على عدم إرادة المعنى الأصلي) فيها نظر من جهة المجاز بجميعه ؛ حيث أنَّ هذه القطعة تؤكد أنّ لا علاقة بين المعنى المجازي والمعنى الحقيقي، ومن هذا يكون تعريف المجاز يُفنِّد معنى المجاز لأنَّه يأتي . حسب ألفاظه . بألفاظ بعيدة أو تعطي معنى غير المعنى الحقيقي ؛ وبهذا يتبادر إلى الذهن معنى آخر للمجاز.

لذلك نجد أنّ سيبويه ت(١٧٩هـ) سمَّاه (الاتساع) وهو لفظ يدل على قصدية من قبل سيبويه ، ((فالمجاز على التعريف هو ليس الإتيان بلفظ بدل لفظ (الأول الداخل على الجملة هو المجازي والمتروك هو الحقيقي) ، وإنَّما هو العدول عن معنى اللفظ الحقيقي إلى معنى آخر مجازي . فلو كان التعريف هو تبدل ألفاظ مع بعضها لكان يصح ، إذ نتصور أن المتكلم يريد في الأصل (المجلس الحقير) فعدل إلى لفظ (السامي) ، ولكنَّه لم يُغير معنى السامي ، بل أبقاه على معناه . وهذا هو منشأ التحقير من حيث هو مخالف للواقع . فالاستعمال له حقيقتان : داخلية في التركيب وخارجية في الانطباق على الموضوع الخارجي))([1]) ، فالمجاز . بحسب التعريف السائد . هو الاستعمال الموازي للوضع الحقيقي ، وبه سيكون المستقبِل أو القارئ يفهم حقيقة أُخرى لا تنتمي للمراد بوجه ، ولذا لم يُشر المجاز إلى الحقيقة بشيء .

في حين أنَّ العبارات التي تحمل ألفاظاً مجازيَّة تدلّ على الحقيقة فلا يعدل القارئ . بقرائتها أو سماعها . إلى غير الحقيقة ؛ وهذا لا يؤديه التعريف المجازي.

من الممكن أن يكون تعريف المجاز : **هو طريق من عدَّة طرق تُؤدي إلى المعنى الحقيقي على سبيل الاتساع** . وهذا التعريف سيحل المشكلة بين المثبتين والمنكرين؛ إذ هو لا اثبات فيه ولا نفي ، وإذا ما عدنا إلى تعريفنا للبلاغة ؛ فسيكون

---

[1]) الحل القصدي للغة في مواجعة الاعتباطية ، عالم سبيط النيلي ، دار المحجة البيضاء ، بيروت، لبنان ، ط١ ، ٢٠٠٧م : ٧٤.٧٥ .

المجاز **هو أحدى الطرائق التي يستعملها الباث للافصاح عن الحكمة المستغلقة في الكلام أو يُبيّن من خلاله عن العلم المشكل ، بطرق متعددة .**

وهذا ينسجم انسجاماً تامّاً مع قول النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله): ((**أُمِرْنَا أنْ نُكَلِّمَ النَّاسَ على قدرِ عُقُولِهِم**))([1]) ، إذ يدل على استعمال الأنبياء والأولياء والعلماء للمجاز بمفهومه الجديد ، وبه يتم الكشف عن الحكمة المستغلقة في الكلام بعدَّة طرق لإفهام المتلقي .

- **حدّ المجاز في شروح الزيارة الجامعة الكبيرة**

وجدنا ما يؤيد رأينا في شروح الزيارة الجامعة الكبيرة ، إذ ينتقد الأحسائي رأي الأصوليين في الحقيقة والمجاز ، وذلك في قوله : ((...وكلام علماء الأصول في هذه المسألة غير محقق فقولهم : إنّ المجاز لا يستلزم الحقيقة لمّا تورّطوا بقولهم : إنّ الحقيقة استعمال اللفظ فيما وضع له أوّلاً و المجاز استعماله ثانياً و وجدوا اسم الرحمن غير مسبوق بوضعٍ قبله قالوا : إنّ المجاز لا يستلزم الحقيقة فنقول [:] إذا لم يستلزم لم يكن مجازاً إذ **معنى المجاز الطريق إلى الحقيقة** فإذا وضع لفظ على شيء لم يستعمل فيما قبله ؛ فإن كان يجوز أن يكون مَجازاً لم توجد حقيقةٌ.))([2])، وهذا ما نذهب إليه ونُثبته .

- **أقسام المجاز وتطبيقاتها في شروح الزيارة الجامعة الكبيرة**

---

[1]) البصائر والذخائر ، علي بن محمد بن العباس المعروف بأبي حيان التوحيدي ت(٤٠٠هـ) ، تحقيق : د .وداد القاضي ، دار صادر – بيروت ، ط١، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م : ٢٨٧/٧ .

[2]) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، الأحسائي : ١٩٠/٤ .

قسَّم ضياء الدين بن الأثير ت(٦٣٧هـ) المجاز على قسمين : لغوي وعقلي([1])، فاللغويُ يعني : استعارة اللفظ ووضعها في غير موضعها اتساعاً للكلام ([2]) . والمجاز اللّغويّ ينقسم إلى المرسل والاستعارة ، فالمرسل هو : ((اللّفظ المستعمل في غير معناه الأصليّ لعلاقة غير المشابهة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقيّ))([3])، وهذه التعريفات للمجاز سار عليها أكثر المؤلفين في البلاغة ،وإذا كانت بطريقة المشابهة ؛ فهي استعارة ، وتكاد تكون هي أساس التعريفات الإصطلاحية للمجاز.

التعريف الجديد للمجاز لا اعتراض فيه على التقسيم البلاغي القديم ، إلا أنَّه سيُعيد ترتيب المفاهيم بحسب الحدِّ الجديد ، إذ سيكون القسمان حاضرين في التقسيم الجديد.

١. **المجاز اللغوي** : ينقسم المجاز اللغوي على :

أ . **المجاز المُرسل** : وبحسب التعريف الجديد سيكون تعريف المجاز اللغوي المرسل: هو **استعمال اللفظ قصداً في عبارة ما للكشف عن الحكمة المستغلقة في الكلام إمَّا تحبيباً أو ترهيباً أو ترغيباً أو هزءاً** ، والسياق يكشف استعمال هذا اللفظ دون غيره. وعلاقاته عبارة عن أغراض يستنبطها المتلقي من جملة الكلام ، من ذلك :

---

[1]) ينظر: الجامع الكبير ، ضياء الدين ابن الأثير (ت ٦٣٧هـ) تحقيق : الدكتور مصطفى جواد ، والدكتور جميل سعيد ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، بغداد . العراق ، ١٩٥٦م : ٢٨.

[2]) يُنظر : المصدر نفسه : ٢٩ .

[3]) علم أساليب البيان ، الدكتور غازي يموت ، دار الأصالة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت، لبنان ، ط١، ١٩٨٣م: ٢١٧، يُنظر : البلاغة العربية ، عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني ت(١٤٢٥هـ)، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت ، ط١، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م : ٢٣٣/٢.

١. **السببية** : ورد في شروح الزيارة الجامعة الكبيرة في بعض الموارد ذكر السبب والمراد منه المسبب ، كما جاء في شرح قوله (عليه السلام) : ((**وَطَهَّرَكُمْ تَطْهِيراً**))([١])، فقال الوحيدي : ((فبسبب طهارة طينتهم وذواتهم ، طهّرهم الله سبحانه من الرجس والدنس ، وهذه الفقرة المباركة إشارة إلى الآية الكريمة : ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**﴾ {الأحزاب/٣٣}.

والآية من التأكيدات على الطهارة من الرجس ما لا يخفى على علماء اللغة والأدب فقد أكّد ذلك بـ «أنّما» و «اللام» ، والاختصاص وتقدم الجار ونصب المصدر والتعبير بالإذهاب وكل هذه الموارد توجب التأكيد والانحصار.

والتعبير بالإرادة وان كانت غير مستلزمة لوقوع المراد في غيره تعالى ، إلّا أنّ إرادة الله تعالى مستلزمة للوقوع (أي إطلاق السبب وارادة المسبب).))([٢]) ، إذ يرى: أنَّ ذكر إرادة الله تعالى بهم هذي من باب ذكر السبب ، فهم بمثابة السبب ؛ وإرادة المسبب ؛ وهو الله تعالى ، إلّا أنَّه إطلاق إرادته بهم (عليهم السلام) لبيان مكانتهم وتشخيص عصمتهم ووقوعها فيهم دون غيرهم ، فلم يكن المراد إرادة معرفة المسبب، ونحن نعتقد بفنائهم في عبادتهم لله سبحانه وتعالى مما يكشف عن تفانيهم في ذواتهم، ولم يُشر إلى السببية غيره من الشارحين في هذا المورد .

٢. **المسببية** : هذا المصطلح عمله عكس ما سبق ؛ إذ المراد به إطلاق المسبب ومن طريقه يُريد السبب ، من ذلك ما جاء في شرح قول الإمام (عليه السلام) :

---

[١]) أنوار الولاية الساطعة ، الوحيدي : ١٤٤

[٢]) أنوار الولاية الساطعة ، الوحيدي : ١٤٤ ، وقد وردت السببية في مورد آخر عند الوحيدي ، يُنظر : ٢٥١ ، وكذلك وردت العلاقة السببية في شرح الصدر ، يُنظر : في رحاب الزيارة الجامعة الكبيرة ، الصدر : ٨٤ ، ٣٩٣ ، ٦٢٥ ،

((وَمِنْ كُلّ مُطَاعٍ سِوَاكُم وَمِنْ الأَئِمَّةِ الَّذِينَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ))[1] ، قال الميلاني : ((إن الدّعوة إلى النّار هي الدّعوة إلى ما يستوجب النار من الكفر والمعاصي، لكونها هي التي تتصوّر لهم يوم القيامة ناراً يعذّبون فيها، أو المراد بالنّار ما يستوجبها مجازاً من باب إطلاق المسبّب وإرادة سببه.))[2] ، يبدو أنَّ الإمام (عليه السلام) أراد من ذلك الابتعاد عن هؤلاء بطريقة الترهيب ؛ لأنَّ هؤلاء الأئمة يدعون الناس ومن ثمَّ يتبرؤون منهم كما يتبرأ الشيطان يوم القيامة من أتباعهم كما في قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾{إبراهيم/٢٢} ، فهؤلاء الأئمة هم شياطين الإنس فيجب اجتنابهم ، فقد تنبه الميلاني إلى ذلك وأشار إلى المسببية .

ومثله جاء في شرح قوله (عليه السلام) : ((وَمَعْدِنَ الرَّحْمَةِ))[3] ، قال الصدر: ((ومعدنية أهل البيت عليهم السلام للرحمة الإلهية تكون لوجوه : (أ) : لأجل أنّهم مظاهر رحمة الله على الخلق ، والشفقة على الرعيّة ... (ب) : لأجل إنّ الرحمة الربّانية الخاصّة والعامّة في هذا الكون حتّى الأمطار والأرزاق إنّما تنزل بسببهم وواسطتهم وبركتهم ويمنهم وفيض وجودهم كما يدلّ عليه حديث الكساء الشريف))[4] فهم المسبب لجميع الرحمات الإلهية بحسب كلام الصدر ، في حين أنَّ (المعدن)

---

[1] مع الأئمة الهداة ، الميلاني: ١٥١

[2] مع الأئمة الهداة ، الميلاني: ١٥١ ، وذكر أيضاً علاقة المسببية في مورد آخر، يُنظر: ١٨٤.

[3] في رحاب الزيارة الجامعة الكبيرة ، الصدر : ٤٦

[4] المصدر نفسه : ٤٦ ، وكذلك وردت المسببية في موارد أخرى في شرح الصدر ، يُنظر : ٤٤٨ ، ٦٢١ ، وورد في شرح الوحيدي ، يُنظر : أنوار الولاية الساطعة : ٢٥٢ ، ٢٥٤ .

يعني الأصل([1]) كما مرَّ ، فهم أصل الرحمات وليس بسببهم تتنزل هذه الرحمات ؛ بل منهم تفيض على الوجودات ، وهذا على سبيل المثال لا الحصر .

٣. **ذكر الجمع وإرادة المفرد** : ترددت هذه العبارة كثيراً في البحوث البلاغية ، إذ يرد اللفظ بصيغة الجمع ولكن المتكلم يُريد التخصيص بالمفرد ، ومن ذلك ورد في شرح قول الإمام (عليه السلام) : ((**يا أَوْلياءَ اللهِ إنّ بَيْنِي وَبَينَ الله عزّ وجلّ ذُنُوباً لا يَأتِي عَلَيْها إلّا رضاكُم**))([2]) ، قال الأحسائي : ((قوله : يا وليّ الله إنّ عيّن بالقصد أو الإشارة أو الحضور عند قبره الشريف فإنَّ الحضور معيّن سواء خاطبه بالمفرد أم بالجمع و لكن إذا خاطبه بالجمع كان الحاضر عليه السلام سابقاً في الخاطر لمكان الحضور و ما سواه منهم عليهم السلام إنَّ قصدهم مع الحاضر كانوا بعده في الحضور الذهني و إن لم يقصد غيره تعيّن في القصد و كان الجمع للتعظيم و الإشارة و القصد كالحضور في حكم أوّل الخطور بالبال...))([3])، يشير الشارح إلى استعمال اللغة في شرحه لهذه الفقرة ، إذ تستعمل اللغة في بعض الأحيان الجمع وتريد المفرد ، إلّا أنّ هذا لا يشمل الكتاب والنص الوارد من العترة ، ففيهما الجمع للجمع والفرد للمفرد ، فالخطاب أراد اشتمال الجنس ليشمل جميع الأئمة (عليهم السلام).

---

[1]) يُنظر : المفردات : ١٩١ ، لسان العرب ، مادة (عدن) .

[2]) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، الاحسائي : ١٩٦/٤.

[3]) المصدر نفسه : ١٩٦/٤ ، ومورد آخر جاء في شرح الأحسائي مُشيراً إلى الجمع ويريد به المفرد ، يُنظر : المصدر نفسه : ١٠٢/١ .

وقد أشار المجلسي الأوّل إلى ذلك في قوله : ((**يا أَوْلِياءَ اللهِ** المخاطب هو الإمام الحاضر الذي يزوره أو يقصده بالزيارة أو الجميع ؛ لشمول الجنس له، ويؤيده الإتيان بالجمع بعده.))([1])، وهذا ما نؤيده ، فلا خلاف بين اللفظ والمعنى.

ومثله ما جاء في شرح الوحيدي حين أورد قوله تعالى : ﴿**إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ**﴾{المائدة/٥٥} ، قال الوحيدي في لفظ ﴿**رَاكِعُونَ**﴾: ((وقع لفظ الجمع على الواحد للتعظيم ، في اللغة أمر مشهور ومعروف، إذاً لا يحتاج إلى هذا الاستدلال... هذه الآية الشّريفة فيها دلالة واضحة على صحة إمامة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام بلا فصل بعد النّبي الأكرم صلى الله عليه وآله))([2])، في حين أنَّ الجمع في هذه الآية المباركة لم يُقصد به المفرد ، نعم في نزولها كان مصداقها الأوّل الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) ؛ إلّا أنّها بقيت سارية في ولده ، فقد ورد ((عن الْفَضْلِ بْنِ يَحْيَى قَالَ: سُئِلَ أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَ جَل: ﴿**إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ**﴾ قال: **إِيَّانا عنى**))([3])، فهي شاملة لجميع العترة الطاهرة.

وأوضح من ذلك ما جاء عن الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) في هذه الآية المباركة : ((قَالَ : ﴿ **إِنَّما وَلِيُّكُمُ** ﴾ **يَعْنِي أَوْلَى بِكُمْ وَ أَحَقُّ بِأُمُورِكُمْ وَ**

---

[1]) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، المجلسي الأوّل : ١٩٩.٢٠٠ .

[2]) أنوار الولاية الساطعة ، الوحيدي : ٩١ .

[3]) بشارة المصطفى لشيعة المرتضى ، عماد الدين أبو جعفر محمد بن أبي القاسم الطبري ت(٥٥٣هـ) ، المكتبة الحيدرية ، النجف الأشرف ، العراق ، ط١ ، ١٣٨٢هـ : ١٩٣/٢ ، يُنظر: شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار عليهم السلام ، النعمان بن محمد المعروف بـ (ابن حيون) ت(٣٦٣هـ) ، جماعة المدرسين ، قم ، إيران ، ط١ ، ١٤٠٩ : ٢٢٦/٢ .

أَنْفُسِكُمْ وَ أَمْوَالِكُمْ وَ ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ يَعْنِي عَلِيّاً وَ أَوْلَادَهُ الْأَئِمَّةَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ وَصَفَهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ فَقَالَ ﴿ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾ وَ كَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام يُصَلِّي الظُّهْرَ وَ قَدْ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ وَ هُوَ رَاكِعٌ وَ عَلَيْهِ حُلَّةٌ قِيمَتُهَا أَلْفُ دِينَارٍ وَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله قَدْ كَسَاهُ إِيَّاهَا وَ كَانَ النَّجَاشِيُّ قَدْ أَهْدَاهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله فَجَاءَ سَائِلٌ فَقَالَ السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا وَلِيَّ اللَّهِ وَ مَنْ هُوَ أَوْلى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ تَصَدَّقَ عَلَى مِسْكِينٍ فَطَرَحَ الْحُلَّةَ وَ أَوْمَى إِلَيْهِ أَنِ احْمِلْهَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ هَذِهِ الْآيَةَ وَ صَيَّرَهَا نِعْمَةً وَ قَرَنَ أَوْلَادَهُ بِنِعْمَتِهِ فَكُلُّ مَنْ بَلَغَ مِنْ أَوْلَادِهِ مَبْلَغَ الْإِمَامَةِ يَكُونُ بِهَذِهِ النِّعْمَةِ مِثْلَهُ فَيَتَصَدَّقُونَ وَ هُمْ رَاكِعُونَ وَ السَّائِلُ الَّذِي سَأَلَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ كَانَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَ كَذَلِكَ الَّذِي يَسْأَلُ أَوْلَادَهُ يَكُونُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ))(١)، فالآية المباركة لم تقصد الفردية في خطاب الجمع ، إذ الجمع فيها يشير إلى الاستمرار في الأئمة من ولد سيد الوصيين (عليهم السلام) .

٤. **ذكر الخاص والمراد به العام** : تشترك هذه العبارة مع مصطلح التنكير في غرض معيَّن كما هو معرف تحت عنوان (النكرة أفادت العموم) ، من ذلك ما أورده المجلسي الأول في بيان معنى (رسول) في قوله تعالى : **﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ﴾{الجن/٢٧}** ، قال : ((ورد في الأخبار الكثيرة(٢) أنَّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) ممن ارتضاه لغيبه ، وكل علم كان لرسول الله (صلى الله عليه وآله) فإنَّه وصل إلينا مع أنَّه يمكن

---

١) الكافي : ٢٨٨/١ ، يُنظر : تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة ، علي الأسترآبادي ت(٩٤٠هـ) ، مؤسسة النشر الإسلامي ، قم ، إيران ، ط١ ، ١٤٠٩هـ : ١٥٩/١ ، وغيرها من المصادر التي تؤكد ذلك .

٢) يُنظر: الكافي : ٢٥٦/١.٢٥٧

التعميم في الرسول بحيث يشملهم...يمكن أن يكون المراد بالغيب : الأسرار الإلهية ، أو الأعم))([1])، في هذه الآية المباركة ؛ التنكير كفيل بإرادة العموم من ذكر الخاص بعد العام ، فهم رسل الله تعالى إلى عباده ، فالتنكير أقرب في إرادة العموم .

وإلى هذا المعنى ذهب المجلسي الثاني في شرحه لهذه الآية المباركة في قوله : ((إمَّا بكون الرسول في الآية شاملا لهم على التغليب، أو بكون المراد به معنى آخر أعم من المعنى المصطلح . ويُحتمل أن لا يكون إشارة إليها ويكون المقصود في الآية: حصر علم الغيب بلا واسطة في الرسل . وأمَّا علمهم عليهم السلام فإنَّما هو بتوسط الرسول))([2]) ، وقد أوضحنا في ما سبق ؛ إنَّ التنكير أفاد العموم ولم يكن المجاز مستولياً على هذه اللفظة.

٥. **ذكر الشيء والمراد به ضدّه** : هذا الأسلوب جاء كثيراً في النصوص العربية . المقدَّسة وغيرها . وهي من باب [إياكِ أعني واسمعي يا جارة] ، وقد جاء ((عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: **نَزَلَ الْقُرْآنُ بِإِيَّاكِ أَعْنِي وَ اسْمَعِي يَا جَارَةُ**))([3]) ، إذ ورد هذا الأسلوب في نصوص الزيارة المباركة وأشار إلى ذلك الشارحون ، منها ما جاء في شرح قول الإمام (عليه السلام) : ((**مَنْ أَرَادَ اللهَ بَدَأَ بِكُم ومَنْ وَحَّدَهُ قَبِلَ عَنْكُم**))([4])، قال المجلسي الثاني : ((**مَنْ أَرَادَ اللهَ بَدَأَ بِكُم** أي: من لم يبدأ بكم فلم يرِد اللهَ، بل أراد الشيطان . **ومَنْ وَحَّدَهُ قَبِلَ عَنْكُم** أي: من لم يقبل عنكم فليس بموحد، بل هو مشرك وإن أظهر التوحيد))([5]) ، وتابعه في ذلك الوحيدي في شرحه([1]) ، فقد

---

[1]) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، المجلسي الأول : ٩١.٩٢.٩٣.

[2]) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، المجلسي الثاني : ٢٢٠ .

[3]) الكافي : ٦٣١/٢ .

[4]) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، المجلسي الثاني : ٢٣٤ .

[5]) المصدر نفسه : ٢٣٤ .

تنبها إلى الأسلوب القرآني في سياق ألفاظ الزيارة وهذا يكشف عن مدى الانسجام التام بين أسلوب القرآن والعترة الطاهرة.

وكذلك ما جاء في شرح قول الإمام (عليه السلام) : ((وَسُلالَةَ النَبِيّينَ))([2]) ، يطرح الميلاني تساؤلاً في شرحه ((ما الفائدة من مخاطبة الأئمة بـ﴿سُلالَةَ النَبِيّينَ﴾ قلتُ : يكفي فضلاً لهم أنَّ المناوئين لهم لم يكونوا من سُلالة النبيين بل لم تخلُص أنسابهم من الفاحشة والسفاح ، فالأئمة عليهم السلام فقط ﴿سُلالَةَ النَبِيّينَ﴾ دون غيرهم من كبار صحابة رسول الله عليه وآله السلام))([3]) ، ومن هذه المزية تتضح السلالة الطيبة التي يتمتع بها أهل البيت (عليهم السلام) ويفتقر لها غيرهم ، فذكرها يُراد منه بيان الفارق بينهم وبين غيرهم ، فتنبه الميلاني لهذه المزية .

٦. **ذكر الشيء والمراد به غيره** : يقترب هذا المصطلح للمصطلح السابق ؛ إلّا أنَّه يختلف معه بالضدِّية ، فهو يذكر المجاز الذي جاء في النص مشيرا إلى غير اللفظ المذكور بطريقة الاتساع من دون التقابل ، وهذا ما نجده في شرح الغزي ، إذ استشهد بقوله تعالى : ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ {طه/١١٤} ، قال الغزّيُّ : ((هذه عجلة الشوق، والآية هنا لا تريد أن تنهى النبي عن شيءٍ هو لم يكن سليماً أو صحيحاً، وإنّما تريد أن تخاطبنا، فالقرآن نزل بإياك أعني واسمعي يا جارة وهذه لها أكثر من مرتبة ، في بعض الأحيان يكون الخطاب لشخص ونحن الذين نُراد بذلك ، وفي بعض الأحيان يكون الخطاب لشخص ونحن نُنَبَّه وفقاً لذلك الخطاب بخصوص أحوال وشؤون ذلك الشخص ...

---

[1]) يُنظر : أنوار الولاية الساطعة ، الوحيدي : ٢٢٦ .
[2]) مع الأئمة الهداة ، الميلاني : ١٤٢ .
[3]) المصدر نفسه : ١٤٢ .

الآية تريد أن تُشعرنا بأنَّ القرآن بجموعه في قلبه صلى الله عليه وآله))([1]) ، وهذا من باب الكلام يُوجه إلى عين القوم والمراد أنْ يُطبَّق من القوم ، وهذا الأسلوب قرآني صرف ، من ذلك ما جاء ـ على سبيل المثال ـ في قوله تعالى : ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ ﴿الفتح/٢﴾ ، فهل للنبي الأعظم (صلى الله عليه وآله) من ذنب حتى يعده الله تعالى بغفران ذنبه ؟! ، إذاً : كانت التفاتة الغزي في هذه الآية المباركة جميلة جداً ليُؤكد من طريقها إنزال القرآن الكريم كله على صدر الخاتم لنؤمن بذلك بوساطة الخطاب الموجه لرسول الله عليه وعلى آله أفضل الصلاة وأتمها.

ب . الاستعارة :

عُرفت عند العرب بتعدد أساليبها ووسائل تعبيرها لأداء ما يعتمل في خاطرهم ، وما يريدون البوح به من المشاعر والأحاسيس بطرق متعددة من الكلام، والاستعارة هي إحدى تلك الطرق في الأداء ؛ فهي تكشف ((عن إيحائية في التعبير، لا يحس بها السامع في الاستعمال الحقيقي، وهي من ابرز صور البيان العربي وأروع مشاهد التصوير الفني))([2]) ، ولم تحفلْ لغةٌ غيرَ العربيةِ بمثل هذه الفنون التي حباها الله تعالى بها .

وقد اكتمل حدُّ الاستعارة على يد الجرجاني ت(٤٧١هـ) ، إذ قال فيه : ((أن تريد تشبيه الشيء بالشيء، فتدع أن تفصح بالتّشبيه وتجيء إلى اسم المشبَّه، وتجريه عليه))([3]) ، وذهب مَن جاء بعده مذهبه([1]) ، إلَّا أنَّ أوضح حدِّ للاستعارة هو:

---

[1]) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، الغزي : ١٥٢/١ .
[2]) أصول البيان العربي : ٩٣ .
[3]) دلائل الإعجاز : ٥٣ .

((تشبيه حُذف أحدُ طرفيه وأداته ووجه الشبه))([2]) ، ولا نريد الخوض في التنظير ؛ لأنَّها أشبعت بحثاً ودراسةً في الدرس البلاغي .

- **أركان الاستعارة**

من الأشياء التي لا بدَّ من بيانها قبل الولوج في التطبيق ؛ هي الأركان ، فالاستعارة حالها حال المصطلحات البلاغية التي لها أركان يجب توافرها في سياق الكلام ، وهي :

أركان الاستعارة

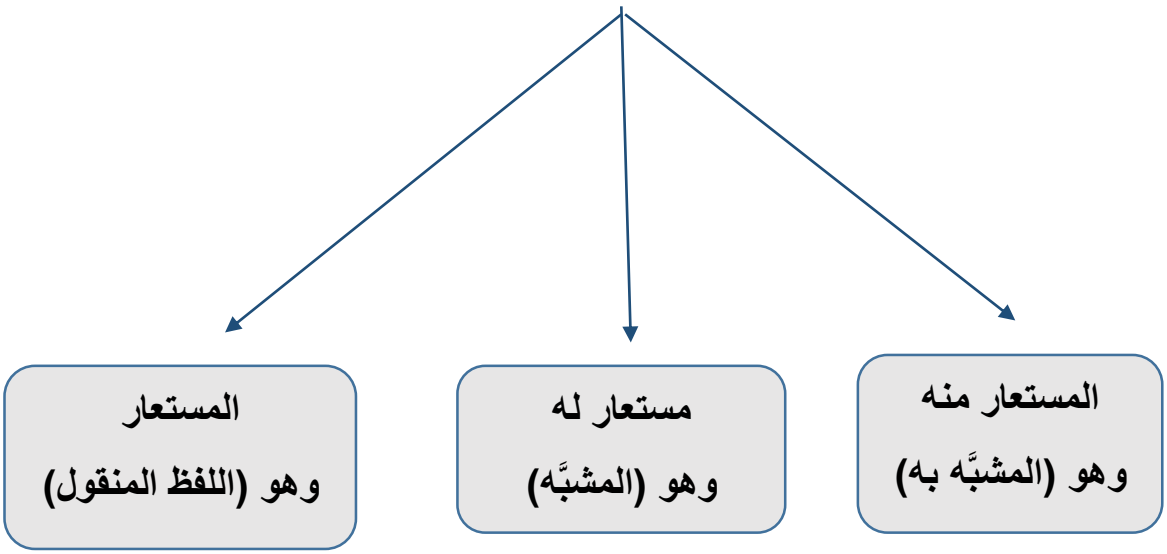

- **الاستعارة في شروح الزيارة الجامعة الكبيرة**

---

[1]) يُنظر : نهاية الإيجاز: ١١٥، مفتاح العلوم: ٤٧٧، المثل السائر: ٣٤٣/١، الجامع الكبير: ٨٢-٨٣، المصباح: ١٧٤، الإيضاح: ٢٧٤.

[2]) علوم البلاغة «البيان، المعاني، البديع» ، أحمد بن مصطفى المراغي ت(١٣٧١هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ٢٠٠١م : ٢٦٠ .يُنظر : جواهر البلاغة : ٢٥٨ .

قلَّتْ الاستعارة في طيّات شروح الزيارة الجامعة المختارة ، ربما بسبب اعتقاد الشارحين بحقيقة ألفاظ الزيارة الجامعة الكبيرة ، ورغم ذلك وردت في مواضع حاولنا اقتناصها واستقراءها من بين النصوص ، منها :

ما جاء في شرح قول الإمام العاشر (عليه السلام) : ((**المَهْديُّونَ المَعْصُمُونَ**))([1]) ، قال الأحسائي : ((...والعصمة لغةً المنع و في اصطلاح أهل العدل لطف يمنع المكلَّف من ترك شيء من الواجبات و فعل شيء من المحرمات يفعله ...هذا معناها ظاهراً.

وأمّا باطناً فاعلم أنّ النفس الناطقة إذا انبعث منها قبولها لإيجادها فإن استغرق قبولها للإيجاد في الإيجاد حتّى شابَهَ الوجودَ كانت تلك الماهيّة بما استولى عليها من النّور الذي قَبِلَتْهُ لا تشتهي إلّا الخير و الطاعات لأنّ ميلَ طبيعتها و داعيها قد هَجَرَتْه عند القبول ... فهي تفرّ من المعاصي و من مذامّ الأفعال و أهلها و ذلك لسبق العناية من الوهّاب الجواد بها لحقيقة ما هي أهله لأنّه لمّا نبّهها على ما سواه و نظرتْ الى السِّوي بعينه الّتي أعارها رأتْ ما ليس بشيءٍ يلجأ إليه و لا يطلب منه ففرّت منه إلى الشّيء الذي لا شيء سِواه و لا يطلب إلّا إليه سبحانه و تعالى..))([2]) ، وهذه استعارة تصريحية ، حيث صرَّح بالمستعار له وهي النفس ، ولفظ الاستعارة وهي العين . بحسب مفهوم الاستعارة البلاغية . حيث حذف التشخيص أو الشخص وأشار إلى أحد لوازمه ، وهذه الاستعارة أصلية لأنَّها جاءت بالاسم الجامد .

---

[1]) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، الأحسائي : ٢٩٣/١ .
[2]) المصدر نفسه : ٢٩٣/١ .

وهنا إشارة من الشارح إلى قول الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) : ((**وَكَانَ رَسُوْلُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَأَمِيْرُ المُؤْمِنِيْنَ عَلَيْهِ السَّلامُ دِيْنَ اللهِ ووجْهَهُ وَعَيْنَهُ فِي عِبَادَهِ ، وَلِسَانَهُ الذي يَنْطُقُ بِهِ ، وَيَدَهُ عَلى خَلْقِهِ ، وَنَحْنُ وَجْهُ اللهِ الذي يُؤْتَى مِنْهُ ، وَلَنْ نَزَالَ فِي عِبَادَهِ مَا دَامَتْ للهِ فِيْهِم رَوِيَّة**))(١) ، إلّا أنَّه لم يُصرّح بذلك ، في حين أنَّ مفهوم العين لو أحصينا ما جاء في سياقات اللغة لوجدناها كلها تنتمي لدلالة مركزية واحدة ؛ ألا وهي (الإفاضة) وهم (عليهم السلام) فيض الله الدائم، فإذا ثبت ذلك ؛ كان استعمال (العين) على الحقيقة.

وكذلك جاءت الاستعارة في شرح قول الإمام الهادي (عليه السلام) : ((**وَمَعادِنِ حِكْمَةِ اللهِ**))(٢) ، يذكر الصدر معنى الحكمة في اللغة ، قال : ((والحكمة في اللغة هي: العلم الذي يرفع الإنسان ويمنعه عن فعل القبيح مستعارٌ من حكمة اللجام وهي ما أحاط بحنك الدابّة ، ويمنعها عن الخروج والمخالفة))(٣) ، وهذه استعارة مكنية لأنَّ المذكور فيه المشبه وحذف المشبَّه به ، أمَّا نوعها ؛ فهي تبعية ، لأنَّها لم تكن اسماً جامداً وإنَّما مشتقة ، هذا بحسب المعنى اللغوي والبلاغي للاستعارة.

في حين أنَّ الحكمة هي من وضع الشيء في موضعه كما جاء في تفسير الحكيم في الروايات المباركة(٤) ، أمَّا استعمال اللغة للجام الفرس وتسميته بالحكمة ، من المحتمل أن تكون من باب التغليب أو كثرة الاستعمال في اللهجات العربية ، إلّا أنَّها شاملة للجام وغيره من وضع الشيء في المكان الذي لا بدَّ من وجوده فيه لتأدية

---

١) بحار الانوار : ٢٤ / ١٩٧ ، تفسير نور الثقلين : ٤ / ١٤٦

٢) في رحاب الزيارة الجامعة الكبيرة ، الصدر : ١٤٨ .

٣) في رحاب الزيارة الجامعة الكبيرة ، الصدر : ١٤٨ .

٤) يُنظر : شرح أصول الكافي : ٥٨٣/١٢ .

دوره، وبذلك يكون استعمال اللفظة على سبيل الحقيقة ؛ لأنَّهم (عليهم السلام) أصول لوضع الأشياء في مواضعها بسبب تخويل الله لهم في ذلك.

وقد وردت الاستعارة أيضاً في شرح قول الإمام (عليه السلام) : ((**وَعَيْبَة عِلْمِهِ**))([1]) ، قال الميلاني : ((العيبة بالفتح مستودع الثياب أو مستودع أفضل الثياب. وعيبة العلم على الاستعارة))([2]) وبحسب البلاغة ؛ هذه استعارة مكنية لأنَّها ذكرت المشبه به وحذفت المشبه ، ونوعها تبعية ، فلم تكن اسماً جامداً .

إلّا أنّ هذا الاستعمال الذي استند عليه الشارح ينتمي إلى رأي ذهب إليه الطريحي ت(١٠٥٨هـ) في مجمعه([3]) ، ولم يُعلِّق عليه الشارح فهو يوافقه فيه.

في حين أنّ (العَيْبة) لم تكن مختصَّة بخزانة الملابس ، فقد ذكر ذلك القاسم بن سلّام ت(٢٢٤هـ) في قوله : ((عَيْبَة الرجل مَوضِع سره [و] الَّذين يأتمنهم على أمره. وقَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: وَمِنْه الحَدِيث الآخر: كَانَت خُزَاعَة عَيْبَة النَّبِيّ صلى اللَّه عَلَيْهِ [وآله] وَسلم مؤمنهم وكافرهم. وَذَلِكَ لحلف كَانَ بَينهم فِي الْجَاهِلِيَّة. [قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ] : وَلَا أرى عَيْبَة الثِّيَاب إِلَّا مَأْخُوذَة من هَذَا لِأَنَّهُ إِنَّمَا يضع الرجل فِيهَا خير ثِيَابه وَخير مَتَاعه وأنفسه عِنْده))([4]) ، من هذا نستنبط : إنَّ مفهوم (العَيْبة) هي الخُزانة بشكل عام يُوضع فيها أفضل الأشياء ، وعيبة علم الله ؛عنى بها الإمام (عليه السلام)

---

[1]) مع الأئمة الهداة ، الميلاني : ٢٦٠ .

[2]) المصدر نفسه : ٢٦٠ .

[3]) يُنظر : مجمع البحرين ، فخر الدين الطريحي ت(١٠٥٨هـ) ، تحقيق : أحمد الحسيني ، منشورات مكتب نشر الثقافة الإسلامية ، قم ، إيران ، ط٢ ، ١٤٠٨هـ : ١٣٠/٢ .

[4]) غريب الحديث ، أبو عُبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي البغدادي ت(٢٢٤هـ) ، تحقيق : د. محمد عبد المعيد خان ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد- الدكن ، ط١ ، ١٩٦٤م : ١٣٤/١ . يُنظر : كتاب العين : ٢٦٣/٢ .

خزائن علم الله ، فاستعمال الإمام لهذه الكلمة على الحقيقة لا على الاستعارة ، وربما أشار الشارح إلى خُزانة الملابس ؛ لاستعمالها على التغليب أو لكثرة استعمالها في ذلك.

ومورد آخر جاءت فيه الاستعارة في شروح الزيارة الجامعة الكبيرة ؛ فقد ذكر الغزّي قول الإمام محمد بن علي الباقر (عليه السلام) : ((**إِنَّ حَدِيثَ آلِ مُحَمَّدٍ صَعْبٌ مُسْتَصْعَبٌ ثَقِيلٌ مُقَنَّعٌ أَجْرَدُ ذَكْوَانُ لَا يَحْتَمِلُهُ إِلَّا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ أَوْ نَبِيٌّ مُرْسَلٌ أَوْ عَبْدٌ امْتَحَنَ اللَّهُ قَلْبَهُ لِلْإِيمَانِ أَوْ مَدِينَةٌ حَصِينَةٌ فَإِذَا قَامَ قَائِمُنَا نَطَقَ وَ صَدَّقَهُ الْقُرْآنُ**))([1])

قال الغزّي : ((أجرد الإمام هنا كأنه يستعير هذا الوصف من الجبل الأملس الذي لا يوجد فيه مجال لصعوده ، يعني جبل مستقيم))([2]) ، وهذه استعارة تصريحية ، إذ صرح بالمشبه به وحذف المشبه ، ونوعها (تبعية) لأنَّه من أفعل التفضيل وهو مشتق.

لم تُخصص اللغة (الأجرد) بالجبل ، وإنَّما معناه الأملس فقط([3]) ، وتخصيصها بالجمل هو الذي دعى إلى الحكم باستعارتها ، يبدو استعمال الإمام الباقر(عليه

---

[1]) بصائر الدرجات : ٢١/١ .

[2]) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، الغزي : ١٠٥/١، لكن الغزي لم يذكر الحديث بألفاظه التي أوردناها من كتب الحديث ؛ وإنَّما ذكر الحديث باختصار ، يبدو أراد منه موضع الحاجة ، إذ جاء في قوله : ((عَن أَبي جعفرعَليه اَلسلام قَال: إن حَديثنا صَعبٌ مَستصعب أَجرَد))، ينظر : المصدر نفسه : ١٠٥/١.

[3]) يُنظر : المُنَجَّد في اللغة (أقدم معجم شامل للمشترك اللفظي) ، علي بن الحسن الهُنائي الأزدي، أبو الحسن الملقب بـ «كراع النمل» ت(٣٠٩هـ) ، تحقيق: دكتور أحمد مختار عمر، دكتور ضاحي عبد الباقي ، عالم الكتب، القاهرة ، مصر ، ط٢ ، ١٩٨٨م : ١٦٦/١ . تهذيب اللغة ، مادة (جرد) : ٣٣٧/١٠ ، جمهرة اللغة ، مادة (جرد) : ٤٤٦/١ .

السلام) هذه الكلمة للدلالة على حسن حديثهم ورقته ونعومة ألفاظه ودخوله إلى القلوب بيُسر وسهولة ، فإذا كان كذلك ؛ كان استعماله على الحقيقة .

المبحث الثاني

التمثيل والتشبيه

توطئة :

أَلجمال في النصوص يكمن في قصديات المتحدث أو الباث . بصورة عامَّة . ، فهو يعمد إلى تبيان مفاصل نصِّه بطرق متعددة بوساطة مجموعة استعمالات يقوم بتوزيعها على النص بحسب الفقرات المنتثرة في سياقات نصِّه ، ومن هذه القصديات؛ التمثيل والتشبيه ، فقد يعمد الباث إلى استقطاب الأمثلة والتشبيهات لغرض تقريب المعنى وترسيخه من جهة ، أو للتحذير من جهة أخرى ، ولا تنحصر الأغراض المرادة من التمثيل والتشبيه بعدد معيَّن ؛ لأنَّها تتعدد بتعدد السياقات وإيراداتها فيه .

عنى البلاغيون عناية كبيرة في موضوعات التمثيل والتشبيه منذ بداية الدرس البلاغي وحتى الآن ، ولا يخلو مؤلف بالبلاغة العربية من هذين المصطلحين لما لهما من أهميةٍ كبيرة في الدرس البلاغي ؛ لذا لا نريد الخوض بمفاصلهما ؛ فقد أُشبعا بحثاً ودراسةً ، لذلك سنقسِّم المبحث على مطلبين :

المطلب الأوَّل

التمثيل : حدُّه ، تطبيقاته في شروح الزيارة الجامعة الكبيرة

التمثيل في اللغة :

تكاد كلمة أهل اللغة مجتمعة على ترادف التمثيل والتشبيه في المعنى ، فالتمثيل من المثل و((المَثَل الشَبَه ، ومُثِّلَ الشيءُ بالشيءِ : سُوّيَ به وقُدِّر تقديرُه))([1]) ، في

---

[1]) لسان العرب ، مادة (مثل) ، يُنظر : معجم مقاييس اللغة : ٢٩٦/٥ ، المفردات : ٤٦٢/١ ، تهذيب اللغة ، مادة (مثل) : ٧٢/١٥ ،، المعجم القرآني : ٣٨٠.٣٧٩/٣ .

حين أنّ القرآن الكريم خصص استعمال كلٍ منهما ، فكان استعمال المثل للمضمون واستعمال الشبه للشكل ، على سبيل المثال لا الحصر ، قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَن جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَىٰ فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ {البقرة/٢٧٥} ، فالبيع سلعة مقابل مادّة ، والربا مادة مقابل مادّة ، مختلفة بالشكل متفقة بالمضمون ، وهكذا .

أمَّا الشبه ما جاء في قوله تعالى : ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ {النساء/١٥٧} ، فالذي شُبِّه لهم في شكله كان كالنبي عيسى (عليه السلام) ولكن في مضمونه ليس هو ، وهذا في جميع الاستعمالات القرآنية المباركة .

التمثيل في الاصطلاح :

يُعدّ التمثيل من الأساليب البلاغية التي تضفي رونقاً خاصَّاً في التعبير، ((وإذا كانت الكلمة تعد مرادفة لمفهوم التّشبيه ، فإنّها من جانب آخر قد تتسع للدلالة على معنى التصوير ومثَّل له الشيء ؛ صوره حتى ينظر إليه، وامتثله هو ؛ تصوره))([1])، ولا يبعد الحدُّ الاصطلاحي للتمثيل عن الحدّ اللغوي له ؛ فهو ((تشبيه شيء بشيء في حكمه، وتقريب المعقول من المحسوس أو أحد المحسوسين من الآخر، واعتبار أحدهما بالآخر))([2])، وذهب بعضهم إلى أنَّ الفرق بين التمثيل والتشبيه هو

---

[1]) الاتجاه العقلي في التفسير، دراسة في قضية المجاز عند المعتزلة، د. نصر حامد ابو زيد ، دار الكتب العلمية ، بيروت– لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ–٢٠٠١م : ٩٤ .

[2]) أمثال القرآن ، ابن قيم الجوزية ت(٧٥١هـ)، تحقيق: د. موسى بناي علوان العليلي، مطبعة الزمان ، بغداد ، العراق ، د.ط ، ١٤٠٧هـ–١٩٨٧م : ٥٣ . ينظر: كتاب الصناعتين: ٣٨٩.

خصوص التمثيل وعموم التشبيه([1]) ، وهذا لا ينفي إيمانهم بترادفهما ، في حين تبيَّن الفرق بين التمثيل والتشبيه.

- **حدُّ التمثيل في شروح الزيارة الجامعة الكبيرة**

ورد حدّ التمثيل في شرح الهمداني في قوله : ((والتحقيق أنَّ التمثيل عبارة عن تنزيل الشيء المجهول عن مرتبة لا يمكن تناوله والإحاطة به فيها إلى مرتبة يمكن تعقله لِمن أُريد منه أن يتعقل ، للمناسبة بينهما في المرتبة الثانية دون المرتبة الأولى، مثل أنَّك تريد إثبات (أنّ الضدين لا يجتمعان) فتفرض لمن أراد تعليمه الليل والنهار ، وإنَّ الليل إذا تحقق ينتفي النهار ، وبالعكس ؛ فتُقرِّب ذلك في ذهن المتعلم أنّ كلَّ ما كانا كذلك فهما ضدان))([2]) ، فهو إنزال الشيء منزلة غيره لتقريب المعنى إلى ذهن المتلقي ؛ لِما في الممثَّل له من غموض أو صعوبة في التلقي قبل المراتب الأقل، أو تمثيل محسوس لشيء معقول .... وهكذا.

وهذا ما يكشف عن حقيقة المثل وهي ((عبارة عن مرتبة تفصيل الشيء وتبيينه، وذلك يختلف بالنسبة إلى مراتب الأمثال والممثلات ، فكلّ مفصّل للمرتبة التي فوقها مَثَل لتلك المرتبة وصفتها ومنبِّهاً عنها ، سواء كان من الجواهر أو الأعراض))([3])، ومن هذا نفهم أن الغرض من التمثيل هو تقريب الكلام بوساطة المثل للوصول من خلاله إلى الحكمة المستغلقة في الخطاب كما في المخطط الآتي:

الخطاب الأوَّل ← المَثل ← الحكمة المستغلقة

[1]) يُنظر: أسرار البلاغة : ٩٥ ، علوم البلاغة ، المراغي : ٢٢٦/١.
[2]) الشموس الطالعة من مشارق الزيارة الجامعة ، الهمداني : ٢٦٢ .
[3]) المصدر نفسه : ٢٦٢ .

وورد التمثيل في شروح الزيارة الجامعة كثيراً ، من ذلك ما جاء في شرح الوحيدي في بيان مراتب التقوى ؛ قال : ((حفظ النفس بما يشغلها عن الحق وذكر الله تعالى وإن كان مباحاً ، إلّا بمقدار الضرورة أو عند الاضطرار إليه ، وورد عن بعض النّاسكين عندما سئل عن التقوى فضرب مثالاً وقال : كيف تعمل لو دخلت أرضاً أو صحراءً ملئت بالأشواك. فقال السّائل : أحفظ نفسي وأحتاط في المشي بصورة كاملة كي لا تدخل الأشواك في قدمي. قال الناسك : هكذا إعمل في الدّنيا ، وهذا هو التقوى.))([1]) ، أراد من المثل تشخيص المعقول أمام المتلقي وقرَّب إليه المعنى المراد من التقوى بمثال قريب لذهنه فكان التأثير فيه أبلغ وأسمى ؛ لذا تقبَّله بقبولٍ حسن ، فكانت التقوى شاخصة أمامه وكأنَّه يراها ، وقد حصل على الحكمة المستغلقة من الكلام الأوَّل بوساطة المثل .

ومن ذلك ما ورد في شرح قول الإمام (عليه السلام) : ((وَمَعْدِنَ الرِّسَالَةِ))([2]) ، يستشهد الأحسائي في قوله تعالى : ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ {آل عمران/٤٥} ، فقال : ((فهم معادِن لكلماته و جعلهم سبحانه أركاناً لتوحيده لأنّ المقام الذي لا فرق بينه و بين الله سبحانه إلّا أنَّه عبده هو ظهوره للعبد بالعبد و هم (عليهم السلام) تلك المظاهر كما يأتي في التمثيل بالقائم فإنَّه لا فرق بينه و بين زيدٍ إلّا أنّه ظهور زيد بالقيام فهو محدثه به وركنه القيام فحقيقتهم كالقيام وظهوره على تلك الحقيقة بها كالقائم والقائم هو المقام الذي يعرف زيداً به من عرف زيداً أي لا يُعرف زيد إلّا به والمراد أنّ الله سبحانه لا يعرف إلّا بتلك المقامات وهي لا تتحقق إلّا بهم وفيهم كما أنّ القائم لا

---

[1]) أنوار الولاية الساطعة ، الوحيدي : ١١٧ . وجاء التمثيل في شرح الوحيدي في غير موضع وما ذكرناه للتمثيل لا للحصر ، يُنظر : أنوار الولاية الساطعة : ٥٤ ، ٦٤ ، ١٣٥ ، ١٦٤ ، وغيرها .

[2]) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، الأحسائي : ٤٤/١ .

يتحقق إلّا بالقيام...))([1])، فأراد الشارح تقريب المعنى بالتمثيل ، فالله تعالى لا يمكن أن يُوصف لعباده ، فجعل من الإنسان الكامل ممثلاً عنه وهذا من باب شرح المعقول بالمحسوس، وأضاف الشارح تمثيلاً آخر لبيان الحكمة بوساطة نسبة القيام لزيد ، وكل ذلك لغرض ترسيخ المعنى الأولي في الذهن وتقبّله .

وأورد الأحسائي قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾{الحج/٧٣} ، ثمَّ قال : ((أي ضربتُ لكم قصة عجيبة و ذلك لأنّ العرب قد تسمّي الصفة والقصّة الرائقَة لاستحسانها أو لاستغرابها مثلاً نَعَمْ إنَّما يستعمل المثل بمعنى الحديث . والقصّة إذا أرادوا أن يقصّوا شيئاً بالتشبيه والتمثيل ويكون بمعنى الصفة كقوله تعالى : ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ﴾ ، أي صفتها وبمعنى الصورة))([2])، فكان ضرب المثل لغرض تقريب الصورة إلى المتلقي بما ينسجم ومداركه ، فلم يذكر الله تعالى لهم مثلاً بعيداً عن متناول أيديهم ، فكان تقريب صغر الخلق بالذباب لأنَّهم يرونه ، ولكن لو ضرب المثل بالبكتيريا أو الفايروسات التي لا تُرى بالعين المجردة؛ لكان لهم اعتراض على المثل لأنَّهم لم يجدوا المثل حاضراً شاخصاً أمام أعينهم ، والإنسان ـ بطبيعته ـ توّاق لما يراه ويلمسه ويجسَّه ؛ لذا يطلب المعجزات الماديّة حتى يؤمن ، والغاية من ضرب المثل هنا ؛ لبيان وهن وضعف الذين يعبدونهم من دون الله ويدعونهم من غيره ، وبيان ضعف الشيء يُصغّر في النفوس فتنفر منه.

---

[1]) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، الأحسائي : ١/٤٤.٤٥ .

[2]) المصدر نفسه : ١/١٤٦ ، وجاءت الأمثال في شرح الأحسائي كثيرة ، يُنظر : ١/ ١٥٠ ، ١٩٣ ، ٢١٠ ، ٢٤٤ ، وكذلك : ٤/١٥٣ .

وكذلك جاء التمثيل في شرح قول الإمام (عليه السلام) : ((**إِنْ ذُكِرَ الْخَيْرُ كُنْتُمْ أَوَّلَهُ وَأَصْلَهُ وَفَرْعَهُ وَمَعْدِنَهُ وَمَأْواهُ وَمُنْتَهاهُ**))([1]) ، قال الصدر : ((أنّ الخير هو ما لا سوء فيه ، والعمل الصالح ، ومكارم الأخلاق ، وما يرغب فيه الجميع ، والشيء النافع.

وأهل البيت عليهم السلام مثال الخير الكامل ، وأكمل الخير ، والخير الكثير كما يدلّ عليه الكتاب والسنّة. فمن الكتاب سورة الكوثر المباركة. ومن السنّة أحاديث تفسيرها ، وهم عليهم السلام أوّل الخير فابتداؤه بهم ومنهم وببركتهم))([2])، فكانت الصورة الحسّية للخير ؛ هي أهل البيت (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) ، فمثَّل الله تعالى للناس الخير بشخوص العترة الطاهرة ليكونوا أسوة حسنة يقتدي بهمم الناس ويسيروا خلفهم لأنَّهم لا يردُّونَ الناس عن هدى ولا يُرشدوهم إلى عمى أو ضلال ، فالله تعالى جعلهم أنواراً يُنيرون دياجي الناس إن عزّ الضياء ، فهم السبيل الذي ينجو مَن احتذاه وسار عليه ، الموصلون إلى الله سبحانه دون قطع ، فصاروا فيضَ الوجودات بأمره ، ومستودعاً لحكمته وسرِّه ، فالناس لا يستطيعون التواصل مع الله تعالى مباشرة ؛ وإنَّما يجعلهم الله واسطة بينه وبين عباده .

وجاء التمثيل في شرح الغزّي ؛ إذ أورد قوله تعالى : ﴿**وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ**﴾{الأنعام/٥٩} ، قال : ((هذه المفاتح هي مفاتح الخزائن، والخزائن هي المفاتح، هذه خزائن الله ، أهل البيت هم خُزَّان الله وهم خزائنهُ وهم مفاتحهُ ﴿**وَعِندَهُ**

---

[1]) في رحاب الزيارة الجامعة الكبيرة ، الصدر : ٦٢٠ .

[2]) المصدر نفسه : ٦٢٠ ، وجاء التمثيل في غير موضع في شرح الصدر ، يُنظر : ١٣٢ ، ١٣٤ ، ٤٨٩ ، ٦٢٨ .

﴿مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾ ثم تبيَّن الآية مصاديق أمثلة لتقرب المعنى ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ﴾ ليس هذا كلُّ الغيب ، الدنيا وما فيها لا تعدل عند الله جناح بعوضة، هذا مثال من الأمثلة، الآية تقول ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ﴾ كل المفاتح ما قيمة الدنيا في مفاتح الغيب؟ لكنَّ الدنيا هنا جيء بها مثال فالإنسان لا يرى إلّا ما بين عينيه، كما يقال، يقول صلى الله عليه وآله ((**صَاحِبُ الحَاجَةِ أَعْمَى لَا يَرَى إِلَّا حَاجَتَهُ**))، ونحن أبناء الدنيا ... حينما يكون لشخصٍ حاجة عندك فإنهُ سيكون لحوحاً سيلح عليك كثيراً لأنهُ لا يرى إلّا حاجته ويريد قضائها ، أما الدنيا بالنسبة لنا هي حاجتنا الأولى والأخيرة))([1]) ، فجاءت الدنيا بالمثل لتقريب الصورة إلى ذهن الإنسان بسبب تمسكه بها وانغماسه بملذاتها وهي جزء من مفاتح الغيب لأنَّها إحدى خزائن الغيب التي يجري الله تعالى أسراره منها .

وجاء التمثيل أيضاً في شرح الميلاني لمَّا وصل لشرح قول الإمام الهادي (عليه السلام) : ((**المثَلُ الأعْلى**))([2]) ، قال الميلاني : ((الأئمة مثل العليّ الأعلى ... وهو : "النموذج" وجمعه "مُثُل" حيث يتبيَّن من خلال حقيقة وواقعية أمر معقول بتمثيله بأمر محسوس فيقال : مثلهُ كمثل كذا . حينما نُريد تعريف الجود والسخاء وآثارهما وخصوصياتهما، نذكر حاتم الطائي كنموذج له.))([3])، إذ وضع تعالى مثل أهل البيت للنموذج الأكمل والأتم من عباده ، منه تبيَّنت الدعوة إلى الكمال بوساطة وجود الإنموذج البشري المتمثل في محمد وآل محمد .

---

[1]) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، الغزي : ١/٢٠٤ .
[2]) مع الأئمة الهداة ، الميلاني : ١٧٢
[3]) المصدر نفسه : ١٧٢ .

المطلب الثاني

التشبيه :

حدُّه ، أقسامه ،تطبيقاته في شروح الزيارة الجامعة الكبيرة

توطئة :

التشبيه من الأساليب البيانية الرائعة في القرآن الكريم وكلام العرب ، إذ لا تخلو قطعة بلاغية منه مع الفارق بين كلام المخلوق وكلام الخالق ؛ فالأديب يأتي به لجمالية النص أو لرسم صورة ما أمام القارئ أو السامع لشدِّه إليها ، في حين أنَّ هذه الأغراض تختلف في القرآن الكريم والنص المعصومي ، إذ يأتي به القرآن الكريم ونص المعصوم لتقريب المعنى أو للنصح والإرشاد أو للردع والكف عن العمل .

ولم يكن التشبيه من الطوارئ على اللغة العربية ، بل كان من الفنون الملازمة لكلام العرب منذ النطق بالضاد على لسان نبي الله إسماعيل (عليه السلام) كما لا ننكر وجوده في اللغات الأخرى ، فكانت العرب تعرف هذا الفنَّ دون مصطلحه ، إذ نجده في أشعار العرب المأثورة عنهم في عصر ما قبل الإسلام وهي مليئة بهذا الأسلوب إلى جنب الأساليب البلاغية العربية ، ولقرب المعنى بين التشبيه والتمثيل ؛ رادفَ كثير من العلماء بينهما ـ كما ذكرنا ـ ؛ بيد أنَّهما يختلفان من حيث الدلالة والبلاغة ومقاربة الألفاظ إذ إنَّ التشبيه يُعنى بالشكل ، والتمثيل يُعنى بالمضمون . كما سنبين ذلك في البحث إن شاء الله في مفهوم التشبيه كي تكتمل الصورة والفرق بينهما.

عدَّ النقاد والبلاغيون العرب التّشبيه قوام البيان العربي، وارتبط عندهم بوظيفة الفهم ، والغاية منه إبلاغية نفعية ، فقد كان من أكثر الأنماط جذباً لانتباههم وإثارة لإعجابهم ([1]) .

وكان القدماء ((ينظرون إلى التّشبيه على أنّه نوع من الإقناع، فالمتكلم عنده فكرة أو قضية عامة غير ظاهرة، أو غير مألوفة، فهو يسوقها مجردة ثم يُعقِّب بتشبيه يوضحها، بحيث تقبلها النفس))([2]) ، وعلى الرغم من كثرة استعمالهم لكلمة التشبيه إلّا أنَّهم لم يتطرقوا لتعريف خاص به ([3]) .

التشبيه في اللغة :

فلان شِبهُ فلان فهو شَبَهُهُ ، وشَبَه وشَبيه : تَشَابُه الشيء وتشاكله لوناً ووصفاً ، والشبيه من الجواهر الذي يشبه الذهب ، والشبيه المثل ، وتشابه الشيئان: أشبه كل واحد منهما صاحبه([4]) .

التشبيه في الاصطلاح :

أمّا في الاصطلاح ؛ فالتشبيه ((الدلالة على مشاركة أمر لأمر في المعنى))([5]). وهو من أكثر الألوان البلاغية التي حفل بها التراث الأدبي العربي

---

[1]) ينظر: التصوير المجازي، أنماطه ودلالاته، في مشاهد القيامة في القرآن ، أياد عبد الودود عثمان الحمداني، دار الشؤون الثقافية، بغداد ، العراق ، ط١، ٢٠٠٤م : ٢٥.

[2]) سر الفصاحة لابن سنان الخفاجي (دراسة وتحليل)، د. عبد الرزاق أبو زيد زايد، الناشر مكتبة الشباب ، بيروت ، د.ط ، ١٩٨٢م : ٩٨ .

[3]) ينظر: معجم المصطلحات البلاغية: ١٦٧/٢.

[4]) ينظر : معجم مقاييس اللغة ، مادة شبه : ٣ / ٢٤٣، اساس البلاغة ، مادة شبه : ٣٢٠/١ ، لسان العرب ، مادة شبه : ٧ / ٢٤ .

[5]) التلخيص في علوم البلاغة : ٦٢ .

نظراً لكونه أوضح الصور المجازية ـ التي هي طريق من طرق الأداء للوصول إلى الحقيقة كما أسلفنا ـ ظهوراً في التعبير وأقربها في التناول لوضوح التعبير وجلائه([1]).

ولعل أقدم من وضع حدّاً للتشبيه هو المبرد ت(٢٨٥هـ)، في قوله : ((واعلم أنَّ للتشبيه حدَاً، فالأشياء تتشابه من وجوه، وإنّما ينظر إلى التشبيه من حيث وقع))([2])، فهو ينظر إلى التشبيه من جهة الشكل .

ثم عرّفه قدامة بن جعفر ت(٣٣٧ هـ) في قوله : ((إنَّ الشيء لا يشبّه بنفسه ولا بغيره من كل الجهات ، إذ كان الشيئان إذا تشابها من جميع الوجوه ، ولم يقع بينهما تغاير البتّة إتّحدا فصار الإثنان واحداً ، فبقي أن يكون التشبيه إنّما يقع بين شيئين بينها اشتراك في معانٍ تعمَهما ويوصفان بها ، وافتراق في اشياء ينفرد كل واحد منهما عن صاحبه بصفتها ، وإذا كان الأمر كذلك فأحسن التشبيه : هو ما وقع بين الشيئين اشتراكهما في الصفات أكثر من انفرادهما فيما يدني بهما إلى حال الاتحاد))([3]) ، تنبَّه قدامة بن جعفر إلى مفهوم التشبيه وأنَّه عبارة عن اشتراك بين المشبَّه والمشبَّه به من ناحية أو من وجه واختلافهما من مناح متعددة ، وهذا ما يميل إليه البحث.

وذكر ابن طباطبا ت(٣٢٢هـ) أشكالاً مختلفة من التشبيهات ، فمنها : تشبيه الشيء بالشيء صورة وهيأة ، وتشبيه به معنى دون شكل ، ومنها تشبيهه به حركةً وسكوناً، ويذهب إلى أنَّه إذا اتفق في الشيء المشبه بالشيء معنيان أو ثلاثة

---

[1]) يُنظر : البلاغة العربية قراءة أخرى ، د. محمد عبد المطلب ، دار نوبار للطباعة ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ٢٠٠٧م : ٢٤ .

[2]) الكامل ، للمبرد : ٢ / ٧٦٦.

[3]) نقد الشعر : ١٠٩ .

معان... صار التشبيه قوياً وصادقاً ، وهو يرى أن أحسن التشبيهات ما إذا عُكسَ لم يُنتقض من المعكوس شيء([1]).

وحدَه الرمّاني ت(٣٨٦هـ) بأنه : ((العقد على أن أحد الشيئين يسدّ مسدّ الآخر في حُسْن أو عقل))([2]) ، وهذا فيه نظر : إذ لا يسد المشبه مسدّ المشبَّه به أو العكس ؛ لأنَّ لكلِّ أحدهما وضعه الذي لا بدّ من وضعه فيه ، والمشاركة بينهما للتقريب أو للتوضيح أو لغرض آخر ، أمَّا أن يقوم أحدهما مقام الآخر ؛ فغير ممكن في اصطلاح الوضع والبلاغة ، لأنَّ الحكمة المستغلقة في الكلام ستنصرف إلى وضع الموضوع لا الوضع الحقيقي.

وأكَّد ابن رشيق القيرواني ت(٤٥٦هـ) أن : ((التشبيه صفة الشيء بما قاربه وشاكله من جهة واحدة أو جهات كثيرة ، لا من جميع جهاته ؛ لأنَّه لو ناسبه مناسبة كليّة لكان إياه))([3]). وهو أشار إلى امتناع المطابقة الكلية بين المشبه والمشبه به ، لأنَّه في هذه الحال سوف يكون هو هو ؛ وترتفع المشابهة بينهما.

فالتشبيه إذاً : هو محاولة بلاغية جادة لصقل الشكل وتطوير اللفظ ، ومهمته تقريب المعنى إلى الذهن بتجسيده حيّاً([4]) ؛ وهو تصوير فني يرسم المعنى في الخيال وما إن دقّ ولطف في التعبير إلا ازداد حسناً وكمالاً([5])؛ وفائدته توسيع أفاق التعبير أمام المتكلم فيستطيع من طريق الصورة أن ينقل ما رسم في ذهنه من معانٍ

---

[1]) ينظر : عيار الشعر ، محمد بن أحمد بن طباطبا العلوي (ت ٣٢٢هـ)، شرح وتحقيق: عباس عبد الساتر، مراجعة نعيم زرزور، منشورات محمد علي بيضون، (دار الكتب لعلمية)، بيروت–لبنان، ط٢، ١٤٢٦هـ–٢٠٠٥م : ١٧– ٢٣ .

[2]) النكت في اعجاز القرآن : ٧٤ .

[3]) العمدة : ١ / ٢٨٦ .

[4]) ينظر : أصول البيان العربي : ٦٣ .

[5]) ينظر: تلخيص التمهيد (موجز دراسات مبسطة عن مختلف شؤون القران الكريم)، محمد هادي معرفة ، دار القارئ ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ٢٠١٠م : ٣٣١/٢.

إلى السامع أو القارئ لأنَّه يجمع بين الإيجاز وحسن البيان ، والمبالغة في تأكيد المعاني وتقريرها([1]).

- **حدّ التشبيه في شروح الزيارة الجامعة الكبيرة**

ورد حدُّ التشبيه في شروح الزيارة الجامعة الكبيرة ؛ عند الأحسائي ، فقد أشار إلى مفهوم المشبَّه والمشبَّه به في القرآن الكريم ، ومنه ينطلق إلى تطبيقه في شرحه للزيارة الجامعة الكبيرة ، وذلك في قوله : ((ينطبق على ما قرّره بعض العلماء من محقّقي العارفين من أنّ المشبّه في القرآن والسّنّة المنقولة باللّفظ نفس المشبّه به وأنّ الكاف أتى به آلةً للاتحاد و يدلّ عليه أنّ كلّ ما وجد في القرآن من المشبّه والمشبّه به إن أُريد به الاتحاد لم يؤت بلفظ مَثَل محركاً مثل قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاء أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاء﴾ ولم يقل: كمثل ماءٍ وذلك للاتّحاد فإنّ مثل الحيوة الدّنيا هو ماء...))([2])، عنده : الإتيان بالتشبيه ؛ إذا كان المشبَّه به يُراد منه الاتحاد مع المشبَّه ، إلَّا أنَّ الدلالة العامة للتشبيه تفيد المشابهة من صفة شكلية أو أكثر هي الأقرب .

وعليه يكون التشبيه مشابهة شيء لشيء آخر في صفة أو أكثر ، وهذه المشاركة في الصفات هي التي دعت إلى التشبيه .

وهو أبلغ وأشدّ تأثيراً، لأنه يُعبِّر عن المعاني الذهنية بالصور، وهو أقرب إلى تحريك النفوس وإثارتها.

---

[1]) ينظر : علم البيان ، دراسة تاريخية وفنية لاصول البلاغة ومسائل البيان ، د.بسيوني عبد الفتاح فيّود، استاذ البلاغة والنقد ، كلية اللغة العربية ، جامعة الازهر ، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع القاهرة ، مصر، ط٢– ١٤١٨هـ– ١٩٩٨ م : ٢٨ .

[2]) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، الأحسائي : ٢٧٥/١ .

• **أركان التشبيه :**

لإسلوب التشبيه أربعة أركان لابُدَّ من توافرها في التشبيه كما أنَّ طرفي التشبه واجبة الوجود ولا يجوز حذف أحدهما ، لأنّ فقد أحدهما يخرج التشبيه إلى الاستعارة، و جملة التشبيه كاملة الأركان مثل جملة : (عليٌ كالأسد)، والأركان هي :

١. **المشبه :** وهو أسم علي في المثال السابق .

٢. **أداة التشبيه :** وهي الكاف في المثال .

٣. **المُشبه به :** وهو الأسد في المثال .

٤. **وجه الشبه :** وهي الشجاعة والقوَّة والمنعة بين علي والأسد .

ملاحظة : يجوز حذف أداة التشبه في جملة التشبيه فقط والاكتفاء بباقي الأركان .

• **أدوات التشبيه :**

للتشبيه ست أدوات هي :

١. ما كان حرفاً : الكاف ، كأنَّ المشبهة بالفعل .

٢. ما كان إسماً : شبه ، مثل .

٣. ما كان فعلاً : يحكي ، يُضاهي([1]) .

• **أنواع التشبيه :**

للتشبيه بحسب طرفيه أربعة أنواع وهي :

١. ما كان التشبيه حسياً بكلا طرفيه ، أي : إنَّ المشبه والمشبه به حسيَّان يمكن إدراكهما ولمسهما أو النظر إليهما بالعين الجارحة .

---

[1]) يُنظر : البلاغة في سؤال وجواب : ١٧٨.١٧٩ .

٢. ما كان التشبيه عقلياً بكلا طرفيه ، أي : إنَّ المشبه والمشبه به لا يُمكن لمسهما أو النظر إليهما سوى تصويرهما في العقل .

٣. ما كان المشبه محسوس والمشبه به عقلي .

٤. ما كان العكس ، أي : المشبه معقول والمشبه به محسوس([1]) .

- **التشبيه في شروح الزيارة الجامعة الكبيرة**

جاء التشبيه في شروح الزيارة الجامعة المباركة في موارد عديدة ، منها ما ذكره الجزائري في شرحه ؛ فقد ذكر أحاديث نبوية فيها تشبيهات أشار إليها في أثناء شرحه، قال : ((كقوله (صلى الله عليه وآله) : ((**مَثَلُ أَهْلِ بَيْتِي فِيكُمْ كَمِثْلِ سَفِينَةِ نُوحٍ مَنْ رَكِبَهَا نَجَا وَ مَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا غَرِقَ**)).

وكقوله : ((**مَثَلُ أَهْلِ بَيْتِي فِيكُمْ كَمَثَلِ بَابِ حِطَّةٍ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ الَّذِي مَنْ دَخَلَهُ غُفِرَتْ ذُنُوبُهُ وَ اسْتَحَقَّ الرَّحْمَةَ وَ الزِّيَادَةَ مِنْ خَالِقِهِ**)) .

وكقوله : ((**أهل بيتي في الأرض كالنجوم لأهل السماء**)) . ونحو ذلك من التشبيهات البليغة))([2]) ، إنَّ هذه التشبيهات البليغة التي شبَّه فيها رسول الله (صلى

---

[1]) ينظر : نهاية الإيجاز : ١٣١ ، مفتاح العلوم : ٥٥٩ .

[2]) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، الجزائري : ٢٤٨ ، يُنظر كتب الحديث التي وردت الأحاديث المباركة فيها : الغيبة ، ابن أبي زينب، محمد بن إبراهيم ت(٣٦٠هـ) ، دار الصدوق ، طهران، إيران ، ط١ ، ١٣٩٧ هـ : ٤٣ ، الأمالي ، محمد بن الحسن الطوسي ت(٤٦٠هـ) دار الثقافة ، قم ، ط١ ، ١٤١٤هـ : ٦٣٣ المجلس (٢٥) ح ٦ ، المستدرك على الصحيحين ، أبو عبد الله الحاكم النيسابوري ت(٤٠٥هـ) ، وبذيله : التلخيص للذهبي ، دار المعرفة ، بيروت ، ط٢، ١٤١٨هـ : ٣ /١٥١ ، مجمع الزائد ومنبع الفوائد ، ابن حجر الهيتمي المصري ، منشورات محمد علي بيضون ، بيروت ، ط١ ، ١٤٢٣ هـ : ٩ / ١٦٨ ، المعجم الكبير ، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني ت(٣٦٠هـ)، تحقيق: حمدي عبد المجيد ، دار احياء التراث العربي ،

الله عليه وآله) أهلَ بيته (عليهم السلام) ؛ بسفينة نوح تارة ، وبباب حطَّة تارة أُخرى ؛ وبالنجوم ثالثة ، كلَّها أراد منها أن يُوصل أمراً للناس أن لا منجى إلّا باتباع أهل بيته، فتشبيههم بسفينة نوح أراد منه : إنَّ الناس مُقبلون على غرق الفتن وغرق الضلال وغرق الهموم ولا منجى لهم إلّا بركوب سفينة أهل البيت (عليهم السلام) ، وهذا تشبيه حسي بحسّي تشبيه تمثيلي ، فقد مثَّل (صلى الله عليه وآله) أهل البيت بالسفينة، ووجه الشبه النجاة فيهما وليس في غيرهما ، ولا نقصد بالتمثيلي غير الحقيقي([1])؛ وإنَّما التمثيلي هو إبراز المشبَّه بوساطة تصوير المشبَّه به لبيان المعنى الداخلي المراد من التشبيه ، وهنا أريد من التشبيه التمثيلي ؛ بيان أنَّه لا منجى إلا بهم (عليهم السلام) .

أمَّا تشبيهه (صلى الله عليه وآله) أهل بيته بباب حطَّة ؛ فأراد منه : مشروعيَّة التوسُّل بهم وتقديمهم على الناس ، وعلى الناس أن يُقدِّموهم بين يدي نجواهم وهو تشبيه ضمني حسّي بعقلي ، ووجه الشبه فيه هو غفران الذنوب فيهما ، بشرط الإلتزام بأمر الله تعالى فيهما ، وهذا التشبيه هو حالة بحالة ، حيث وصف النبي الكريم (صلى الله عليه وآله) حالة أهل البيت وشبهها بحالة باب حطَّة ، وكان المشبَّه به بمثابة الحكمة والبرهان للمتلقي ، وهذا هو الضمني في التشبيه.

وتشبيهه (صلى الله عليه وآله) أهل بيته بنجوم السماء ، تشبيه حسي بحسي تمثيلي أراد منه بيان الهداية فيهما ، فهم الهداة الذين أوكل الله تعالى لهم هداية الناس ، ولو أنعمنا النظر في سبب ذكر نجوم السماء في المشبَّه به دون غيره ؛ هو أنَّ العرب كانوا يهتدون في النجوم في اقتفاء سبيل الهداية إلى قصد ما ، ومنه

بيروت ، ط٢، ١٤٠٥هـ : ٥ /٣٠٦ ، وغيرها من المصادر بتفاوت يسير ، وقد ذكر الميلاني ذات التشبيه في حديث السفينة ، يُنظر : مع الأئمة الهداة : ٢٦٦.

[1]) يُنظر : مفتاح العلوم : ٣٤٦.

نستنبط المعنى الذي أراده سيد الكائنات في التمثيل ، إذ بلا أهل بيته تكون الدنيا كليلة ظلماء لا ضوء فيها ، لذا هم مصابيح الدُّجى .

وجاء التشبيه في شرح الهمداني ؛ إذ بيَّن ماهيَّة الحقيقة المحمدية في عالم الملكوت ومقابلها في عالم المُلك في قوله : ((شبَّه . تبارك وتعالى . الحقيقة المحمَّدية في عالم الحيرة الذي . لا نفي فيه ولا إثبات ، ولا يمكن فيه إثبات النفي ولا نفي الإثبات . بـ"اليد" .

وفي عالم " أو أدنى " الذي هو عالم العدم . ويمكن فيه نفي الإثبات . بـ"المقبض".

وفي عالم الوجود . الذي يمكن فيه الإثبات . بـ"القاب" من القوس ... فمرتبة القاب مرتبة ثالثة للخلق الأوَّل والحقيقة المحمدية .))([1]) ، وكلّ هذه المراتب هي تشبيهات عقلية بحسِّية وهذا هو التشبيه البليغ حيث حُذفت فيه الأداة ووجه الشبه ، ولعلَّ الأوَّل أريد منه الملك العام الذي أعطاه الله تعالى نبيَّه في التصرف في الخلق ، فكان يده تعالى ، والثاني : أراد منه بيان ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى﴾{النجم/٣} ؛ تنبَّه الهمداني إلى هذه المراتب باستقطاب المعاني الروائية وشرح الفقرات الواردة شرحاً غاية بالدقَّة.

أمَّا المرتبة الثالثة : أراد منها بيان فيض الوجودات ، وأنَّه (صلى الله عليه وآله) وصل إلى مرتبة قاب قوس الصعود وقوس النزول فهو فيض الوجودات.

ومثله ؛ قد أورد الميلاني في شرح قول الإمام الهادي (عليه السلام) : ((**وَالبَابُ المُبْتَلَى بِهِ النّاسُ**))([2])؛ استشهد الشارح بقوله تعالى : ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّداً وَقُولُوا حِطَّةٌ

---

[1]) الشموس الطالعة من مشارق الزيارة الجامعة ، الهمداني : ٢٨.٢٩ .

[2]) مع الأئمة الهداة ، المبلاني : ١٣٤ .

﴿نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ {البقرة/٥٨} ، وقال : ((نزلت في قوم موسى عليه السّلام حيث فرض الله تعالى عليهم أن يدخلوا من باب البيت المقدس في حالة الخشوع والخضوع ليُغفر لهم، وإلاّ يحرمون المغفرة وتستحوذ عليهم الشقاوة والخسران. فضربها نبينا الأكرم صلّى لله عليه وآله مثلا لأُمته بتشبيه عليٍّ عليه السّلام بالباب المذكور، كما ذكر ذلك كبار أهل السنَّة ... « عليٌّ باب حطّة، من دخل منه كان مؤمناً، ومن خرج منه كان كافراً))([1]) ، وهذا ما يُسمَّى بالتشبيه المؤكّد الذي تحذف أداته وتُذكر أركانه ، وهو تشبيه حسي بحسّي ، أراد منه النبي العظيم التأكيد على التمسّك بعلي (عليه السلام) لذا جعل فيه الغفران وذكر وجه الشبه بينهما وهو : مَن دخله كان مؤمناً بالله ورسوله والخروج منه أو عليه كان كافراً ، هذا اتباعٌ لما جاء في التشبيه ، في حين أن الحديث أراد السنخية من الباب المُبتلى به الناس ، فقوم موسى (عليه السلام) ابتلاهم الله تعالى بباب حطَّة ، والمسلمون ابتلاهم الله تعالى بأمير المؤمنين (عليه السلام) ، ففي هذا التشبيه تحذيرٌ من النبي العظيم (صلى الله عليه وآله) لجميع المسلمين بوساطة بيان ما حصل في بني إسرائيل حينما خالفوا أمر الله تعالى وبدلوا القول فكانت عاقبتهم أن رفع فوقهم الجبل وأمرهم بأن يقتل بعضهم بعضاً ؛ وهذا أثر المخالفة ، فمثله المخالف لقول رسول الله في أمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليهما) ، وحذف الأداة تعطي بيان الأهميّة القصوى

---

[1]) مع الأئمة الهداة ، للميلاني : ١٣٤ ، يُنظر : التيسير بشرح الجامع الصغير ، زين الدين محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري ت(١٠٣١هـ)، مكتبة الإمام الشافعي ، الرياض ، السعودية ، ط٣ ، ١٩٨٨م : ١٤٦/٢ ، فيض القدير شرح الجامع الصغير ، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري ت(١٠٣١هـ) ، المكتبة التجارية الكبرى ، مصر ، ط١ ، ١٣٥٦هـ : ٣٥٦/٤ .

التي لابدّ من الإلتزام بها وهي التمسّك بعلي (عليه السلام) ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ ﴿البقرة/٢٧٩﴾ .

وجاء التشبيه في شرح الميلاني في موضع آخر ؛ حيث قال : ((إنَّ مقتضى حديث التشبيه المتفق عليه ، وهو قوله صلى الله عليه وآله في أحد ألفاظه ... ((**مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى آدَمَ فِي حِلْمِهِ وَ إِلَى نُوحٍ فِي فَهْمِهِ وَ إِلَى مُوسَى فِي مُنَاجَاتِهِ وَ إِلَى إِدْرِيسَ فِي تَمَامِهِ وَ كَمَالِهِ وَ جَمَالِهِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى هَذَا الرَّجُلِ الْمُقْبِلِ قَالَ فَتَطَاوَلَ النَّاسُ فَإِذَا هُمْ بِعَلِيٍّ كَأَنَّمَا يَنْقَلِبُ فِي صَبَبٍ وَ يَنْحَطُّ مِنْ جَبَلٍ- تَابَعَهُمَا أَنَسٌ إِلَّا أَنَّهُ قَالَ وَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ فِي خَلَّتِهِ وَ إِلَى يَحْيَى فِي زُهْدِهِ وَ إِلَى مُوسَى فِي بَطْشِهِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِب**)) .

هو اجتماع ما تفرَّق من الفضائل والمناقب في الأنبياء في شخص علي عليه السلام ، وهذا يدل على أفضليته رُغم تولده منهم .))([1]) ، وهذا ما يُسمَّى بالتشبيه المعكوس ، حيث ذكر المشبَّه به قبل المشبَّه ، وهو تشبيه محسوس بمحسوس ، وأُريد منه بيان الكمال التام الذي يحمله أمير المؤمنين (عليه السلام) ليؤكد (صلى الله عليه وآله) على أفضليَّته وفضله على جميع الصحابة بلا استثناء ، وهذا ما لا يقبل معه تفضيل المفضول على الفاضل ، وقد ذكر المشبَّه به قبل المشبَّه ؛ محاكاة لما في نفوس الصحابة واهتمامهم بمكانة الأنبياء (عليهم السلام) ، إلّا أنَّ الغرض

---

[1]) مع الأئمة الهداة ، الميلاني : ١٤٢ ، يُنظر مصادر الحديث : فضائل الخلفاء الأربعة وغيرهم، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني ت(٤٣٠هـ) ، تحقيق: صالح بن محمد العقيل ، دار البخاري للنشر والتوزيع، المدينة المنور ، السعودية ، ط١، ١٩٩٧م : ٥٩/١ . مناقب آل أبي طالب ، محمد بن علي ابن شهر آشوب المازندراني ت(٥٨٨هـ)، علامة ، قم ، ط١، ١٤٢١هـ : ٢٥٤/٣ ، بحار الأنوار : ١١٣/٢٧ .

الدقيق ؛ هو بيان احتواء الأمير (عليه السلام) لجميع فضائل الأنبياء مما جعلنا نقدِّمه عليهم معتقدين بأفضليته عليهم لأنَّه جمع كل ما لديهم وزيادة .

والتشبيه جاء في موضع آخر عند الميلاني ؛ فقد استشهد بقوله تعالى : ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ {الجمعة/٥} ، فقال : ((وهذا من تشبيه المعقول بالمحسوس ، والمراد من **(لَمْ يَحْمِلُوهَا)** أي : لم يقوموا بحقها ...فهم لمّا لم يأخذوا بتعاليم التوراة أصبحوا بحيث لا يُفرّق بينهم وبين الحيوان الذي يحمل الأسفار وهو لا يعقل ما يحمل وقيمته وأهميته.))([1]) ، يُسمّى هذا التشبيه بالمجمل ، وهو حذف وجه الشَّبه وبقاء الأركان الأخرى ، وقد ذهب الجرجاني ت(٤٧١هـ) إلى أنّ الشبه واقع بين اليهود وبين الحمار؛ وذلك في قوله : ((الشبهُ منتزع من أحوال الحمار، وهو أنه يحمل الأسفار التي هي أوعية العلوم ومستودَعُ ثَمَر العقول، ثم لا يُحسّ بما فيها ولا يشعر بمضمونها، ولا يفرّق بينها وبين سائر الأحمال التي ليست من العلم في شيء، ولا من الدَّلالة عليه بسبيل، فليس له مما يحمل حظٌّ سوى أنه يثقُلُ عليه، ويكُدُّ جنبيه فهو كما ترَى مُقْتضَى أمورٍ مجموعةٍ، ونتيجةٌ لأشياءَ أُلّفت وقُرن بعضها إلى بعض، بيانُ ذلك: أنه احتيج إلى أن يراعَى من الحمار فعلٌ مخصوص، وهو الحمل، وأن يكون المحمول شيئاً مخصوصاً، وهو الأسفار التي فيها أماراتٌ تدلّ على العلوم، وأن يُثلَّثَ ذلك بجهل الحمار ما فيها، حتى يحصل الشبه المقصود، ثم إنَّه لا يحصلُ من كل واحدٍ من هذه الأمور على الانفراد، ولا يُتصوّر أن يقال إنَّه تشبيه بعد تشبيه، من غير أن يقف الأول على الثّاني، ويدخل الثاني في الأول، لأن الشَّبه لا يتعلق بالحمل حتى يكون من الحمار، ثم لا يتعلق أيضاً بحَمْلِ الحمار حتى يكون

---

[1]) مع الأئمة الهداة ، الميلاني : ١٩٣ .

المحمول الأسفار))([1]) ، وذهب إلى هذا المعنى مجموعة من المفسرين الذين جاؤوا بعد الجرجاني([2]) وهذا يعني أنَّ الله تعالى وجَّه الإهانة إلى الذين حُمِّلوا التوراة وشبههم بالحمار، على سبيل التحقير .

يبدو أنَّ التشبيه معقود بين الحملين لا بين اليهود وبين الحمار ؛ لأنَّه لا تشابه بين الإنسان وبين الحيوان . لا في الشكل ولا في المضمون . وإنَّما التشابه بين الحملين، فـ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا ﴾ عبارة فيها إشارات عدّة ، منها :

١. بناء الفعل للمجهول : دلَّ ذلك على أنَّ هؤلاء جزء من اليهود وليس كلهم .

٢. هؤلاء غُصبوا على تحمُّل التوراة ولم يكن بإرادتهم ، وهذا ما دلَّ عليه التضعيف بالفعل .

٣. عدم استطاعتهم على حملها دلّ على المضمون المراد من الحمل لا على الشكل.

٤. هذه العبارة تكشف أنَّ الحمل هذا كان مفروضاً من مجموعة على مجموعة ، فالفارضة هي ثُلّة بيدها سُلطة الفرض والقرار ، والمفروض عليها منزوعة الإرادة وعليها الرضوخ والطاعة فكان الشبه للحمل لا بين الإنسان وبين الحيوان .

٥. تكرار لفظ الحمل بصيغ مختلفة دلّ على التأكيد عليه .

٦. يتبيَّن من سياق الآية المباركة أنَّ الشبه قائم على الحمل من وجه آخر ؛ وهو أنَّ الذين فُرض عليهم حمل التوراة وحمل الحمار ؛ كلا الحملين مقصود لجهة لا دخل لهما فيه ، فقد فُرض عليهما شيء ليس لهم فيه منفعة ظاهرة أو باطنة .

بمعنى آخر : كما أنّ الحمار يحمل أمتعة المسافر إلى بلد آخر ويصل به بشقّ الأنفس ؛ إلّا أنَّه لا ينتفع من هذا التعب والمشقة شيئاً ، كذلك الذين حمِّلوا التوراة ،

---

[1]) أسرار البلاغة : ١٠١ .

[2]) يُنظر على سبيل المثال : الكشاف : ٨٠/١ ، التفسير الكبير ، الرازي : ٣١٣/٢ .

أُوكلت إليهم مهمّة تحريف التوراة كان حملهم كحمل هذا الحمار الذي لم ينتفع من حملهه شيئاً .

بالمقابل لو ننظر من جهة الشبه الآخر : فالحمار مفروض عليه وهو منزوع الإرادة، والفارض عليه هو سائقه ، فهو الموجه والفارض وصاحب السلطة ، فالشبه بين الحملين لا بين الإنسان وبين الحيوان([1]) ، والله أعلم .

ومنه ما جاء في شرح الغزّي ؛ فقد ذكر قول أمير البلاغة والكلام (عليه السلام) بوصف الملائكة في قوله : ((يقول سَيد اَلوصياء: **ثَم فَتق مَا بَين اَلسماوات اَلعلى** ـ وهو يتحدث عن خلق الله سبحانه وتعالى لهذا الوجود . **ثم فَتق مَا بَين اَلسماوات اَلعلى فَملأهنَّ أَطواراً مَن مَلائكته مَنهم سَجودٌ لَا يَركعون** ، الحديث هنا عن بعض أحوال الملائكة ، **منهم سَجودٌ لَا يَركعون وَركوعٌ لَا يَنتصبون** هذا صنفٌ آخر **وصافون لَا يَتزايلون وَمسبحون لَا يَسأمون لَا يَغشاهم نَوم اَلعيون وَلا سَهو اَلعقول،** هنا تشبيهاً بالإنسان وإلا فإنَّ للملائكة نوعاً من أنواع النوم الذي يناسبهُم لا يَغشاهم نَوم اَلعيون يعني لا يصيبهم النوم كالنوم البشري وإنّما لهم نومهم الخاص كما أنَّ لهم طعامهم الخاص، كما أنّ طعامهم التسبيح فلهم نحوٌ من أنحاء النوم))([2])، وهذا تشبيهه معقول بمحسوس وهو تشبيه بليغ ، حيث حذف المشبَّه به والأداة ووجه الشبه واكتفى بذكر المشبَّه فقط ، بحسب قانون البلاغة ، إلّا أنّ الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) كان يتكلم عن ماهيَّة ملكيَّة الملائكة ولم يُرد التشبيه بينهم وبين الإنسان ، وهذا أسلوب قرآني استقطبه الإمام (عليه السلام) وطبَّقه في خطبته ، إذ يقول الله تعالى : ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا

---

[1]) يُنظر : الحل القصدي للغة في مواجهة الاعتباطية : ٢٧٩.٢٨٤ .

[2]) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، الغزي : ١١٨/١ .

شَاء وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَلاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾{البقرة/٢٥٥} ، ولم يُرد الله تعالى أن يُشبِّه الإنسان به تعالى بوساطة ذكر السِّنة والنوم وغيرها في الآية المباركة ، فلا نجد تشبيها في هذا النص.

وأورد الغزي قوله تعالى : ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾{الأنعام/٣٨} ، وقال : ((الدابة تطلق على كل ما يدب على الأرض، من الحشرات، من الديدانِ ، من الهوامِ، من الطيور أيضاً، من الحيوانات وحتى من البشر، كل ما يدب على الأرض، لكن الكلام هنا جاء استعمال الدابة في الحيوانات لأن الآية تقول: ﴿إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾ يعني هناك تشبيه بين أمم الحيوانات وأمم الطيور وبين أمم الإنسان، إذاً المراد من الدابة هنا الحيوانات وإن كان يمكن إطلاقها على الإنسان لأنه يدب على الأرض))([1]) ، يبدو هنا لا وجه للتشبيه ؛ وإنَّما أُريد منه التمثيل وبين المثل بين أمم الحيوانات وأمم الإنسان ، وكما ذكرنا ؛ أنَّ التشبيه للشكل والتمثيل للمضمون ؛ فهنا بيان المضمون وليس الشكل ، فهو للتمثيل أقرب .

من التشبيهات ؛ ما ورد في شرح قول الإمام الهادي (عليه السلام) : ﴿وَمَنَاراً فِي بِلادِه﴾([2]) ، قال الوحيدي : ((أي يهتدي بهم أهل البلاد ، ويخرجونهم من الظّلمات إلى نور الهداية ، ولأنَّ المنار في اللغة يقال على ما ينصب على الطريق من عَلَم ليدل النّاس على الطريق ويقيهم من الانحراف ، فشبّه الله تعالى أهل البيت عليهم السلام بمنار لهداية أهل البلاد ، وتنير أخبارهم قلوب العباد.))([3]) ، وهو

---

[1]) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، الغزّي : ٦/٢ .
[2]) أنوار الولاية الساطعة ، الوحيدي : ١٤٠ .
[3]) المصدر نفسه : ١٤٠.١٤١ .

تشبيه محسوس بمحسوس ، إلّا أنّ نوعه ؛ تشبيه بليغ ؛ فقد حذف المشبَّه والأداة ووجه الشبه وأقام المشبه به بأدوار أداء المعنى ، هذا في عرف البلاغة ، إلّا أنّ المراد من المنار؛ وجه الحقيقة لا على وجه التشبيه ، فالأئمة (عليهم السلام) هم المنار الشاخص الذي يقوم بهداية الناس إلى سبيل الله تعالى ، أمَّا الشارح فقد اعتمد على وجه من وجوه اللغة فقط ، في حين أنَّ المنار لفظ عام يدل على التدليل، والقرينة المضافة إليه تخصص المصداق .

وذكر أهل اللغة أنَّ المَنار : ((بِالْفَتْح: العَلَم وَمَا يُوضَع بَين الشَّيئين من الحُدود، وروى شَمِرٌ عَن الأصمعيّ: المَنار: العلمُ يُجعَلُ للطريق، أَو الحدّ للأرضين من طينٍ أَو ترابٍ، وَمِنْه الحَدِيث: لَعَنَ اللهُ مَن غيَّرَ مَنارَ الأَرْض، أَي أعْلامَها، قيل: أَرَادَ من غيَّر تُخومَ الأرضِين، وَهُوَ أنْ يَقْتَطِع طَائِفَة من أرضِ جارِه ويُحوّل الحَدَّ من مَكَانَهُ. وَفِي الحَدِيث عَن أبي هُرَيْرة: إنّ لِلْإِسْلَامِ صُوىً ، ومَناراً، أَي عَلَامَات وشَرائع يُعرَف بهَا. وَهُوَ مَجاز. المَنارُ: مَحَجَّةُ الطريقِ...))([1]) ، إذاً : استعمال المنار على الحقيقة في دلالته المركزية العامة المطلقة ، وخُصصت بالمصداق الدال على هداية العباد ، فهي عبارة عن المفهوم الدال على رمز الهداية ، فالعلم رمز لهداية الناس لتشخيص الدولة ، والمصباح رمز دلالة في الاهتداء في طريق الظلمة ، ومنار الأرض رمز للاهتداء إلى معالمها ، فهو علامة دالّة على شيء معيَّن يُخصص بالقرينة ، وربما خصصه على مفهوم علم الطريق ؛ من باب كثرة الاستعمال وليس الحصر .

ومنه ما جاء في شرح قول الإمام الهادي (عليه السلام) : ((**عَصَمَكُمُ اللهُ مِنَ الزَّلَلِ**))([2]) ، قال الصدر في معنى (الزلل) : ((...والزلّة هي : المزلقة والخطأ والذنب. وهي في الأصل إسترسال الرِّجل من غير قصدٍ ، وسُمّي به الذنب من غير

---

[1]) تاج العروس : ٣٠٤/١٤ . يُنظر : مقاييس اللغة : ٣٦٨/٥ ، تهذيب اللغة : ١٦٦/١٥ .
[2]) في رحاب الزيارة الجامعة الكبيرة ، الصدر : ٢٨٩ .

قصد [؛] تشبيهاً بزلّة الرجل . وتطلق الزلّة على خطأ المقال أيضاً ، وعلى الزلّة الشيطانية وهو الضلال . كما تطلق على النقصان كذلك . وتطلق على زلّة الرأي أيضاً . وأهل البيت عليهم السلام معصومون عن جميع هذه الزلاّت ، وعصمهم الله تعالى عن كلّ زلّة.))([1]) ، هذا تشبيه معقولٍ بمعقول ، وهو تشبيه بليغ لأنَّه حذف المشبه والأداة ووجه الشبه ؛ وقام المشبه به مقام الكل ، . بحسب مفهوم التشبيه البلاغي . إلَّا أنَّ الزلل في الأصل : هو الانحراف بصورة عامّة ، وتخصيصه بحسب القرائن السياقية التي ترد معه هذه اللفظة .

ومثله ما ورد في شرح قول الإمام (عليه السلام) : ((**وَشَرَفَ مَحَلِّكُمْ وَمَنْزِلَتِكُمْ عِنْدَهُ**))([2]) ، قال الصدر بمعنى (الشرف) : ((الشرف : هو العلوّ والمكان العالي ، وسمّي الشريف شريفاً تشبيهاً للعلوّ المعنوي بالعلو المكاني.أي علوّ مقامكم ومنزلتكم عند الله تعالى.))([3]) ، وهذا تشبيه معقول بمعقول ، وهو تشبيه بليغ ، في حين أنَّ الشرف في اللغة لم يكن تشبيهاً للعلو بل ((الشَّرفُ: مصدر الشَّريف من الناس. شرف يشرف وقوم أشراف، مثل شهيد وأشهاد ونصير وأنصار. والشَّرفُ: ما أشرف من الأرض. والمشرف: المكان تشرف عليه وتعلوه. ومشارف الأرض، أعاليها. ولذلك قالوا : مشارفُ الشّام والشُّرفة: التي تشرف بها القصور))([4]) ، أي هي بذاتها تدل على الاستعلاء لا تُشبَّه به .

---

[1]) في رحاب الزيارة الجامعة الكبيرة ، الصدر : ٢٩٠ .

[2]) المصدر نفسه : ٤٧٢ .

[3]) في رحاب الزيارة الجامعة الكبيرة ، الصدر: ٤٧٢ . وكذلك ورد المعنى ذاته في موضع آخر من شرح الصدر ، يُنظر:٥٨٤ .

[4]) كتاب العين ، مادة (شرف) : ٢٥٢/٦ . يُنظر : تهذيب اللغة ، مادة (شرف) : ٢٣٤/١١ ، تاج اللغة وصحاح العربية ، مادة (شرف) : ١٣٧٩/٤ .

وقد خرج عن مفهوم التشبيه رغم وجود الأداة ما وجدناه في شرح الأحسائي لمّا عرض لبيان مفهوم قول الإمام (عليه السلام) : ((**كَمَا شَهِدَ اللهُ لِنَفْسِهِ وَشَهِدَتْ لَهُ مَلائِكَتُهُ وَأُولُوا العِلْمِ مِنْ خَلْقِهِ**))([1]) ، قال الأحسائي : ((إنّ الكاف لم تكن هنا للتشبيه بل هي للتّعليل و المعنى إنّي أشهد ألَّا إله إلّا الله لأنّه شهدَ ألَّا إله إلَّا هو وهو العالمُ فلو وَجَدَ معه غيره لما وحّد نفسه و يكون قولك : لأنّه شهد لنفسه ولا يحتاج إلى توحيد نفسه وإنّما عَلَّمَنا ذلك ليَدُلَّنا على ما فيه هدايتنا إلى ما أعدّ من الخيرات في الدّنيا والآخرة لموحّديه و نجاتنا ممّا أعدّ من العقوبات في الدنيا والآخرة لمنكري توحيده...))([2]) ، نعم ؛ فقد تنبَّه الشارح إلى تعليلية الكاف وعدم تشبيهيتها ، وهو مستنبط من بيان قوله تعالى : ﴿**وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ**﴾ ﴿**البقرة/١٩٨**﴾ ، ولم يذكر ذلك من الشارحين في بيان مفهوم الكاف هنا.

وهناك تشبيهات أخرى وردت في شروح الزيارة الجامعة الكبيرة ، إلَّا أنّنا نكتفي بهذا القدر للتمثيل لا للحصر([3]) ، وبهذا ينتهي هذا المبحث بحمد الله تعالى .

---

[1]) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، الأحسائي : ٢٧٣/١ .
[2]) المصدر نفسه : ٢٧٤/١.٢٧٥ .
[3]) يُنظر : المصدر نفسه : ٢٨/٤ ، ١٨٠/٤ .

المبحث الثالث

الكناية

حدُّها ، أقسامها ، تطبيقاتها في شروح الزيارة الجامعة الكبيرة

توطئة

الكناية : هي لون من ألوان جماليات البيان في علم البلاغة العربية ، وتُعدُّ ضرباً من الإبداع الخطابي الذي يقوم بتزيين الكلام وزيادة الجمال فيه ، واستعمالها له أهداف خاصَّة ومقاصد يعمد إليها المتكلم لتميز الخطاب عن الأساليب البيانية الأخرى من هذا علم ، والإتيان بالكناية بدلاً عن التصريح المباشر ؛ لغرض ما يقصده المتكلم ، ربما لا يُريد التجريح فيُكنّي ، أويستعملها المتكلم خوفاً أو هزءاً أو تسليةً أو تقريعاً ، أو تهكماً أو غير ذلك من الاستعمالات التي تخضع للسياق العام في بيانها وبيان الغرض من استعمالها دون التصريح .

*** فالكناية في اللغة :**

هي من كنَّى يُكنّي كناية ، فهي مصدر للفعل المضعَّف ، ومنه الأكنان ، ((والأكنان ما أضمرت في ضميرك قال الله عز وجل : ﴿...أَكْنَنتُمْ فِي أَنفُسِكُمْ..﴾{البقرة/٢٣٥}... والإكنان إخفاء الشيء بالشيء))([1]) ، فيشير هذا البيان اللغوي إلى استقلاليتها عن غيرها .

لكنَّ أحمد بن فارس ت(٣٩٥هـ) يُرادف بين الكناية والتورية في بيان معناها وذلك في قوله : الكناية هي ((التورية عن الاسم بغيره ، وكنيتُ عن كذا إذا تكلمت بغيره ، وكنَّى عن الأمر بغيره يكني كناية ، يعني إذا تكلم بغيره مما يستدل

---

[1]) كتاب العين ، مادة (كنَّ) : ٢٨٢/٥.

عليه))([1])، ولا يخرج ابن منظور ت(٧١١هـ) عن ذلك ؛ إذ يرى الكناية تعني : التكلّم بشيء وتريد غيره، وكنّى عن الأمر بغيره كناية ؛ يعني تكلم بغيره مع الاستدلال عليه ، مثل : الرفث والغائط ، وكنّى عن الشيء : ستره ، ومن كنّى عنه إذا ورّى([2]).

في حين أنَّ التورية غير الكناية ، ويبدو أنَّ الخليل الفراهيدي تنبه لهذا الفرق ؛ إذ فصلها عن التورية ؛ وفسرها باختصار مجمل كافٍ وشافٍ من دون الإسهاب في بيانها .

فالتورية : هي أن تُضمر شيئاً وتُظهر غيره ، ويستدعي ذلك إيراد معنى ثان لمفكك السنن ، فينصرف ذهنه عن المعنى الأول إلى معنى غيره قصد الإغماض والتشويش على المعنى الأصلي ، في حين أنَّ الكناية لم تكن كذلك ؛ إذ هي استعمال لفظ مكان لفظ لغرض معيَّن ، والمُكنَّى : هو الإيحاء المستتر خلف لفظ الكنية ولا ينصرف معناه إلى معنى غيره .

- **الكناية في الاصطلاح :**

عنى البلاغيون في بحث الكناية عناية فائقة في البيان البلاغي العربي ، وعدُّوه ركناً رئيساً من أركان البيان العربي ؛ لما له من لمسات في صقل المواهب والذوق العربي وإظهاره بهيأة تضيف عليه جمالاً وإبداعاً يكشف عن الحصيلة اللغوية لدى الباث ، ((فالكناية ضرورة تعبيرية، للتعبير عمّا لا يراد إظهاره للناس كرهاً لنبوه عن الذوق، أو لما فيه من كشف عن غير مستحب كشفه، أو محاولة للتأنق والأغراب

---

[1]) معجم مقاييس اللغة مادة (كنى) : ٥ / ١٣٩ .

[2]) ينظر: لسان العرب مادة (كنى) : ١٥ / ٢٣٣.

في التعبير))([1] ، وكان هذا الفن مورداً من موارد التواصل الخطابي والامتداد الثقافي والحضاري والموقفي والبيئي ، ولم يكن التصريح هو الطريق الوحيد في التواصل أو التكيف التخاطبي الاجتماعي أو الوجداني أو النفسي والسلوكي في فنون التعبير البلاغي العربي([2]).

وحبر الأمَّة عبد الله بن عباس (ت٦٨هـ) يُعدّ في طليعة المفسرين الذين تلمَّسوا الكنايات في نصوص القرآن الكريم، من ذلك ما جاء في بيانه لقول الله تعالى: ﴿ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ ﴾{البقرة/١٨٧} ، قال: ((المباشرة الجماع ولكن الله يكني ما شاء بما شاء))([3]). وهي اللمسة الأولى للكناية في القرآن الكريم .

وقد أشار الأوائل ممن بحثوا في نصوص القرآن العظيم ، فقد أشاروا إلى فن الكناية في بحوثهم ، إلَّا أنَّها كانت ترد في كلامهم بالمعنى العام لا الدقيق للمصطلح البلاغي ؛ وهو الستر والإخفاء ، مثل ما جاء في بيان قوله تعالى: ﴿ وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا ﴾{الشمس :٣} ، قال الفراء ت(٢٠٩هـ) : ((جلَّى الظلمة، مجاز كناية عن الظلمة ولم تذكر لأنَّ معناها معروف))([4]). نعم أنَّها كناية إلّا أنَّها ليست كما جاءت عند الفرّاء ، فقد ورد عن ابن عباس قوله : ((فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَ ﴿ وَالشَّمْسِ وَضُحاها ﴾ قَالَ : هُوَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله ﴿ وَالْقَمَرِ إِذا تَلاها ﴾ قَالَ :

---

[1]) البلاغة العربية في ضوء الأسلوبية ونظرية السياق، د. محمد بركات حمدي أبو علي، دار وائل للنشر ، بيروت ، لبنان ، ط١، ٢٠٠٣م :١٢٨.

[2]) يُنظر : جماليات البيان في تفسير من هدى القرآن الكناية مثالاً ، بحث ، م. خالد عبد النبي عيدان الأسدي ، مجلة تسليم ، السنة الرابعة ، العدد (١٤.١٣) ، حزيران ، ٢٠٢٠م : ٣٨ .

[3]) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ت(٣١٠هـ) ، تحقيق : محمود محمد شاكر ، مكتبة ابن تيمية ، القاهرة ، ط٢ ، د.ت : ٩٨/٢، وينظر: ٦٥/٥.

[4]) معاني القرآن، الفراء: ٢٦٦/٣.

أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام ﴿وَالنَّهارِ إِذا جَلَّاها﴾ قَالَ : الْحَسَنُ وَ الْحُسَيْنُ عليهما السلام ﴿وَاللَّيْلِ إِذا يَغْشاها﴾ [قَالَ] بَنُو أُمَيَّة))(١) ، فهي كناية عن الأئمة وعن الدولة الإلهية التي ينشدها الناس إذا وَلي الأمر أهل البيت (عليهم السلام) ، وكذلك الليل كناية عن الظالمين ودولتهم ، وذكر بني أميَّة مصداق من المصاديق .

ونجد أبا عبيدة (معمّر بن المثنى) ت(٢١٠هـ) يذكر الكناية في مواضع متعددة، وكان يستعمل فعل الكناية بمعناه اللغوي ؛ وهو الإخفاء والإضمار. وكذلك يستعمل الكناية، وكنى عن الشيء ؛ بمفهوم الضمير(٢)،

وورد استعمال للمصطلح بمعناه العام عند أبي عمرو الجاحظ ت(٢٥٥هـ) و عنده يقابل معنى التصريح فيقول : ((رب كناية تربى على إفصاح ولحظ يدل على ضمير))(٣) ، وقد قرن الكناية بالتّعريض في قوله: ((إذا قالوا فلان مقتصد فتلك كناية عن البخل، وإذا قالوا للعامل مستقص، فتلك كناية عن الجور))(٤) ، وهذا يدلُّ على تداخل المصطلحات وقت الجاحظ إذ لم تكن منفصلة .

---

١) تفسير فرات الكوفي ، فرات بن إبراهيم الكوفي ت(٣٠٧هـ)، مؤسسة الطبع والنشر في وزارة الإرشاد الإسلامي ، ايران ، طهران ، ط١، ١٤١٠هـ : ٥٦٢/٢ . ، وجاء هذا المعنى عن الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) يُنظر : الكافي : ٨٠/٨ .

٢) ينظر: مجاز القرآن: ٨٣/٢، وينظر: أثر القرآن في تطور النقد العربي إلى آخر القرن الرابع الهجري، د. محمد زغلول سلام، دار المعارف، القاهرة، ط١ ، (د.ت) : ٤٧-٤٨ .

٣) البيان والتبيين: ٧/٢.

٤) المصدر نفسه : ٢٦٣/١.

وأشار ابن المعتز ت(٢٩٦هـ) ، إلى الكناية والتعريض في باب واحد، إلَّا أنَّه لم يُشر إلى حدٍ يفصل أحدهما عن الآخر ؛ فذكر أنَّهما من محاسن الكلام فقط([١]).

واستمر اقترانهما . الكناية بالتعريض . في البحث البلاغي ، مدَّة طويلة ؛ إذ ذكرهما قدامة بعنوان (اللَّحن) فقال : ((التّعريض بالشيء من غير تصريح أو الكناية عنه بغيره))([٢])، ربما تُعدّ هذه الإشارة إلى بداية الفصل الخفي بينهما باستعمال الأداة (أو) التخييرية .

وقد تنبه جار الله الزّمخشري ت(٥٣٨هـ) للفرق بينهما في قوله: ((فإن قلت: أي فرق بين الكناية والتعريض؟ قلت: الكناية أن تذكر الشيء بغير لفظه الموضوع له، كقولك طويل النجاد لطويل القامة، وكثير الرماد، للمضياف، والتعريض أن تذكر شيئاً تدل به على شيء لم تذكره كما يقول المحتاج للمحتاج إليه: جئتك لأسلم عليك، ولأنظر إلى وجهك الكريم، وكأنه يلوح منه ما يريد))([٣])، ولم يكن التفريق بينهما دقيقاً إلى حدٍّ ما في قول الزمخشري ، إذ أنّه اقترب من معنى المجاز . في تعريفه القديم ..

والسكاكي ت(٦٢٦هـ) أبعد هذا الاقتراب أثناء حدّه للكناية ، فهي عنده : الابتعاد عن التّصريح بذكر الشيء والانتقال إلى ما يلزمه ؛ والتحوّل من اللفظ المذكور إلى المتروك بالمعنى بوساطة القرينة الدالة على الأصل([٤]) .

---

[١]) ينظر: البديع: ٦٤.

[٢]) نقد النثر، أبو الفرج قدامة بن جعفر، تحقيق: طه حسين، وعبد الحميد العبادي، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، د.ط ، ١٣٥١هـ-١٩٣٣م : ٥٠.

[٣]) الكشاف: ٢/٢٧٠.

[٤]) ينظر: البلاغة عند السكَّاكي : ٣٢٠.

و قد ميز السكاكي في حدّه ؛ بين الكناية من جهة وبين المجاز من جهة أخرى؛ إذ الكناية تعني : الانتقال من اللازم إلى الملزوم ، في حين أنَّ المجاز يعني : الانتقال من الملزوم إلى اللازم([1]).

وإلى ذلك ذهب القزويني ت(٧٣٩هـ) ، فقد ميَّز بين مفهوم الكناية ومفهوم المجاز بوساطة حدَّه للكناية فقال: ((لفظ أريد به لازم معناه مع جواز إرادة معناه حينئذ))([2])، والمجاز عكس ما ذكره القزويني ، وكل هذا خاضع لمفهوم المجاز السائد عندهم وقتئذ ، فهوملزوم بقرينة معاندة لإرادة المعنى الحقيقي، وإلى ذلك ذهب شراح التلخيص أيضاً([3]).

أمَّا المحدثون ؛ فقد ميَّزوا بين الكناية والتعريض ؛ فاصلين بينهما ، منهم الدكتور بشير كحيل يقول : ((الاعتراض لا معنى له إذا افترضنا أن مفهوم الكناية قد أصبح مترسخاً ، ونظن أنَّه سيكون من نافلة القول أن يستمر الترخيص على ذلك...))([4])، فعنده ترسيخ الكناية في الأذهان ؛ يبعد التعريض عن الأداء السياقي وانغمار مصطلحه.

وتُعدُّ ((الكنايات من أهم شؤون الفصاحة والبلاغة))([5]) ،عندهم ؛ وهي أبلغ من التصريح في المفهوم السائد عند البلاغيين ، واشتمل القرآن الكريم على أنحاء

---

[1]) ينظر: البلاغة عند السكَّاكي: ٣٢٠.

[2]) الإيضاح: ٣١٣.

[3]) ينظر: شروح التلخيص: ٣/٢٣٥، المطول: ٦٤٠.

[4]) الكناية في البلاغة العربية ، د. بشير كحيل ،ميدان الاوبرا ، القاهرة ، ط١ ، ١٤٢٥ هـ ، ٢٠٠٤ م : ١١٠

[5]) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ، السيد عبد الأعلى الموسوي السبزواري ت(١٤١٤هـ . ١٩٩٤م) ، دار التفسير ، مطبعة شريعت ، ايران ، ط٢ ، ١٤٢٨هـ . ٢٠٠٧م : ٥ / ٨٧ .

من الكنايات والاستعارات المجازية والتشبيهات والتمثُّلات البليغة ([1]) ، وهي عندهم من المحكمات لا من المتشابهات ؛ بشرط إذا دلّت قرينة السياقية على ذلك ، وهم يستدلون بالحديث الشريف تارة ؛ لإثبات اتجاههم من وجود الكناية في القرآن الكريم، وباللغة تارة أخرى .

يبدو إنَّ الكناية في حدِّها الاصطلاحي ؛ لم تكن بعيدة عن المعنى اللغوي؛ وهو تبديل لفظ مكان لفظ ؛ فيكون الأوَّل في هامشه يستتر خلف اللفظ الأوَّل ؛ لتقريب المعنى أو لغرض التهكم أوغرض الاستهجان أو إعلاء شأن المكنى، فهي طريقة من الطرق العقلية أوأسلوب من أساليب التعبير العقلي يُستعمل لإثارة ذهن المتلقي ، وبوساطة ذلك يستجلب انتباه مفكك السُّنن إلى المقصود من التعبير ، بوساطة اللفظ الجديد الموصل إلى المعنى المُكنى عنه ، من طريق سلسلة من الارتباطات والإيحاءات الذهنية التي يكشفها الذهن المتقد والقريحة الشفافة الصافية ، ولها في القرآن الكريم والنصوص المعصومية ؛ وظائف عديدة ، إذ ((تقوم الكناية القرآنية بنصيبها كاملاً في أداء المعاني وتصويرها خير أداء وتصوير ، وهي حيناً راسمة مصوّرة موحية وحيناً مؤدبة موجزة تنقل المعنى وافياً في لفظ قليل ولا تستطيع الحقيقة أن تؤدي المعنى كما أدته الكناية))([2]) ، وهذا لا يعني أنَّ الكناية بعيدة عن الحقيقة ، وإنَّما هي طريق من طرق متعددة تؤدي إلى المعنى الحقيقي.

وكذلك ؛ للكناية في النصوص القرآنية أثره النفسي الخاص على مفكك السُّنن؛ فقد ((كان القرآن الكريم حريصاً كل الحرص على إيصال مفاهيمه إلى الجميع دون جرح العواطف أو خدش المشاعر أو اشمئزاز النفوس وكان الطريق إلى ذلك هو

---

[1]) ينظر : مواهب الرحمن : ٧ / ٨٣ ، ٣ / ٢٥٨ ، ٤ / ٧١ ، ١٣ / ٣٧٧ .

[2]) من بلاغة القرآن، أحمد احمد بدوي، مكتبة النهضة، القاهرة ، مصر ، ط١ ، ١٩٥٠ : ١٧٣.

الكناية بما تمتلك من قدرة على التعبير الموحي والمهذب بوقت واحد))([1]) . ومثله النصوص الواردة عن العترة الطاهرة (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) ، تحرص حرصاً كبيراً على إيصال المعنى بطرق متعددة مع أخذهم بنظر الاعتبار ؛ المقام في المقال ؛ ومديات الإدراك المتفاوتة لدى المتلقي.

- **أقسام الكناية وتطبيقاتها في شروح الزيارة المباركة**

الكناية شأنها في التفريع ؛ شأن الفنون البلاغية الأُخرى ، فهي تنقسم على : الكناية عن الموصوف ، والكناية عن الصفة ، والكناية عن النسبة ، وبحسب تقسيم أهل البلاغة لها نُجريها في بيان التطبيقات في شروح الزيارة المختارة .

١. الكناية عن الموصوف :

تُعنى الكناية في هذا اللون من أقسامها ؛ عناية كبيرة ، إذ تُذكر الصفة أو تُذكر مجموعة من الصفات لتشير إلى موصوف محدد، أو تكون دالة على ذلك الموصوف ، يستنتجها المتلقي أو القارئ بوساطة السياق وقرائن الحال([2]) ، وقد جاء هذا اللون في شروح الزيارة الجامعة الكبيرة كثيراً ، نكتفي بأمثلة على سبيل الإشارة لا الحصر.

جاءت الكناية عن الموصوف في بيان قول الإمام الهادي (عليه السلام) : ﴿**وَمَهْبِطَ الوَحي**﴾([3]) ، قال الهمداني في بيان مراتب الوحي النازل على رسول الله (صلى الله عليه وآله) : ((... فالوحي الذي نزل إلى محمد (صلى الله عليه وآله) هو أقصى مراتب التوحيد الذي هو جامع لتمام مراتبه الذي هو مرآة للوحدة الإلهية ، لا

---

[1]) أصول البيان العربي في ضوء القرآن الكريم ، الصغير : ١٤٦ .
[2]) ينظر : دلائل الاعجاز: ٢٣٦ ، مفتاح العلوم: ٦٣٩ .
[3]) الشموس الطالعة من مشارق الزيارة الجامعة ، الهمداني : ١٠٢ .

لمرتبة من مراتبها ، ولذا قال : ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ {الكهف/١١٠} ، بصيغة الجمع التي هي للاستغراق الإفرادي ، المُكنّى بها عن حقيقة كل واحد واحد التي قوام تمام مراتبهم بها من اسم الله الذي أودعها الله في ذواتهم بدو انشائهم وإبدائهم.))([1]) ، فقد أشار الشارح إلى تكنية الوحي عن حقيقة النبوّة ؛ بالإشارة الفلسفية في بيان المراتب التدريجية التي يتدرج بها الوحي للوصول إلى أقصاها ؛ فهر يرى في الآية المباركة الفوقية في الوحي ، والكلام الصادر عن الفيض الإلهي وهو النبي الأعظم؛ دلَّ على بيان المراتب العليا للوحي ، وهذا تمَّ في مديات استيعاب الوحي لاسم الله تعالى منذ الإنشاء وحتى الإيحاء لهم ، فقد تفرَّد الهمداني في بيان هذه المراتب في هذا الموضع ، فكانت اشارته دقيقة جداً ورائعة ، والدراسة تميل إلى رأيه.

ووردت الكناية عن الموصوف في شرح الهمداني في مواضع أخرى([2]). وما ذكرناه للمثال ولا نريد الإحصاء خشية الإطالة .

وردت الكناية عن الموصوف في شرح قول الإمام (عليه السلام) ((**وَسُلَالَةَ النَّبِيِّينَ**))([3]) ، يستعين الأحسائي بالمعنى اللغوي في شرح هذه الفقرة المباركة في قوله : ((السُّلالة : بضمّ أوَّله هي الخُلاصة فسلالة الشيء ما انسلَّ من صفوته ، سُمِّيت بذلك لأنَّها تُسلُّ من الكدر أو هي ما انسلَّ من الشيء القليل والسُّلالة النطفة[؛] لأنَّها خُلاصة الطعام والشراب وصفوة الغذاء ويُكنَّى بالسلالة عن الولد أو عن الولد الصافي وسلالة النبيين أولادهم))([4]) ، علل الشارح استعمال مفردة (سُلالة)

---

[1]) الشموس الطالعة من مشارق الزيارة الجامعة ، الهمداني : ١٠٢.١٠٣ .
[2]) يُنظر : المصدر نفسه : ٦٥٤ .
[3]) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، الأحسائي : ٩٩/١ .
[4]) المصدر نفسه : ٩٩/١ .

تعليلاً لغويَّاً ، من أنَّ السُّلالة هي ما سُلَّ من الشيء ، وإلى هذا المعنى ذهب الميلاني في شرحه([1]) ؛ نعم : إنَّ السُّلالة هي ما استُلَّ من الشيء ، ولكنَّ الإمام الهادي (سلام الله عليه) أضافها إلى النبيِّن مما أعلى من شأن اللفظة وبيان مكانة الإئمة (صلوات الله عليهم) ، ولم يطلق اللفظة وحدها لتشمل المعاني الأخرى ؛ فقد خصصها ببيان علو المرتبة ورفعة الشأن بإضافتها لأكرم الخلق وسادتهم وهم الأنبياء .

وهذه الإضافة لا تعني أنّ النبيين أعلى مرتبة منهم ، لأنّهم وسائط لظهورات الأئمة (عليهم السلام) ، ولا يعني أنَّ الأب . الذي هو واسطة الوجود . بالضرورة أن يكون أفضل من الابن ، فهناك أدلَّة عدَّة بأفضليتهم (عليهم السلام) على الأنبياء : كآية المباهلة ، وحديث النورانية ، وإثبات أفضلية النبي محمد (صلى الله عليه وآله) على جميع الأنبياء وسنخية أولاده الطاهرين منه ، وحديث العلم بحصول الأئمة على اثنين وسبعين درجة من العلم ولم يحصل عليهم الأنبياء ، وحديث التشبيه بين أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) وبين الأنبياء واحتوائه لأوصافهم جميعاً حيث اجتمع فيه ما تفرَّق فيهم ، وغيرها من الأدلَّة التي لا يسع المقام لذكرها ، فإضافتهم إلى الأنبياء لبيان المرتبة والمكانة لا للتشريف لأنَّهم أشرف وأحسن وأكمل وأفضل وأسنى من المضاف إليه .

وجاءت الكناية عن الموصوف في شرح قول الإمام (عليه السلام) : ((**ومَكَّنّني فِيْ دَوْلَتِكُمْ وَأَحْيَانِي فِيْ رَجْعَتِكُمْ وَمَلَّكَنِي فِيْ أَيَّامِكُم**))([2]) قال الأحسائي في شرح التمكين : ((يقول : أسأل الله الّذي وعدكم ليَستَخْلِفَنّكم في الأرض كما استخلف الّذين من قبلكم و ليُمكّن لكم في الأرض بأن يجعلكم الوارثين للأرض والمالكين لها أنْ

---

[1]) يُنظر : مع الأئمة الهداة ، الميلاني : ١٤١ .

[2]) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، الأحسائي : ٤/٢٥٥ .

يمكّنني في دولتكم بأن يجعلني في وقتِ ملككم من المملّكين بكم المقرّبين لديكم وهذا كناية عن أن يجعله من شيعتهم الخُلَّصِ فإنّه إذا رجعوا ذهبت دولة أعدائهم وأشياع أعدائهم و رجع الأمر كلّه إلى محمّد و أهل بيته صلى الله عليه وآله ومَن كان من شيعتهم كامل الإيمان مكّنوه فيما شاؤا من الأرض وملّكوه منها ما أرادُوا ...))([1]) ، فكانت كناية عن وصفهم في كيفية تمكينهم في الأرض وكيفية تمكين شيعتهم فيها، وهي للدعاء أقرب من الكناية ، فالكناية في العبارة لا بالكلمة ، لأنَّ الكلمة لا توحي إلى وجود الكناية ؛ أمَّا العبارة فتحتمل الكناية منها بكلِّيتها تكون كناية عن موصوف.

ومثله جاء في مورد آخر من شرح الأحسائي([2]) ، فما ذكرناه يكفي للتمثيل.

وجاءت الكناية عن الموصوف في شرح قول الإمام (عليه السلام) : ((**وَعَيْبَةِ عِلْمِهِ**))([3])، قال الوحيدي في شرحها : ((إنّهم عليهم السلام مخازن علم الله عزّ وجلّ وهذه الجملة كناية عن كونهم عليهم السلام مخازن العلوم الإلهية ، ومستودع الأسرار الرّبانية))([4]) ، فالعيبة هي صفة جاءت كناية عن موصوف وهم خزَّان علم الله تعالى، وهنا استنتجها الشارح من مفهوم اللغة للعيبة ، التي تعني في اللغة : وعاء الشيء ومجمعه([5]) ، واستعماله في اللغة دلّ على أنَّ العيبة تكون مكان خزن الشيء النفيس والنادر([6]) ، فعندهم ((العيبة، معناها في كلام العرب: التي يجعل فيه الرجل

---

[1]) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، الأحسائي : ٢٥٥/٤ .
[2]) يُنظر : المصدر نفسه : ٢٥٦/٤ .
[3]) أنوار الولاية الساطعة ، الوحيدي : ١٠٠ .
[4]) المصدر نفسه : ١٠٠ .
[5]) يُنظر : كتاب العين مادة (عاب) : ٢٦٣/٢ .
[6]) يُنظر : غريب الحديث : ١٣٨/١ ، جمهرة اللغة : ١٣٣٣/٣ ،

أفضلَ ثيابه، وخزن متاعه، وأنفَسَه عنده.))([1]) ؛ فلأنَّ علم الله تعالى نفيس ولم يكن مبسوطاً للجميع ؛ استعمل الإمام لفظ العيبة للعلم الخاص بالنسبة لأهل البيت (عليهم السلام) .

ومن ذلك ما ورد في شرح الإمام (عليه السلام) : ((**وَمَصابيحِ الدُّجى**))([2]) ، قال الصدر : ((مصابيح جمع مصباح . وهو في اللغة بمعنى السراج الثاقب المضيء ، ويكنّى به عن كل ما يهتدى به. والدُجى جمع الدُجْيَة بضمّ الدال أي الظلمة ، يقال : ليل دَجِيّ وليل داجٍ أي مظلم.

والأئمّة الأطهار عليهم السلام مصابيح الدجى ، وسُرُج الهداية في الدنيا ، وهادون للخلق من ظلمة الشرك والكفر ، والضلالة والجهل ، إلى نور الإيمان والطاعة والمعرفة والعلم.))([3]) ، فالمصابيح : كناية عن الهداة الميامين الذين لا يسبقون ربهم بالقول وهم بأمره يعملون ، فكانت المصابيح كناية عن الأئمة الطاهرين؛ والدجى كناية عن كل ضلالة ، فاستطاع الشارح أن يستقرئ هذه الفقرة بوساطة مخزونه البلاغي الذي يتمتع به ، ولعلَّ حديث الثقلين حاضر في هذه العبارة بوساطة التمسك بهم ينجي من الضلال ، فكانت الحكمة المستغلقة من هذه الفقرة تتضح بوساطة الربط بينهما وبين حديث الثقلين لنخرج بنتيجة أنَّهم مصابيح الهداية والسير على هداهم يُنجي من دجية الضلالة .

---

[1]) الزاهر في معاني كلمات الناس ، محمد بن القاسم بن محمد بن بشار، أبو بكر الأنباري ت(٣٢٨هـ) ، تحقيق : د. حاتم صالح الضامن ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، ط١، ١٤١٢ هـ -١٩٩٢ : ١٥٨/٢ ، يُنظر : تهذيب اللغة ، مادة (عاب) : ٣٣٧/٩ .

[2]) في رحاب الزيارة الجامعة الكبيرة ، الصدر : ١١٥ .

[3]) المصدر نفسه : ١١٥ .

ومثله ما جاء في شرح قول الإمام الهادي (عليه السلام) : ((**وَمِنَ الْجِبْتِ وَالطّاغُوتِ وَالشَّياطينِ وَحِزْبِهِمُ**))([1])، قال الصدر : ((وقد تأكّد التبرّي بالخصوص من الجبت وهو الأول ، والطاغوت وهو الثاني ، والشياطين وهم سائر خلفاء الجور وبني أُميّة وبني العبّاس وحزبهم أي أتباعهم والجِبْت في الأصل هو كلّ معبود سوى الله تعالى كنّي به عن الأوّل.

والطاغوت في الأصل هو من تجاوز عن الحدّ في الطغيان فكان رئيساً في الضلالة كنّي به عن الثاني لأنّه الأخبث.

كما وأنّ اللاّت صنم من حجارة كانت لثقيف في الكعبة يعبدونها يكنّى به الثالث.

والعُزّى صنم من حجارة كانت في جوف الكعبة لغطفان يعبدونها يكنّى به عن معاوية.))([2]) ، استنبط الشارح هذه المعاني من ما ورد في أحاديث العترة الطاهرة في بيان الجبت والطاغوت ، فقد جاء في الكافي قول الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) في شرح قوله تعالى : ﴿**وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ**﴾ **{الزمر/١٧}** ، فـ((عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ الْحَذَّاءِ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام عَنِ الِاسْتِطَاعَةِ وَ قَوْلِ النَّاسِ فَقَالَ وَ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ ﴿**وَلا يَزالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذلِكَ خَلَقَهُمْ**﴾ **يَا أَبَا عُبَيْدَةَ النَّاسُ مُخْتَلِفُونَ فِي إِصَابَةِ الْقَوْلِ وَ كُلُّهُمْ هَالِكٌ** ... ﴿**فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ**﴾ **يَعْنِي بِالْإِمَامِ** ﴿**وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾ **يَعْنِي الَّذِينَ** ﴿**اجْتَنَبُوا الْجِبْتَ**﴾ **وَ الطَّاغُوتَ** ﴿**أَنْ يَعْبُدُوها**﴾ **وَالْجِبْتُ وَ**

---

[1]) في رحاب الزيارة الجامعة الكبيرة ، الصدر: ٥٤٤ .
[2]) المصدر نفسه : ٥٤٤ .

الطَّاغُوتُ فُلَانٌ وَ فُلَانٌ وَ فُلَانٌ وَ الْعِبَادَةُ طَاعَةُ النَّاسِ لَهُمْ ثُمَّ قَالَ ﴿أَنِيبُوا إِلى رَبِّكُمْ وَ أَسْلِمُوا لَهُ﴾ ثُمَّ جَزَاهُمْ فَقَالَ ﴿لَهُمُ الْبُشْرى فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وَ فِي الْآخِرَةِ﴾ وَالْإِمَامُ يُبَشِّرُهُمْ بِقِيَامِ الْقَائِمِ وَ بِظُهُورِهِ وَ بِقَتْلِ أَعْدَائِهِمْ وَ بِالنَّجَاةِ فِي الْآخِرَةِ وَ الْوُرُودِ عَلَى مُحَمَّدٍ))[1] ، فالشارح استجلب المعاني الحديثية الواردة من الهداة الطيبين في معنى الجبت والطاغوت . وهي كناية عن موصوف بعينه . وشرح بها هذه الفقرة المباركة ، إلّا أنَّه لم يذكر الرواية في شرحه ، وإلى هذا المعنى ذهب الوحيدي في شرحه[2] .

ووردت الكناية عن الموصوف في شرح الغزي ، فقد ذكر حديثاً عن الإمام الباقر (عليه السلام) في سياق حديثه فقال عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنَّ الله : **((...ألبسهُ قَميص اَلرضا وَردّاهُ بَرداء اَلهيبة وَتوجهَ بَتاج اَلهداية وَألبسه سَراويل اَلمعرفة وَجعَل تكتهُ تَكة اَلمحبة يَشد بَها سَراويله وَجعَل نَعلهُ نَعل اَلخوف وَناوله عَصا اَلمنزلة ثَم قَال : يَا مُحمَّدَ إذهب إَلى اَلناس فَقل لَهم: قَولوا لَا آَله إَلا اَلله مُحمَّدٌ رَسول اَلله وَكان أَصل ذَلك اَلقميص مَن سَتةَ أشياء قامتهُ مَن اَلياقوت وَكُماهُ مَن اَللؤلؤ وَدخريصهُ مَن اَلبلور اَلأصفر**... هذا الحديث هنا ليس عن ثوبٍ أو عن قميص، الحديث هنا عن ذات النبي، هذه الأوصاف أوصاف على نحو الكناية عن ذات النبي، أنَّ حقيقة النبي بكل تفاصيلها بكل مراتبها هي هذه الأوصاف الموجودة فيها))[3] ، فقد بيَّن الشارح ـ حسب رأيه ـ استعمال لفظ (القميص) وهو تكنية عن موصوف الذي أفصح عنه بعد ذلك وهو رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، إلّا أن سياق الحديث لم يتكلم عن الكناية ولم تكن اللفظة دالة على الكناية عن الموصوف ، لأنَّها تشير إلى متعلِّق في الموصوف ولم تُشر إليه بكنهه ،

---

[1] الكافي : ٤٢٩/١ .
[2] يُنظر : أنوار الولاية الساطعة ، الوحيدي : ٢١٩ .
[3] شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، الغزي : ٧٦.٧٥/١ .

ربما تكون كناية صفة احتواء النبي العظيم لهذه الصفات وليست هي كناية عنه (صلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله) ، فالشارح أشار إلى الكلّية بوساطة متعلق من متعلقاته ، وحقيقة النبي بكل مراتبها وصفاتها لا يعرفها إلّا الله تعالى وأمير المؤمنين (عليه السلام) بشهادة المعرفة الثلاثية في الحديث المعروف ، إذ((قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم لعلي بن أبي طالب عليه السلام : **يَاْ عَلِيُّ لَا يَعْرِفُ اللهَ تَعَالَى إِلَّا أَنَا وَأَنْتَ وَلَا يَعْرِفُنِي إِلَّا اللهُ وَأَنْتَ وَلَا يَعْرِفُكَ إِلَّا اُللهُ وَأَنَا**))([1]) ، فكيف حدّ الشارح كل صفات ومراتب النبي بهذا القميص؟! .

٢. الكناية عن الصفة :

يُقصد بها ؛ ذكر الموصوف وتستتر الصفة خلفه يفهمها المتلقي أو القارئ بوساطة الموصوف أو القرينة الدالة عليها([2]) ، وجاء هذا اللون في شروح الزيارة المباركة كثيراً نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر : ما جاء في بيان قول الإمام (عليه السلام) : ((**وَأوصِياء نَبِي الله**))([3]) ، قال المجلسي الأوَّل: ((...إنَّهم خلفاء رسول الله وأوصياؤه ، وإنَّه (صلى الله عليه وآله) أوصى إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) إلى المهدي ، وأوصى كل منهم إلى الإمام الذي بعده إلى المهدي (صلوات الله عليهم) أمور الأمَّة ، وكانت الوصاية كناية عن التخليف...))([4])، فكانت الوصاية عنده كناية عن صفة التخليف ، وقد أطلق الشارح لفظ التخليف دون تقييده بقرينة ، فلم يُخصصها بالتخليف السياسي أو التخليف العلمي أو التخليف الديني، وهذا يدل على قصديته على شموله بهذه الكلمة لجميع المعاني المذكورة ، وهي

---

[1]) روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه : ٢٧٣/١٣ .
[2]) يُنظر : مفتاح العلوم : ٦٣٩ .
[3]) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، المجلسي الأوَّل : ٦٠ .
[4]) المصدر نفسه : ٦١. ووردت الكناية عن الصفة في موضع أخر من الشرح ذاته ، يُنظر:١٦٥.

كذلك؛ لأنَّ التحديد بقرينة يخرج المعاني الأخرى من دائرة التخليف ، فقد تنبَّه الشارح إلى ذلك فأطلقها دون تقييد .

ذكر المجلسي الثاني في شرحه قول الله سبحانه : ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴾{النور/٣٦} ، فقال في بيان معنى البيوت والذكر في الآية الكريمة : ((فالمراد بالبيوت: إمّا : البيوت المعنوية التي هي بيوت العلم والحكمة وغيرهما من الكمالات، والذكر فيها كناية عن استفاضة تلك الأنوار منهم . أو البيوت الصورية التي هي بيوت النبي والأئمة (صلوات الله عليه وعليهم) في حياتهم، ومشاهدهم بعد وفاتهم .))([1])، علّل الشارح إيراد مفهوم الذكر على أنَّه كناية عن صفة الاستفاضة النورية الصادرة من الأئمة الأطهار ، ولكن صفة الديمومة في الذكر أقرب من الاستفاضة ، حتى قال أمير البلاغة والكلام الإمام علي (عليه السلام) :((**مَا رَأَيْتُ شَيْئاً إِلَّا وَ رَأَيْتُ اللهَ قَبْلَهُ أَوْ بَعْدَهُ أَوْ مَعَهُ**))([2]) ، فالديمومة أقرب إلى السياق من مفهوم الاستفاضة.

وكذلك ما جاء في شرح قوله (عليه السلام) : ((**مَنِ اتَّبَعَكُمْ فَالْجَنَّةُ مَأْواهُ ، وَمَنْ خالَفَكُمْ فَالنّارُ مَثْواهُ**))([3]) ، قال الهمداني في بيان معنى المأوى والمخالفة : ((المأوى: المنزل . وخالف الرجل صاحبه : باصَره فإذا غاب دخل على زوجته ، هو كناية عن الدخول في الشيء على غير وجه، فالمراد: من دخل في الشيء جعله

---

[1]) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، المجلسي الثاني : ٢٢٨ ، يُنظر : في رحاب الزيارة الجامعة الكبيرة ، الصدر : ٤٤٤ .

[2]) مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول :١٠ /٣٩١.٣٩٢ .

[3]) الشموس الطالعة من مشارق الزيارة الجامعة ، الهمداني : ٥٠٧ .

الله لكم . دون غيركم . فالنار مثوى مَن "ثوى المكان ، وبه" أي طال الإقامة به([1]) يعني مخلّد فيها لا نجاة له منها))([2]) ، لا تحتاج المخالفة إلى بيان معنى ، فالمخالفة : هي المباينة في الفعل ، وهذا ينتج من اللفظ المباشر ، فأراد بيان أنَّ المخالفة الواردة في السياق ؛ أُريد منها كناية عن صفة الخروج من ولايتكم والدخول في ولاية غيركم ، وقد جاء لفظ (المأوى) في موارد عديدة في القرآن الكريم وسياقات فيها إضافات مغايرة وإضافات ذاتية ، فالإضافات الذاتية (مأواهم) وردت في القرآن الكريم إثني عشرة مرَّة وكلُّها تُشير إلى الكافرين ؛ مثل قوله تعالى : ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ ﴾{آل عمران/١٥١} ، وغيرها من الآيات المباركة .

أمَّا مجيء المأوى منفردة أو مضافة إلى مغاير ؛ فهي جاءت في أربعة مواضع؛ ثلاث منها في الجنَّة مثل قوله تعالى : ﴿أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾{السجدة/١٩} ، وواحدة أشارت إلى النار ؛ وهي في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى ﴾{النازعات/٣٩} ، وهذا يدلّ على أنَّ المأوى لفظ بمفهوم عام يُشير إلى ظرف يتم بوساطة جزاء معيَّن ، وهذا يكشف عنه السياق والقرائن والإضافات ، ويدلّ على الديمومة في المكوث ، أمَّا المثوى فهو أيضاً لفظ مشترك في مفهوم المأوى لكنَّه يخالفه في مدَّة المكوث ، حيث يكون فيه المكوث لفترة قصيرة. فأشارة الشارح إلى المعنى العام لهما ؛ لذا كان بيان دقائق المفهوم مهمة في هذا المورد .

---

[1]) كذا في الأصل ، والصواب : فيه ، لأنّ الإقامة في الظرفية لا بالواسطة .

[2]) الشموس الطالعة من مشارق الزيارة الجامعة ، الهمداني : ٥٠٧ .

وجاءت الكناية عن الصفة في بيان قوله (عليه السلام) : ((**وَأَعْظَمَ شَأْنَكُمْ ، وَأَجَلَّ خَطَرَكُمْ**))(١) ، قال الهمداني : ((الشأن والخطر : الخطب ، والخَطر أعم ، لشموله الجليل والحقير . والجليل : ما كان علوّ ارتفاعه بالغاً وأقصى مراتبه . هذا إن كان "الخطَر" بفتح الطاء ؛ وإن كان بسكونها فهو مكيال ضخم فكنّى عليه السلام به عن أنّ ضخامة ما آتاهم الله بلغت أقصى مراتب الإمكان.))(٢) ، أشار الشارح إلى الكناية عن الصفة على سبيل الاحتمالية ، ولم يخصص أو يُحدد أحد الاحتمالين المذكورين، ويبدو أنَّ سكون الطاء (خَطْركم) أقرب ؛ للكناية عن صفة العلو في المراتب التي حباهم الله تعالى بها دون غيرهم .

فضلاً عن ذلك ما ورد في شرح قول الإمام (عليه السلام) : ((**اَلسَّلامُ عَلَيْكُمْ يا اَهْلَ بَيْتِ النُّبُوَّةِ**))(٣)، قال الأحسائي في معنى النبوة والرسالة والبيت : ((...قيل النبوة قبول النفس القدسية حقائق المعلومات والمعقولات من جوهر العقل الأول والرسالة تبليغ تلك المعلومات والمعقولات إلى المستعدّين ويجوز أن يُراد بالنبوة الرفعة من نبا ينبو بمعنى ارتفع ، أي يا أهل بيت الرفعة والشأن العظيم كما أُشير إليه فيما بعد طأطأ كلُّ شريفٍ لشرفكم وبخع أي خضع كلُّ متكبّرٍ لطاعتكم أو يُراد يا أهل بيت رفعة النبوة والرسالة والفتوّة أي الإيمان وفي الحديث الفتى المؤمن أنَّ أصحاب الكهف كانوا شيوخاً فسمّاهم الله فتيةً لإيمانهم أو لإيمانهم بلا واسطة وقد يُراد من البيت ما يُكنّى به عن المجد والحسب كما يُقال فلان أهل بيتٍ و يكون المعنى يا أهل مجد النبوة و حسبها و فخرها لأنهم الذين نشروا أعلام النبوة و أسّسوا قواعد

---

١) الشموس الطالعة من مشارق الزيارة الجامعة ، الهمداني : ٧٠٧ .
٢) المصدر نفسه : ٧٠٧.٧٠٨ . ويوجد من الكنايات في غير موضع في شرحه ، يُنظر: ٢٥٠.
٣) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، الأحسائي : ٤١/١ .

مستقرّ الفتوّة...))([1]) ، جاءت الكناية عن الصفة في كلام الشارح بطريقة التقليل ؛ بوساطة استعمال الحرف (قد) مع الفعل المضارع (يُراد) فأفاد التقليل . حسب الدرس النحوي السائد في النحو العربي . فهي على سبيل الاحتمال لا القطع ، في حين أنَّ اللغة أشارت لمعنى البيت على أنَّه ((المأوى والمآب ومجمع الشمل))([2])، فهم (عليهم السلام) مأوى النبوَّة ومآبها ومجمع شملها ، فاستعمال اللفظ على حقيقته اللغوية ، وليس للاحتمال موضع في ذلك .

ووردت الكناية عن الصفة في شرح قوله (عليه السلام) : ((**وَمَصَابِيْحِ الدُّجَى**))([3]) ، قال الوحيدي : ((المقصود من المصباح هنا هم الكناية عن هدايتهم وإرشادهم للنّاس من ظلمة الجهل والكفر إلى نور الإيمان والعلم ، فعن بريد العجلي عن الإمام الباقر عليه السلام في قوله تعالى : ﴿**إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ**﴾. أنّه قال عليه السلام : ﴿**رَسُوْلُ اللهِ المُنْذِرُ وَلِكلِّ زَمَانٍ مِنْ هَادٍ يَهْدِيْهُم إِلى مَا جَاءَ بِهِ نَبِيُّ اللهِ صَلَّى اللهُ عليْهِ وَآلِهِ ثُمَّ الهُدَاةُ مِنْ بَعْدِهِ عَلِيٍّ ثُمَّ الأَوْصِيْاءِ وَاحداً بَعْدَ وَاحِدٍ**﴾))([4]) ، أشار الشارح إلى أنَّ المصباح كناية عن صفة هدايتهم وإرشادهم للخلق ، وعدم تخصيص الهادي بقرينة ؛ يدل على العموم ، وكانت إشارته على سبيل القطع في التكنية عنهم بالمصباح ، والبحث يميل إلى ذلك أيضاً .

---

[1]) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، الأحسائي: ٤١/١ . وفي موارد أخرى جاءت الكناية عن الصفة في شرح الأحسائي ، يُنظر: ١٠٨/١ ،١٤٦ ،١٨٠ ، ٢٢٢ ، ٢٥/٤ ، ١٩٨ ، ٢٥٥ ، وغيرها.

[2]) مقاييس اللغة : ٣٢٤/١ ، يُنظر : أساس البلاغة : ٣٦/١ ، المعجم القرآني : ٧٥٢/١ .

[3]) أنوار الولاية الساطعة ، الوحيدي : ٤٨ .

[4]) المصدر نفسه : ٤٩ ، يُنظر مصادر الحديث الوارد ، أصول الكافي : ١ / ١٦٢ ، تفسير نور الثّقلين : ٢/ ٤٨٢.

ومثله جاء في شرح قول الإمام العاشر (عليه السلام) : ((**وَطَهَّرَكُم مِنَ الدَّنَسِ**))([1]) ، قال الوحيدي في معنى الدنس : ((فأصل الدّنس بمعنى الوسخ ، وهو هنا كناية عما يدنّس القلب من الأعمال الرّدية التي توجب وتلوّث القلب وكدورته.))([2])، استنبط الشارح معنى الدنس من المفهوم اللغوي في المعجمات العربية ، حيث ما يُشير إلى نقيض النظافة([3]) ، فهو كناية عن الصفة المادّية والمعنوية الدالَّة على نقيض النظافة ، فالله تعالى دفع عن أهل البيت (عليهم السلام) كلَّ شين وعيب وكدر ووسخ مادي ومعنوي ، أي ما يشينهم على نحو الخارج أو على نحو النفس اللطيفة ، وهذا ما لم يحصل عليه أحد من العالمين بنصّ آية التطهير المباركة؛ فقد استعمل الله تعالى فيها حرف المعنى (عن) الدال على المجاوزة والدفع بدلاً من الحرف (من) الدال على التبعيض والرفع ، إلّا أنّ الشارح أشار إلى الدنس القلبي في قول الإمام (عليه السلام) ، في حين أنَّ الإمام لم يُخصصه بشيء من القرائن ، وتجرده يدل على العموم.

وأورد الصدر حديثاً عن مولى الموحدين وسيد المسلمين وإمام المتقين الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) قوله : ((...**قَدْ أَعْطَانَا رَبُّنَا عَزَّ وَ جَلَّ عِلْمَنَا لِلِاسْمِ الْأَعْظَمِ الَّذِي لَوْ شِئْنَا خَرَقَتِ السَّمَاوَاتُ وَ الْأَرْضُ وَ الْجَنَّةُ وَ النَّارُ وَ نَعْرُجُ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ وَنَهْبِطُ بِهِ الْأَرْضَ وَنَغْرُبُ وَنَشْرُقُ وَنَنْتَهِي بِهِ إِلَى الْعَرْشِ فَنَجْلِسُ عَلَيْهِ بَيْنَ**

---

[1]) أنوار الولاية الساطعة ، الوحيدي : ١٤٣ .

[2]) المصدر نفسه : ١٤٣ ، ووردت الكناية عن الصفة في شرح الوحيدي في غير موضع من شرحه ، يُنظر : ٨٧ ، ١٤٦ ، وما ذكرناه للمثال لا للحصر .

[3]) يُنظر : تهذيب اللغة ، مادة (دنس) : ٦٤٨/٢ .

يَدَيِ اللَّهِ عَزَّ وَجَل...))([1]) ، قال الصدر في معنى جلوسهم على العرش : ((هذا كناية عن شدّة قربهم وعظم منزلتهم عند الله ، أو كناية عن إحاطتهم العلمية بأمور السماوات والأرضين بإضافة الله تعالى إيّاهم ، أو قدرتهم عليها وإطاعتها لهم عليهم السلام.))([2])، علل الشارح . في هذه الفقرة . سبب إيراد الكناية عن الصفة بطريقة الاحتمالية بجزئين ؛ أحدهما صفة القرب ومكانتها عند الله تعالى ، والأخرى صفة القدرة التي حباهم الله سبحانه بها ، ويبدو أنَّ كلا المعنيين داخلان في المفهوم ، وذلك لعدم تخصيص الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) لأحدهما في سياق الحديث، وعدم التخصيص يدل على شمولهما وزيادة ، فالجلوس معنوي لا مادّي وقد خلق الله تعالى العرشَ من نورهم (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) وفق حديث النورانية المبارك، فقد تنبه الشارح إلى ذلك رغم تخصيصه بجزئية من الوصف ، وهذا لا يمنع من اشتمالهم المعاني الأخرى .

٣. الكناية عن النسبة :

يُقصد بها إثبات أمر لأمر آخر أو نفيه ، أو تخصيص الصفة بالموصوف([3])، وقد وردت هذه الكناية في شروح الزيارة الجامعة الكبيرة كثيراً ، منها ما جاء في بيان معنى لفظي ((**تبارك وتعالى**))([4]) الذي أورده من قول الإمام الصادق جعفر بن

---

[1]) في رحاب الزيارة الجامعة الكبيرة ، الصدر : ١٩١ ، مصادر الحديث ، يُنظر : المناقب ، محمد بن علي بن الحسين العلوي ت(القرن الخامس الهجري) ، دليل ما ، قم ، إيران ، ط١ ، ١٤٢٨هـ : ٧٦ ، بحار الأنوار : ٧/٢٦ ، إلزام الناصب في إثبات الحُجَّة الغائب ، علي الحائري اليزدي ت(١٣٢٣هـ) ، مؤسسة الأعلمي ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٤٢٢هـ : ٤٠/١ .

[2]) في رحاب الزيارة الجامعة الكبيرة ، الصدر : ١٩١ .

[3]) ينظر: دلائل الإعجاز: ٢٣٧ ، مفتاح العلوم: ٦٤٣.

[4]) الشموس الطالعة من مشارق الزيارة الجامعة ، الهمداني : ٩٣ .

محمد (عليهما السلام) : ((**إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى خَلَقَ اسْماً بِالْحُرُوفِ غَيْرَ مُتَصَوِّتٍ وَ بِاللَّفْظِ غَيْرَ مُنْطَقٍ وَ بِالشَّخْصِ غَيْرَ مُجَسَّدٍ وَ بِالتَّشْبِيهِ غَيْرَ مَوْصُوفٍ وَ بِاللَّوْنِ غَيْرَ مَصْبُوغٍ ... فَالظَّاهِرُ هُوَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى ...ثُمَّ خَلَقَ لِكُلِّ رُكْنٍ مِنْهَا ثَلَاثِينَ اسْماً فِعْلًا مَنْسُوباً إِلَيْهَا فَهُوَ الرَّحْمنُ الرَّحِيمِ**))([1]) ، قال الهمداني : ((**تبارك وتعالى** وصفان، وُصف بهما اسم الله تعظيماً ، إلَّا أنَّه أراد بالثلاثة اسم (الله تبارك وتعالى) . كما توهم البعض([2]) . ويدل عليه قوله (عليه السلام) : **فَهَذِهِ الْأَسْمَاءُ التِي ظَهَرَتْ** فإنَّه كنَّى على الثلاثة بما يدل على الجمع ، ثمّ عبَّر ثانياً بما يدل على المفرد المذكر في قوله (عليه السلام) : **فَالظَّاهِرُ هُوَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى** وقوله بعد ذلك : **فَهُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيْمُ** ([3]) ، إذ أفرد الضمير الراجع إلى ما هو الظاهر؛ وإن كان محتملاً رجوع الضمير ... إلى الاسم المذكور أوَّلاً.))([4]) ، علّل الشارح المفهوم المراد من اللفظين وهما يشتركان بالاسم الأصل ويفترقان بالنسبة والمصداق، وقد فرَّق بينهما وفقاً لما يمتلكه من حسٍّ لغوي الذي ردَّ به على مَن سبقه بأنّهما يدلان على الإسم الشامل الأعظم وهو (الله) ، فلكلِّ إسم من هذه الأسماء كيانه المصداقي لا تباينه المفهومي ، فالمفهوم واحد والمصاديق متعددة بتعدد الدلالات السياقية وقرائن الحال والمقام ، فبيَّن . بوساطة التكنية . نسبة المصاديق إلى المفهوم، أمَّا عبارته الأخيرة ؛ فأشار إلى إفراد الضمير (هو) وإنَّه راجع إلى ظهور الاسم الأعظم (الله) ، يبدو أنَّ رجوعه إلى المفهوم العام أقرب من رجوعه إلى الاسم الظاهر.

---

[1]) التوحيد ، محمد بن علي بن بابويه القمي (الشيخ الصدوق) ت(٣٨١هـ) ، جماعة المدرسين ، قم ، إيران ، ط١، ١٣٩٨هـ : ١٩١ ، الكافي : ١١٢/١ .

[2]) لم أجد ما أشار إليه الشارح ، إلَّا المعنى الذي جاء في شرح أصول الكافي للمازندراني ؛ وهو: معنى تبارك : الجواد ، ومعنى تعالى : الأحد ، يُنظر : شرح أصول الكافي : ٢٨٩/٣ .

[3]) كذا في الأصل ، والصواب : الرحمن .

[4]) الشموس الطالعة من مشارق الزيارة الجامعة ، الهمداني : ٩٣ .

وفي موضع آخر ؛ استشهد الهمداني بقوله تعالى : ﴿ . . .وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾{الحشر/٧} ، ثمَّ قال : ((وجه دلالة الآية الشريفة على إعطاء الأفضل أنَّ ما أُعطي سليمان هو الشيء المحدود المعيَّن المشار إليه بأداة الإشارة(١) ، الدّالة على التعيّن ، وما أعطاه رسول الله صلى الله عليه وآله كنّى عنه بـ(ما) الموصوله ، الدّالة على الإبهام ، دلالة على أنَّ ما أعطاه غير متناه ، فيكون لا محالة أفضل من المتناهي))(٢) ، قارن الشارح بين استعمال الأدوات في سياقات الآيات المباركة بحسٍّ لغوي صِرف ، وبيَّن ماهيَّة الدلالة بأداة الإشارة (هذا) وبين أداء المعنى باسم الموصول(ما) ، والأداء بالأداة (ما) يدل على العموم ؛ لأنَّها تفيد الإبهام ، ولا يُقصد بالابهام (الإغماض) ؛ وإنَّما الشمول والعموم، فكانت الكناية بـ(ما) تدل على النسبة المفتوحة العامّة وقد خُصصت بالموصوف ، ومن ذلك تتضح الحكمة المستغلقة في الاستعمال ، واختيار أداة دون الأخرى ، والبحث يميل إلى هذا.

وقد وردت الكناية عن النسبة في موارد أخرى(٣) ، إلّا أنَّنا ذكرنا مثالين كي لا يطول المقام في هذا اللون وتكرار الذكر من مصدر دون غيره .

وذكر الأحسائي قول الإمام أبي عبد الله الحسين (عليه السلام) : ((**كأنَّ بِأَوْصَالِي تُقَطِّعُهَا عُسْلَانُ الفَلَوَاتِ بَيْنَ النَّوَاوِيْسَ وَ كَرْبَلَاء يَمْلَأَن مِنِّي أَكْرَاشاً جُوْفاً وَ أَجْرِبَةً سُغْبَاً لَا مَحِيْصَ عَنْ يَوْمٍ خُطَّ بِالْقَلَمِ**))(٤)، وقال : ((قوله (عليه السلام) [:]

---

١) يقصد في ذلك قوله تعالى : ﴿ هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾{ص/٣٩} .

٢) الشموس الطالعة من مشارق الزيارة الجامعة ، الهمداني : ٢٣٣ .

٣) يُنظر : المصدر نفسه : ٤١٣ ، ٥٧٠ .

٤) شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار عليهم السلام : ١٤٦/٣ .

فيملأن مني الخ، كناية عما صنعوا به أعداؤه لعنهم الله و قوله (عليه السلام) [:] أكراشاً ...إلخ، لبيان شدّة حِقدهم وعداوتهم كالجائع الذي حين وجد الأكل لا يظنّ أنَّه يشبع لشدّة حرصه...))([1]) ، أشار الشارح إلى الكناية عن النسبة التي خصص الصفة الملئ بكيفية الامتلاء ، ولم تكن الكناية غاية الشارح ؛ وإنَّما وسيلته يتخذها للوصول إلى الدلالة التي يريدها من بيان وحشيَّة القوم ؛ ويبدو أنَّ الكناية لم تكن بلفظ معيَّن ، وإنَّما في السياق بمجمله ، إذ شبَّه القوم بالكواسر والوحوش الجائعة ، وهذا يكشف عن مدى فراسة الشارح في بيان هذه الدلالة ، إذ استشرف الإمام أبو عبد الله الحسين (عليه السلام) ما سيحصل له وكيف أنَّ القوم متعطشون لدمائه الزكية ، وهو يعرف القوم الذين يقاتلونه ، فهم أصحاب مُثلةٍ لا أصحاب ميدان ، فلم يستطيعوا مواجهته إلّا بالكُثرة ، فكان ردُّه (عليه السلام) بالإيجاب ولم تأخذه في الحقِّ والقتل في سبيل الله لومة اللائمين ، فأطلقها وأثبت عندها ((**أَلَا وَ إِنَّ الدَّعِيَّ ابْنَ الدَّعِيِّ قَدْ تَرَكَنِي بَيْنَ السَّلَّةِ وَ الذِّلَّةِ وَ هَيْهَاتَ لَهُ ذَلِكَ مِنِّي هَيْهَاتَ مِنَّا الذِّلَّةُ أَبَى اللَّهُ ذَلِكَ لَنَا وَ رَسُولُهُ وَ الْمُؤْمِنُونَ وَ حُجُورٌ طَهُرَتْ وَ جُدُودٌ طَابَتْ أَنْ يُؤْثَرَ طَاعَةُ اللِّئَامِ عَلَى مَصَارِعِ الْكِرَامِ أَلَا وَ إِنِّي زَاحِفٌ بِهَذِهِ الْأُسْرَةِ عَلَى قِلَّةِ الْعَدَدِ وَ كَثْرَةِ الْعَدُوِّ وَ خَذْلَةِ النَّاصِر**))([2]) ، وسجَّل بتلك الدماء الطاهرة أروع ملاحم البطولة والفداء التي تخلدت وستبقى ما دامت السماوات والأرض.

وأورد الأحسائي الكناية عن النسبة في غير موضع من شرحه([3])، وما ذكرناه للمثال لا للحصر .

---

[1]) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، الأحسائي : ٤/٢٠٣ .

[2]) الاحتجاج : ٢/٣٠٠ .

[3]) يُنظر : شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، الأحسائي : ١/١٤٧ ، ٢٠٦ ، ٤/١٤٤ ، ١٨٣ ، ٢١٧.

وجاءت الكناية عن النسبة في شرح الوحيدي ؛ فقد ذكر أبياتاً من ميمية الفرزدق([1]) الشهيرة التي يمدح بها الإمام علي بن الحسين زين العابدين (عليه السلام) ، قوله : [من البسيط]

مُشْتَقَّةٌ مِنْ رَسُولِ اللهِ نَبْعَتُهُ طابَتْ عَنَاصِرُهُ وَالخيمُ والشّيمُ

....

عَمَّ البَرِيَّةَ بِالإحسانِ فَانْقَشَعَتْ عَنْها العِمَايَةُ وَالإمْلاقُ وَالظُّلَمُ

كِلَتَا يَدَيْهِ غِيَاثٌ عَمّ نَفْعُهُمَا يَستَوَكفَانِ وَلا يَعْرُوهُمَا عَدَمُ

....

ما قَالَ : لا قَطُّ إلّا فِي تَشَهُدِهِ لولا التَّشَهُدُ كَانَتْ لاؤُهُ نَعَمُ([2])

فقام الشارح في بيان معنى البيت الأخير بقوله : ((يعني لو لم يكن قول «لا» واجباً في التشهد كان دائماً وأبداً يتفوه بنعم ، وهذه الجملة كناية عن كثرة عطاياه عليه السلام وكناية عن عدم خيبة السّائل من باب داره.))([3]) ، فقد خصص الموصوف في الصفة المذكورة بوساطة بيان الدلالة العامَّة لقول الشاعر ، إذ اختصر كلَّ رفض بكلمة (لا) وما يتصل بها من قرائن ؛ في ذكرها بالتشهد ، فأشار

---

[1]) هو همّام بن غالب بن صعصعة بن ناجية بن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع ، وسمي بالفرزدق لشبه وجهه ببالخبزة وهي فرزدقة ، يُنظر : طبقات فحول الشعراء ، محمد بن سلام الجُمحي ت(٢٢١هـ)، شرح : محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة ، د.ط ، ١٩٧٤ : ٢٩٩/٢.

[2]) ديوان الفرزدق ، شرحه وضبطه : ممدوح حقي ، دار المعارف ، مصر ، ط١ ، ١٩٧٢م: ٤٥٠ . وقد وردت في شرح الوحيدي أخطاءً في نقل الأبيات ؛ وتم ضبطها ونقلها من الديوان .

[3]) أنوار الولاية الساطعة ، الوحيدي : ٢٤٨ .

الشارح إلى هذا التخصيص ببيان الكناية في النسبة في هذه العبارة ، إلّا أنّ موضوعها في القصر أقرب وأروع إيراداً من الكناية .

الفصل الثالث

جماليات الألفاظ في البديع

- السجع والمبالغة
- المقابلة
- الاقتباس
- اللَّفُّ والنَّشر

الفصل الثالث

جماليات البديع

توطئة

تقدَّم الكلام في ركائز البلاغة الثلاثة ؛ وهذه الركيزة الثالثة التي لابدَّ للبلاغة المتكاملة من وجودها لأنَّ ((التعبير الأدبي تمتزج فيه الحياة باللغة فيؤدي مهمته في إيصال التجربة الشعورية إلى الآخرين في أجمل عرض وأبهى صورة))([1]) ، ولم يكن البديع حديث عهد في النصوص العربية ، فقد حفل القرآن الكريم والنصوص الشعرية القديمة وكذلك النصوص الواردة من طريق العترة الطاهرة بهذا اللون البلاغي ، فجاء فيها معبِّراً عن المعنى تعبيراً رائعاً ؛ إلّا أنَّ المتأخرين اهتموا بزخارف القول وأفرغوه من محتواه ، فصار التزويق اللفظي غاية المتكلم وانتقل المعنى إلى الهامش .

فكانت لمحات علم البديع بادية المُحيّا على النصوص الأدبية ، ((وعلى الجملة فإنَّك لا تجد تجنيساً مقبولاً ولا سجعاً حسناً حتى يكون المعنى هو الذي طلبه واستدعاه وساق نحوه ، وحتى تجده لا تبتغي به بدلاً ولا تجد عنه حِولاً))([2])، إذ كان المعنى يستدعي جمال المفردة وتكون تابعة له على عكس ما هو سائد في النصوص المتأخرة ، وقد أطلق على تلك الجماليات لفظ (البديع) ، فكان أوَّل مَن أطلق عليه هذا اللفظ ويُراد به الفنون البلاغية البديعية ؛ بدر الدين بن مالك

---

[1]) الجهود البلاغية في تفسير القرآن العظيم لعلم الدين السخاوي : ٣٢١ ، يُنظر : علم البديع نشأته وتطوره ، عبد الرزاق أبو زيد زايد ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، مصر ، د.ط ، ١٩٧٧م : ١٧٢ .

[2]) أسرار البلاغة : ١٠ .

ت(٦٨٦هـ) ووصفه بتتبع معرفة الفصاحة(١) ، فكان أوَّل مَن جعل هذا الفن البلاغي مُستقلّاً عن المعاني والبيان ، أمَّا الذين سبقوه ؛ فكان البديع عندهم عبارة عن تابع لعلم المعاني والبيان ، وهو مزيج منهما (٢) وهذا لا يمنع من إشاراتهم لموضوعاته تحت مسمّاه ؛ ولكنَّهم لم يجعلوها مستقلَّة عن الفنون الأخرى ؛ بل تابعة للمعاني والبيان .

البديع في اللغة : إسمٌ من أبدع يُبدع ابتداعاً ، و((البَدْعُ: إحداثُ شيءٍ لم يكن له من قبلُ خلقٌ ولا ذكرٌ ولا معرفةٌ. والله بديعُ السموات والأرض ابتدعهما، ولم يكونا قبل ذلك شيئاً يتوهّمهما متوهّم، وبدع الخلق . والبِدْعُ: الشيء الذي يكون أولاً في كل أمر، كما قال الله عزّ وجل: قلْ ما كُنْتُ بِدْعاً من الرُّسُلِ، أي: لستُ بأوّل مُرْسَل.))(٣)، أو هو من : بَدَعَ ، يَبْدعُ ، إبداعاً ، و((بدَع الشيءَ يَبْدَعُه بَدْعاً وابْتَدَعَه أَنشأَه وبدأَه وبدَع الرَّكِيّة اسْتَنْبَطَها وأَحدَثها ورَكِيٌّ بَدِيعٌ حَدِيثةُ الحَفْر والبَدِيعُ والبِدْعُ الشيء الذي يكون أَوّلاً.))(٤) ، ومن ذلك نستنتج : إنَّ المعنى اللغوي للبديع يقتصر على الجدّة في العمل والبراعة فيه(٥) .

البديع في الاصطلاح : لا يريد البحث تتبع لمسات البديع الأولى منذ أن انبثقت الدراسات البلاغية إلى أن استوى علماً مستقلّاً بذاته ، إذ أشبعت دراسة وتتبعاً من

---

١) يُنظر : المصباح في المعاني والبيان والبديع : ٧٥ ، يُنظر : معجم المصطلحات البلاغية وتطورها : ٣٨٢/١ .

٢) يُنظر : البيان والتبيين : ٣ / ٢٨٠ ، البديع : ١ ، الإيضاح في علوم البلاغة : ١٩٢ ، ٢٨٨.

٣) كتاب العين ، مادة (بدع) : ٩٧/١ .

٤) لسان العرب ، مادة (بدع) .

٥) يُنظر : فنون بلاغية (البيان – البديع) ، أحمد مطلوب ، دار البحوث العلمية ، الكويت ، ط١ ، ١٩٧٥م : ١٩٦ .

قِبَل الباحثين([1]) ، ونكتفي بتعريفه الذي وصل إليه هذا العلم بعد مخاض لقرون عدَّة، فهو ((علم يُعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية المطابقة ووضوح الدلالة وهو ضربان : معنوي ولفظي))([2]) ، وهذا التعريف تابع إلى البلاغة في تعريفها السائد عند متعارف الأوساط البحثية ، في حين أنَّه يُراعي مطابقة الحال وليس من شأنه بيان الحكمة التي قد تستغلق على المتلقي ، ومن الممكن أن يكون البديل عنه . بحسب التعريف الجديد للبلاغة . يكون البديع : **هو القدرة على استعمال الألفاظ بحسب المقام وبيان الحكمة المستغلقة في النص الإبداعي مع مراعاة جماليات الألفاظ وقصد الدلالة.** ولا يدخل فيه التزويق اللفظي لغرض الجمال دون المعنى ؛ إذ المعنى أساس في علم البديع ، ولا بديع من دون معنى مقصود .

- **المباحث البديعية في شروح الزيارة الجامعة الكبيرة**

يعتمد البحث على ما ورد في شروح الزيارة الجامعة الكبيرة المختارة ، فسينقسم هذا الفصل على المباحث الآتية :

١. السجع والمبالغة .

٢. المقابلة .

٣. الاقتباس .

٤. اللف والنشر .

---

[1]) يُنظر : علم البديع بين الصوت اللغوي والبحث البلاغي في القرآن الكريم ، رشا سعود عبد العالي السعيدي ، (رسالة) ، جامعة الكوفة ، كلية التربية للبنات ، ٢٠١١م : ٣٨.١٦ .

[2]) التلخيص : ٤٨ . يُنظر : الجهود البلاغية في تفسير القرآن العظيم لعلم الدين السخاوي : ٣٢٣.

المبحث الأوَّل

السجع والمبالغة

حدُّهما ، تطبيقاتهما في شروح الزيارة الجامعة الكبيرة

إنَّ سبب اختيار هذين الفنَّين من فنون البديع وجعل أحدهما إلى جانب الآخر ؛ هو لقربهما في الدلالة الواردة في سياقاتهما ؛ لذا سيكون المطلب الأوَّل خاصّاً بالسجع، والمطلب الثاني خاصّاً بالمبالغة .

المطلب الأوَّل

السجع : حدُّه ، أنواعه و تطبيقاته .

السجع في اللغة : هو من سَجَعَ يَسْجَعُ سَجْعَاً ، و((سَجَعَ الرجلُ إذا نطق بكلام له فواصل كقوافي الشعر من غير وزن كما قيل : لِصُّها بَطَلٌ ، وتمرها دَقَلٌ ، إن كثُر الجيش بها جاعوا ، وإن قلّوا ضاعوا يَسْجَعْ سَجْعا فهو ساجع وسجّاع وسجّاعة. والحمامةُ تَسْجَعُ سَجْعاً إذا دعت، وهي سَجُوع ساجعة، وحمام سُجَّع سواجعُ.))([1]) ، فهو تكرير الوزن في نهاية الفواصل من ناحية نهايات أو أطراف فقرات النص.

السجع في الاصطلاح : لا يختلف المعنى الاصطلاحي عن اللغوي ؛ إذ يفرق بينهما التخصيص فقط ، فقال عنه يحيى بن حمزة العلوي ت(٧٤٩هـ) : ((إعلم أنَّ هذا النوع من علوم البلاغة كثير التّدوار، عظيم الاستعمال فى ألسنة البلغاء ، ويقع فى الكلام المنثور، وهو فى مقابلة التصريع في الكلام المنظوم الموزون فى الشعر...، ومعناه فى ألسنة علماء البيان: «إتفاق الفواصل في الكلام المنثور في الحرف أو في الوزن أو في مجموعهما» ... واشتقاقه من قولهم : «سجعت الناقة»

---

[1]) كتاب العين ، مادة (سجع) : ٢١٤/١ . يُنظر : مقاييس اللغة مادة (سجع) : ١٣٥/٣ ، جمهرة اللغة ، مادة (سجع) : ٤٧٤/١ .

إذا مدت حنينها على جهة واحدة، ومنه سجع الحمامة إذا هدرت ، فإن اتفقت الأعجاز فى الفواصل مع اتفاق الوزن سُمِّيَ المتوازي كقوله تعالى : ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ * وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ﴾{الغاشية : ١٣- ١٤}))([1]) ، وهذا التعريف هو أشمل وأوضح تعريف اصطلاحي لمفهوم السجع البلاغي .

وكذلك ((السجع شعر العربية الثاني، وقواف مرنة ريضة خصت بها الفصحى، يستريح إليها الشاعر المطبوع، ويرسل فيها الكاتب المتفنن خياله، ويسلو بها أحيانا عما فاته من القدر القدرة على صياغة الشعر، وكل موضع للشعر الرصين ، من حكمة تخترع ، أو مثل يضرب ، أو وصف يساق ، وربما وشيت به الطوال من رسائل الأدب الخالص ، ورصعت به القصار من فقر البيان المحض ؛ وقد ظلم العربية رجال قبحوا السجع وعدوه عيباً فيها ، وخلطوا الجميل المتفرد بالقبيح المرذول منه : يوضع عنواناً لكتاب ، أو دلالة على باب ، أو حشواً في السياسة ، أو ثرثرة في المقالات العلمية...))([2]) ، ولكن ((يرى بعض العلماء ومنهم الباقلاني وابن الأثير كراهة إطلاق السجع على القرآن الكريم ؛ لأنه نوع من الكلام يعتمد الصنعة وقلَّما يخلو من التكلف والتعسف))([3]) ؛ إذ فرَّق بعض العلماء بين النصوص القرآنية والنصوص الأدبية بالنسبة للفواصل الواردة في بحوثهم، فالقرآن الكريم خرَّجوه عن خانة المصطلحات الأدبية وعتمدوا مصطلحات أخرى . والبحث يميل إلى ذلك لخصوصية القرآن الكريم في كل شيء . فقد أطلقوا على نهايات الآيات القرآنية ؛ (الفاصلة القرآنية) وهي تنسجم مع الخصوصية الخاصَّة للقرآن الكريم .

---

[1]) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز : ١٢/٣ .

[2]) أسواق الذهب ، أحمد شوقي بن علي بن أحمد شوقي ت(١٣٥١هـ) ، مطبعة الهلال ، مصر، د.ط ، ١٩٣٢هـ : ١٠٩/١ .

[3]) علوم البلاغة ، المراغي : ٣٦٣/١ .

- **أنواع السجع وسبل تطبيقها في شروح الزيارة الجامعة الكبيرة**

السجع حاله حال المصطلحات البلاغية التي تتفرع إلى أنواع متعددة ؛ و((من الدقة في التقسيمات والتفصيلات لدى علمائنا الأقدمين تقسيمُهُمُ السّجع إلى عدّة أقسام هداهم إليها واقع الأمثلة التي نظروا في شرحها وتحليلها، مع النظر في الاحتمالات العقلية التي تتعرّض لها الْجُمَل المسجوعة في اللّسان العربي.))([1]) فمن هذه الأنواع:

١. **المطرّف** : وهو اختلاف اللفظين المسجوعين في الوزن متفقين في الحرف الأخير([2]) ، وقد جاء هذا اللون في شروح الزيارة الجامعة الكبيرة ، فقد ذكر المجلسي الأوّل في ذكر لفظ (الأولى) في قول الإمام (عليه السلام) : ((**وَحُجَجِ اللهِ عَلى اَهْلِ الدُّنْيا وَالآخِرَةِ وَالأُولى**))([3]) ، قال : ((الأولى : كُرّر للتأكيد أو السجع...))([4]) ، إذ يرى الشارح أنَّ الكلمة مُكررة ، لأنَّها بمعنى الدنيا المذكورة في سياق العبارة ، وعلى سبيل الاحتمال قال : للسجع ، لأنَّها سُبقت بعبارة ((**وَالدَّعْوَةِ الْحُسْنى**))([5]) ، وإذا كانت كذلك ؛ فهي من السجع المطرّف ، في حين أنّ المقصود من (الأولى) . كما ذكرنا سابقاً . الظهورات التي سبقت عالم الدنيا ؛ كعالم الذر وعالم النور وعالم الماء وعالم الأصلاب وعالم الأرحام ...إلخ ، فلا تكرار في ذلك ، ومن الممكن أنّ للسجع مكان هنا على سبيل التذكير والتأكيد وبيان المقام العالي لآل محمد (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) ؛ وهذه هي الحكمة المرادة من السجع .

---

[1]) البلاغة العربية ، الميداني : ٥٠٤/٢ .
[2]) يُنظر : المصدر نفسه : ٥٠٦/٢ ، جواهر البلاغة : ٢٤٨ .
[3]) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، المجلسي الأول : ٥٢ .
[4]) المصدر نفسه : ٥٢ .
[5]) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، المجلسي الأوّل : ٥١ .

وقد ذهب الأحسائي والوحيدي في بيان هذه الفقرة([1])، إلى السجع فيها.

ومن هذا اللون جاء في شرح قول الإمام الهادي (عليه الصلاة والسلام) : ((**وَأُولِى الْحِجى**))([2]) ، قال الأحسائي في ذكر مفردة (حجى) في سياق الجمع : هي ((من حجا بالمكان حجواً أقام به([3]) أو من حاجيته محاجاةً و حِجاءً فحجوتُه أي فاطَنْتُهُ فغلبته أو من الحجا أي الستر كما في الحديث : **مَنْ بَاتَ عَلَى ظَهْرِ بَيْتٍ لَيْسَ عَلَيْهِ حِجَابٌ فَقَدْ بَرِئَتْ مِنْهُ الذِّمّةُ** أي ليس عليه ستر يمنعه مِن السقوط وإنَّما أتى بالجمع في النهي والمفرد في الحجى للسّجع وإلّا فقد تقدّم أنّ الجمع هناك ليس لأنَّ عقولهم متعددة حقيقة وإنَّما هو لموافقة التعدّد ظاهراً فهنا أدلّ على الباطن وهناك أدلّ على الظاهر))([4]) ، علّل الشارح مجيء المفرد في سياق الجمع ؛ وهو إتيان (حجى) بالإفراد مع (أُوْلِي) وهي جمع ، ودلل على ذلك بتوحيد عقولهم (صلوات الله عليهم) وأنَّهم يصدرون من سراج واحد بعقل واحد ولسان واحد ومنهج واحد على الرغم من تعدد أدوارهم ؛ إلّا أنَّ هدفهم واحدٌ ، فكان السجع المطرَّف فيها ليس لغرض السجع بقدر ما هو لتأكيد المعنى وتنبيه المتلقي له ، فما السجع في هذه الفقرة إلّا وسيلة لبلوغ الغاية في المعنى .

وجاء السجع المطرّف في شرح قول الإمام الهادي (عليه الصلاة والسلام) : ((**وَأَهْلِ الذِّكْرِ وَأُولِى الأَمْرِ**))([5]) ، قال الأحسائي : ((...الأمر إذا قيل ولاة الأمر

---

[1]) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، الأحسائي : ١٥٨/١ ، ١٦٥ ، أنوار الولاية الساطعة ، الوحيدي : ٥٩ .

[2]) المصدر نفسه : ١٣٦/١ .

[3]) كذا في الأصل ، والصواب : فيه ، على الظرفية .

[4]) المصدر نفسه : ١٣٦/١ .

[5]) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، الأحسائي: ٢٤٦/١ .

وأُولوا الأمر وهي المحتومات في عالم الغيب ومنها المحتوم في عالم الغيب والشهادة وقد تقدم بيان هذا ولو قيل المراد بهذا الأمر في أُولي الأمر مَا يقابل النهي وإنَّما حُذف النهي للسجع و الأمر يدلّ عليه أو إنّه استعمل فيما يعمهما على معنى أنّ المراد به مطلق الطلب أمكن وإن كانَ بعيداً أمَّا على ما تقدّم فهو داخل قطعاً.))([1])، فالأمر هنا جاء . بحسب قول الشارح . لغرض السجع المطرَّف ، إلَّا أنَّ السياق كان بصدد تعدد المقامات العالية بإشارات قرانية وإحالات من قبل الإمام (عليه السلام) بطريقة التخصيص ؛ بأنَّهم (عليهم السلام) هم أهل الذكر المُشار إليهم في كتاب الله تعالى ، وولاة الأمر ؛ فهم لهم هذه المقامات لا لغيرهم حقٌّ فيها ، فالسجع جاء لا لبيان السجع أو قُصد منه الغرض البلاغي ؛ وإنَّما جاء لبيان مقام وتخصيص ذلك المقام ، وهذه هي حكمته التي أراد بيانها بوساطة جماليات المفردة .

وهناك نوعان آخران للسجع وهما : **المرصَّع** ، **والموازي**([2]) ، إلّا أنَّ شروح الزيارة الجامعة الكبيرة لم تذكر هذين النوعين من أنواع السجع .

---

[1]) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، الأحسائي : ٢٤٦/١ .

[2]) يُنظر : البلاغة العربية ، الميداني : ٥٠٥.٥٠٤/٢ ، جواهر البلاغة : ٢٤٩ .

المطلب الثاني

المبالغة

حدُّها ، وتطبيقاتها في شروح الزيارة الجامعة الكبيرة

سبق وقد تم تعريف المبالغة في سياق بيان مفهوم البلاغة في اللغة ، وهي بلوغ غاية الشيء ، والمبالغة : الإجتهاد وبذل الجهد للبلوغ([1]) والإطاقة فيه .

أمَّا في **اصطلاح البلاغيين** ؛ فلا يبعد عن المعنى اللغوي ؛ فهو ((أنْ تبلغ بالمعنى أقصى غاياته وأبعد نهاياته ، ولا تقتصر بالعبارة عنه على أدنى منازله وأقرب مراتبه))([2])، فهو الوصول بالدلالة إلى أقصاها باستعمال الترديد أو تشديد أو تكرار الأحرف في بنية الكلمة لتُشعر المتلقي بزيادة المعنى.

وقد اشتركت المبالغة مع مصطلحات أخرى : كالغلو والإغراق والإفراط في الصفة والتفريط في النسبة([3]) ، إلّا أنَّ لكلِّ مصطلح من هذه المصطلحات دلالته الخاصَّة التي ينماز بها عن الآخر ؛ وإن كانت هذه الميزة دقيقة ، إلَّا أن الأغراض التي تخرج إليها المبالغة ؛ تُشير إلى بعض هذه المصطلحات ، إذ تُستنبط من السياق والقرائن الحالية والمقامية الخاصَّة في عبارات المبالغة .

- **المبالغة في شروح الزيارة الجامعة الكبيرة**

جاءت المبالغة في شرح قول الإمام (عليه السلام) : ((**اَلسَّلامُ عَلَيْكُمْ يا أَهْلَ بَيْتِ النُّبُوَّةِ**))([4]) ، ذكر الهمداني اسم الله سبحانه (السلام) في سياق شرحه لهذه

---

[1]) يُنظر : مقاييس اللغة : ٣٠٢/١ ، لسان العرب ، مادة (بلغ) .
[2]) كتاب الصناعتين : ٣٧٨ .
[3]) يُنظر : كتاب البديع : ٦٥ ، نقد الشعر : ١٤٦ .
[4]) الشموس الطالعة من مشارق الزيارة الجامعة ، الهمداني : ٢١ .

العبارة المباركة ؛ وقال : ((...وإنَّما سمّى تبارك وتعالى نفسه " السَّلام" مبالغة لهذه الصفة فيه تعالى ، لأنَّه ليس شيء([1]) في عالم من العوالم إلّا وهو بتسليم من الله تعالى إلى خلقه ، فسمّى نفسه " سلاماً " مبالغة .))([2]) ، وبحسب أنواع المبالغة ؛ إنَّ نوع هذه المبالغة؛ مبالغة إغراق ، والتي تعني : أنّ الإدِّعاء فيها ممكنٌ لا عادة([3]) ، في حين أنّ الشارح لم يذكر نوعها وذكر أصل اللفظ فقط ، والمراد من الإتيان بالمبالغة ؛ هو الكشف عن الحكمة المستغلقة خلف أسوار الألفاظ ، وهو مخ البلاغة وأساسها، فالمبالغة أوريد منها التأكيد وإثراء المعنى باللفظ المبالغ فيه .

ووردت المبالغة في شرح قوله (عليه السلام) : ((**وَذَوِي النُّهَى**))([4]) ، ذكر الأحسائي لفظ (الملائكة) وأشار إلى تركيبها الصرفي ؛ فقال : ((ملك أصله مألك فقدّمت اللّام وأخّرت الهمزة ووزنه مَعْفَل مأخوذ من الأَلُوكة وهي الرسالة ثم تركت الهمزة لكثرة الاستعمال فقيل ملَكَ بالتحريك فلمّا جمعوه ردّوه إلى أصله يعني قبل الحذف لا قبل التقديم والتأخير فقالوا [:]ملائك فزيدت التاء للمبالغة أو لتأنيث الجمع))([5]) ، نوع المبالغة هنا تبليغية ؛ إذ تعني : الادعاء فيها ممكن عقلاً وعادة([6])، ولم يكن هذا الرأي في مفهوم الملائكة الصرفي ؛ للشارح ، وإنَّما لابن السراج ت(٣١٦هـ) ، في قوله : (("مَلكٌ" إنَّما هُو"مَلأَكٌ" فلمَّا جَمعوهُ وردوهُ إلى أَصلهِ

---

[1]) كذا في الأصل ، والصواب : شيئاً ، لأنَّه خبر ليس .
[2]) الشموس الطالعة من مشارق الزيارة الجامعة ، الهمداني: ٢١ .
[3]) يُنظر : الطراز : ٦٨/٣ ، جواهر البلاغة : ٢٣٠ .
[4]) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، الأحسائي : ١٣٦/١ .
[5]) المصدر نفسه : ١٣٦/١ .
[6]) يُنظر : الطراز : ٦٨/٣ ، جواهر البلاغة : ٢٣٠ .

قالوا: ملائكةٌ وملائكُ))([1]) ولم يُشر الشارح إلى الأصل ، وزاد على ذلك الأسترابادي ت(٧١٥هـ)، في تكملة قول الشارح ، قال : ((ملأك، قيل: إنه مَعْفَل؛ لأنهم قالوا في جمعه: ملائكة، وهذا يدل على إرادة الهمزة في واحده، فوجب أن يكون ملأك معفلا، من الألوكة وهي الرسالة، والمُلك فيه معنى الرسالة؛ لأن الملك مرسل، فوجب أن يكون أصله مألكا فقلب؛ أي: نقل الفاء إلى موضع العين، والعين إلى موضع الفاء ليمكن تخفيفه بنقل "حركة الهمزة" إلى اللام [بعد حذف الهمزة] ، وقيل: ملأك ثم خفف بحذف الهمزة ونقل حركتها إلى اللام فقيل: ملك.))([2]) ، فالأصل الصرفي ذُكر في المصادر القديمة ولم يذكرها الشارح ، إلّا أنَّه تنبه إلى زيادة التاء في (ملائكة) إذ جاءت للمبالغة التبليغية .

وقد وردت المبالغة في شرح الأحسائي في غير موضع ؛ منها ما جاء شرحه لقول الإمام الهادي (عليه السلام) : ((**المُطيعُونَ لِله القَوَّامُونَ بأمْرِه**))([3]) ، فقال : ((القوّامون جمع قوّام و هو للمبالغة في قائم إمّا على معنى أنّهم كثيرو القيام بأمر الله وإمّا على معنى أنّهم شديدوا القيام بأمر الله والمعنيان مُرادان معاً والمراد من الأوّل أنّهم لم يتجاوزوا أمر الله في قليل أو كثير في واجبٍ أو مندوبٍ ولا نهياً في حرامٍ أو مكروهٍ إلّا قاموا به كما أمرهم الله على أكمل ما ينبغي...))([4])، أشار الشارح

---

[1]) الأصول في النحو ، أبو بكر محمد بن السري بن سهل النحوي المعروف بابن السراج ت(٣١٦هـ) ، تحقيق : عبد الحسين الفتلي ، مؤسسة الرسالة، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٩٩٩م : ٣٣٩/٣ .

[2]) شرح شافية ابن الحاجب ، حسن بن محمد بن شرف شاه الحسيني الأستراباذي، ركن الدين ت(٧١٥هـ) ، المحقق: د. عبد المقصود محمد عبد المقصود ، مكتبة الثقافة الدينية ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ٢٠٠٤م : ٥٩٤/٢ .

[3]) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، الأحسائي : ٣١٦/١ .

[4]) المصدر نفسه : ٣١٧/١ .

للمبالغة من طريق تضعيف (الواو) في (قوّامون) ؛ وهذا تحليل صرفي واستنباط الحكم بوساطة اللغة الصرفيّة ، وما هو سائد في التعبير اللغوي ؛ كلّ زيادة في المبنى تؤدي إلى زيادة في المعنى([1]) ، نعم هذه مبالغة تبليغية ممكنة عقلاً وعادة في الحصول أو الوقوع ، وإلى هذا المعنى ذهب الصدر في شرحه([2]) .

وقد وردت المبالغة في مواضع أخرى في شرح الأحسائي([3]) وما ذكرناه على سبيل التمثيل لا الحصر.

ووردت المبالغة في شرح قوله (صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين) : ((وَبَقِيّةِ اللهِ))([4]) ، قال الوحيدي : ((فإنّهم عليهم السلام بقايا الخلفاء والحجج الإلهية في الأرض من الأنبياء والأوصياء الماضين عليهم السلام كما ورد في روايات صحيحة أنّه لما يظهر الإمام القائم «عجّل الله تعالى فرجه الشريف» في مكّة المعظمة يسند ظهره على الكعبة ويقول: **أنا بَقِيَّةُ اللهِ ، وَبَقِيَّةُ اللهِ خَيْرٌ لَكُم**.

ولعل هذا الكلام أشار إلى الآية الكريمة في قوله تعالى : ﴿**بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ**﴾. وأحياناً ورد بمعنى الرّحمة ، أي هم رحمة الله تعالى التي منَّ بها على عباده، ولأجل ذلك ورد الحديث الذي ورد في وصفهم: **أنتم بقيّة الله في عباده.**

ويحتمل أن يكون المعنى : الذين بوجودهم الشريف أبقى الله تعالى نعمه على عباد ورحمهم ؛ إذاً ، بهذه الصّورة يمكن حملها على المبالغة لقوله تعالى : ﴿**أُولُو**

---

[1]) يُنظر : التعبير القرآني ، د. فاضل صالح السامرائي ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ٢٠١٧م : ٢٨ .

[2]) يُنظر : في رحاب الزيارة الجامعة الكبيرة ، الصدر : ٢٥١ .

[3]) يُنظر : شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، الأحسائي : ١٠٨/١، ٢١٦ ، ١٩١/٤ .

[4]) أنوار الولاية الساطعة ، الوحيدي : ٩٧ .

﴿بَقِيَّةٍ﴾))([1]) ، أشار الشارح باحتمالية المبالغة التي نوعها هنا ؛ مبالغة إغراق ، التي من الممكن تقبلها عقلاً لا عادة ، إلّا أنّ (البقيَّة) ليست فيها مبالغة ؛ لأنَّ البَقيَّة هي التمثيل الكامل لما تُضاف إليه ، فهم (عليهم السلام) التمثيل الحقيقي والصورة الجليلة التي جعلها الله تمثله في الأرض .

اختلف أهل اللغة في معنى (بقيَّة) وذكروا معان عدة لها ؛ منها : ((بَقِي: قَالَ اللَّيْث: تَقول الْعَرَب: نشدتُك الله والبُقْيا، وَهِي البقِيّة.

أَبُو عُبَيدٍ عَن الكسائيّ قَالَ: البَقْوَى والبُقْيا هِيَ الْإِبْقَاء، مِثل الرَّعْوَى، والرُّعْيَا مِن الإرعاء على الشَّيْء، وَهُوَ الإبقاءُ عَلَيْهِ.

الْعَرَب تَقول للعدوّ إِذا غلب: البقيَّة أَي: أَبقوا علينا وَلَا تستأصلونا... وَقَوله: ﴿أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ﴾ (هود: ١١٦) من دينٍ، قومٌ لَهُم بقيّة: إِذا كَانَت بهم مُسْكَة، وَفِيهِمْ خير.

قَالَ الْأَزْهَرِي: البقيّة: اسمٌ من الْإِبْقَاء، كَأَنَّهُ أَرَادَ، وَالله أعلم: فلولا كَانَ من الْقُرُون قومٌ أُولوا إبقاءٍ على أنفسهم لتمسكهم بالدِّين المرضيّ... (فلولا) : فَمَا كَانَ. وَلِأَن انتصاب قَلِيلا على انقطاعٍ من الأول.

وَقَالَ الفرّاء: قَوْله: ﴿بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ (هود: ٨٦) ، أَي: مَا أبقى لكم من الْحَلَال خير لكم. قَالَ: وَيُقَال: مراقبة الله خير لكم.

اللَّيْث: بَقِيَ الشيءُ يَبْقَى بقَاءً، وَهُوَ ضِدُّ الفناء. وَيُقَال: مَا بقيَت مِنْهُم باقيةٌ، وَلَا وَقاهم من الله وَاقية. وَقَالَ الله جلَّ وعزَّ: ﴿خَاوِيَةٍ فَهَلْ تَرَى لَهُم مِّن بَاقِيَةٍ﴾ {الحاقة/ ٨} .

---

[1]) أنوار الولاية الساطعة ، الوحيدي : ٩٧.٩٨. يُنظر: تفسير نور الثقلين : ٢ / ٣٩٢ ، تفسير الصافي: ١/ ٤٦٨.

قَالَ الفرّاء: يُرِيد من بَقَاء، وَيُقَال: هَل تَرى مِنْهُم بَاقِيا، كلُّ ذَلِك فِي العربيّة جائزٌ حَسَن. وَقَالَ اللَّيْث: الْبَاقِي حَاصِل الْخراج ونحوِه.))([1]) ، كل هذه المعاني ممكنة مع (بقية) ، لكن إضافتها لجلال الله تعالى تختلف ، يبدو أنَّ الإمام أشار من طريقها إلى الرواية الواردة عن الإمام أبي جعفر الباقر (عليه السلام) : ((**لو أنَّ الإمامَ رُفِعَ من الأرضِ ساعةً لماجتْ بأهلِها كما يموجُ البحرُ بأهلِهِ**))([2])، فبوجودهم الأرض باقية؛ وبقاء أهلها ببقائهم (عليهم السلام)، فبقيَّة الله : كل شيء أبقاه الله ببقائكم ؛ والله أعلم.

ووردت المبالغة في موضع آخر في شرح الوحيدي([3]) ، وذكرنا مورداً خشية الإطالة والإسهاب .

وجاءت المبالغة في شرح قول الإمام (عليه السلام) : ((**وَرَضِيَكُمْ خُلَفاء فى اَرْضِهِ**))([4]) ، قال الصدر في مفهوم الخلفاء والخليفة : ((الخلفاء : جمع خليفة ، وهو في اللغة من يقوم مقام الشخص ويسدّ مسدّه ، والتاء فيه للمبالغة . والخليفة : هو المدبّر للأُمور من قِبَلِ غيره بدلاً من تدبيره ، وفلان خليفة الله في أرضه معناه أنّه جعل الله إليه تدبير عباده بأمره . وفي العرف يراد بالخليفة معنيان : كونه خَلَفاً لمن قبلَه ، أو مدبّراً للأُمور من قِبَل غيره. وهذه الخلافة والنيابة إن كانت من قِبَل الله تعالى فهي تشريف للخليفة ، كما في مثل : ﴿**يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ**﴾ .

---

[1]) تهذيب اللغة ، مادة (بقي) : ٢٦٠/٩ . يُنظر : الصحاح ، مادة (بقي) : ٢٢٨٤/٦ .
[2]) شرح أصول الكافي :٥٠٢/٢ .
[3]) أنوار الولاية الساطعة ، الوحيدي : ٥٥ .
[4]) في رحاب الزيارة الجامعة الكبيرة ، الصدر : ٢٧٣ .

وحقيقة الخلافة من الله تعالى هي النيابة عنه عزّ إسمه.))([1]) ، هذا الرأي رأيٌ نحوي، ذهب إليه أبو جعفر النحاس ت(٣٣٨هـ) في قوله : ((وأما الهاء في "خليفة" ففيها ثلاثة أقوال: من النحويين من يقول: إنَّه أدخلت الهاء فيه للمبالغة، كما يقال: داهيةٌ؛ وهذا قول الفراء... قال أبو جعفر: ولكن النحويين ذهبوا إلى أن الهاء للمبالغة؛ وهذا أحسن ما قيل فيه، كما يقال روايةٌ وعلامةٌ...))([2]) ، فكان تحليل الشارح لمفهوم الخليفة ؛ تحليلاً نحويَّاً ، إلّا أنَّه لم يُشر إلى الرأي النحوي في ذلك ، لعلَّه اعتمد على حفظه ؛ وهذا وارد عند الشُّرَّاح ، إذاً : زيدت التاء للمبالغة في المفهوم النحوي وتبنّاه الشارح، ويبدو أنَّ التاء لم تكن زائدة وإنَّما وزن (فعليلة) تدلّ على المداومة واستمرار الأمر ، وهذه مبالغة تبليغية .

---

[1]) في رحاب الزيارة الجامعة الكبيرة ، الصدر : ٢٧٣ .

[2]) عمدة الكتاب ، أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي المعروف بأبي جعفر النحّاس ت(٣٣٨هـ) ، المحقق: بسام عبد الوهاب الجابي ، دار ابن حزم – الجفان والجابي للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤ م : ١/١١١.١١٢ .

المبحث الثاني

المقابلة : حدُّها ، وتطبيقاتها

من جماليات الألفاظ التي عنى بها البلاغيون في بحوثهم ودراساتهم ؛ المقابلة وإلى جانبها (الطباق) ، ولا نريد أن نُسهب في الكلام عن هذين اللونين البديعيينِ بقدر ما يهمنا في الدراسة من حدٍّ وتطبيق ورد في شروح الزيارة الجامعة الكبيرة ؛ فقد أورد الشُّرَّاح المقابلة فقط في شروحهم ؛ لذا فقد خصص المبحث في المقابلة من الطباق .

المقابلة في اللغة :

مصدر من قابلَ يُقابلُ مقابلةً ، فهي والتقابل واحد ؛ يراد منها المواجهة([1]) ، وكذلك ؛ التقابل : التعادل إذا كان وزنه : فاعله([2]) .

المقابلة في الاصطلاح :

تتبع الدارسون المقابلة من التأسيس إلى الإجراء الاصطلاحي البلاغي حتى استوى مصطلحاً مستقِلّاً بذاته ، فصار لزاماً علينا بذكر حدِّه المشهور، فهي ((أنْ تجمع بين شيئين متوافقين أو أكثر ، وبين ضدِّيهما ثُمَّ إذا اشترطتَ هنا شرطاً شرطتَ هناك شرطاً ضده ، كقوله تعالى : ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾{الليل/١٠} ، لمَّا جعل التيسير مشتركاً بين الإعطاء والاتقاء والتصديق جعل ضدَّه هو التعسير مشتركاً بين أضداد تلك وهي المنع والاستغناء

---

[1]) يُنظر : معجم مقاييس اللغة مادة (قبل) : ٢٥١/٥ ،أساس البلاغة مادة (قبل) : ٢٢٦/٢ ، لسان العرب ، مادة(قبل) .

[2]) لسان العرب ، مادة (وزن) .

والتكذيب))([1])، فالمقابلة : الجمع بين أضدادٍ متعددة في نصٍّ لغوي واحد ، والفرق بينها وبين الطباق، فالطباق : هو الجمع بين ضدين في نصٍّ لغوي واحد ؛ سواء كانا اسمين أو فعلين أو حرفين([2]).

- **المقابلة في شروح الزيارة الجامعة الكبيرة**

لم نجد حداً للمقابلة في الشروح المختارة ؛ إلَّا أنَّ الشارحين ذكروا موارد المقابلة في مواضع كثيرة ، منها ما جاء في شرح قول الإمام الهادي (عليه السلام) : ((**وَآياتُ اللهِ لَدَيْكُمْ ، وَعَزائِمُهُ فيكُمْ ، وَنُورُهُ وَبُرْهانُهُ عِنْدَكُمْ**))([3]) ، قال الجزائري : ((...**وَعَزائِمُهُ فيكُمْ** أي الجد والاجتهاد في أمور الطاعة حاصل فيكم لا في غيركم.

أو يكون المراد من العزائم : ما قابل الرُّخص، وأنتم تعلمون بالتكاليف الشَّاقَّة كما قال أمير المؤمنين عليه السلام : **مَا اعْتَرَضَ لِي بَابَانِ مِنْ الحَلَالِ إلَّا أَخَذْتُ بِأشقِّهِمَا عَلَى نَفْسِي.**))([4]) ، أشار الشارح إلى المقابلة على سبيل الاحتمال ، فالعزيمة : ((الأمرُ اللازم فعله ولم يؤخذ فيه الاختيار ، والرُّخصة : عكسه ، وهو الفعل المرخَّص في إتيانه وتركه))([5]) فهذا الرأي أصولي أراد الشارح منه بيان معنى العزيمة، أمَّا من وجهة نظر البلاغة ؛ فهنا مطابقة وليست مقابلة ، لأنَّها بين لفظين

---

[1]) مفتاح العلوم : ٤٢٤ .

[2]) يُنظر : جواهر البلاغة : ٢٢٠ .

[3]) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، الجزائري : ٢٥٢ . ولم أجد الحديث في كتب الحديث الخاصّة بروايات أهل البيت (عليهم السَّلام) لعلّ الشارح أشار إليه من باب شهرته في زمنه .

[4]) المصدر نفسه : ٢٥٢ .

[5]) وسائل الشيعة : ١٠٨/١ .

وهي من طباق الإيجاب الذي لا نفي في سياقه ، ولعلَّه قصد بذلك المطابقة إلّا أنَّه يرادف بينها وبين التقابل ، وهذا وارد ، وإلى هذا ذهب الصدر في شرحه([1]).

ووردت المقابلة في شرح الهمداني ؛ إذ استشهد بقوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ﴾ {الزمر/١٧} ، قال الهمداني : ((فإنَّك ترى تقابل الله في هذه الآيات مع الطاغوت))([2]) ، ذكر الشارح تقابل الله مع الطاغوت فقط ؛ في حين أنَّ المطابقة في الآية حاصلة بين جهتين في السياق ، جهة في قوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ﴾ و ﴿وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ﴾ ، أي : بين (الاجتناب ، والإنابة) و(الطاغوت ، والله) ، فذكر طرفاً وترك الآخر ، ويبدو أنَّه تركه لوضوحه أمام المتلقي فلم يُرد أن يوضِّح الواضحات .

وجاءت المقابلة أيضاً في شرح الهمداني ، فهو يشرح مرتبة الأسماء وبيان أضدادها في قوله : ((فلابدَّ في مرتبة الأسماء من أن تكون لكل صفة أسماء بمقدار ما لها من المراتب والشؤون المتضادّة ، لأنَّ النور . مثلاً . لا يمكن أن يكون علَّة للظلمة ، والوجود لا يمكن أن يكون أثره العدم ، والخير لا يؤثر الشرَّ ... ومن هنا ينشأ اسم (المضل) في عرض (الهادي) ، و(الشيطان) في عرض (الله) ، و(الظلمة) في مقابل (النور) ؛ وبالجملة الأسماء غير الحسنى في عرض الأسماء الحسنى ، والعروة الوثقى في عرض غير الوثقى والأمثال العليا وغير العليا.))([3]) ، يوازن الشارح بين المتطابقات في مراتب الأسماء الواردة في نصِّه ، ولكنّ الأمر إن كان كلّ طباق على حدة ؛ فهذا النصّ فيه من الطباق الإيجابي وطباق السلبي ؛ وإن

---

[1]) يُنظر : في رحاب الزيارة الجامعة الكبيرة ، الصدر : ٣٧٦ .

[2]) الشموس الطالعة من مشارق الزيارة الجامعة ، الهمداني : ٢٤٩ .

[3]) المصدر نفسه : ٣٣٢ . ووردت المقابلة في مواضع أخرى في شرح الهمداني ، يُنظر : ٤٠٠ ، ٥١٢ .

كان النصّ محكوماً بالبيان بكليَّته ؛ هو من المقابلة ، فقد تنبَّه الشارح إلى كليَّة النصّ لذا وردت المقابلة في نصِّه .

ولم يفتقر شرح الإحسائي لموضوعات المقابلة ، حيث ذكر هذا اللون البلاغي في سياق شرحه لقول الإمام (عليه السلام) : ((**وَرَضِيَكُمْ خُلَفَاءَ فِي أَرْضِهِ**))([1]) ، فقال : ((...أرادَ الله أن يعمّر أرضه بقائمٍ بالحقّ بعد ما أفسد فيها الجن والشيطان فالتفتَ (عليه السلام) إلى إنّ خلافتهم ، وإن كانت عامّة لأهل الأرض وأهل السماء ومَن في الغيب والشهادة وأهل الدّنيا والآخرة ؛ لُوحِظ فيها مقابلة خلافة أهل الجور والطّغيان من الشّيطان شيطان هذه الأمّة و جنوده ذرّيّة الجنّ من أهل الزّيغ والعدوان وكانت في الأرض فرضيهم الله تعالى خلفاء في أرضه ليقيموا العدل فيها ويملئوها قِسْطاً كما ملأها شياطين الإنس والجنّ ظلماً وجوراً وإلّا فخلافتهم عامّة لكلّ شيء..))([2]) ، افترض الشارح المقابلة بين المذكور والمسكوت عنه في سياق كلام الإمام (عليه السلام) ، في حين أن الإمام لم يذكر الصفات المقابلة لخلفاء الشيطان، وقام الشارح باستنباطها من المعنى الأول المثبت في الزيارة الشريفة ، وهذا من باب (ذكر الشيء والمراد به بيان ضدَّه) وهو أسلوب بلاغي رائع يتمكن منه صاحب الحسِّ البلاغي المرهف ، فكان الشارح موفقاً في ذكر هذا اللون هنا ، فقد بيَّن الحكمة المستغلقة من ذكر خلفاء الله تعالى وكيفيَّة رضى الله تعالى لهم وتمكينهم في خلقه ، وفي المقابل أشار إلى أتباع الشيطان ومريديه وهذا لا يتأتى لكل باحث في النصوص المقدَّسة ؛ إذ يحتاج إلى رياضات خاصَّه للوصول إلى جريان الحكمة على قلبه ولسانه.

---

[1]) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، الأحسائي : ٣٤٨/١ .

[2]) المصدر نفسه : ٣٥٠/١ .

ومن ذلك أيضاً ما جاء في شرحه لقول الإمام العاشر (عليه السلام) : ((**وَصَفْوَةَ الْمُرْسَلِينَ**))([1]) ، قال : ((...فابان (عليه السلام) انفراد طينتهم عن كل أحد حتى الأنبياء و المرسلين بدليل قوله (عليه السلام) بعد ذلك و خلق أرواح شيعتنا من أبدانِنا وابدانهم من طينةٍ مخزونةٍ أسفل من تلك الطينة و لم يجعل الله لأحدٍ في مثل الذي خلقهم منه نصيباً إلّا الأنبياء والمرسلين ... فإنَّه أدخل طينة الأنبياء والمرسلين في طينة شيعتهم التي هي أسفل طينتهم فإذا أُدخِلَتْ طينتهم في طينة الأنبياء والمرسلين كان ذلك لملاحظة مقابلة طينة الجاحدين والكافرين...))([2])، يُحيل الشارح كلامه إلى الحديث الشريف الوارد عن ((جَابِرٍ الْجُعْفِيِّ قَالَ: كُنْتُ مَعَ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ عليه السلام فَقَالَ عليه السلام : **يَا جَابِرُ خُلِقْنَا نَحْنُ وَ مُحِبِّينَا مِنْ طِينَةٍ وَاحِدَةٍ بَيْضَاءَ نَقِيَّةٍ مِنْ أَعْلَى عِلِّيِّينَ فَخُلِقْنَا نَحْنُ مِنْ أَعْلَاهَا وَ خُلِقَ مُحِبُّونَا مِنْ دُونِهَا فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ الْتَفَّتِ الْعُلْيَا بِالسُّفْلَى وَ إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ ضَرَبْنَا بِأَيْدِينَا إِلَى حُجْزَةِ نَبِيِّنَا وَ ضَرَبَ أَشْيَاعُنَا بِأَيْدِيهِمْ إِلَى حُجْزَتِنَا فَأَيْنَ تَرَى يُصَيِّرُ اللَّهُ نَبِيَّهُ وَ ذُرِّيَّتَهُ وَ أَيْنَ تَرَى يُصَيِّرُ ذُرِّيَّتُهُ مُحِبِّيهَا** فَضَرَبَ جَابِرٌ يَدَهُ عَلَى يَدِهِ فَقَالَ دَخَلْنَاهَا وَ رَبِّ الْكَعْبَةِ ثَلَاثاً))([3]) ، وقد ذكر الإمام لفظ (الصفوة) وأرد بسببها بيان التقابل الدلالي لهذه المفردة مع قرينتها (المرسلين) فهنا الإضافة لا تدل على المغايرة؛ وإنَّما تدل على السنخيّة ، وتنبّه الشارح إلى التقابل بين الصفوة ـ وهم الأئمة ـ الخالصة والتابعة لسنخيَّة المرسلين ، بطريقة الذكر ؛ وأراد من طريقه بيان المسكوت عنه وهم سنخيَّة الجاحدين والكافرين، ويُشار إلى هذا الشرح بالبنان بوضع الإشارة من قبل الشارح على ما ورائيات الألفاظ المذكورة ، والدراسة تميل إلى هذا المعنى .

---

[1]) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، الأحسائي : ١/١٠٦ .
[2]) المصدر نفسه : ١/١٠٦ .
[3]) بصائر الدرجات : ١/١٦.١٥ .

ولم تكن هذه الموارد من المقابلة في شرح الأحسائي فحسب([1]) ؛ وإنّما ذكرنا موردين للمثال لا الحصر .

ومثلها جاء في شرح الميلاني ؛ فقد استشهد بقوله تعالى : ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاء وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاء وَتُعِزُّ مَن تَشَاء وَتُذِلُّ مَن تَشَاء بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾{آل عمران/٢٦} ، وقال : ((و(الخيرُ) يُقابل (الشرَّ) كما هو واضح ... الخير ما يرغب فيه الكل ، كالعقل مثلا والعدل والفضل والشيء النافع...))([2]) ، وعلى رأي الشارح ؛ هنا طباق إيجاب وليست مقابلة على نحو البلاغة ، في حين أنّ الآية المباركة فيها من المقابلة ما كان واضحاً ؛ فقد جاء التقابل بين ﴿تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاء﴾ ﴿وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاء﴾ وكذلك بين ﴿وَتُعِزُّ مَن تَشَاء﴾ ﴿وَتُذِلُّ مَن تَشَاء﴾ فكانت الإشارة إلى ذلك أولى من حيث البلاغة القرآنية ، فإنَّ الحكمة المستغلقة في الآية المباركة توضحها المقابلة وهي الإحاطة الإلهية وإحكام قبضة القدرة على كلِّ شيء ، ولا يعزب عن الله سبحانه وتعالى أي شيء ، صغيراً كان أم كبيراً ، حسّيَّاً كان أم عقليّاً، ماديَّاً كان أم ظنّيَّاً ...إلى آخره ، فالإشاءة والعزَّة والإيتاء والانتزاع ؛ تحت أمر الله تعالى فليُسلِّم المخلوق أمره لله تعالى .

فضلاً عن ذلك ؛ استشهد الميلاني بقوله تعالى : ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاء الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾{الأنبياء/٧٣} ، فقال : ((فهم يهدون الناس إلى الله والرسوله وإلى ما يهديان إليه ... وفي المقابل أئمة يدعون إلى النار... قال سبحانه وتعالى : ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى

---

[1]) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، الأحسائي : ٥٨/١ ، ٨/٤ ، ١٦ ، ٢٧ ، وغيرها .
[2]) مع الأئمة الهداة ، الميلاني : ١١٥ .

النَّارِ...﴾{القصص/٤١}))([1]) ، وازن الشارح بين الآيتين المباركتين وبيَّن ما بينهما من تقابل ، وهنا التقابل معنوي يكشف عنه سياق الآيتين ؛ إذ لو نظرنا بين ألفاظ الآيتين فلا نجد تقابلاً بين الألفاظ ؛ فلا تقابل بين (يهدون ويدعون) ولا في (بأمرنا، إلى النار) ، إلَّا أنّ المعنى العام للآيتين يتضح من طريقه التقابل المعنوي بين أئمة الهدى وأئمة الجور ، ومآل دعوتهما (الجنة والنار) ، فتنبَّه الشارح إلى هذا التقابل بوساطة حسِّه البلاغي والحصيلة اللغوية التي يمتلكها ليصل من طريقه إلى الحكمة من إيراد هذا التقابل وتفكيك الإستغلاق المعنوي وكشف العلم المراد بيانه بوساطته ألا وهي الدعوة إلى التمسُّك بأئمة الهدى واتباعهم والتسليم لهم ، ومن جهة أخرى ؛ التحذير والترهيب من أئمة الضلال لأنَّهم يدعون إلى النار ، والدراسة تميل إلى هذا المعنى .

وذكر الميلاني مواضع أخرى للمقابلة في شرحه([2]) وما ذكرناه للمثال لا للحصر.

ومن موارد المقابلة الواردة في شروح الزيارة الجامعة الكبيرة ؛ ما جاء في شرح قول الإمام العاشر (عليه السلام) : ((**وَبَرِئْتُ اِلَى اللهِ عَزَّوَجَلَّ مِنْ اَعْدائِكُمْ ...وَمِنَ الأئِمَّةِ الَّذينَ يَدْعُونَ اِلَى النّارِ**))([3]) ، قال الصدر : ((أي وبرئت إلى الله عزّ وجلّ من أئمّة الضلالة الذين يدعون إلى النار. فإنّهم بأعمالهم وعقائدهم الموصلة إلى النار يكونون دعاة النار ، في مقابل أئمّة الحقّ الذين هم دعاة الجنّة وقادة الهداية إلى الجنان.

قال تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴾.

---

[1]) مع الأئمة الهداة ، الميلاني : ١٤٩ .
[2]) المصدر نفسه : ١٥٢ ، ١٨٢ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٣١ ، ٢٥٨ .
[3]) في رحاب الزيارة الجامعة الكبيرة ، الصدر : ٥٥٦ .

وفي حديث الإمام الصادق عليه السلام : **إنّ الأئمّةَ فِي كِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ إِمَامَانِ . قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ لَا بِأَمْرِ النَّاسِ ، يُقَدِّمُونَ أَمْرَ اللهِ قَبْلَ أَمْرِهِم ، وَحُكْمَ اللهِ قَبْلَ حُكْمِهِم. قَالَ : ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ يُقَدِّمُوْنَ أَمْرَهُم قَبْلَ أَمْرِ اللهِ ، وَحُكْمَهُم قَبْلَ حُكْمِ اللهِ ، وَيَأْخُذُوْنَ بِأَهْوَائِهِمْ خِلَافَ مَا فِي كِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ**))[1] ، ذكر الشارح المقابلة بين المذكور والمسكوت عنه ليصل من طريقه إلى الحكمة التي قد تستغلق على المتلقي في استلام السُّنن التي سنَّها الإمام العاشر (عليه السلام) بطريقة اللغة ، وعضَّد ما جاء به في الشرح؛ برواية الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) ؛ ليؤكِّد لمفكك السنن أنَّ ما ذهب إليه له أصل في القرآن الكريم من جهة وتؤيده الروايات من جهة أخرى ، وبهذا تنبَّه الشارح إلى المقابلة البلاغية بين العبارة المذكورة والعبارة التي كانت بمقام المسكوت عنه وهي قد لمَّحت له بسبيل الإحالة .

وذكر الصدر المقابلة في شرحه لقول الإمام العاشر (عليه السلام) : ((**سِلْمٌ لِمَنْ سالَمَكُمْ ، وَحَرْبٌ لِمَنْ حارَبَكُمْ**))[2] ، وقال : ((السِّلم : بكسر السين هي المسالمة والمصالحة والإنقياد ، مقابل الحرب.

أي إنّي مسالم ومصالح ومنقاد لمن كان مسالماً ومصالحاً ومنقاداً لكم أهل البيت وكذلك إنّي حربٌ وعدوٌّ لمن كان حرباً معكم وعدوّاً لكم.

وقد ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وآله إنّه كان سلماً لمن سالم أهل البيت، وحرباً لمن حاربهم. ورواه الفريقان وجاء حتّى من طريق العامّة متواتراً))[3] ، علّل

---

[1] في رحاب الزيارة الجامعة الكبيرة ، الصدر : ٥٥٦ . يُنظر : الكافي : ١ /٢١٦ .
[2] المصدر نفسه : ٤٩٠ .
[3] في رحاب الزيارة الجامعة الكبيرة ، الصدر: ٤٩٠ .

الشارح إيراد الألفاظ في السياق وبيان معانيها من طريق اللغة ؛ وأشار بوساطتها إلى سبب إيراد المقابلة البلاغية فيها كوسيلة للوصول إلى الدلالة التي يُريدها وهي تقبع خلف الألفاظ ، وما الألفاظ إلّا أوعية للمعاني ، وتنبَّه إلى ألفاظ المقابلة في العبارتين (سلم ، وحرب) ، (سالمكم ، وحاربكم) ، ونشمُّ من ذلك رائحة الدعوة إلى التسليم لآل البيت (عليهم السلام) ونهج منهجهم وتقديم ما يُريدون والكف عمّا ينهون، وإلى هذا تذهب الدراسة أيضاً .

وقد خلط الصدر بين المقابلة والطباق([1]) ؛ إذ يذكر اللفظ وطباقه ويُشير إلى أنّ بينهما مقابلة ؛ لذا اقتضى التنويه .

وكذلك جاء التقابل في شرح قول الإمام العاشر (عليه السلام) : ((**وَمُنْتَهَى الحِلْمِ**))([2]) ، قال الغزّي : ((الحلم بنحوٍ عام يأتي في معنيين، يأتي الحلم بمعنى العقل ويأتي الحلم بمعنى الحكمة ، وكما يقال بأنَّ الأمور أو بأنّ المعاني تستبان من أضدادها في كثيرٍ من الأحيان ، فهناك استعمالٌ للحلم في مقابل الجهل، وهناك استعمالٌ للحلم في مقابل الجهالة، والذي يقابل الجهل هو العقل، والذي يقابل الجهالة هي الحكمة، ومن هنا قلت بأنَّ الحلم إذا جاء مُضاداً للجهل فإنه العقل، وإذا جاء مُضاداً للجهالة فإنَّ الحلم هو الحكمة ، كذلك الجهل في بعض الأحيان يأتي مضاداً للعلم ، وفي بعض الأحيان يأتي مضاداً للعقل، والجهلُ الذي يضادُ العلم غير الجهل الذي يضاد العقل، فالجهل الذي يضاد العلم هو المراد منه عدم العلم، أما الجهل الذي يضاد العقل فالمراد منه عدم العقل وفارقٌ بين المعنيين بين عدمية العلم وبين

---

[1]) في رحاب الزيارة الجامعة الكبيرة ، الصدر: ٨٩ ، ١٣٨ ، ١٤٥ ، ٢٤٤ ، ٣٨٨ ، ٣٩٣ ، وغيرها

[2]) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، الغزي : ٢١٩/١ .

عدمية العقل))([1]) ، احتمل الشارح اشتراك لفظة (الحلم) وأنَّها تحمل معنيين بطريقة بيان التضاد ؛ إذا كان بمقابل الجهل ؛ فيعني العقل ، وإذا كانت بمقابل الجهالة ؛ يعني الحكمة ، يبدو أنّ إطلاقها في قول الإمام (عليه السلام) شملت المعنيين ؛ لأنَّ التقييد يُحجِّم المعنى بطرف دون الآخر ، ولكنّ الإمام ذكر الحلم وسكت عن المتقابلات له ، وهذا من باب الإحالة باللفظ المذكور إلى المسكوت عنه ؛ لذا تنبَّه الشارح إلى التقابل بين المذكور والمسكوت عنه ، والدراسة توافقه .

وذكر الغزي في موضعين آخرين المقابلة([2]) ؛ إلَّا أن الموضعين فيهما طباقٌ وليست مقابلة ، لذلك لم نذكرها ههنا .

---

[1]) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، الغزي : ٢١٩/١ .

[2]) يُنظر : المصدر نفسه : ١١٣/١ ، ٢٢٥ .

المبحث الثالث

الاقتباس

حدُّه ، آلياته ، تطبيقاته

توطئة

تتوزع جماليات البديع بين الألفاظ والمعاني والسياقات ؛ مما سُمِّيت . في البحوث والدراست البلاغية . بـ((المحسِّنات اللفظية والمحسِّنات المعنوية))([1]) ، ولم يذكروا الجماليات السياقيَّة باللفظ ؛ وإنَّما وضعوها في المحسنات المعنوية ، منها الاقتباس والتضمين واللف والنشر وغيرها التي تتبع السياق لا المعنى ، ولا نوافق على تسميتها بـ(المحسِّنات) في القرآن الكريم والنصوص الواردة عن العترة الطاهرة ؛ لأنَّ التحسين يُطابق القُبح ، والإتيان بالمحسِّن لغرض رفع القبح عن النص ، وهذا لا يمكن إطلاقه على النصوص المقدَّسة ، ومن جهة أخرى ؛ خلو السياق قرآني أو نبوي من هذه المحسِّنات التي وضعها العقل البشري ؛ الذي يدل على وجود قبح أو سذاجة أو سطحيَّة في السياق ، وهذا ما لا يقبله النص المقدَّس .

وكذلك اطلاق لفظ (الجماليات) يكون تحت مفهوم : (ما تكشَّف لنا من جمال في هذه النصوص ؛ وإلّا فكلُّه جميل ولكن عقولَنا قاصرةٌ عن إدراك كله ؛ لذا فلا نترك جله)، ومن هذه الجماليات التي تكشَّفت لشارحي الزيارة الجامعة الكبيرة ؛ الاقتباس .

([1]) يُنظر : تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن ، ابن أبي الإصبع المصري، تقديم وتدقيق: د. حنفي محمد شرف، القاهرة ، مصر ، د.ط ، ١٣٨٣هـ.: ١١٤ ، جواهر البلاغة : ٢١٧ ، ٢٤٣ .

وقد لمسهما ـ الاقتباس والتضمين ـ العرب الأوائل من الذين بحثوا النصوص بحثاً بلاغيَّاً منذ نشوء العلوم ، وإن لم يطلقوا عليه المصطلح البلاغي الحالي ، وفي بادئ الأمر كان مذموماً لدى النقاد والباحثين ؛ لذا وسموه بـ(الانتحال) ، وذكره كبَّار النقاد والدارسين ، وألمع من بحث هذه القضية هو ؛ محمد بن سلَّام الجمحي ت(٢٣١هـ) في كتابه الشهير (طبقات فحول الشعراء)([1]).

وبُحثَ هذا المفهوم كثيراً بعنوان **(السرقات)** ، وعند انصرام القرن الثالث الهجري خفَّت وطأتهم . نقصد النقاد والباحثين . فأطلقوا عليه مصطلح **(الاقتباس والتضمين)** ، وجعلوا آليات الاقتباس على : مباشر وجزئي وغير مباشر، وهذا يُسمَّى في الوقت الحاضر ؛ **(توارد الخواطر)** ، وهو الإعجاب بنص سابق من النصوص القرآنية أو الأحاديث النبوية أو الشعر أو الخطب أو الأمثال وغيرها.

فرُفعَ قلم الذم والتسقيط عن هذا المفهوم ، ولا يعني هذا ؛ إلزام الباحثين جميعاً برفع هذا الحرج عنه ؛ وإنَّما ارتضى المتصدرون للبحث في العلوم البلاغية وقبلوا بالاقتباس وكذلك التضمين واضمحلَّت كلمة الانتحال في النقد البلاغي ، من أولئك الذين رفعوا الحرج عنه ؛عبد القاهر الجرجاني والشريف الجرجاني والآمدي وغيرهم من الباحثين ، ثمَّ قطع في ذلك شوطاً طويلاً لم يكن سهلاً في المواجهة بين الرفض القبول ؛ والأخذ والرد ، إلى أن استوى وتكامل فأصبح عِلماً مستقلَّاً بذاته ، وكتب فيه مجموعة من الباحثين منذ القرن السابع والقرن الثامن ووالقرن التاسع الهجري .

والذين عَمِلوا على حلِّ هذه العقدة ؛ وأطلقوا عنان الأخذ بالاقتباس والتضمين في نصوصهم الأدبية ؛ هم الأندلسيون ، فكانوا أبناءً بارِّينَ للشعراء العباسيين ، وصار أدبهم نسخة ومرآة للأدب العباسي ، ففتحوا باب اقتناص النصوص والمعاني

[1]) يُنظر : طبقات فحول الشعراء : ٥٨/١ .

على مصراعيه ، ولم يُثنهم . في ذلك . نقد الناقدين ، ونقلوا هذا الأدب إلى الأندلس بثوب قشيب وإطار جميل منمَّق .

ثمَّ ظهر مصطلحٌ جديدٌ في العصر الحديث عُرفَ بـ(**الأثر**) ، فانتقل المصطلح القديم (**الاقتباس والتضمين**) إلى مصطلح جديد وهو(**الأثر**) انتقالة سهلة ولم تكن بالعسيرة ولاقت قبولاً وإقبالاً كبيراً من قبل الكتَّاب ، وتطوَّر الأمر . بعد ذلك . فظهرت مصطلحات جديدة ؛ مثل : (**الأثر القرآني ، التناص ، القرآنية ، والتعالق النصي**) وكل هذه المصطلحات تندرج تحت المفهوم السابق وهو اقتناص نصوص ووضعها في نصوص أخرى تحت آليات وقوانين معيَّنة ، إلَّا أنَّ التناص خرج من هذا المفهوم إلى النقد ، فصار مصطلحاً نقديًا كما سنرى في باب النقد .

ولا نريد الخوض بمثل هذه النصوص والمصطلحات الحديثة بقدر ما ذكره الشرَّاح لنصوص الزيارة المباركة ، فأنَّنا سنسير في ركب الشُّرَّاح الذين شرحوا الزيارة الجامعة الكبيرة ؛ إذ التزموا بفكرة ومصطلح القدماء وهو (الاقتباس والتضمين)، فالاقتباس خاصّ في القران الكريم ، والتضمين ؛ خاص بالرواية ؛ ولكننا وجدنا إشاراتهم للاقتباس دون التضمين ؛ لذا سيقتصر هذا المبحث على الاقتباس دون التضمين وسنوضح فيه الاقتباس (حدُّه ، آلياته ، وتطبيقاته في نصوص الشروح) ومن الله التوفيق .

- **حدُّ الاقتباس**

الاقتباس في اللغة : هو من قبس يَقْبَسُ قبساً ، وهذا المصطلح مصدر من المزيد؛ اقتبس يَقْتَبِسُ اقتباساً و((القاف والباء والسين أصل صحيح يدل على صفة من صفات النار ثم شعار. من ذلك القبس: شعلة النار. قال الله تعالى في قصة موسى (عليه السلام) : ﴿ لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى ﴾{طه/١٠} .

ومن هذا القياس قولهم : فعل قبيس، وذلك إذا كان سريع الإلقاح، كأنه شبه بشعلة النار.... فأما القبس فيقال إنَّه الأصل))([1]) ، وإلى هذا ذهب ابن منظور([2]) ، فهو الجذوة التي تؤخذ من النار أو أخذ بعض الشيء ونقله إلى مكان آخر.

الاقتباس في الاصطلاح : لعلَّ أصحاب الاصطلاح البلاغي اقتبسوا هذا المعنى من الحدِّ اللغوي للاقتباس ، فعندهم ((أن يُضمَّنَ الكلام شيئاً من القرآن أو الحديث ، لا على أنَّه منه))([3]) ، وخصص الحموي ت(٨٣٧هـ) الاقتباس بالقرآن الكريم في قوله: ((الاقتباس أن يُضمَّنَ المُتكلم كلامه كلمة من آية أو آية من كتاب الله))([4]) ، وقسَّم الاقتباس القرآني بـ(المقبول ، المباح ، المردود)([5]) ، فما كان لغرض الخطب والمواعظ والمدح للنبي (صلى الله عليه وآله) ؛ فهو مقبول ، وما كان للقصص والغزل العذري والرسائل ؛ فهو مباح ، أمّا الآيات التي خصَّها الله لنفسه فلا يجوز أن ينسبها الناصّ لنفسه وكذلك أن لا يقتبس الآية القرآنية لمعرض الهزل . وإلى هذا يذهب البحث من أنَّ الاقتباس للقرآن والتضمين للحديث .

- **آليات الاقتباس**

للاقتباس آلياتٌ وضعها البلاغيون وقسمّوا السياقات التي ورد فيها الاقتباس بحسبها ؛ وهي :

---

[1]) مقاييس اللغة ، مادة (قبس) : ٤٨/٥ .
[2]) يُنظر : لسان العرب ، مادة (قبس) .
[3]) الإيضاح : ٣١٢ .
[4]) خزانة الأدب وغاية الإرب ، تقي الدين أبو بكر علي المعروف بابن حجة الحموي ت(٨٣٧هـ) قدم له وشرحه : د. صلاح الدين الهواري ، المكتبة العصرية ، بيروت ، لبنان ، ط١، ٢٠٠٦م: ٤٥٥/٢.
[5]) يُنظر : المصدر نفسه : ٥٣٩/٢ .

١. الاقتباس المباشر : يعمد الباث إلى الاقتناص من الآيات القرآنية اقتناصاً مباشراً يتضمن آية كاملة أو سياقاً كاملا من آية ما ، وقد جاء هذا اللون في شروح الزيارة الجامعة الكبيرة في شرح قول الإمام العاشر (عليه السلام) : ((**وَأَهْلَ الذِّكْرِ**))[١] ، قال الهمداني : ((إنَّ الذكر اسم للقران ولرسول الله (صلى الله عليه وآله) لقوله تعالى: ﴿**وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ**﴾ **{الحجر/٦}** ، وقوله تعالى : ﴿**أَأُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِن بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ**﴾ **{القمر/٢٥}**[٢] ، وقوله تعالى : ﴿**فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ**﴾ **{النحل/٤٣}**...رسول الله الذكر وأهل بيته المسؤولون وهم أهل الذكر.))[٣]، فأشار الشارح إلى توظيف الإمام الهادي (عليه السلام) للآية المباركة في فقرة من فقرات الزيارة الشريفة ، إلّا أنَّه أشار إلى الاقتباس المباشر في آية النحل؛ والجزئي في آيتي الحجر والقمر ، مما يُدلل على حس الشارح البلاغي بوساطة إشاراته للآيات المتفرقة ، ويبدو أنَّ الروايات هي مَن ساعدته في بيان مفهوم (أهل الذكر) حيث استفاضت في بيان هذا المفهوم[٤] ، وعمد الشارح إلى ذكر الآيات والروايات الخاصَّة بأهل الذكر .

وإلى ذلك ذهب الميلاني في شرح هذه العبارة المباركة[٥] .

---

[١] الشموس الطالعة من مشارق الزيارة الجامعة ، الهمداني : ٣٢٧ .
[٢] في الأصل يوجد خطأ في الآية القرآنية وتم تصحيحها من المصحف .
[٣] المصدر نفسه : ٣٢٧ .
[٤] يُنظر : الكافي : ٢١٠/١ . ٢١٢ ، تفسير العياشي ، أبو النضر محمد بن مسعود العياشي ت(٣٢٠هـ) ، تحقيق : قسم الدراسات الإسلامية ، مؤسسة البعثة ، قم ، ١٤٢٢هـ : ٢٦٠/٢ ، عيون أخبار الرضا : ٢٣٩/١ ، بحار الأنوار ١٧٣/٢٣ .
[٥] يُنظر : مع الأئمة الهداة ، الميلاني: ٢٥٠ .

وجاء الاقتباس المباشر في شرح الهمداني لقول الإمام (عليه السلام) : ﴿فَجَعَلَكُمْ فى بُيُوت اَذِنَ اللهُ اَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فيهَا اسْمُهُ﴾(١) ، وأسماه الحكاية ، وذلك في قوله: ((قوله (عليه السلام) : (في بيوت) حكاية لقوله تعالى : ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴾ ﴿النور/٣٦﴾ ، فإنَّ البيوت في هذه الآية قد فُسِّرت بهم عليهم السلام))(٢) ، ولو نظرنا إلى سياق قول الإمام (عليه السلام) وسياق الآية المباركة نجد أنّهما يصدران من سراج واحد ؛ إذ وظَّف الآية الخاصَّة في أهل البيت (عليهم السلام) في معرض بيان مفاخرهم بين أثناء الزيارة الكريمة ؛ لذا لم تكن حكاية . كما ذهب الشارح . وإنَّما جاء التوظيف لأجل التأكيد على البيوت الخاصَّة بهم (عليهم السلام) ؛ فالحكاية لا تؤدي هذا المعنى ؛ وإنَّما الحكاية عبارة عن صورة فنيَّة لبيان الأمثال .

وجاء الاقتباس المباشر في شرح الهمداني في مواضع أخرى(٣)، وما ذكرناه للمثال للانتقال إلى ما جاء في الشروح الأخرى طلباً للاختصار.

وورد الاقتباس المباشر في شرح قول الإمام العاشر (عليه السلام) : ((وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكاتُهُ))(٤) ، قال الأحسائي : ((...فالله بهم يفتح البركات من السماء والأرض وهم (عليهم السلام) يسلّمونها إلى شيعتهم ومحبّيهم في أنفسهم و ذرّيّاتهم وأعمالهم وهو قوله : ﴿وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكاتُهُ﴾ أي و بركاته عليكم أن تسلّموا فاضلها إلى شيعتكم وعلى شيعتكم أن يسلّموا فاضل ذلك إلى محبّيكم وهذا اقتباس من قوله

---

١) الشموس الطالعة من مشارق الزيارة الجامعة ، الهمداني : ٥٤٥ .
٢) المصدر نفسه : ٥٤٥ .
٣) يُنظر : المصدر نفسه : ٤١٦ ، ٧٤٩ ، ٧٥٠ ، وغيرها .
٤) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، الأحسائي : ١٦٢/١ .

تعالى: ﴿رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴾{هود/٧٣}))([1]) ، أشار الشارح إلى القبس الذي أضاء الإمامُ به نصَّه الشريف ؛ وأنَّ هذه الآية خاصَّة بهم (عليهم السلام) دون غيرهم ، اذ اقتبس الإمام جزءاً من الآية المباركة وختم به الفقرة الثانية كما ختم الفقرة الأولى في الآية نفسها ، وهي إشارة إلى البركة التي يعم الله تعالى بها الموجودات بواسطتهم (صلوات الله وسلامه عليهم) ، وهذه الرحمة هم أصلها وفرعها ومنهم وإليهم وبهم ؛ لذا ذكر الشارح توظيف الإمام الهادي (عليه السلام) لهذا الجزء من الآية المباركة لاختتام فقراته الأولى .

ومن ذلك ما ورد في شرح قول الإمام (عليه السلام) : ((**الَّذينَ لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ**))([2]) ، قال الأحسائي : ((...إنّ الإمام يشفع لمن لا يرتضي الله دينه أو بدون إذنه أو أنَّهم عليهم السلام لا يخافون منه سبحانه خوفاً حقيقيّاً خوفاً من نقمته و مكره عن علمٍ منهم بالله وبمقامه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين وهم الذين رفعوهم عن مراتبهم التي وضعهم الله فيها أو وضعوهم دون ما وضعهم الله فيه فإن هؤلاء الفريقين قد وضعوا الشيء بغير موضعه من رفعٍ أو وضعٍ لأنّ الظلم وضع الشيء في غير موضعه و هذا معني ما قاله (عليه السلام) اقتباساً من القرءان ﴿لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴾{الأنبياء/٢٧} أي يتكلمون بأمره و يسكتون بأمره ويجاهدون بأمره ويتركون الجهاد بأمره و يَقْتلون و يُقْتلون بأمره صلى الله عليهم أجمعين.))([3]) ، تنبَّه الشارح إلى توظيف الإمام الهادي (عليه السلام) للآية القرآنية المباركة ،وهذا الاقتناص المباشر من الإمام (عليه

---

[1]) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، الأحسائي: ١٦٢/١ ، ورد في الأصل خطأ في الآية القرآنية ؛ وتم تصحيحها من المصحف الشريف .

[2]) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، الأحسائي : ٢٣٥/١ .

[3]) المصدر نفسه : ٢٣٥/١ .

السلام) للآية الشريفة دلَّ على قصديَّة التوظيف وبه يُشير إلى أدب فناء الأئمة في ذات الله تعالى ، وأنَّهم فانون في ذاته ولم يكن لهم فكرٌ ولا رأيٌ ولا قولٌ ولا حركةٌ ولا سكنةٌ إلّا وفيها لله رضا وللناس خير وصلاح .

وذِكْرُ **(القول)** من باب ذكر الجزء والمراد به الكل ، كما في قوله تعالى : ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ﴾{النجم/٤} ، فلم يكن القصد (النطق) فقط وإنَّما كلُّ فعلٍ وكلُّ عملٍ لم يكن عن هوى ، فجاء ذكر (النطق) من باب الإشارة للجزء والمراد به الكل ، والدليل على ذلك قوله تعالى : ﴿ . . .وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾{الحشر/٧} ، وهو من باب الاتساع كما سّمِّي في البلاغة بالمجاز ، وقد أشرنا إلى المجاز الذي نقبله في موضعه .

أمَّا التوظيف للآية الشريفة ؛ كشف الإمام (عليه السلام) به ؛ الحكمة المستغلقة في التوظيف وهو الفناء التام في ذات الربِّ سبحانه ، ومدى التزامهم (عليهم السلام) بأوامر الله ونواهيه ، ولم يصل لهذه الدرجة غيرهم ، ولم ينلها سواهم، وقد حصلوا على درجة ((**وَعِبادِهِ الْمُكْرَمينَ**)) وهي الدرجة العليا من درجات الترقّي.

وإلى هذا ذهب الصدر في شرحه ، وذلك في قوله : ((...الذين لا يسبقونه بالقول: أي لا يقولون بقول إلاّ بأمر الله تعالى ، بل كلامهم كلام الله العزيز كجدّهم الرسول الذي لا ﴿ يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ﴾{النجم/٤}.

وهم بأمره يعملون : أي في جميع أقوالهم وأفعالهم وأحوالهم.

وقد أبانت هذه الفقرة الصفات الكريمة في أهل البيت عليهم السلام من حيث شرافتهم بالعبادة ، ثمّ كرامتهم عند الله ، ثمّ أدبهم أمام الله ، ثمّ إطاعتهم لله تعالى.

وقد فُسّر بهم قوله تعالى : ﴿ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ * لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴾ .

فعن الإمام الباقر عليه السلام أنّه أومأ بيده إلى صدره وقال : ﴿لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾. وجميع ما فعلوه وهم أهل بيت العصمة كان بعهد من الله تعالى.))([1])، إذ اعتمد الشارح في بيان الاقتباس ؛ على الروايات الواردة من طريق أهل البيت (عليهم السلام) في ما رووه من بيان مصاديق هذه الآيات الشريفة .

وجاء الاقتباس المباشر في شرح الأحسائي في غير موضع([2]) وما ذكرناه للمثال لا للحصر .

٢. الاقتباس الجزئي : وهو الاقتباس الذي يكون فيه اقتناص بعض ألفاظ الآيات المباركة وتنسيقها في سياق الخطاب النصي في نصّ معيَّنٍ ؛ وقد ورد هذا اللون في شروح الزيارة الجامعة المباركة ؛ منها ما جاء في شرح قول الإمام (عليه السلام): ((**وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ يا أَهْلَ بَيْتِ النُّبُوَّةِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ**))([3]) ، قال الهمداني: ((الظاهر إنَّه اقتباس من الآية الشريفة : ﴿ قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿ ٧٢ ﴾ قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴾ **{هود/٧٣}**... يعني كيف يكون زائركم ملوماً وقالياً ومالياً ورحمة الله وبركاته نازلة عليكم غير مقطوعة عنكم ، وكل من كنتم في صلبه من آدم إلى أن انتقلتم إلى صلب إبراهيم (عليه السلام) إلى زمان استهلالكم كانوا مرحومين

---

[1]) في رحاب الزيارة الجامعة الكبيرة ، الصدر : ١٧٨ ، مصادر الحديث ، يُنظر : الكافي : ٢٨١/١ ، تفسير البرهان : ٢ /٦٨٦.

[2]) يُنظر : شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، الأحسائي : ٢٣٥/١ ، ٢١/٢ ، ٨١ ، وغيرها .

[3]) الشموس الطالعة من مشارق الزيارة الجامعة ، الهمداني : ٧٦٢ .

مبروكين، ولن تزال الرحمة والبركة نازلة عليكم وعلى قبوركم وزوّاركم إلى يوم القيامة.))([1])، يُبيّن الشارح الأصل القرآني لقول الإمام العاشر (عليه السلام) ، وإنَّ هذا التوظيف لم يأتِ اعتباطاً وإنَّما يخضع للقصدية في أصل أداء المعاني ، وتبيَّنت منه العلَّة من توظيف الآية القرآنية في هذا المقام وهي التي أشارت إلى الحكمة المستغلقة من الخطاب المعصومي ، فالإمام (عليه السلام) يأتي بالأيات في خطابه عفويّة لأنَّنا نعتقد أنَّهم القرآن الناطق ، فما التوظيف إلّا مصداقٌ من مصاديق بيان القرآن الصامت والقرآن الناطق ؛ وبه يتَّضح عدم الافتراق بينهما.

وإلى هذا المعنى ذهب الشيخ الأحسائي في شرحه لهذه الفقرة([2]).

وجاء الاقتباس الجزئي في شرح قول الإمام (عليه السلام) : ((**وَأَشْرَقَتْ الأَرْضُ بِنُورِكُم**))([3]) ، قال الهمداني : ((أشار بذلك إلى قوله تعالى : ﴿**وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ**﴾{الزمر/٦٩} ، [وجاء] عن الامام الصادق (عليه السلام) قال : **ربُّ الأرضِ إمامُ الأرض**، قيل : فإذا خرج يكون ماذا ؟ قال : **إذا يَسْتَغْنِي النَّاسُ عَنْ ضَوْءِ الشَّمْسِ وَضَوْءِ القَمَرِ يَجْتَزِؤُونَ بِنُوْرِ الإِمَامِ عَلَيْهِ السَّلامُ**))([4]) ، وظَّف الإمام (عليه السلام) جزءاً من الآية المباركة لبيان تأويلها فيهم (عليهم السلام) ، وأشار الشارح إلى ذلك بطريقة الإحالة إلى

---

[1]) الشموس الطالعة من مشارق الزيارة الجامعة ، الهمداني : ٧٦٢.٧٦٣. ورد خطأ في الآية المباركة في الأصل ؛ وتم تصحيحها من المصحف .

[2]) يُنظر : شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، الأحسائي : ١٥٣/١ .

[3]) المصدر نفسه : ٦٨٨ .

[4]) المصدر نفسه : ٦٨٨.٦٨٩ . مصادر الحديث ، يُنظر : تفسير القمي : ٢٥٦/٢ ، الإرشاد ، محمد بن محمد المفيد ت(٤١٣هـ) ، المؤتمر العلمي لألفية المفيد ، قم ، ط١ ، ١٤١٣هـ : ٣٨١/٢.

الروايات الواردة عنهم (صلوات الله وسلامه عليهم) وهم الذين قصدهم الله تعالى في هذه الآية ، والربُّ و((الرّبّيُّون: الّذين صبروا مع الأنبياء، نسبوا إلى العبادة والتّألّه في معرفة الرُّبوبيّة لله، الواحد: رِبِّيٌّ. ومن ملك شيئاً فهو رَبُّه، لا يُقال بغير الإضافة إلاّ للَّهِ عزّ وجل. ورجلٌ ربّابيّ نسب إلى الرّبّاب، حيّ من ضَبَّة. والرَّبابُ: السَّحابُ الذي فيه ماء، الواحدةُ: رَبابة، وأَرَبَّتِ السَّحابة بهذه البلدة: أدامَتْ بها المَطَر))([1]) ، فالإضافة هي التي تُحدد المفهوم العام للربّ ، وإذا أُطلقت من دون قرينة أو إضافة ؛ ستكون خاصَّة في ذات الله تعالى ولا تتصرف لغيره ؛ لذا نجد الإمام (عليه السلام) قد خصص الأرض بربها كما في الآية المباركة ، وهذا يُشير . بالإحالة . إلى الآية المباركة لبيان السنخية بين لفظ **(نوركم)** في الزيارة ؛ و**(ربّها)** في الآية ، ونستطيع أن نقول : إنّ هذه العبارة من الزيارة المباركة تُعدُّ تفسيراً أو تأويلاً للآية المباركة .

ومثله ما جاء في شرح قوله (عليه الصلاة والسلام) : ((**المُتَّقُونَ الصَّادِقُونَ المُصْطَفَوْنَ**))([2]) ، فقال الهمداني في بيان الصادقين : ((...وقوله (عليه السلام) : الصادقونَ إشارة إلى الآية الشريفة :﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ**﴾{**التوبة/١١٩**}.))([3]) ، استنتج الشارح هذا الاقتباس من الموروث الروائي؛ فقد ورد ((عَنْ بُرَيْدٍ الْعِجْلِيِّ قَالَ : سَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام عَنْ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ**﴾ قَالَ : **إِيَّانَا عَنَى**))([4]) ، وإلى هذا ذهب

---

[1]) كتاب العين ، مادة (ربب) : ٢٥٦/٨ . يُنظر : الصحاح : ١٣٠/١ .
[2]) الشموس الطالعة من مشارق الزيارة الجامعة ، الهمداني : ٣٩٠ .
[3]) المصدر نفسه : ٣٩٠ .
[4]) بصائر الدرجات : ٣١/١ . يُنظر : تفسير القمي : ٣٠٧/١ .

الوحيدي في شرح معنى الصادقين في الزيارة المباركة([1]) ، إلّا أن الشارح لم يُشر إلى الرواية في بيان المعنى الخاص بالصادقين ، نعم ؛ هم الصادقون الذين أمرنا الله تعالى أن نكون معهم ولا نفارق سبيلهم ؛ لأنَّهم لا يدخلوننا في ضلال ولا يُخرجوننا من هدى .

وقد جاء الاقتباس الجزئي في غير موضع عند الهمداني([2]) ؛ إذ نكتفي بهذا ولا نريد الإسهاب في هذا المورد .

ومثله ورد في شرح قول الإمام الهادي (عليه السلام) : ((**وَآثَارُكُمْ في الآثَّارِ**))([3])، قال الأحسائي في شرحه لهذه الفقرة المباركة : ((أقول : قال اللهُ سبحانه: ﴿**إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ**﴾**{يس/١٢}** ، الآثار هي أعمالهم ، وسُننهم أو آثار أقدامِهم في سعيهم في أعمالهم يعني أنّا لا نترك شيئاً من أحوالهم حتّى آثار أقدامِهم أو المراد آثار أعمالهم في أرزاقهم و آجالهم وأعمارهم و قلوبهم و أرواحهم ونفوسهم وأجسامهم وجميع أحوالهم حتى لا نغادر صغيرة ولا كبيرة إلّا أحصيناها أوْ آثار هَدْيهم و تعلّمهم و تعليمهم وعلومهم و هدايتهم وإضلالهم وغير ذلك فقوله عليه السلام : **وآثاركم** يُراد منه كما في الآية لأنّه اقتباس منها و المَعْنى أفدي أعْمالَكم ما بين الأعمال وأقوالكم ما بين الأقوال وأحوالكم ما بين الاَحْوال وعلومَكم ما بين العلوم و ما أشبه ذلك ؛ لأنّ آثارهم صلى الله عليهم تُقال على جميع آثار أفعالهم الباطنة كالاعتقادات التي هي

---

[1]) يُنظر : أنوار الولاية الساطعة ، الوحيدي : ١١٧ .

[2]) يُنظر : الشموس الطالعة من مشارق الزيارة الجامعة ، الهمداني : ٣٢٩ ، ٣٣٦ ، ٣٣٧ ، ٣٥٠ ، وغيرها .

[3]) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، الأحسائي : ٤٣/٤ .

المَعارف للتوحيد من معرفة صفات أفعال الحق سبحانه...))([1]) ، تنبّه الشارح إلى الأصل القرآني الذي استدعاه الإمام الهادي (عليه السلام) وجعله بين فقرات نصّه المقدَّس ، ولم يُشر أحدٌ من شارحي الزيارة الجامعة . على الأقل الشروح المختارة للدراسة . لهذا الأصل القرآني الذي أعطى نكهة بصرية جميلة في الشرح .

ويبدو أنّ ختام الآية المباركة أكَّدت ذلك ؛ وهو قوله تعالى : ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ ، وهم الأئمة الذين أحصى الله فيهم كُلَّ شيء ؛ صغيراً كانَ أم كبيراً ، حسيّاً أم عقلياً ، وورد ((عن الصادق عليه السلام : **يَعْني مَنْ أَشرَكَ بِولايةِ أَمِيْرِ المؤمنينَ عَليهِ السَّلامُ غَيرهُ وَ لَمْ يُؤْمِنْ بِآياتِ رَبِّهِ ترك الأئمّةَ مُعانَدَةً فلمْ يتّبعْ آثارَهُم وَ لَمْ يَتَوَلَّهُم**))([2])، وكلُّهم نور واحد والتسليم لأوَّلهم ؛ التسليم لآخرهم لا نفرّقُ بين أحد منهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

ومثل ذلك ما جاء في شرح قول الإمام العاشر (عليه السلام) : ((**وَعِبادِهِ الْمُكْرَمينَ**))([3]) ، قال الأحسائي : ((...وقوله (عليه السلام) و عباده المكرمين مقتبس من قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ {الأنبياء/٢٦}، وفيها رد على الغلاة بجميع آرائهم فمنهم من كان من أهل الكشف والمعرفة يزعم أنَّه قد تولد من الرحمن من ظهر برحمانيته فهو يعطي كلَّ ذي حقٍّ حقَّه و يسوق إلى كُلِّ مخلوق رِزقه...))([4]) ، أشار الشارح إلى الاقتباس الجزئي الذي استنبطه من

---

[1]) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، الأحسائي : ٤/٤٣.٤٤ .

[2]) تفسير الصافي ، محمد بن مرتضى المعروف بالفيض الكاشاني ت(١٠٩١هـ) ، علق عليه : حسين الأعلمي ، مكتبة الصدر ، طهران ، إيران ، ط٢، ١٤١٢هـ : ٣/٣٢٦ .

[3]) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، الأحسائي : ١/٢٢٤ .

[4]) المصدر نفسه : ١/٢٣٢.٢٣٣ .

الآية المباركة ، وعلَّل استقطاب الكلمات من الآية المباركة في هذا النص الشريف في قول الإمام (عليه السلام) ؛ وهو تنزيل الأئمة عن الربوبية الخاصَّة والألوهية العامّة ، وهو ردّ على الغُلاة الذين أشاروا إلى الأئمة بصفات الله عزَّ وجلَّ ، وكلمة (عباد) قمينة بدحض هذا المفهوم وتحديد مقاماتهم التي أعطاها الله لهم (عليهم السلام) .

ونجد أن الشارح أشار إلى الأصل القرآني لهذه العبارة بإشارة دقيقة ، فهو نقل العبارة الواردة في قول الإمام (عليه السلام) إلى قوله تعالى : ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ﴾{الأنبياء/٢٦} ، وقد فُسِّرت بالملائكة(١) ؛ إلّا أنَّ الشارح لم يقل فيها : أنَّها استعارة أو استعمال اللفظ على الإتساع ؛ وإنَّما أشار إلى حقيقة اللفظ بوساطة بيان أصله القرآني ، فهو مسلِّم بقرآنيته الناطقية للنصّ الإمامي المقدَّس ، وإلى ذلك تذهب الدراسة وتؤكد عليه .

وإلى ذلك ذهب الميلاني في شرحه لهذه العبارة الشريفة(٢).

وورد الاقتباس الجزئي في شرح قول الإمام العاشر (عليه السلام) : ((وَبَقِيَّةِ اللهِ))(٣) ، قال الميلاني في شرحها : ((وهذا إشارة إلى قوله عزَّ وجلّ : ﴿بَقِيَّةُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾{هود/٨٦}، الأئمة بقية الله في الأمَّة.))(٤)،

---

١) يُنظر : تفسير يحيى بن سلام ، يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة، التيمي بالولاء، من تيم ربيعة، البصري ثم الإفريقي القيرواني ت(٢٠٠هـ) ، تقديم وتحقيق: الدكتورة هند شلبي ، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ، ط١ ، ٢٠٠٤م : ٣٠٧/١ ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ٤٢٨/١٨ ، وغيرها من التفاسير .

٢) يُنظر : مع الأئمة الهداة ، الميلاني : ٢٤١ .

٣) المصدر نفسه : ٢٥٤ . يُنظر : في رحاب الزيارة الجامعة الكبيرة ، الصدر : ٢٠٠ .

٤) المصدر نفسه : ٢٥٤ .

استنتج الشارح هذا المعنى من الروايات الواردة عن أهل البيت (عليهم السلام) . وهي كثيرة . منها ما جاء ((عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: سَأَلَهُ رَجُلٌ عَنِ الْقَائِمِ يُسَلَّمُ عَلَيْهِ بِإِمْرَةِ الْمُؤْمِنِينَ قَالَ : **لَا ذَاكَ اسْمٌ سَمَّى اللَّهُ بِهِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام لَمْ يُسَمَّ بِهِ أَحَدٌ قَبْلَهُ وَ لَا يَتَسَمَّى بِهِ بَعْدَهُ إِلَّا كَافِرٌ** قُلْتُ : جُعِلْتُ فِدَاكَ كَيْفَ يُسَلَّمُ عَلَيْهِ قَالَ : **يَقُولُونَ السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا بَقِيَّةَ اللَّهِ** ثُمَّ قَرَأَ ﴿**بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ**﴾))[1] ، وغيرها مما جاء في تراث آل محمد (صلوات الله وسلامه عليهم) ، وهذا الاقتباس الجزئي جاء لغرض التأكيد والحصر في جزئية الآية المباركة ، وبوساطة إشارة الإمام العاشر (عليه السلام) إلى هذه الجزئية ؛ فهي تشير إلى ما ورد عن آبائه الطاهرين حيث تؤكد أنَّهم نور يصدر من سراج واحد ، ولكل إمام في عهده هو بقيَّة الله التي بها يُنزّل الغيث ، وبها يُمسك السماء أن تقع على الأرض إلّا بإذنه .

ومنه ما جاء في شرح قول الإمام (عليه السلام) : ((**وَصِرَاطِهِ**))[2] ، قال الميلاني في شرحه لهذه الفقرة المباركة : ((إنَّ الأئمة عليهم السّلام هم الطريق المستقيم، الوصل إلى الله، فلعلّ هذه الكلمة إشارة إلى قوله تعالى: ﴿**وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾ **{الأنعام/١٥٣}** .

وكوننا مأمورين باتباع الأئمة عليهم السلام واضح جدّاً ، لأنَّهم لا يقولون إلّا ما قاله الله والرسول ، وهم استمرار طريق رسول الله الذي أُمِرنا باتباعه .

يقول أبو عبد الله الصادق عليه السلام : **هِيَ الطَّرِيْقُ إلى معرفةِ اللهِ وهُما صراطانِ صِراطٌ فِي الدّنيا وَ صِراطٌ فِي الآخِرةِ فأمّا الصّراطُ في الدّنيا فَهُو الإمَامُ**

---

[1] الكافي : ٤١٢/١ . يُنظر : عيون أخبار الرضا : ٢٠/١ .

[2] مع الأئمة الهُداة : ٢٦٣ . يُنظر : في رحاب الزيارة الجامعة الكبيرة ، للصدر : ٢١٧ .

المفترضُ الطّاعةِ مَن عَرفهُ فِي الدّنيا واقتدى بِهداهُ مرَّ عَلى الصّراطِ الذي هوَ جسرُ جهنّمَ فِي الآخرةِ، وَ مَن لَم يعرفْهُ فِي الدّنيا زلَّتْ قدمُهُ عَن الصّراطِ في الآخرةِ فتردَّى فِى نارِ جهنّمَ))([1]) ، وهكذا يعتمد الشارح في بيان معانيه على الآيات والروايات ليستنبط منهما المعنى العام لمفاصل الزيارة الجامعة الكبيرة المباركة، وفي هذا المقطع أشار إلى الاقتباس الجزئي من القرآن الكريم ، وأنَّهم (عليهم السلام) هم صراط الله الذي لا يصل المُريد إلى الله إلّا بهم ، فجعلهم تعالى الموصلين إليه والحبل الممتدّ بين السماء والأرض ، طرفه بيد الله والآخر بيد الناس، والذي استغنى عن حبل الله تعالى الذي أمر الناس بالتمسك به فلا يصل إلا الله ، بل لا يزداد من الحقِّ إلا بُعداً ، فتنبَّه الشارح إلى ذلك وأشار إلى الآية الشريفة القاصدة لذلك دون غيرها من الآيات التي جاء الصراط في سياقها .

وليس هذا فحسب ؛ وإنَّما جاء الاقتباس الجزئي في بيان قول الإمام العاشر (عليه السلام) : ((**وَدَعَوْتُمْ اِلى سَبيلِهِ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ**))([2]) ، قال الصدر : ((إشارة إلى أنّ أهل البيت عليهم السلام هم المصداق الكامل العامل بقوله تعالى : ﴿**ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ**﴾ {النحل/١٢٥}.

بمعنى أنّكم أهل البيت عليكم سلام الله دعوتم الخلق ، وهديتم المخلوق إلى سبيل الله لقويم ، وصراطه المستقيم ، ودينه العظيم ، بلسان الحكمة والموعظة الحسنة.))([3])، أهل البيت (عليهم السلام) هم المصداق الأعلى لهذه الآية المباركة ،

---

[1]) مع الأئمة الهداة ، الميلاني : ٢٦٣ ، يُنظر مصادر الحديث : شرح أصول الكافي، المازندراني : ٢٠٧/١١.

[2]) في رحاب الزيارة الجامعة الكبيرة ، الصدر : ٣١٥ .

[3]) المصدر نفسه : ٣١٥ .

فجاء قول الإمام العاشر (صلوات الله عليه) في سبيل الخطاب المباشر لبيان المصداق الأرفع والأسمى والأفضل والأسنى وهم محمد وآل محمد .

من ذلك ؛ بيَّن الشارح الأصل القرآني لهذه الفقرة المباركة وأنَّها تنتمي إلى كلام الله تعالى الخاصّ بالدعوة الحسنة وهو اقتباس جزئي أفاد بيان المكانة السامية للعترة الطاهرة ، ويبدو أنَّ فيها ردّاً على الذين يتبجحون بانتشار الإسلام بطريقة السيف والرمح ؛ وإنّما كانت الدعوة الحسنة هي المهيمنة على المنهج الإسلامي بجميع مواطنه الدَّعَوِيَّة ، ومن هذا يتكشَّف لنا مدى انسجام النص الإمامي مع النص القرآني وكأنَّهما يُشيران إلى حديث الثقلين الشريف من أنَّهما لن يتفرَّقا أبداً .

وجاء الاقتباس الجزئي في شرح قول الإمام الهادي (صلوات الله عليه) : ((وَحِزْبِهِ))[1] قال الصدر : ((الحِزْب بكسر الحاء وسكون الزاء[2]) ، يأتي في اللغة بمعنى : الطائفة والجماعة والجُند ، وأكثر استعماله في المعنى الأخير.

وبهذا المعنى الأخير جاء تفسيره بالأنصار وأصحاب الرجل الذين يكونون على رأيه وأمره ، وقد شاع إستعماله في الأنصار.

وأهل البيت سلام الله عليهم هم حزب الله تعالى أي أنصاره ، اختصّوا بالله ، ولم يقصدوا غير الله.

وفي هذه الفقرة إشارة إلى قوله تعالى : ﴿أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾{المجادلة/٢٢} ، المفسّرة بأهل البيت العظام وشيعتهم الكرام.

---

[1]) في رحاب الزيارة الجامعة الكبيرة ، الصدر : ٢١٣ .

[2]) كذا في الأصل ، والصواب : الزاي .

وقوله تعالى : ﴿وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾{المائدة/٥٦}))[١] ، خصص الشارح هذه الآيات في أهل البيت (عليهم السلام) ؛ على أنَّهم هم حزب الله وفقط ، ولا يمكن أن يدخلَ معهم أحدٌ ؛ لأنّ اللغة حددت الحزب بالاتباع المطلق ، ولا يوجد مخلوق في العوالم كلها يتَّبعُ أوامر الله اتباعاً مطلقاً سوى أهل البيت (صلوات الله وسلامه عليهم) حتى تفانوا في أوامره وبذلوا الغالي والنفيس في سبيله ، وهذا الانقطاع التام لربهم استحقوا به أن يكونوا حزبه الخاص ؛ لذا كان حزب الشيطان . في جميع العصور . يعادونهم ويكنّون لهم البغض وقتّلوهم وشردوهم في أصقاع الأرض ، وهذه الضدِّيَّة مستمرةٌ إلى يوم القيامة، فقد تنبَّه الشارح لذلك والدراسة توافقه .

والاقتباس المباشر جاء في غير موضع من شرح الصدر[٢] ، وما ذكرناه للمثال لا للحصر .

٣. الاقتباس غير المباشر : يُقصد به استنباط المعنى من النصوص القرآنية ووضعها في النص الجديد إمَّا تفاؤلاً أو تحبيباً أو إثبات متغيِّر أو دحض فكرة ما ، ومن ذلك ما جاء في شرح قول الإمام الهادي (عليه السلام) : ((وَالدَّعْوَةِ الْحُسْنى))[٣] ، قال الهمداني : ((إشارة إلى ما سأله إبراهيم (عليه السلام) من الله تعالى من لسان صدق في الآخرين المحكي عنه بقوله تعالى : ﴿وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾{الشعراء/٨٤} ، [في تفسير] القمّي : هو أمير المؤمنين عليه

---

[١] في رحاب الزيارة الجامعة الكبيرة ، الصدر : ٢١٣ .
[٢] المصدر نفسه : ٢١٩ ، ٢٢٧ ، ٢٣٠ ، ٢٦٨ ، وغيرها .
[٣] الشموس الطالعة من مشارق الزيارة الجامعة ، الهمداني : ٢٦٤ .

السلام))([1])، فهنا كان الاقتباس غير مباشر أشار إليه الشارح بلفظ (المحكي عنه) وهو طباق المسكوت عنه ، فاستطاع الهمداني أن يستدعي المعنى القرآني لبيان محاكاة قول الإمام الهادي (عليه السلام) للآية القرآنية ، وهذا كشف الحسَّ التفسيري والبلاغي الذي يتمتَّع به الشارح ، وبه استطاع أن يضع بصمته التي انفرد بها عن بقيَّة الشارحين في هذا المورد ، نعم ؛ كانت محاكاة بين العبارة المعصومية وبين الآية الشريفة ، حيث أحال الإمام (عليه السلام) الأذهان إلى هذه الدعوة وتخصيصها فيهم دون غيرهم .

ومنه . المقصود الاقتباس غير المباشر . ما جاء في شرح قول الإمام العاشر (عليه السلام) : ((**وَارتَضَاكُمْ لِغَيْبِهِ**))([2]) ، قال الهمداني : ((وقوله : **وَارتَضَاكُمْ لِغَيْبِهِ** إشارة إلى قوله تعالى : ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ﴾{الجن/٢٧} ، وهذا إشارة إلى نصيبهم من الرسالة ، لأنّ مرتبة الرسالة قد عُرِفت أنّها دون مرتبة النبوّة وبه أشار إلى عالم الإرادة الكليّة الإلهية الذي هو في عوالمهم بمنزلة عالم المشيئة وعالم القرآن وعالم الجمع ، الذي لا يمكن تنزيله إلى عالم الشهادة إلّا بأحد الاسمين وأحد العالمين: إمّا عالم النور والذي هو الآية المحكمة ، وإمّا عالم الظلمة التي هي الآية المتشابهة))([3])، قسَّم الشارح العوالم الانتقالية بحسب الموروث الروائي الوارد عن أعلام الورى وأئمة التُّقى (عليهم السلام) ، وهذه الانتقالات قد أثبتت اصطفاءهم وتخصيصهم بالرسالة مع الذين أرسلهم الله تعالى في الأمم السابقة ؛ بأرواحهم ، وفي عالم وجودهم كانت

---

[1]) الشموس الطالعة من مشارق الزيارة الجامعة ، الهمداني : ٢٦٤.٢٦٥ . يُنظر : تفسير القمي : ١٢٤/٢ .

[2]) المصدر نفسه : ٣٩٤ .

[3]) الشموس الطالعة من مشارق الزيارة الجامعة ، الهمداني : ٣٩٤.٣٩٥ .

رسالتهم وجودية ، وهذه الرسالة التي اختصّوا بها كانت دون مرتبة النبوَّة المحمدية وفوق نبوَّات الأنبياء الآخرين.

وكان عالم الجمع مقصور عليهم ؛ لذا صار علم القرآن الكريم . محكمه ومتشابهه . منهم يُؤخذ ، وإليهم يُقصد ، وعندهم كل عاطشٍ يُورد ، ومن هذا التقسيم استطاع الشارح استنباط المعنى الكلّي لعبارة الإمام (عليه السلام) وتوضيحها وتوكيدها فيهم، وبوساطة ذلك كان الاقتباس المباشر يُراد منه بيان مراتب المرسلين بعد الخاتم (صلوات الله عليهم أجمعين) .

وقد ذهب إلى هذا الاقتباس غير المباشر الوحيدي في شرحه([1]) لهذه الفقرة المباركة ، وأورد الآيات ذاتها .

وورد الاقتباس غير المباشر في مواضع متعددة عند الهمداني([2]) ، وما ذكرناه للمثال لا للحصر .

وجاء الاقتباس غير المباشر في شرح قوله (عليه السلام) : ((**وَدَعَوْتُمْ اِلى سَبيلِهِ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ**))([3]) ، قال الأحسائي : ((يُشير به إلى قوله تعالى : ﴿**ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ**﴾{النحل/١٢٥} ، والمراد بالحكمة . والله أعلم . الدليل الذوقي الذي كان بعين الفؤاد وعلى مقتضى الفطرة التي فطرَ اللهُ عليها العباد وذلك مفيد للمشاهدة والمعاينة ، وذلك بقراءة ما كتب الله في ألواح كتب الآفاق والأنفس من

---

[1]) يُنظر : أنوار الولاية الساطعة : ١٢٢.١٢٣ .

[2]) يُنظر : الشموس الطالعة من مشارق الزيارة الجامعة ، الهمداني : ٢٧٠ ، ٤٤٤ ، ٤٩٠ ، ٦٩١ ، ٦٩٧ ، ٧١٦ .

[3]) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، الأحسائي : ٥٠/٢ .

الآيات الدّالات على معرفة الأشياء كما هي لأنّها هي مرايا المعاني والأعيان وليس فيها شُبَهٌ ولا أوهام ولا شكوك بل هي أشباح الأشياء وأظلتها بالحق الذي لا مريَّة فيه...))([1]) ، بيَّن الشارح أنّ المصداق الأوَّل لهذه الآية المباركة ؛ هم محمد وآل محمد (صلوات ربي وسلامه عليهم ، والمراد من ذلك ؛ إنَّهم (عليهم السلام) قاموا بتنفيذ الأمر الصادر من الربِّ سبحانه ودعوا إلى سبيله بما أراد ، وبوساطة الموازنة بين الآية والرواية ؛ يتم بيان الطلب والاستجابة ، إلّا أنّ ذلك لم يكن مختصَّاً فيهم وإنّما جارياً على باقي العباد .

وقصد الشارح بـ(الدليل الذوقي)؛ ما كان منعقداً في فؤادهم من عهد لله سبحانه وتعالى منذ أن فطرهم الله جلَّ جلاله وجعل تلك الصبغة الخاصَّة بالتوحيد تُحيط بقلوبهم الطاهرة وهم يدعون إلى تلك السبيل بحكمة متناهية تستجلب العباد ما إن يسمعوا محاسنَ كلامهم ، ومنه استطاع الشارح أن يُبيّن استجابتهم (صلوات ربي وسلامه عليهم) لربهم الذي طلب في آياته طلباً خاصَّاً لدعوة عباده ، فتمَّت كلمة الله على أيديهم ، وأشار إلى تناصّ حواري في هذا المقام سنأتي عليه في باب التناص إن شاء الله تعالى .

ومنه ما ورد في شرح قول الإمام (عليه السلام) : ((**وَإِيابُ الْخَلْقِ إِلَيْكُمْ، وَحِسابُهُمْ عَلَيْكُمْ**))([2]) ، قال الأحسائي : ((...إنَّهم الميزان أي الحقيقي أو الواقعي أو في الآخرة بقرينة وحسابهم عليكم كما قال تعالى: ﴿**إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ**﴾{الغاشية/٢٥}، إي إلى أوليائنا بقرينة الجمع إيابهم ﴿**ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ**﴾{الغاشية/٢٦}...))([3]) ،

---

[1]) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، الأحسائي : ٢/٥٠ .
[2]) المصدر نفسه : ٢/١٢٧ .
[3]) المصدر نفسه : ٢/١٢٧ .

خصص الشارح حساب الخلق إلى أهل بيت النبوَّة ولم يكن هذا الرأي بكراً جاء به الأحسائي ، وإنَّما هذا ما ورد عنهم (عليهم السلام) في شرح هذه الآيات المباركة إذ ورد ((عَنْ صَفْوَانَ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا الْحَسَنِ عليه السلام[1] يَقُولُ : ﴿**إِنَ إِلَيْنَا إِيَابَ هَذَا الْخَلْقِ وَعَلَيْنَا حِسَابُهُم**﴾))[2] ، فاستنبط الشارح هذا المعنى من الروايات الواردة عنهم (صلوات الله وسلامه عليهم) ، إلّا أنَّه لم يذكر ذلك في شرحه .

نعم ؛ قد وكَّلهم الله تعالى بحساب الخلق وأعطاهم جميع الصلاحيات في الحكم الإلهي وقد دللوا على ذلك كثيراً ، وحديث (قسيم الجنة والنار) قمينٌ في تثبيت هذا المعنى .

وكذلك ما ورد في شرح قول الإمام العاشر (عليه السلام) : ((**وَبِمُوالاتِكُمْ تَمَّتِ الْكَلِمَةُ ، وَعَظُمَتِ النِّعْمَةُ ، وَائْتَلَفَتِ الْفُرْقَةُ ، وَبِمُوالاتِكُمْ تُقْبَلُ الطّاعَةُ الْمُفْتَرَضَةُ ، وَلَكُمُ الْمَوَدَّةُ الْواجِبَةُ**))[3] ، قال الأحسائي : ((...على جهة الاقتباس من قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللّهِ فَإِنَّ اللّهِ سَرِيعُ الْحِسَابِ**﴾{آل عمران/١٩} ، فالمراد بالإسلام هنا هو الإيمان الكامل ولا ريب في اعتبار الموالاة فيه وإنّ المراد بالدين مطلقاً بُنيَ الكلامُ

---

[1]) الإمام الثامن أبو الحسن علي بن موسى الرضا (عليه السلام) .

[2]) تفسير فرات الكوفي : ٥٥٢ .وجاء في الكافي ((عَنِ ابْنِ سِنَانٍ عَنْ سَعْدَانَ عَنْ سَمَاعَةَ قَالَ: كُنْتُ قَاعِداً مَعَ أَبِي الْحَسَنِ الْأَوَّلِ [الإمام علي بن الحسين زين العابدين]عليه السلام وَ النَّاسُ فِي الطَّوَافِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ فَقَالَ : **يَا سَمَاعَةُ إِلَيْنَا إِيَابُ هَذَا الْخَلْقِ وَ عَلَيْنَا حِسَابُهُمْ فَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ ذَنْبٍ بَيْنَهُمْ وَ بَيْنَ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ حَتَمْنَا عَلَى اللَّهِ فِي تَرْكِهِ لَنَا فَأَجَابَنَا إِلَى ذَلِكَ وَ مَا كَانَ بَيْنَهُمْ وَ بَيْنَ النَّاسِ اسْتَوْهَبْنَاهُ مِنْهُمْ وَ أَجَابُوا إِلَى ذَلِكَ وَ عَوَّضَهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَ جَل**)) ، الكافي : ١٦٢/٨.

[3]) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، الأحسائي : ١٣٧/٤ .

على التعيين.))([1]، استشفَّ الشارحُ المعنى العامَّ للآيةِ المباركة بالدلالة العامة التي حملها النص المقدَّس للإمام (صلوات ربي وسلامه عليه)، وكأنَّه ـ أي الشارح ـ جعل من الآية المباركة المعنى المجمل ؛ وما ورد في نصّ الإمام مثَّلَ التفصيل المباشر للآية الشريفة، يبدو أنّ الآية المباركة لا تنطبق انطباقاً تامَّاً على نصّ الإمام (عليه السلام)؛ والتي تنطبق عليه قوله تعالى : ﴿ . . . الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾{المائدة/٣}، من الممكن أن تكون . على سبيل الاحتمال . هذه الآية أقرب للاقتباس غير المباشر من الآية المختارة من قبل الشارح ؛ لأنَّها تحمل المعاني الواردة في النصّ الإمامي المقدَّس .

وذكر الأحسائي مواضع أخرى للاقتباس غير المباشر([2])، ونكتفي بهذا القدر ولا نريد الإسهاب في إيراد الاقتباس غير المباشر من شرح واحد ، وإنَّما نذكر أمثلة ونحيل الباقيات من المواضع في الهامش للاستزادة من المعرفة .

وجاء هذا اللون البلاغي في شرح قول الإمام (عليه السلام) : ((**السَّلامُ عَلَى الدُّعَاةِ الى اللهِ**))([3]) ، قال الميلاني : ((...إنَّ الأئمة لم يدعوا الناس إلى أنفسهم دون الله ، ولم يُحدثنا التاريخ أن ذلك قد بدر منهم أبداً . والظاهر أنَّ هذه الجملة إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللّهِ وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ {يوسف/١٠٨} ، فعن الإمام أبي جعفر عليه السلام أنَّه قال في هذه

---

[1]) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، الأحسائي: ١٣٩/٤ .

[2]) يُنظر : المصدر نفسه : ٢٥٨/١ ، ٥٠/٢ ، ١٥٧ ، ١٧١ ، ١٧٦، ٢٠٩ ، ١٣٧/٤ ، وغيرها.

[3]) مع الأئمة الهداة ، الميلاني : ٢١٢ .

الآية : **ذَلِكَ رَسُوْلُ اللهِ وَأَمِيْرُ المُؤمنِينَ وَالأَوْصِياءُ مِنْ بَعْدِهِمَا**))([1]) ، أكَّد الشارح على خصوصية هذه الآية المباركة بحصر المعنى القرآني فيهم باستجلاب المعنى بأثر النصِّ المقدَّس الوارد ؛ من الآية المباركة ، وكان تعضيد ما ذهب إليه في رواية الإمام محمد بن علي الباقر(صلوات ربي وسلامه عليهم أجمعين) ، ولكن هناك حديث أقوى بالتعضيد وأجدى وأجدر ولم يذكره الشارح ؛ ألا وهو ما يُعرف بـ(حديث السلسلة الذهبية) ، وهذا الحديث يدل دلالة قويَّة على تثبيت المعنى وإرشاد الضال إلى الدعاة إلى الله ؛ وهم محمد وآل محمد (عليهم أفضل الصلاة والسلام) .

ومثله ما ورد في شرح قول الإمام (عليه السلام) : ((**وَالمُخْلَصِينَ فِي تَوْحِيدِ اللهِ**))([2]) ، قال الميلاني : ((في كلمة (المخلصين) وجهان :

يمكن أن تكون بفتح اللام، فالجملة إشارة إلى قوله تعالى : ﴿**إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ**﴾{الصافات/٤٠} .

ويمكن أن تكون بكسر اللام ، فهي إشارة إلى قوله تعالى : ﴿**وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاء وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ**﴾{البينة/٥} ، وفي كلتا الآيتين ذكر العبادة .

والإخلاص مصدر (خلص) ... فمن تخلص معرفته بالله ويخلص عبادته له ويصفيها من كل أنواع الشوائب ؛ يخلصه الله لنفسه ، فيكون مخلِصاً ومخلَصاً))([3])، لم يُبيِّن الشارح دلالة اللفظين ؛ يبدو أنَّ (**المُخلِصين**) بكسر اللّام تدلّ على الذين

---

[1]) مع الأئمة الهداة ، الميلاني : ٢١٢ . يُنظر مصادر الحديث : الكافي : ٤٢٥/١ .
[2]) المصدر نفسه : ٢٢٩ .
[3]) المصدر نفسه : ٢٢٩ .

يسيرون في طريق التكامل إلى الله تعالى ؛ لذا كانت بصيغة اسم الفاعل ؛ فهم الذين يسيرون في هذا الطريق للوصول إلى الكمال ، في حين كلمة **(المُخْلَصين)** بفتح اللام؛ تدل على الذين تعدوا مرحلة التكامل ووصلوا إلى مرحلة الاصطفاء فاتخذهم الله واستخلصهم لنفسه ، وإذا ثبت ذلك ؛ يعني أنَّ **(المُخْلَصينَ)** بفتح اللام هي المختارة في الزيارة .

ذهبنا إلى اختيار (المُخلَصينَ) مفتوحة اللام ؛ لأنَّنا نعتقد أنَّ أهل البيت (عليهم السلام) هم أبناء القيّمة ، وهم أصحاب الدين الذين اجتازوا مرحلة التكامل فاستخلصهم الله لنفسه ، فـ(المُخلِصينَ) يسيرون على منهجهم ليصلوا إلى مراد الله تعالى ، والدليل على ذلك ما ورد في تفسير الآية المذكورة ((عَنْ جَابِرِ بْنِ يَزِيدَ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَ جَلَ : ﴿**لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ**﴾ قَالَ [:] **هُمْ مُكَذِّبُو الشِّيعَةِ لِأَنَّ الْكِتَابَ هُوَ الْآيَاتُ وَ أَهْلَ الْكِتَابِ الشِّيعَةُ** وَ قَوْلُهُ [:]﴿**وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ**﴾ **يَعْنِي الْمُرْجِئَةَ** ﴿**حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ**﴾قَالَ [:] **يَتَّضِحُ لَهُمْ الْحَقُّ**– وَ قَوْلُهُ[:] ﴿**رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ**﴾ يَعْنِي مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله﴿**يَتْلُوا صُحُفاً مُطَهَّرَةً**﴾ يَعْنِي **يَدُلُّ عَلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْ بَعْدِهِ وَ هُمُ الْأَئِمَّةُ عليهم السلام وَهُمْ الصُّحُفُ الْمُطَهَّرَةُ** وَ قَوْلُهُ [:] ﴿**فِيها كُتُبٌ قَيِّمَةٌ**﴾ أَيْ **عِنْدَهُمْ الْحَقُّ الْمُبِينُ** وَ قَوْلُهُ [:] ﴿**وَما تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ**﴾ يَعْنِي **مُكَذِّبِي الشِّيعَةِ** وَقَوْلُهُ [:] ﴿**إِلَّا مِنْ بَعْدِ ما جاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ**﴾ **أَيْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْحَقّ** – ﴿**وَ ما أُمِرُوا**﴾ **هَؤُلَاءِ الْأَصْنَافُ** ﴿**إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ**﴾ **وَالْإِخْلَاصُ الْإِيمَانُ بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ الْأَئِمَّةِ عليهم السلام** وَ قَوْلُهُ [:]﴿**وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكاةَ وَالصَّلَاةُ وَالزَّكَاةُ**﴾ **أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عليهم السلام** ﴿**وَذلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ**﴾ قَالَ [:] **هِيَ فَاطِمَةُ** عليها السلام وَ قَوْلُهُ [:]﴿**إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا**

الصَّالِحاتِ﴾ قَالَ [:] **الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ بِأُولِي الْأَمْرِ وَأَطَاعُوهُمْ بِمَا أَمَرُوهُمْ بِهِ فَذَلِكَ هُوَ الْإِيمَانُ وَ الْعَمَلُ الصَّالِحِ))**(١) ، وورد أيضاً ؛ أنّ دين القيّمة دين القائم (عجل الله فرجه الشريف)(٢) ، وهذا يدلّ على أنَّهم (عليهم السلام) هم الدين ، ومَن تبعهم يكون مُخْلِصاً .

فالإمام (عليه السلام) استدعى المعنى القرآني الخاص في أهل البيت (صلوات الله عليهم) وتنسيقه في ألفاظه الشريفة بين ألفاظ زيارته المباركة ، فالشارح تنبَّه إلى الدلالة القرآنية في قول الإمام ؛ ولكنَّه وضعها بين آيتين ولم يُرجِّح إحداهما ، فكان لزاماً علينا توضيح ذلك وترجيح ما ينسجم مع النصوص الواردة عنهم (عليهم السلام).

وجاء الاقتباس غير المباشر في مواضع أخرى من الشروح المختارة(٣) ، وما ذكرناه للمثال لا للحصر .

---

١) تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة ، علي الاسترابادي ت(٩٤٠هـ) ، مؤسسة النشر الإسلامي ، قم ، إيران ، ط١ ، ١٤٠٩هـ : ٨٠٠ . يُنظر : بحار الأنوار : ٣٦٩/٢٣ ، تفسير كنز الدقائق وبحر الغرائب ، محمد محمد رضا المشهدي ت(١١٢٥) ، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي للطباعة والنشر ، طهران ، إيران ، ط١ ، ١٤١٠هـ : ٣٨٢/١٤ ، البرهان في تفسير القران : ٧١٨/٥ .

٢) تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة : ٨٠١ .

٣) في رحاب الزيارة الجامعة الكبيرة ، الصدر : ٢٥٩ ، ٤٧٢ ، ٤٨٢ ، ٥٥٥ ، وغيرها .

المبحث الرابع

أَلَّلفُّ والنَّشْرُ

بين المصطلح والإجراء

توطئة..

لون من ألوان البديع البلاغي الذي ينتمي لبيان جماليات المفردة من الطي والبسط ؛ الذي أطلق عليه البلاغيون بمصطلح (اللفّ والنشر) ؛ وهو من الألوان قليلة الإيراد في النصوص العربية ، وكذلك لقلتها في النصوص القرآنية نأى الباحثون عن بيان هذا اللون الذي لم يغب عن المفسر ذكره ، ويكاد ينعدم هذا اللون ـ حاله حال المصطلحات الأخرى التي تتجه نحو الإنقراض ـ ؛ وربما تجد من الباحثين لم يأتِ يوماً على مثل هذه المصطلحات كـ(الاستخدام ، الاستدراج ، الاستطراد ، حسن الافتتاح ، حسن التخلص ، التوجيه ، التنكيت ، تمهيد الدليل ، التتميم ، مراعاة النظير ، التعديد ، الاستتباع ، المزاوجة ، الترديد ، الازدواج ، التلميح ، التصريع ، رد العجز على الصدر ، التجريد ، براعة الاستهلال...) وغيرها من المصطلحات التي نجدها في كتب البلاغة وبتعريفات مختصرة جداً ؛ بالإضافة إلى مفهوم (اللف والنشر).

أمَّا الشروح الخاصَّة بالنصوص العربية (المعصومية وغيرها) فقد افتقرت لبيان هذا اللون ويكان أن يكون معدوماً فيها ؛ ولأنَّنا وجدنا مجموعة من الموارد التي أشار إليها الشارحون للزيارة الجامعة الكبيرة . رغم قلّتها . ارتأينا أن نجعلها في هذا المبحث كما سنبيّن مفهومه من حيث الحدِّ والآليات التي يأتي هذا اللون فيها .

- **اللّف والنشر في اللغة والاصطلاح**

كما تقدَّم في التوطئة من تعدد الألوان البلاغية ووحدة هدفها من حيث بيان الحكمة المستغلقة في السياقات اللغوية ؛ إذ ((إنّ طرائق التعبير العربي متعددة، يتفنن العربي في كلامه، فيوجز مرة ويطنب أخرى أو يحذف أو يذكر، وقد اعتمد العرب في كلامهم على فهم المتلقي وسرعة بديهته، فهم يذكرون أشياء متعددة ثم يذكرون ما لكل واحد منها متفرقاً من غير تعيين وذلك ثقة بنباهة السامع وقدرته على التمييز، وهذا المعنى ما سمّاه البلاغيون باللف والنشر))([1]) ، ولم يغب عن اللغويين وأرباب المعجمات أن يُعرِّفوا هذا المصطلح البلاغي من حيث الاستعمال اللغوي ومفهومه عند العرب .

فاللف والنَّشر في اللغة : عرَّف اللغويُّون هاتين المفردتين على أنَّهما متواليان، يُلازم أحداهما الآخر تلازماً دائماً فلا لفَّ بلا نشر ، ولا نشر بلا سابقة لف.

***فاللَّفُّ في اللغة** : يقول ابن فارس : ((اللَّامُ وَالْفَاءُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى تَلَوِّي شَيْءٍ عَلَى شَيْءٍ. يُقَالُ: لَفَفْتُ الشَّيْءَ بِالشَّيْءِ لَفًّا. وَلَفَفْتُ عِمَامَتِي عَلَى رَأْسِي. وَيُقَالُ: جَاءَ الْقَوْمُ وَمَنْ لَفَّ لَفَّهُمْ، أَيْ مَنْ تَأَشَّبَ إِلَيْهِمْ، كَأَنَّهُ الْتَفَّ بِهِمْ. قَالَ الْأَعْشَى: [من الطويل]

وَقَدْ مَلَأَتْ قَيْسٌ وَمَنْ لَفَّ لَفَّهَا ... نُبَاكًا فَقَوًّا فَالرَّجَا فَالنَّوَاعِصَا

وَيُقَالُ لِلْعَيِيِّ: أَلَفُّ، كَأَنَّ لِسَانَهُ قَدِ الْتَفَّ، وَفِي لِسَانِهِ لَفَفٌ. وَالْأَلْفَافُ: الشَّجَرُ يَلْتَفُّ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿**وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا**﴾ [النبأ:١٦] . وَالْأَلَفُّ: الَّذِي تَدَانَى فَخِذَاهُ مِنْ سِمَنِهِ، كَأَنَّهُمَا الْتَفَّتَا؛ وَهُوَ اللَّفَفُ. قَالَ: [من الطويل]

([1]) البحث البلاغي في تفسير الميزان (للسيد محمد حسين الطباطبائي) ، (رسالة) ، رياض خلف خزي المرشدي ، جامعة القادسية ، كلية التربية، ٢٠٠٦م : ١٥٧ .

عِرَاضُ الْقَطَا مُلْتَفَّةٌ رَبَلَاتُهَا ... وَمَا اللُّفُّ أَفْخَاذًا بِتَارِكَةٍ عَقْلَا

وَيُقَالُ لِلرَّجُلِ الثَّقِيلِ الْبَطِيءِ: أَلَفٌّ. وَاللَّفِيفُ: مَا اجْتَمَعَ مِنَ النَّاسِ مِنْ قَبَائِلَ شَتَّى. وَأَلَفَّ الرَّجُلُ رَأْسَهُ فِي ثِيَابِهِ، وَأَلَفَّ الطَّائِرُ رَأْسَهُ تَحْتَ جَنَاحِهِ. وَحَكَى بَعْضُهُمْ: فِي الْأَرْضِ تَلَافِيفُ مِنْ عُشْبٍ. وَلَفَفْتُهُ حَقَّهُ: مَنَعْتُهُ.))([1]) ، ولم يبتعد المعنى اللغوي عن المفهوم البلاغي من حيث الدلالة العامة المطلقة لمفهوم اللَّفِّ والنَّشر .

***النشر في اللغة** : يقول الخليل بن أحمد الفراهيدي : ((النَّشر: الرِّيحُ الطَّيبة، وفي الحديث: " خرج معاوية ونشره أمامه " يعني ريح المسك. ونشرت الثَّوب والكتاب نشراً: بسطته. والنُّشور: الحياة بعد الموت.. يُنشرهم الله إنشاراً. ونَشَرتِ الأرضُ تنشرُ نُشوراً، إذا أصابها الربيعُ فأنبتت، فهي ناشرةٌ. والنُّشرةُ: رقيةُ علاجٍ للمجنون، يُنشَّرُ بها عنه تنشيراً، وربما قيل للإنسان المهزول الهالك: كأنه نشرة. والتَّناشيرُ: كتابةُ الغلمانِ في الكُتّاب. والنَّواشرُ: عُروقُ باطنِ الذِّراع.))([2])، ومن هذا نفهم أن اللفَّ : الطي ، وهو طي شيء على شيء ، والنشر : هو البسط والفرش والبيان ، هذا من ناحية اللغة .

* **أمَّا اللَّفُّ والنَّشرُ في الاصطلاح** : فهما لفظان متلازمان تلازماً لا يتسلل إليه الإنفكاك من الناحية الإصطلاحية ، وأوَّل من اصطلح عليه هذا المصطلح ؛ هو السكاكي بقوله: ((وهو أَنَّ تلف بين شيئين في الذكر ثم تتبعهما كلاماً مشتملاً على

---

[1]) مقاييس اللغة : ٢٠٧/٥ ، يُنظر : أساس البلاغة ، مادة لفف ونشر على التوالي: ٣٤٨,٤٤٢/٢ ،لسان العرب ، مادة لفف ونشر على التوالي: ٣١٨/٩ ، ٥/ ٢٠٨ .

[2]) كتاب العين : ٤/٢ ، يُنظر : المحيط في اللغة :١٦٣/٢ ، الصحاح في اللغة : ٢٠٨/٢ ، القاموس المحيط : ١٤/٢ .

متعلق بواحد وبآخر من غير تعيين ثقة بأن السامع يرد كل منهما إلى ما هو له))([1].

ويُعرِّفه الشريف الجرجاني بقوله : ((اللف والنشر: هو أن تلف شيئين ثم تأتي بتفسيرهما جملة؛ ثقة بأن السامع يرد إلى كل واحد منهما ما له، كقوله تعالى: ﴿وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾ ، ومن النظم قول الشاعر: [من البسيط]

أَ لسْتَ أَنْتَ الَّذِيْ مِنْ وَرْدِ نِعْمَتِهِ وَوَرْدِ حِشْمَتِهِ أَجْنِيْ وَأَغْتَرِفُ

وقد يسمى الترتيب أيضا.))([2] ، وعلى هذا سار أرباب البلاغة الذين جاؤوا بعد السكاكي .

- **حدُّ اللَّلفِّ والنَّشر في شروح الزيارة الجامعة الكبيرة**

جاء حدُّ اللّفِ والنَّشر في شروح الزيارة الجامعة الكبيرة تحت مصطلح (الطي والنشر) ، كما أطلق أحد المفسرين عليه مصطلح(الإحكام والتفصيل)([3]) ، فالشارح يطرح سؤالاً قبل أن يُبيِّن الحد بقوله : ((ما المراد من الطي والنشر؟ الطي واضح يعني الجمع والنشر وهو عكسه وهو البث أن تبثه أن تفرّقه، يعني هناك جمع وتفريق، الطي جمع والنشر تفريق))([4]) ، لم يُفرّق الشارح . في حدِّه للّف والنشر . بين مصطلحين بلاغيين ؛ فهو خلط بين مصطلح (الإجمال والتفصيل) وبين (اللَّلفِّ

---

[1]) مفتاح العلوم: ٦٦٢. يُنظر : الإيضاح:٥٠٣، نهاية الارب: ١٢٩/٧، الطراز: ٤٠٤/٢.جواهر البلاغة: ٣٧٦، ٣٧٧.

[2]) التعريفات ١٩٣/١ .

[3]) يُنظر : الميزان في تفسير القرآن : ٧٢/١٠ .

[4]) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، الغزي : ١١٠/٣ .

والنَّشر) ، لذلك ذكرَ مواردا أطلق عليها مصطلح (اللّفّ والنَّشر) وهي من باب (الإجمال والتفصيل) ، وهذا ما دعانا إلى التنويه إلى هذا الأمر .

- **أقسام اللّفِ والنَّشرِ**

قسَّم البلاغيُّون اللَّفَّ والنَّشرَ على قسمين :

أحدهما ؛ (المرتَّب) أو **(الترتيب)** ، وقد مثَّلوا له بقوله تعالى : ﴿وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ﴿القصص/٧٣﴾ .

والثاني ؛ (غير المرتَّب) أو **(المشوش)** ، ومثَّلوا له بقوله تعالى : ﴿فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾ ﴿الإسراء/١٢﴾ .

وقد وجدت الدراسة قسماً **ثالثا** للّف والنشر في القرآن الكريم واصطلحت عليه بـ**(المقلوب)**؛ إذ لم يذكره أحد من البلاغيين وهو أن يأتي النشر قبل اللفّ ، وذلك ما ورد في قوله تعالى : ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ ﴿الروم/٢٣﴾ ، حيث جاء النشر **(مَنَامُكُم)** قبل اللّف **(بِاللَّيْلِ)** ، ثمَّ جاء اللف **(وَالنَّهَارِ)** وبعده النشر **(وَابْتِغَاؤُكُم)** فهو من اللف والنشر المقلوب .

ومورِدٌ آخر للَّفِّ والنَّشر المقلوب ما ورد في قوله تعالى : ﴿وَفَاكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾ ﴿عبس/٣٢﴾ ، إذ جاء النشر في **(وَفَاكِهَةً)** قبل اللفِّ في **(لَّكُمْ)** ، وكذلك جاء النَّشر **(وَأَبًّا)** قبل اللفِّ **(وَلِأَنْعَامِكُمْ)** ، ولم يُشر إلى هذا اللون أحدٌ من البلاغيين والمفسرين ، فقد وُفِّقت الدراسة في وضع يدها على هذا اللون البلاغي القرآني فكان إيراده ههنا قمينٌ بالإشارة .

- **تطبيقات اللّفّ والنَّشرِ في شروح الزيارة الجامعة الكبيرة**

جاء اللَّفُّ والنَّشرُ في شرح قول الإمام العاشر (صلوات ربي وسلامه عليه) : ((**طيباً لِخَلْقِنا**))([1]) ، قال المجلسي الثاني : ((إنَّ ولايتهم وحبَّهم علامة طيب الولادة، ويُحتمل أن تكون تلك الفقرات تعلقها بقوله : **وَجَعَلَ صَلَواتِنا عَلَيْكُمْ وَما خَصَّنا بِهِ مِنْ وِلايَتِكُمْ** على سبيل اللّفِّ والنَّشرِ المشوَّش...))([2]) ، يرى الشارح أنَّ تعلق طيب الخلق في الولاية من باب النشر عليه ؛ إلّا أنَّه لم يُبيِّن مفاصل اللف والنشر في الفقرات، نعم ؛ هي من اللّف والنشر ؛ ولكن تحتاج إلى بيان وتوضيح مواضع اللّف ومواضع النشر ، مواضع اللّف (**وَجَعَلَ صَلَواتِنا عَلَيْكُمْ**) و(**وَما خَصَّنا بِهِ مِنْ وِلايَتِكُمْ**) ومواضع النَّشر (**طيباً لِخَلْقِنا**) و (**وَطَهارَةً لِإنْفُسِنا ، وَتَزْكِيَةً لَنا ، وَكَفّارَةً لِذُنُوبِنا**) ؛ فاللّف (**وَجَعَلَ صَلَواتِنا عَلَيْكُمْ**) ونشره (**وَطَهارَةً لِإنْفُسِنا ، وَتَزْكِيَةً لَنا ، وَكَفّارَةً لِذُنُوبِنا**) واللّف (**وَما خَصَّنا بِهِ مِنْ وِلايَتِكُمْ**) نشره (**طيباً لِخَلْقِنا**) ، وللتوضيح أكثر في المخطط الآتي :

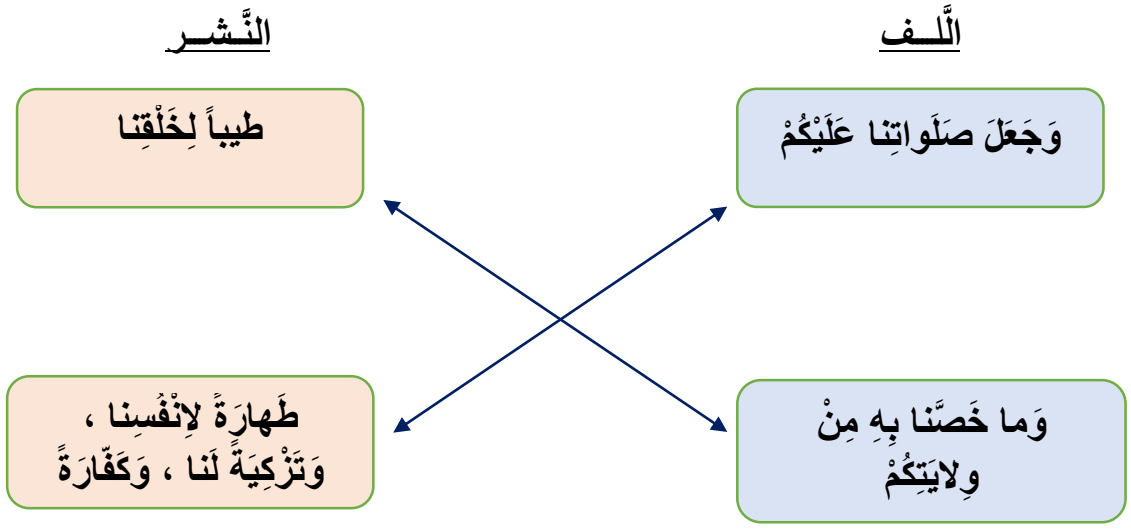

[1]) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، المجلسي الثاني : ٢٢٩ .
[2]) المصدر نفسه : ٢٢٩ .

فقد استند الشارح إلى ما ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام) في زيارة أئمة البقيع في قولهم : ((...**السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَئِمَّةَ الْهُدَى السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبِرِّ وَ التَّقْوَى السَّلَامُ عَلَيْكُمْ الْحُجَجُ عَلَى أَهْلِ الدُّنْيَا السَّلَامُ عَلَيْكُمْ الْقَوَّامُونَ فِي الْبَرِيَّةِ بِالْقِسْطِ السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الصَّفْوَةِ السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا آلَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ النَّجْوَى أَشْهَدُ أَنَّكُمْ قَدْ بَلَّغْتُمْ وَ نَصَحْتُمْ وَ صَبَرْتُمْ فِي ذَاتِ اللَّهِ وَ كُذِّبْتُمْ وَ أُسِيءَ إِلَيْكُمْ فَغَفَرْتُمْ وَ أَشْهَدُ أَنَّكُمُ الْأَئِمَّةُ الرَّاشِدُونَ الْمَهْدِيُّونَ [الْمُهْتَدُونَ] وَ أَنَّ طَاعَتَكُمْ مَفْرُوضَةٌ- وَ أَنَّ قَوْلَكُمُ الصِّدْقُ وَ أَنَّكُمْ دَعَوْتُمْ فَلَمْ تُجَابُوا وَ أَمَرْتُمْ فَلَمْ تُطَاعُوا وَ أَنَّكُمْ دَعَائِمُ الدِّينِ وَ أَرْكَانُ الْأَرْضِ لَمْ تَزَالُوا بِعَيْنِ اللَّهِ يَنْسَخُكُمْ فِي أَصْلَابِ كُلِّ مُطَهَّرٍ وَ يَنْقُلُكُمْ مِنْ أَرْحَامِ الْمُطَهَّرَاتِ لَمْ تُدَنِّسْكُمُ الْجَاهِلِيَّةُ الْجَهْلَاءُ وَ لَمْ تَشْرَكْ فِيكُمْ فِتَنُ الْأَهْوَاءِ- طِبْتُمْ وَ طَابَتْ مَنْبِتُكُمْ مَنَّ بِكُمْ عَلَيْنَا دَيَّانُ الدِّينِ فَجَعَلَكُمْ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَ جَعَلَ صَلَوَاتِنَا عَلَيْكُمْ رَحْمَةً لَنَا وَ كَفَّارَةً لِذُنُوبِنَا- إِذَا اخْتَارَكُمُ اللَّهُ لَنَا وَ طَيَّبَ خَلْقَنَا بِمَا مَنَّ بِهِ عَلَيْنَا مِنْ وَلَايَتِكُمْ...**))([1]) ، فجاء النصُّ في هذه الزيارة المباركة على سبيل تكامل الخطاب ، وذلك في قوله (عليه السلام) ((**وَ جَعَلَ صَلَوَاتِنَا عَلَيْكُمْ رَحْمَةً لَنَا وَ كَفَّارَةً لِذُنُوبِنَا**)) ، و((**اخْتَارَكُمُ اللَّهُ لَنَا وَ طَيَّبَ خَلْقَنَا بِمَا مَنَّ بِهِ عَلَيْنَا مِنْ وَلَايَتِكُمْ**)) وفي هذه الفقرة ورد ما اصطلحنا عليه (باللّف والنَّشر **المقلوب**) ؛ إلَّا أنَّ الشارح لم يذكر النصّ هذا ؛ يبدو أنَّه من المسلَّمات لديه ؛ لذا لم يذكره ولم يُشر إليه، وكان لزاماً علينا البحث عنه وإيراده لتعضيد ما ذكرناه ؛ وقد تنبَّه إلى التشويش في ذكر اللّف والنَّشر في نصِّ الإمام العاشر (صلوات ربي عليه).

([1]) كامل الزيارات ، جعفر بن محمد بن قولويه القمّي ت(٣٦٧هـ) ، دار المرتضوية ، النجف الأشرف ، العراق ، ط١ ، ١٣٩٧هـ :٥٤ .

وجاء اللَّفُّ والنَّشرُ المرتب في شرح قول الإمام العاشر (عليه السلام) : ((**وَأَنْتُمْ نُورُ الْأَخْيارِ وَهُداةُ الأَبْرارِ وَحُجَجُ الْجَبّارِ**))([1]) ، قال الهمداني : ((هذه الفقرات بيان لعلَّة عجزه على طريق اللَّف والنَّشر المرتب ، فالمراد أنَّكم دعائم الأخيار([2]) وكل ما صدر منهم من الخير فإنَّما هو أثر رشحة من رشحات ما هو مخلوق منه من فاضل طينتكم وسركم الذي أودعه الله تعالى ، ومن الأخيار الأنبياء والمرسلون والشهداء والصالحون والملائكة المقربون ...(**وأنتم عناصر الأبرار**)([3]) الذين هم يتقون ويأتون البيوت من أبوابها ، لكونهم مخلوقين من أنواركم ...(**وَحُجَجُ الْجَبّارِ**) يعني عالم جبروته ومظاهر عالم ولايته وأمثاله العليا وأسمائه الحُسنى وكلماته التَّامة ... فالجمل الثلاث حالات من المضاف إليه في الفقرات الثلاث مبيِّنة لعللها ، فالفقرة الأولى اعتراف بالعجز عن معرفة أعمالهم من الخيرات الصادرة عن كل واحد منهم ، والفقرة الثانية اعتراف بالعجز عن معرفة عالم أنوارهم وجبلَّتهم ، والفقرة الثالثة اعتراف بالعجز عن معرفة عالم فطرتهم عليهم الصلاة والسلام))([4]) ، تنبَّه الشارح إلى مواضع اللَّف والنشر المرتب في هذه الفقرات الثلاث ؛ حيث ورد كلُّ نشر مع لفِّه مباشرة دون فاصل (**نور ، الأخيار**) و (**هداة ، الأبرار**) و (**حجج ، الجبار**) وهذا لا يتأتى لكل مفكك للسنن وإنَّما يوجد عند صاحب الحس الذوقي البلاغي ، فكانت الإشارة من الشارح دقيقة جداً بوساطة فكِّ سُنن هذه الفقرات المباركة واستقراء ما تحت دلالاتها ومن ذلك استنبط المعنى البلاغي بين حدود إطاراتها ، ولم يُشر إلى

---

[1]) الشموس الطالعة من مشارق الزيارة الجامعة ، الهمداني : ٦٨٣ .
[2]) كذا في الأصل ، والصواب : نور الأخيار
[3]) كذا في الأصل ، والصواب : هداة الأبرار .
[4]) المصدر نفسه : ٦٨٣.٦٨٤ .

ذلك من الشارحين للزيارة الجامعة الكبيرة ، فهو رأي خاص به والدراسة توافقه على ذلك .

وجاء اللّف والنَّشر في شرح قول الإمام العاشر (عليه السلام) : ((**وَأشهَدُ أنّكُمْ الأئمّةُ الرّاشِدُونَ المَهْدِيُّونَ المَعْصُومُونَ المُكرَّمُونَ المُقَرَّبُونَ المُتَّقُونَ الصَّادِقُونَ المُصطَفُونَ المُطِيعُونُ للهِ القَوَّامُونَ بأمْرِهِ العَامِلُونَ بِإرَادَتِهِ الفَائِزُونَ بِكَرَامَتِهِ**))([1])، ذكر الغزي اللّف والنشر . في شرحه لهذه العبارة . بمصطلح (الطي والنشر) ؛ وذلك في قوله : ((...عَدَّد [الإمام عليه السلام] هذه الأوصاف إثنا عشر وهي إشارة واضحة إلى عددهم الشريفِ هذا المقطع وما بعده من العبارات ما بين طي ونشر...))([2]) ، اعتمد الشارح على المعنى اللغوي لمفهوم الطي والنشر ومنه أراد أن يُطبّقه على نصوص الزيارة الجامعة الكبيرة المباركة ؛ إلّا أنَّه خلط بين (الطي والنشر) وبين مفهوم (الإجمال والتفصيل) ؛ إذ إنّ الإجمال والتفصيل يعني : إيراد لفظ ما يحوي مفهوماً عامّاً مطلقاً ثمَّ يردفه بمصاديقهِ أو تمثُلاتهِ تعطي تفاصيل ذلك المجمل من اللفظ ، وخير مثال لذلك قول النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله) : ((**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمُ الثَّقَلَيْنِ أَمَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا لَنْ تَضِلُّوا- كِتَابَ اللَّهِ وَ عِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي فَإِنَّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ**))([3]) ، فكان المجمل (الثقلين)، وتفصيلاته (الكتاب والعترة) ، وللتوضيح نشير إلى ذلك بالمخطط الآتي:

---

[1]) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، الغزي : ٣/٩٠ .
[2]) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، الغزي : ٣/٩٠ .
[3]) بصائر الدرجات : ١/٤١٣ .

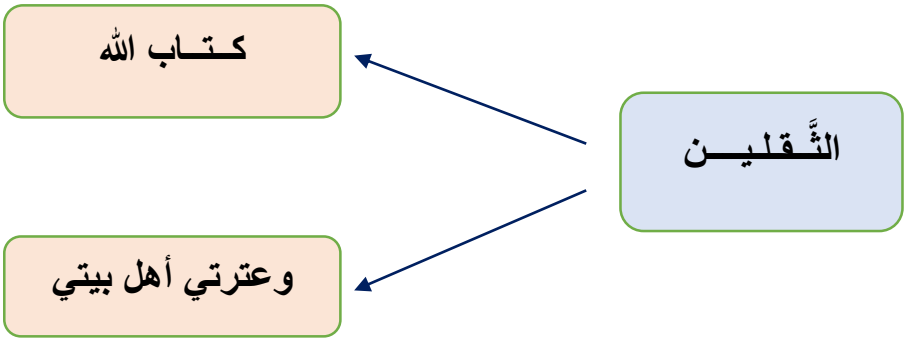

في حين أنَّ اللَّفَّ والنَّشرَ يحتوي مفهومه على اللفظ ومتعلقه ؛ وهذا ما لا يحمله مفهوم الإجمال والتفصيل . كما وضحنا . فالشارح خلط بين المفهومين فكانت النتيجة إيراد مصطلح والإتيان بالمخالِف ، وهذا يكشف دقَّة هذا اللون البلاغي وصعوبة كشفه.

ومثله ما جاء في شرح قول الإمام العاشر (عليه السلام) : ((**وَإِيابُ الْخَلْقِ إِلَيْكُمْ، وَحِسابُهُمْ عَلَيْكُمْ ، وَفَصْلُ الْخِطابِ عِنْدَكُمْ، وَآياتُ اللهِ لَدَيْكُمْ، وَعَزائِمُهُ فيكُمْ، وَنُورُهُ وَبُرْهانُهُ عِنْدَكُمْ، وَاَمْرُهُ اِلَيْكُمْ**))([1])، قال الغزي : ((من جملة فصل الخطاب هي هذه الكلمة : **(وَأَمرُهُ إِلَيكُم)** أمره كلُّ أمره إليكم ، أمره إليكم، ما تقدمَ كلُّه تفصيل ، عبارة **(وَأَمرُهُ إِلَيكُم)** هو طي لكل المعاني المتقدِّمة ، تقدمَ الكلام في الطي والنشر))([2]) ، حسب كلام الشارح ؛ إنَّ هذا المورد هو من اللَّف والنشر المقلوب ـ الذي اصطلحناه ـ ؛ إذ جاء النَّشر قبل اللّفِّ، ولكنَّه لم يكن موفَّقاً في ذلك؛ لأنَّ ما ذكره من باب (الإجمال والتفصيل) لا من باب (اللَّفِّ والنَّشرِ) ، وهذا جاء بسبب الخلط بين المفهومين لدى الشارح ، فلو تمعَّن بدقائق المصطلحين لفصل بينهما .

---

[1]) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، الغزي : ١٣٣/٣ .

[2]) المصدر نفسه : ١٣٣/٣ .

وكذلك ما ورد في شرح قول الإمام العاشر (صلوات ربي وسلامه عليه) : ((**مَنْ والاكُمْ فَقَدْ والَى اللهَ ، وَمَنْ عاداكُمْ فَقَدْ عادَ اللهَ ، وَمَنْ اَحَبَّكُمْ فَقَدْ اَحَبَّ اللهَ ، وَمَنْ اَبْغَضَكُمْ فَقَدْ اَبْغَضَ اللهَ ، وَمَنِ اعْتَصَمَ بِكُمْ فَقَدِ اعْتَصَمَ بِاللهِ ، اَنْتُمُ الصِّراطُ الأَقْوَمُ**))([1]) ، قال الغزي : ((نشرٌ وطي ، هذا نشر: من والاكم، من عاداكم، من أحبكم وَمَنِ اعتَصَمَ بِكُم فَقَدِ اعتَصَمَ بِاللهِ هذا الاعتصام، كيف نعتصم بشيءٍ ونحن لا نحبُّه؟! كيف نعتصم بشيءٍ ونحن نبغضه؟! كيف نعتصم بشيءٍ ونحن لا نواليه؟! كيف نعتصم بشيءٍ ونحن نعاديه؟! نحن لا نستطيع أن نعتصم بشيءٍ إلا ونحن نحبُّه ونحبُّ من يحبُّه، ولا نستطيع أن نعتصم بشيءٍ، اعتصام التصاق لجوء تَمسُّك، لا نستطيع أن نفعل ذلك حتى نحب ذلك الذي نعتصم به ونوالي ذلك الذي نعتصم به، نوالي أوليائه ونعادي أعدائه ونحبُّ أحبته ونبغض مبغضيه، لذلك هذا نشرٌ: (**مَنْ والاكُمْ** . ألَ محمد . **فَقَدْ والَى اللهَ ، وَمَنْ عاداكُمْ فَقَدْ عادَ اللهَ ، وَمَنْ اَحَبَّكُمْ فَقَدْ اَحَبَّ اللهَ ، وَمَنْ اَبْغَضَكُمْ فَقَدْ اَبْغَضَ اللهَ ، وَمَنِ اعْتَصَمَ بِكُمْ فَقَدِ اعْتَصَمَ بِاللهِ ، اَنْتُمُ الصِّراطُ الأَقْوَمُ**) من اعتصم بهم فقد اعتصم بالله لأنهم عيين العصمة وحقيقة العصمة.))([2])، وهذا . أيضاً بحسب رأي الشارح . من اللَّفِّ والنَّشر المقلوب ؛ إلَّا أنَّ المفهوم العام لدلالة اللَّف والنَّشر قد اختلطت لدى الشارح مع مفهوم الإجمال والتفصيل ؛ فهو يرى: أنَّ النشر جاء سابقاً على الطي (اللَّف) ؛ وهذا الاختلاط جعله يخطأ في إيراد المصطلح، ولعلَّ المعنى حاضرٌ في ذهن الشارح ؛ ولكن التعبير حصل فيه سبق لسان.

---

[1]) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، الغزي: ٣/١٣٤ .

[2]) المصدر نفسه : ٣/١٣٤ .

وليس هذا فحسب ؛ فقد أورد الغزي مثل ذلك في مواضع متعددة من شرحه([1]) يذكر فيه اللَّفَّ والنَّشرَ وهو من باب الإجمال والتفصيل ، وما ذكرناه للمثال لا للحصر.

[1]) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، الغزي : ١٦٨/٣ ، ١٧٣ ، ٢٠٠ ، ٢٣٤ .

الباب الثاني

المباحث النقدية

القضايا النقدية

في

شروح الزيارة الجامعة الكبيرة

توطئة

لا ينفكُّ النقدُ عن العلوم الأخرى في البحوث النَّصيّة . إنصافاً . وإن جاء تالياً لإبداعها ؛ فهو يرتبط مع وجودها ارتباطاً يكاد يكون منصهراً في النص الإبداعي ؛ ((لأنَّ النَّقد يبدأ مباشرة بعد ولادة النص الإبداعي ، فالمبدع يمعن النظر قبل غيره في نصِّه المنتج ، وقد يكون هذا الإمعان بعد كل خطوة ، أو بعد الإنجاز ، أو قد يكون إمعاناً مكرراً قبل إذاعته بين الناس.))([1]) ، وبوساطة قراءته لنصِّه ؛ يقوم المبدع بتغيير وتحويل وتبديل وتشذيب عام في تراكيب نصِّه ومن ثمّ يقدِّمه للمتلقي على أكمل وجه . كما يراه هو . وكلُّ هذه النظرات الفاحصة التي تلت خلق النصّ ؛ هي نظرات نقدية ميَّزت جيد العبارات من رديئها .

والبلاغة . حالها في ذلك حال البحوث الأخرى . يرتبط بها النقد ولا ينحلُّ عنها البتَّة ، بل أنّ الأحكام التي تصدر على موضوعات البلاغة كلها إنَّما هي أحكام نقدية يتلمسها الباحث في الموضوعات لتمييز جيدها من رديئها ؛ لذا كان حريٌّ بنا أن نعقب المباحث البلاغية بمباحث نقدية ، إيماناً منّا أنَّهما ينصهران في بوتقة واحدة مفادها بيان جماليات ورداءة النصوص ، فالمباحث البلاغية والنقدية ماهي إلَّا مخرجات لمدخلات النصوص المبحوثة .

---

[1]) في النقد الأدبي منطلقات وتطبيقات ، د. فائق مصطفى ، د. عبد الرضا علي ، مديرية دار الطتب للطباعة والنشر ، الموصل ، العراق ، ط١ ، ١٩٨٩ : ٩٣ .

لم تكن العملية النقدية ـ التي استوت علماً مستقلّاً بذاته له أصوله ومناهجه ومنطلقاته ـ بالعملية اليسيرة ؛ فقد مرَّ النقد بمراحل ومطبَّات متعددة بين الدفع والجذب حتى أخذت هذه المحاولة وضع تصورات كاملة لماهية النص ؛ وذلك بوساطة وضع تساؤلات عديدة ، كيف يتكوَّن النص؟ ومتى تكوَّن ؟ ، وما العناصر التي بها تحقق مفهوم النص الخاص؟ ؛ فهذا المتعرج من الزمن ؛ أسهم في ترسيخ بدايات الاختلاف التي صدحت بين المدارس النقدية ومذاهبها وبيان اتجاهاتها والمناهج التي اتخذها النقَّاد ، وهذا ما حوَّل زاوية النظر لمفهوم النص ؛ فصار كلُّ ناقد ينظر للنص من المنطلقات الفكرية . والحصيلة اللغوية الكامنة في مخيَّلته . التي يؤمن بها ، وهي ـ باعتقاده ـ التي تقوم بتحقيق ما يتطلَّع إليه من تلمس ماهية هذا اللون الأدبي وآليات مفهومه ؛ وهذا يتأتى مما يمتلكه من سرمدية تسكن فكره وما ورائية تروي مخيَّلته؛ مستعصية على الفهم والإدراك والتقنين، ولأنَّها داخلة في الغيبيات ، أو ما يُسمَّى بالإلهام الخاص بمجموعة من الناس دون غيرهم؛ لذا انعطفت أنظار الناقدين عن تتبع الأصول إلى التفتيش في البنية الداخلية للنص، محاولة منهم لتصيُّد المكونات الأساسية الخاصة به ، التي يكون النصُّ ـ بكُلِّيَّته ـ سبكاً فنياً مؤطراً بجماليات تامة بوساطة عناصر لفظية شكلية تقوم على تحقيق مناح تدعو إلى دلالية جديدة ، تركِّز في فحواها على ما يدعوا إلى مخرجات مخيلة مفكك السُّنن بها([1]).

وهذا الاحتدام الفكري الواسع القائم على توليد وتوالد الاختلافات في وجهات النظر النقدية؛ أسهم في توسيع هوَّة اختلاف المفهوم ذاته عند الشارح أثناء شرحه ومحاولة منه لاكتشاف ماهية اللغة النصية للزيارة الشريفة، وهذه التوجهات كلّها . مجتمعة . أسهمت في تعدد الإجراءات المتبعة من قبل الشارح للزيارة بتعدد الموضوعات

[1]) يُنظر : لغة الشعر في الخطاب النقدي الأكاديمي العراقي ، (أطروحة) ، مسلم مالك الأسدي، جامعة كربلاء ، كلية التربية للعلوم الإنسانية ، ٢٠١٤م : ١٤٧.١٤٨ .

الكامنة فيها ، ومنها تكثَّرت الزوايا الناظرة إلى الزيارة ولغتها ، فأدى ذلك إلى اختلاف الشروح لنص الزيارة الجامعة الكبيرة ، فكانت المشارب المختلفة التي تقطن في أذهان الشارحين أدت إلى الكثرة في التسنين لتفكيك هذا السفر العلوي العظيم، ومنه معرفة المكونات . الخاصة التي يمتلكها . باللغة تارة ، والقرآن تارة أخرى، والرواية تارة ثالثة ، التي تكوَّن النَّصُّ منها ؛ لذا كان على الباحث أن يتَّبع جملة من الإجراءات التي يراها مناسبة ؛ والخطط التي بسببها يرى إماطة اللثام عن الكينونة الخاصَّة المشابة بالغموض كثيراً لهذا الكيان العلوي المسمَّى بالزيارة الجامعة الكبيرة.

تختلف النظريات النقدية . المسنِّنة لشروح الزيارة الشريفة . ظاهريًّا وإجرائيا؛ إلَّا أنَّها تختلف مع عدد من القضايا المغايرة لأسسها ؛ لذلك صارت النصوص التي تدخل في بيدق النقد تواجه بإجراءات لتشريحها ولتسهيل فهمها ؛ لذا نحاول توضيح أهم المحاور الإجرائية التي استعملها الشارح للزيارة المباركة لتفكيك السُّنن المكونة لبنية النص المعصومي ، ونحاول أيضاً وضع التصور الفريد الذي أودعه الشارح في عمله ، مع محاولة منا لاستكشاف أهم القضايا التي حاول الشارح مناقشتها في متنه داخل الشرح ، لمعرفة مدى مصداقية الدور الذي إليه استند لبيان دلالة النص المعصوم ، وكذلك مقدار نسبة صحة أو خطأ ما أسنده لتلك القضايا الخاصة في شرحه.

ومن أجل ذلك سنعتمد الخُطَّة الآتية في بحث هذا الباب

١. الفصل الأوَّل : سنبحث فيه آليات دراسة الزيارة الجامعة الكبيرة بين التنظير والإجراء .

٢. الفصل الثاني : سنبحث فيه التناص مصطلحاً نقدياً ؛ حيث سنعمد فيه إلى بيان التناص بين الشروح .

الفصل الأول

الآليات المتبعة في شروح الزيارة المختارة

الفصل الأوَّل

الآليات المتبعة في

شروح الزيارة الجامعة الكبيرة بين التنظير والإجراء

توطئة :

تصحب الأعمال العامَّة منها والخاصَّة آليات لابُدَّ من وجودها ؛ يسير عليها العمل لتفادي المنعطفات والتعرجات التي قد تكون عائقاً في تقدُّم العمل وتحول دون وصوله إلى مراده ، وكلُّ هذه الآليات . مجتمعة . تخدم العمل وتكون له جسوراً يصل منها إلى غايته المرجوَّة .

وقد أسهمت الدروس النقدية الحديثة في تحليل النصوص اللغوية والأدبية في سبيل الدخول والتسلل إلى داخل النص لاستكناه مراده ، ولمَّا كان النقد يضع اهتمامه بالسياق العام المتمثل بخارجيّة الفحوى ما يُعرف (بالسياق الخارجي) ، فضلاً عن اهتمامه بالباث الرئيس للنص من دون النظر إلى ما يحمله النص من الثراء اللغوي الجمالي؛ إذ يُعدُّ ذلك الثراء الحصيلة اللغوية التي يستسيغها مفكك السُّنن ويحسبه جزءاً لا يتجزأ من بنية النص .

فبما يمتلكه الشارح الذي أخذ على عاتقه شرح السفر العلوي الخالد ؛ من لغة ومنطق وفلسفة وأصول وفقه وعلم كلام وعلم رجال ؛ كل ذلك مكَّنه من تلمُّس جمالية النص المعصومي وإظهاره من طريق تسهيل المعاني الغامضة وبسط المطوي وتفسير المجمل وتبيينه بعدما كان ذلك مختبئاً خلف ستار العبارات العامة للزيارة.

ولعل ألفاظ الزيارة الجامعة الكبيرة بما تحمله من فخامة اللّفظ وجزالته ، وضغطه المعنوي ؛ جذب الشارحين إلى سبر غوار هذا النتاج الضخم ، لما وجدوا فيه من

ثراء عقدي ومعرفي ولغوي كبير ؛ كان محط اهتمامهم وسر استشهادهم في مفاصل حياتهم العلمية والعملية ، بتطبيق النظريات الكامنة في الزيارة الجامعة الكبيرة، والوقوف على فقراتها واستنباط الموضوعات المتعددة منها .

وبسبب اختلاف المشارب والموارد ووجهات النظر لشارحي الزيارة ؛ ولأهمية ما جاء في مكونات الزيارة الجامعة الكبيرة من علوم متعددة ، ومدى تأثير ذلك في تشكيل الكينونة العامَّة في لغتها ؛ لذا سيعمد البحث إلى رصد هذه المكونات الباعثة على وجود النص ، من طريق ما جاءت به خطّة الدرس النقدي في شروح الزيارة المختارة ، ومحاولة رصد بعض مسائلها التي اشتملتها الشروح في كلّ فقرة من تلك الفقرات وقبل ذلك كلّه ينبغي أن نرصد رصداً دقيقاً وعامَّاً للخطط المتبعة من قبل الشارحين اثناء محاولتهم بيان ماهيَّة الزيارة الشريفة الذي هو بصدد دراستها .

المبحث الأوَّل

رصد الخُطَّط المتَّبعة في الشروح المختارة

يحتاج العمل الأدبي إلى آلية يسير وفقها لتحقيق غايته التي يرجوها ، ومن هذه الآليَّات آليَّة خاصَّة تُتَّخذ في البحوث العلمية تُسمَّى (الخُطَّة) ؛ **وهي خارطة طريق يتبعها الباحث في تنظيره وتطبيقه لإنجاز بحث ما ، وتُعدُّ الخُطَّة من الأساسيات الواجب توافرها في كل بحث أدبي ، ولا يُمكن الاستغناء عنها ؛ في أي شكل من الأشكال** ، فهي من ضروريات العمل البحثي يتخذها الباحث لتعبيد الطريق واختصاره .

في حين يرى بعض الباحثين أنَّ الخُطَّة هي ((منهج أو طريقة ، مجموعة التدابير والإجراءات المتخذة الهادفة إلى إنجاز عمل ما))([1]) ، أو هي ((التصور المستقبلي لطريقة جمع المادة العلمية للبحث ، ولطريقة معالجتها ، وطريقة عرض نتائج البحث بعد التنفيذ))([2]) ، إلَّا أنَّ هذين التعريفين لا ينسجمان والدلالة العامَّة المطلقة للخُطَّة ؛ **فالتعريف الأوَّل** : لا يُميِّز بين المنهج والخطَّة ؛ إذ إنَّ المعنى المتقدم للخطة يكشف التداخل بين المنهج وبين مفهوم الخطَّة ، وهذا التداخل وقع في محضوره أحد الباحثين حينما اقترن لديه المنهج مع الخطة فصارا مترادفين ترادفاً تامًّا ولا يخرج عن التقسيمات الخاصة بدراسته([3]) ، مما جعلنا نضع هذا الرأي على طاولة التشريح ، لأنَّ المنهج هو ((رؤية وإجراءات ، وهو يختلف بشكل واضح عن خطة البحث ، المنهج زاوية يُدرَس في ضوئها ومن خلالها النص الأدبي، أما خطة

---

[1]) معجم اللغة العربية المعاصرة ، د. أحمد مختار عمر ، عالم الكتب ، القاهرة ، مصر ، ط١، ٢٠٠٨م : ٦٤٤/٢ .

[2]) قواعد اساسية في البحث العلمي ، د. سعيد إسماعيل ، المدينة المنورة ، السعودية ، ط٢ ، ٢٠١٠م : ١٢٩ .

[3]) يُنظر : لغة الشعر في الخطاب النقدي الأكاديمي العراقي : ١٤٩ .

البحث فهي ترتيب وتنسيق ما يدرس بوساطة تلك الزاوية))([1])، هذا يختلف جذرياً عن مفهوم الخطة ، وهو ما جعلنا نفرق بين المنهج والخطة.

والتعريف الثاني : جعل الخُطّة وسيلة لجمع المادَّة ، متناسياً في ذلك الطوارئ التي تطرأ على الخُطّة أثناء البحث ومما يؤدي ذلك إلى تغيير أو تبديل أو تحويل في بعض فقراتها .

فما ذهبت إليه الدراسة أقرب لمفهوم الخُطة من التعريفينِ المذكورين .

تعددت الخطط الخاصَّة في شروح الزيارة الجامعة الكبيرة وفقاً لتعدد الثقافات التي يمتلكها الشارحون ؛ فقد وجدنا مفاهيم متعددة اتبعها الشارحون ؛ لذا استنبطنا هذه المفاهيم بالاستقراء التام والرصد الدقيق لآلية الخطط المتبعة ، وهي :

١. الخطَّة الموضوعية :

وهي الخُطة التي يتَّبع فيها الباحث موضوعات متعددة ويقوم بشرح فقرات الزيارة الجامعة الكبيرة بسببها ، وكذلك يقوم الشارح بانتزاع بعض الموضوعات من سياقات الزيارة الشريفة ، وهذا ما وجدناه في شرح الهمداني الذي أخذ على عاتقه بيان الموضوعات المتعددة في فقرات الزيارة الجامعة الكبيرة ، من ذلك ما ورد في مواضع متعددة في شرحه ؛ على سبيل المثال انتزاعه موضوع الوحدانية والعددية من شرحه لقول الإمام العاشر (عليه السلام) : ((**أَشهَد أَنْ لا إِلهَ إِلَّا اللهُ وحْدَهُ لا شَريكَ لَهُ**))([2]) ، قال : ((الوحدة الذاتية والعددية : قوله (عليه السلام) (**وَحْدَهُ**) الوحدة وحدتان :

---

[1]) المناهج النقدية في نقد الشعر العراقي الحديث ، حسين عبود حميد ، (اطروحة دكتوراه) ، مطبوعة بالالة الكاتبة ، كلية الاداب ، بغداد ، ١٩٩١م : ١٦ .

[2]) الشموس الطالعة من مشارق الزيارة الجامعة ، الهمداني : ٣٣٩ .

وحدة ذاتية ووحدة عددية .))([1] ثمَّ يشرع بالتفصيل في هاتين الوحدتين ؛ فقد انتزع الموضوع من السياق الوارد في النصّ المقدَّس وبنى عليه أفكاره التي أراد أن يُبثَّ عقيدته من خلالها .

ونجد فيما ذكره الشارح ؛ أنَّه يستقرئ النص الوارد عن المعصوم وينتزع الموضوعات التي يراها مبثوثة داخل البنية التركيبية ؛ فيضع يده عليها منها يستقطب الآيات والروايات الخاصَّة في ذلك الموضوع ليُشبعه بحثاً وتتبُّعاً ، فكان أسلوبه ينماز برصانة وسبك في العبارة من جهة ؛ ومن جهة أخرى يُحيل مفكك السُّنن إلى الموارد المشابهة في كتبٍ أخرى ، وبذلك يكشف عن الحكمة المستغلقة . حسب ما يراه هو . التي أرادها المعصوم في إيراد هذه الفقرة وهذا الموضوع ؛ فهو يرى : إنَّ الفقرات الواردة في الزيارة الجامعة الكبيرة تنماز بدقَّة الملاحظة والحشد المعنوي ، وتفكيكها يحتاج إلى تتبّع دقيق من قبل الشارح .

ومثل ذلك ما جاء به الشارح في شرحه لعبارة الإمام (عليه السلام) : ((**وَأَعْلَام التُّقَى**))([2]) ، إذ يُفرِّع الهمداني من هذه العبارة موضوعات متعددة مثل : (التحقيق في حقيقة التقوى) و(الإنسان فيه استعداد الإيمان والكفر) و(المراد من الله الذي يُذكر قبال الطاغوت هو الله الاسم لا المسمّى) و(حقيقة التقوى) و (حقيقة الورع)([3])، فهو يُفكك العبارة الواردة في الزيارة المباركة فمنها الموضوعات الموجودة فيها ومن طريق إحالة بيانها إلى الكتاب والعترة ؛ يفتح من ذلك موضوعات أخرى يجعل من الفرعيات أصولاً إضافية لتقريب المعنى وتثبيت الدلالة التي يُريدها، وهذه الموضوعات كلها يستند في بيانها إلى موارد ينهل الشارح منها مراده ؛ كالآيات

---

[1]) الشموس الطالعة من مشارق الزيارة الجامعة ، الهمداني: ٣٤٢ .
[2]) المصدر نفسه : ٢٤٣ .
[3]) المصدر نفسه : ٢٤٤ ، ٢٤٩ ، ٢٥١ ، ٢٥٣ .

القرآنية والأحاديث وكذلك استعانته باللغة في بيان المعاني الإول ، مما يُشعر المتلقي بأسبقيَّة تقرير المراد في ذهن الباث قبل استدعاء الموارد ، وكأنَّه يسير وفق خارطة طريق قد رسمها قبل الخوض بتفكيك العبارات ، وهذا أسلوب رائع يجعل المتلقّي أكثر غوصاً في مفاهيم استطردها الشارح من دون سابق تنبيه للمتلقي.

والهمداني اتَّخذ من هذا الأسلوب أساساً في بيان جميع فقرات الزيارة الشريفة وما أوردناه للمثال لا للحصر ؛ لأنَّ إيرادها يُثقل البحث ، وإيجازنا للذكر المختصر يُنبئ عن إنَّ الإشارة أفضل من الإسهاب ، والقارئ قمين بمراجعة الأصل للاستزادة.

وهذا الأسلوب وجدناه عند السند في شرحه للزيارة الجامعة الكبيرة ، فقد جعل شرحه بجميعه ـ على الرغم من أثره كان في تصحيح سند الجامعة الكبيرة ـ فكان الشرح يلي العناوين التي وضعها السند ليُفكك سُننَ السياقات الواردة في الزيارة ، من ذلك ما وجدناه من عنوانات لموضوعات تندرج تحتها فقرات الزيارة ؛ ما جاء في (مضامين الزيارة الجامعة)([1]) ، و(توثيق الأعلام للنخعي واعتمادهم واستشهادهم بالزيارة)([2])، و(أقوال العلماء في سند ومتن الزيارة)([3]) ، و(رد الشبهات)([4]) ، و(شبهة الإثارة)([5])، وغيرها من الموضوعات التي أوردها السند بطريقة العنوانات العامة ويُفصِّل فيها مراده .

والمأخذ على شرح السند ؛ أنَّ الكتاب كان أغلبه في تصحيح سند الزيارة وبيان عدل الراويَيْنِ الذينِ رويا الزيارة المباركة ، أمَّا المضامين العامَّة التي تخصّ الزيارة الجامعة الكبيرة فهي نزر قليل ، فعنوان الكتاب لا يدلّ على المعنون، فلو كان

---

[1]) في رحاب الزيارة الجامعة الكبيرة ، السند : ٢٥ .
[2]) يُنظر : المصدر نفسه : ٤٣ .
[3]) المصدر نفسه : ٤٣ .
[4]) المصدر نفسه :٥٧ .
[5]) المصدر نفسه : ٥٩ .

العنوان : **(رواية الزيارة الجامعة الكبيرة بين الجرح والتعديل)** أو **(البرمكي والنخعي ـ راويا الزيارة الجامعة الكبيرة ـ بين الجرح والتعديل)** لكان أقرب لفحوى الكتاب ، لأنَّ العنوان (في رحاب الزيارة الجامعة الكبيرة) يوحي إلى تسليط الضوء على مضامين الفقرات الواردة في الزيارة الجامعة الكبيرة ؛ إلَّا أنَّه دقق النظر في رواة الزيارة الجامعة الكبيرة بشكل كبير ، وما ورد من بيان المضامين يُعدُّ كالملح على الطعام في الجو العام للكتاب .

وكذلك ذهب إلى الشرح الموضوعي ؛ الميلاني . في بعض الفقرات التي شرحها . حيث أشار إلى موضوعات متعددة استنبطها من عبارات الإمام العاشر (عليه السلام)، فوضع موضوعات مختلفة بحسب المقام والمقال ، مثل : (مشاركة أهل البيت في رسالة النبي)([1]) و(نبوة نبينا أوَّل النبوات)([2]) و(تقدمه في الخلق فهو نبي الأنبياء)([3]) و(نزول الملك إلى الزهراء الطاهرة)([4]) ، وغيرها من المواضع التي تندرج تحت يافطة الموضوع ، ولم يتخذ الميلاني هذا الأسلوب أسلوباً عامَّاً في جميع فقرات الكتاب جميعها ؛ وإنَّما كان هذا الموضوع متناثراً بين طيات شرحه ، وهو من باب استلهام واستعمال طرق متعددة في شرحه ، وكما سنأتي على الخطَّة العامَّة التي اتخذها . الميلاني . أُسلوباً في شرحه للزيارة الجامعة الكبيرة .

٢. الخطَّة المقطعية :

هي استعمال الشرح بطريقة اقتطاع نص معيَّن من الزيارة الجامعة الكبيرة ؛ ويشرع الشارح ببيان المعاني العامة والدقيقة لذلك المقطع ، وبعد اكماله ينتقل إلى

---

[1]) يُنظر : مع الأئمة الهداة ، الميلاني : ٦٥ .
[2]) المصدر نفسه : ٦٧ .
[3]) المصدر نفسه : ٧٠ .
[4]) المصدر نفسه : ٧٤ .

مقطع آخر، وهذه الطريقة لم تكن مبتكرة ، وإنَّما استعملها المفسرون([1]) من قبل ، والمقطع لم يكن محدداً عند الشارحين بعدد الكلمات أو الجمل ؛ بل اعتمدوا الفواصل المعنوية، أي كل مقطع ينتهي معناه عند فقرة ؛ اقتطعوه وشرعوا في بيانه.

هذا اللون نجده في شرح الميلاني ، فقد شرع في تحديد مقاطع من الزيارة الجامعة الكبيرة ، ومن ثمّ انطلق في بيان مضامينها ، فالمقاطع الأولى جعل كلَّ مقطع ينتهي بقوله (عليه السلام) : ((**وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكاتُهُ**))([2]) ـ وهي خمسة مقاطع ـ تفسيره على حدة ، ومن ثمّ انتقل إلى المقاطع الأخرى ، فكان الشرح على سبيل المقاطع التي يقتطعها الشارح ومنها يشرع في بيان معانيها وموضوعاتها ؛ وقد انفرد الميلانيُّ ـ من بين الشارحين ـ باحتذاء هذه الطريقة في الشرح .

يبدو أنّ هذه الطريقة يحصل فيها تكثيف للمعاني وتداخل الموضوعات ؛ لأنَّها تعتمد المقطع ـ طولاً وعرضاً ـ ، والمقطع تتداخل فيه الموضوعات ولم نجد الإشارة من الشارح إلى الإحالة في الشرح إلى موضوعات متشابهة في مقاطع أخرى رغم وجود تشابه بينها ، مما يجعلنا نحكم على هذا الأسلوب بـ(الاستقراء الناقص) .

٣. الشرح السردي التجزيئي :

لم يذكر أحدٌ من الشارحين أسلوبه الخاص في اختيار الخطة التي اتخذها خارطة طريق لشرحه بهذه المصطلحات ؛ فارتأينا ـ وبعد الاستقراء التام ـ أن نضع مصطلحات تنسجم وما موجود في شروحهم .

---

[1]) يُنظر على سبيل المثال : التبيان ، الكشاف ، مجمع البيان ، من هدى القرآن ، وغيرها من التفاسير التي اعتمدت التفسير المقطعي في بيان المعاني التفسيرية للآيات القرآنية المباركة .

[2]) يُنظر : مع الأئمة الهداة ، المبلاني : ٥٦ ، ١٤٨ ، ١٨١ ، وغيرها .

وهذا المصطلح نطلقه على الشرح الذي قام به بعضُ الشارحينَ بسرد تجزيئي لفقرات الزيارة الجامعة الكبيرة ومن ثمّ شرح الفقرات الواحدة تلو الأخرى ، كما جاء هذا اللون من الخطَّة في شرح الوحيدي ؛ فهو يذكر فقرات الزيارة الجامعة الكبيرة فيجزء الفقرات جزءاً جزءاً ثم يشرع ببيان المعاني العامة والخاصَّة في الفقرات، منه ما جاء في شرح قول الإمام العاشر (عليه السلام) : ((**السَّلامُ عَلَيكُمْ يَا أَهْلَ بَيْتِ النُّبُوَّةِ**))([1]) ، و((**وَمَوْضِعَ الرِّسَالَةِ**))([2]) ، و((**وَمُخْتَلَفَ المَلائِكَةِ**))([3])، . . . . و((**وَالتّامِّينَ فِي مَحَبَّةِ اللهِ**))([4]) ، . . . .و((**مَنْ آتاكُمْ فَقَدْ نَجَى وَمَنْ لَمْ يَأتِكُمْ فَقَدْ هَلَكَ**))([5]) ، ... وإلى آخر الفقرات المباركة ، فالشارح لا ينتقل إلى فقرة ما إن تكتمل مفاصل الفقرة الأولى بجميع أجزائها ، وهكذا سار في شرح جميع الزيارة الجامعة الكبيرة.

المأخذ على هذه الخطّة ؛ هو الجمود والإلتزام ببيان الفقرة المراد شرحها دون الإشارة إلى متعلقاتها أو توضيح المسكوت عنه ؛ لأنَّ ألفاظ الزيارة الجامعة الكبيرة . حسب اعتقادنا . فيها من الحشد المعنوي ما لا تستطيع العقول حصرها ؛ وهذه الطريقة تحجِّم المعنى وتضرب عليه سوراً من التقييد الإشاري وصرف الذهن عن البعد الآخر الذي تحمله الفقرة ، فضلاً عن ذلك استقلال الموضوعات وتكرارها في الشرح دون الإشارة إلى الموضوع الواحد الذي تنتمي إليه الفقرات المتعددة ، على سبيل المثال : قول الإمام (عليه السلام) : ((**السَّلامُ عَلَيكُمْ يَا أَهْلَ بَيْتِ النُّبُوَّةِ**))([6])

---

[1]) أنوار الولاية الساطعة ، الوحيدي : ١٩ .
[2]) المصدر نفسه : ٢٢ .
[3]) المصدر نفسه : ٢٢ .
[4]) المصدر نفسه : ٧٨ .
[5]) المصدر نفسه : ١٨١ .
[6]) المصدر نفسه : ١٩ .

يحمل ذات الموضوع لقول الإمام (عليه السلام) : ((**وَسُلالَةَ النَبِيّينَ**))([1]) ، رغم تعدد السياقات إلّا أنَّ الموضوع واحد ؛ كان على الشارح الإشارة إليه ولو على نحو الوجازة ، ونحن هنا لا نقرّ بترادف الموضوعات بالمعنى المتعارف ؛ وإنَّما التعانق الموضوعي والاشتراك اللفظي يوحي بترابط الوشائج الموضوعية بين الفقرتين ، ومثل ذلك موجود في مواضع متعددة من فقرات الزيارة التي غفل عنها الشارح ؛ فكان لابدَّ من التنويه إليها بطريقة التلميح والمثال المختصر.

ومثل هذه الآلية اتبعها الصدر في شرحه للزيارة الجامعة الكبيرة ، إذ استعمل الآلية ذاتها التي استعملها الوحيدي من التقفير التجزيئي لشرح مفاصل سياقات الزيارة الشريفة ؛ فمنها ما جاء في شرح قول الإمام العاشر (عليه السلام) : ((**اَلسَّلامُ عَلَيْكُمْ**))([2]) ، و((**يا اَهْلَ بَيْتِ النُّبُوَّةِ**))([3]) ، .... و ((**وَخِيَرَتِهِ**))([4]) ، ... و((**وَسَلَّمْتُمْ لَهُ الْقَضاءَ**))([5])، وهكذا يسير الشارح في طريق بحثه من دون تغيير نمط البيان والتوضيح ، وذات المأخذ . الذي ذكرناه عند (الوحيدي) . يتكرر كما يتكرر مشهد غياب اللغة الإشارية والإحالات المعنوية والموضوعية بين الفقرات ذي الألفاظ المتشابهة، والفارق بين شرح (الوحيدي) وشرح (الصدر) هو : أنَّ (الوحيدي) يسترسل بإيراد الفقرات دون ترقيمها في الشرح ؛ أمَّا الصدر يضع لكل فقرة رقماً ويسرع بإيراد الرقم ليدل على الفقرة المراد توضيح معناها .

---

[1]) أنوار الولاية الساطعة ، الوحيدي: ٤٣ .
[2]) في رحاب الزيارة الجامعة الكبيرة ، الصدر : ٣٣ .
[3]) المصدر نفسه : ٣٥ .
[4]) المصدر نفسه : ٢١٢ .
[5]) المصدر نفسه : ٣٥٢ .

على سبيل المثال لغرض توضيح المطلب ؛ ففي شرحه لقول الإمام (عليه السلام): ((**حَتّى اَعْلَنْتُمْ دَعْوَتَهُ** (١) **وَبَيَّنْتُمْ فَرائِضَهُ** (٢)

١ . العلانية : خلاف السرّ ، والإعلان هو النشر والإظهار.

وأعلنتم دعوته : أي أظهرتم ونشرتم دعوة الله الحقّة بين الناس ، وبعلانية الدعوة حصل للناس العلم والمعرفة ، وتمّ البيان والحجّة.

ودعوة الله التي أعلنوها هي دعوته تعالى خلقه إلى معرفته ومعرفة أوليائه وإرادته، وسنّته وفرائضه ، وأوامره ونواهيه....

٢ . التبيين : إظهار الشيء وتمييزه بحيث لا يشتبه بغيره ، من البيان بمعنى الوضوح والإنكشاف.أي أوضحتم فرائض الله تعالى.))[١] ، فوضع لكل فقرة رقماً ومن ثمَّ انتقل ليبيّنها بوساطة الرقم الموضوع للفقرة من الزيارة ، إلّا أنَّ الخطَّة التي اتبعها تتشابه ـ إلى حدٍّ ما ـ مع الخطَّة التي اتبعها (الوحيدي) ، فهي كذلك ؛ كانت الموضوعات فيها أُسارى تحت قضبان التحليل التجزيئي لنصوص الزيارة الجامعة الكبيرة ، والبحث لا يُحبذ ذلك ؛ لأنَّها تفقد الفكرة روحها بهذا التقييد ، والانتقال إلى موضوع آخر يجعل القارئ ينسلخ من الموضوع السابق شيئاً فشيئاً ، مما يجعل الشرح سرديَّاً بوساطة وضع الكلمات وبيان معانيها الظاهرة من النصِّ أو السياق العام .

وقريب من هذه السردية في الطرح ذهب (الغزّيُّ) في بيان مضامين السفر العلوي الخالد ، فكانت الخطَّة التي اتبعها عبارة عن سرد الفقرات واستنباط الموضوعات بوساطة المعاني اللغوية والروائية[٢] ، فجعل الفقرات . بتتبعه إياها

---

[١] في رحاب الزيارة الجامعة الكبيرة ، الصدر : ٣٤٠ .

[٢] يُنظر : شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، الغزي : ٢٨٣.٢٥/١ ، ٢٣٣.٥/٢ ، ٢٥٧.٥/٣ .

حرفيَّاً . مساراً للتحليل؛ فقد قسَّم كتابه على ثلاثة أجزاء ، وكلُّ جزء جعله يحتوي على عشر حلقات، وخاتمة كلِّ جزء وضع قائمة للمحتويات ، فكان التقسيم جيداً ؛ إذ استطاع تغطية المعاني العامَّة لجميع فقرات الزيارة المباركة ، إلَّا أنَّ تداخل الموضوعات حال دون فرز المتلقي للمُنتَج .

المأخذ على أسلوب الغزيّ ؛ هو التكرير المستمر في جميع الشرح ، فهو يكرر الرواية التي يستشهد بها لأكثر من مرة في بيان أي فقرة يريد تحليلها مما يُحدثُ مللاً عند القارئ ، فضلاً عن تكرار التحليل أكثر من مرَّة ، وكلَّما يكرر يُزيد كلمة أو كلمتين من الرواية أو التحليل اللغوي ، ومثال على ما ذكرناه لا على سبيل الحصر؛ قوله : ((**السلام عليك يا أبا عبد الله السلام عليك يا ابن رسول الله** قلت : هذا في الزيارة السابعة المطلقة عن صادق الآل **السلام عليك يا أبا عبد الله السلام عليك يا ابن رسول الله السلام عليك يا ابن أمير المؤمنين** يا حسين **عبدك وابن عبدك وابن أَمَتك** لست أنا عبداً وحدي أنا عبدٌ وأبي عبدٌ وجدي عبدٌ وأمي عبدةٌ وكلنا عبيدٌ لك يا ابن رسول الله **عبدك وابن عبدك وابن أَمَتك المُقرُّ بالرق** هذه عبودية الرق، ذلل جوارحنا بأي شيءٍ؟ مر علينا بذل العبودية وفرض الطاعة، هذه العبودية هنا شخصت مُيِّزت في زيارة الحسين **عبدك وابن عبدك وابن أَمَتك المُقرُّ بالرق والتارك للخلاف عليكم والموالي لوليكم والمُعادي لعدوكم قصد حرمك** ناداك من هذا المكان البعيد وأنا أعلم علم اليقين أن التضاريس الأرضية لا تحول بيني وبينك أبا عبد الله **عبدك وابن عبدك وابن أَمَتك** موطن الشاهد هنا **المُقرُّ بالرق** أعود إلى الزيارة الجامعة الكبيرة **وَساسَةَ الْعِبادِ** إذاً المراد من العباد هذا المعنى وهذه صورة من معنى العبودية، العباد جمعٌ لعبد والعبد هو المملوك، العبد هو المتلبس بصفة العبودية...))([1]) ، فقد كرر نصَّ الزيارة الخاصَّة بالإمام أبي عبد الله الحسين (عليه

[1]) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، الغزي : ٢/٥٣.٥٤ .

السلام) المباركة أكثر من مرَّة ، وهذا الأسلوب ينسحب على جميع شرحه في أجزاءه الثلاثة ، مما دعانا إلى الإشارة لذلك ؛ لأنَّ الدراسةَ خاصَّةٌ في موضوعات الزيارة الجامعة الكبيرة وما يطرأ على شروحها من قبل الشارحين ، فكان حريٌّ بالدراسة أن تنوِّه إلى الهفوات التي وقع فيها الشارحون بقصد أو من دون قصد ؛ فهذا يُعدُّ من صُلب الدراسات النقدية .

٤. الشرح المختصر :

اقتصر بعض الشارحين على ذكر الكلمة وبيان معناها في أغلب مفاصل الشرح؛ وجدنا ذلك في شرح المجلسي الأوَّل ؛ فقد اعتمد على بيان المعاني الأُوَل للمفردات السياقية الواردة في الزيارة الشريفة ، ويجيء الشارح بالرواية والآية . على الرغم من قلَّتها . لغرض التثبيت أو تعضيد من يخدم المعنى ، وهذا على سبيل المثال لا الحصر ؛ ما جاء في قوله : ((**وَالْمُظْهِرِينَ لِأَمْرِ اللهِ وَنَهْيِهِ ، وَعِبادِهِ الْمُكْرَمِينَ** ، مشدداً ومخففاً كما قال تعالى : ﴿**وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ**﴾، أي [كرَّمنا] هذا النوع بوجود الأنبياء والأوصياء . ﴿**الَّذِينَ لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ**﴾ ، أي لا يتكلمون إلا بأمر الله، بل كلامهم كلام الله.))[1] ، فكان هذا الاختصار يُنبئ عن سطحية المعاني التي تتضمنها الزيارة الجامعة الكبيرة ؛ فقد يفقد المتلقي كثيراً اللمسات البيانية والتعبير النَّصي ويصرفه عن الدلالات الهامشية والمسكوت عنه داخل البنية النَّصيَّة العميقة .

المأخذ على هذه الآليَّة المتَّبعة من الشارح ؛ هو أنَّ العنوان يوحي إلى تتبُّع المفردات الواردة في الزيارة الجامعة الكبيرة كلها وبيان المعاني الكامنة خلف الألفاظ

[1] شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، المجلسي الأوَّل : ٧٠.٧١ .

الظاهرة بالقرائن وسياق الحال والبُنى النَّصيَّة ؛ لأنَّ كلمة (شرح) توحي بتشريح المفردات داخل السياق وإظهار ما تختزنه داخل السياق الواردة فيه .

والزيارة الجامعة الكبيرة ـ باعتقادنا كما يعتقده الشارح كذلك ـ صادرة جزماً عن المعصوم الذي هو القرآن النَّاطق ، فيقيناً كلامه فوق كلام المخلوقين وتحت كلام الخالق ، فيحمل من المعاني أكثر من ظاهر الألفاظ ، ونصُّ الزيارة كلُّه محكوم بقول القائل : ((علّمني يا ابن رسول الله قولاً أقوله بليغاً كاملاً إذا زرت واحداً منكم))([1]) ، وإلّا فمقاماتهم (عليهم السلام) أسمى وأسنى وأعلى مما في الزيارة المباركة بكثير ، فالإمام (عليه السلام) علَّمه الزيارة بطلبٍ منه وعلى قدر عقله ؛ فعلَّمه ، إذن : الزيارة تحمل من المعاني الشيء الكثير والاختصار يحجِّم الأفكار .

ومن ذلك ما وجدناه في شرح المجلسي الثاني ؛ الذي كثَّف المعاني الكامنة في فقرات الزيارة الجامعة الكبيرة في ألفاظ قليلة ؛ لعلَّ ذلك راجع إلى السرعة في التأليف أو جاء الشرح عرضاً ولم يكن مقصوداً ، فذلك ورد في جمعه لكتابه الشهير (**بحار الأنوار**) واستخرج هذا الشرح وحققه : الشيخ أحمد بن حسين العُبيدان الأحسائي ، فيبدو من ذلك أنَّ الشرح لم ينوِ المجلسي الثاني أن يجعله كتاباً مستقلّاً بذاته ؛ وإنَّما كان الشرح عبارة عن تعليقات رآها المجلسي الثاني وافية كافية للوصول إلى معانيها العامَّة ؛ لذا عبَّر عنه بالبيان([2]) وليس الشرح .

اختصار المجلسي الثاني أوسع بقليل مما ورد عند والده (المجلسي الأوَّل) ، حيث كانت الإشارات تنماز بكثرة الألفاظ إذا ما قيست بشرح المجلسي الأوَّل ، ومثاله ما ذكرنا قوله : ((**ودعائِم الأخْيارِ** جمع دِعامة بكسر الدال وهي عماد البيت ، وهم سادة الأخيار وبهم استنادهم ، وعليهم اعتمادهم .

---

[1]) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، المجلسي الأوَّل : ١٥ .

[2]) يُنظر : شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، المجلسي الثاني : ٢١٢ .

وساسةَ العِبادِ جمع السائس، أي: ملوك العباد وخلفاء الله عليهم .

وَأركانَ البِلادِ فإنَّ نظام العالم بوجود الإمام .

وَأبوابَ الإيمانِ أي: لا يُعرف الإيمان إلا منهم، أو لا يحصل بدون ولايتهم.

وسلالَةَ النَّبِيين والسُّلالة بالضم ما انسل من الشيء ، والولد والصفوة مثلثة الفاء الخلاصة والنقاوة .))([1]) ، فهذا التكثيف وضغط المعاني في ألفاظ قليلة لا تحيل القارئ إلى المعنى الهامشي أو البنية الداخلية العميقة لألفاظ الزيارة المباركة، ولا تكفي لبيان المقامات التي وردت فيها لأنَّها . رغم أنَّها محكومة بقول القائل : (أقوله) . سامية ،عالية المضامين ، كثيرة الدلالات ، وهذا الاختصار لا يفي بالغرض ، ولا يُشبعُ منهوماً طالباً للمعالي من مقامات المعصومين (صلوات ربي وسلامه عليهم) وقد نطق القرآن الكريم والنبي العظيم (صلى الله عليه وآله) ، بهذه الكرامات والمعالي والمقامات والخصائص الساميات ، فكلامهم ككلام الله عزَّ وجلَّ فيه من الحشد المعنوي ما لا تحمله سطور ، والاعتماد على المعنى العام للمفردة يجعل المعنى ضيّقاً مُحدداً لا يعبر المتلقي منه إلى المعاني الثانوية والهامشية الكامنة خلف الألفاظ ، وهذا ما لا يحتويه الشرح المضغوط .

وكذلك ورد الشرح المختصر في شرح الجزائري المستخرج من كتابه الشهير **(غاية المرام في شرح تهذيب الأحكام)** ، وقد حققه وخرَّج أحاديثه وعلَّق عليه : الشيخ : أحمد بن حُسين العُبيدان الأحسائي ، وقد اعتمد الجزائري على المعاني المعجمية اعتماداً كاملاً في بيان مضامين الألفاظ الواردة في الزيارة الشريفة ، من ذلك ما جاء في قوله : ((**وعناصِرِ الأبرارِ** بانتساب الأبرار الأخيار إليهم . أو لأن بولايتهم صار المؤمن برًا محسنًا ..

---

[1]) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، المجلسي الثاني : ٢١٤ .

ودعائِم الأَخْيارِ الدعامة: عماد البيت.

وساسة الْعِبادِ جمع سائس، وهو الحاكم والحافظ .

وَأركان الْبِلادِ لأن بقائها ببقائهم .

وَسلالة [النَّبِيين] جمع سليل، وهو الولد))([1]) ، وهذا الاختصار لم يكشف خبايا الزيارة الشريفة وهو المنهج ذاته الذي سار عليه المجلسيان اللذانِ سبقاه ، وكأنَّهم تناقلوا المضامين السطحيَّة بينهم ، وانتهج الجزائري هذا المنهج في جميع شرحه ، والمأخذ عليه هو ذات المأخذ الذي ذكرناه على المجلسيَيْنِ .

٥. خطة تفكيك السُّنن :

نطلق هذا المصطلح على الشرح الذي اعتمد على شرح سابق وفكك سُننه بالإحالات وبيان القرائن والإشارات واللَّطائف ، وهذا ما وجدناه في شرح الأحسائي الذي كان من أكبر الشروح المختارة للدراسة ، وهذا الشرح ـ شرح الأحسائي ـ قد اعتمد في شرح الزيارة الجامعة الكبيرة على شرح المجلسي الأوَّل والمجلسي الثاني ، والجزائري ، فالأحسائي يذكر الفقرة الواردة في الزيارة الجامعة الكبيرة ؛ ومن ثمّ يذكر شرح مختصر لأحد الشارحين الثلاثة ومن بعد ذلك يُعقِّب ويشرع بتفكيك السنن التي جاء بها المُختصِر .

وهذا لا يعني أنَّه لا يوجد لديه شرح خاصّ لفقرات الزيارة الجامعة الكبيرة دون ذكر شرح سابق ؛ وإنَّما لديه قضايا خاصَّة وشروح خاصَّة لفقرات الزيارة الشريفة كما سنذكر لذلك بعض الأمثلة لتثبيت المطلب وليس للإحصاء ، لأنَّ ذلك كثير جدَّاً ولا نُريد الإسهاب بلا مُسوِّغ .

---

[1]) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، الجزائري : ٢٤٦ .

ومن شرح الأحسائي على نصِّ المجلسي الأوَّل ، ما جاء في بيان معنى قول الإمام (عليه السلام) : ((**وسُلالةَ النبيّين**))([1]) ، فنقل الأحسائي قول المجلسي بعبارته : ((...قال الشيخ محمد تقي المجلسي (رحمه الله) ... فإنَّهم ذريّة نوح وإبراهيم وإسمعيل ظاهراً ومن طينة الأنبياء والرسل روحاً وبدناً كما نطقت به الأخبار المتواترة))([2])، فيُعقِّب الأحسائي ويشرح هذا القول من صحيفة (٩٩) إلى صحيفة(١٠٦) ، فقد أحال وفصَّل وبيَّن ووضَّح وأسهب في بيان كلِّ متعلقات السُّلالة والنَّبيين، وقد زاوج . الأحسائي في شرحه ، بين آليات عدَّة فهو من الناحية السردية فيبتدأ بالسلام وينتهي بآخر كلمة وردت في الزيارة الشريفة وفق الأسلوب السردي التجزيئي ، ومن ناحية أخرى يذكر شرح شارحٍ سابق ويُفكك السُّنن التي جاء بها الشارح قبله ، وكذلك يُشير إلى الموضوعات المتشابهة رغم أنّها متناثرة بين مقاطع الزيارة الشريفة، وتعقيباته تتماز بالدِّقة بوساطة الإحالة إلى الروايات التي تُشير إلى الموضوع الذي هو قيد شرحه ، وكذلك يستعين باللغة في بيان المعاني المركزية ، مع ذلك يُشير إلى القرائن والثنائيات اللفظية في إيضاح المفاهيم وتحديد رتبة المقامات ، وعلى الرغم من الإطناب الذي انماز به شرحه عن غيره إلَّا أنَّ ذلك كان قميناً بكدِّ الذهن وتحريك الخيال ، وكان له موارد متعددة يعتمد فيها على شرح المجلسي الأوَّل ويتخذ الأسلوب ذاته في بيان وتبيين الفقرات المشروحة .

ومثل ذلك اعتمد الأحسائي على المجلسي الثاني والسيد الجزائري في شرحهما للزيارة الجامعة الكبيرة ، من ذلك ما نجده في بيان قول الإمام الهادي (عليه السلام): ((**ذِكْرُكُم فِي الذّاكِرِين وأسْمَاءُكُم فِي الأسْمَاءِ**))([3]) ، فهو يذكر كلام المجلسي الثاني

---

[1]) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، الأحسائي : ٩٩/١ .
[2]) المصدر نفسه :١/ ٩٩ ، يُنظر : شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، المجلسي الأوَّل : ٤٢ .
[3]) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، الأحسائي : ٥/٤ .

والجزائري على التوالي ومن ثم يشرع في بيان دقائقها ، وذلك في قوله : ((قال الشارح المجلسي رحمه الله ذكركم في الذاكرين أي إذا ذكره الذاكرون فأنتم فيهم أو ذكرُكم للهِ في جنب الذاكرينَ ممتازٌ أوْ كالشمس أذا ذكروا فأنتم داخلون فيهم لكن أيّ نسبةٍ لكم بهم لقوله فما أحلى أسماؤكم و كذلك البواقي إنتهى .

و قال السيد نعمة الله الجزائري رحمه الله ... ذكركم في الذاكرين الخ ، مبتدأ وخَبر أي ذكركم موجود بين الذاكرين كما أنّ أسماءكم موجودة بين الأسماء إلّا أنّ ذكركم لَا نِسْبَةَ لَهُ إلى ذكر الذاكرين وكذلك أسماؤكم بل هي أحلى وأشرف من كلِّ ذكر ومن كلِّ إسم وهكذا باقي صفاتكم فإنّها مشاركة لصفات البشر في الاسم مفترقةٌ عنها بالمعنى . انتهى.))([1]) ، ومن بعد ذلك يقوم بتفكيك العبارات الواردة في شروح المجلسي الثاني والجزائري ، وكلُّ آرائه الخاصَّة يبدأ بها بكلمة (أقول) ، وبعدها يُطنب في بيان المعاني مستعينا باللغة . من نحو وصرف ودلالة ومعان معجمية . والبلاغة ومن ثمّ الآيات القرآنية والروايات التي جاءت من طريق العترة المباركة .

والمأخذ على آلية الأحسائي في الشرح ؛ هو أنَّه يستطرد في أغلب مواطن شرحه للفقرات مما يُشتتُ ذهن المتلقي أو القارئ ؛ إذ يخرج من موضوع ويدخل في آخر دون أن يشعر متلقي النتاج ، ويُعيد شرح الفقرات المتشابهة مثل قوله : ((أقول : قد تقدّم الكلام في **(بأبي أنتم و أمّي)** وإنّ **(بأبي)** خبر مقدّم وَ **(أَنْتُمْ)** مُبْتدأ مؤخّر وإنّه أيْ بِأبي كان معمولاً ثانياً لِاَفْدي ، وأنتم كان معمولاً أوّلاً له ، فلمّا حُذِفَ لكثْرةِ الاِسْتعمالِ حَتَّى أنَّهُ غلَب حُضورُ مَعْنَاهُ بالبَالِ ضمِن مَعناهُ المعمول الثَّاني لأنّهُ ثَمرةُ عَامِلِهِ فَنَابَ عَنْهُ ، وَلِأنّه نفسُ الْفِدَاءِ فيكون أوْلى مِنْ أنتم بالتضمنِ وَبالنِّيَابةِ ولِأجْلِ هذَا تَصَدَّرَ وتقدّم [؛] وتأخّر المبتدأ))([2]) ، وكانت تجدر الإشارة به إلى ما سبق من

---

[1]) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، الأحسائي: ٤/٦.٥ .

[2]) المصدر نفسه : ٤/٦.٥ .

دون أن يُسهب بالتكرير ، وفي بعض الفقرات لم يقطع بالشرح ؛ فهو يشرح الفقرة بأكثر من معنى على سبيل الاحتمالات مستعملاً أدوات التَّخيير بقوله : ((أو يكون المعنى...))([1]) ، وهذه الاحتمالية تُناثر المعنى على جانبي المفهوم العام ، فينتهي بالمتلقي المطافُ بالتشتُّتِية الذهنية وعدم التحديد المعنوي ، نعم هو مما يُثري السياق بالمعنى ؛ إلّا أنَّه يحول بين المرئ والمعنى الواحد ، أضف إلى ذلك ؛ كثيراً ما يأتي بالقصص عرضاً أو الروايات خارج الموضوع المبحوث مما يُثقل كاهل النصّ دون مبرر ، فكان من الجدير بالذكر أن نشير إلى هذه المآخذ.

٦. البحوث التمهيدية :

وهي القوانين التي يُشير إليها الشارح قبل الولوج إلى شرح النصوص تحت مسمَّيات مختلفة ، من ذلك ما جاء في شرح الهمداني ؛ إذ مهَّد للشرح بمقدِّمات أوضح مفاتيح الشرح قبل الولوج فيه ، لعلّها تكون عوناً للمستقبِل يستعين بها على مغاليق النَّص ، وفي كلِّ مقدِّمة وضع فيها عنوانات عامَّة ، فالمقدِّمة الأولى جعلها تحت عنوان (مقدِّمة المُؤلف)([2]) ، وأدرج تحتها عنوانات مختلفة ، منها : ((فضل صلة آل رسول الله (صلوات الله عليهم))([3]) و((الحث على كسب صلة آل رسول الله))([4]) ، و ((الطريق هو التمسك بالثقلين))([5]) ، وغيرها من العنوانات التي ذكرها تحت المُقدِّمة الأولى .

وفي المقدِّمة الثانية ذكر عنوانات أخرى كـ(حقيقة معنى التأويل) و (اختلاف مراتب الناس في فهم القرآن والحديث) وكذلك (التحذير من الاقتصار على ظواهر

---

[1]) يُنظر : شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، الأحسائي: ٦/٤ .
[2]) يُنظر : الشموس الطالعة من مشارق الزيارة الجامعة ، الهمداني : ٣ .
[3]) المصدر نفسه : ٥
[4]) يُنظر : المصدر نفسه : ٦ .
[5]) المصدر نفسه : ٧ .

القرآن والحديث)([1]) وغيرها من العنوانات العامَّة التي يراها . الشارح . مفاتيح لما قد يستغلق على القارئ في فكِّ شفرات الموارد السياقية للنصوص .

كانت هذه المقدِّمات قاصرة على بيان المنهج المتَّبع في الشرح من جهة ؛ ومن جهة أخرى ؛ كانت بحاجة إلى بيان فهرسة الكتاب على نحو الإيجاز ، وربما هذا المنهج كان سائداً في ذلك الوقت أو في الزمكان الذي حضر فيه المؤلف .

وذكر الميلاني هذا المنهج تحت عنوان (المدخل) ، وأورد فيه عنوانات عدَّة أراد أن يجعلها باباً لسور الجامعة الكبيرة المباركة ، ومن هذه العنوانات : ((الزيارة لغة، الأئمة أحياء ، زيارة النبي والأئمة زيارة الله ، ما هو الغرض من الزيارة ، لماذا التأكيد على الزيارات))([2]) وغيرها ، وهذه الإشارات مهمَّة جداً ، توفَّقَ الميلاني لذكرها وهي عبارة عن الأرضية التي يجب على متلقي المنتَج أن يمرَّ عليها قبل الدخول إلى صرح عبارات الزيارة الشريفة ، فالدراسة تؤيّد هذا الأسلوب التمهيدي لكل بحث أو دراسة أو كتاب حتى لا يستغلق على القارئ ماهيَّة الفحوى والسبب الذي من أجله دخل الباحث معترك البحث .

أمَّا الشروح الباقية ؛ فقد اقتصرت على مقدِّمة عامة من دون الولوج إلى هذه اللمسات التمهيدية ، فهذه النقطة خاصَّة بالهمداني والميلاني لا نجدها عند غيرهما من الشارحين للشروح المختارة .

---

[1]) الشموس الطالعة من مشارق الزيارة الجامعة : ١٠ ، ١٢ ، ١٣ .

[2]) يُنظر : مع الأئمة الهداة : ١٦.٧ .

المبحث الثاني

دراسة الألفاظ بين التنظير والإجراء دراسة نقدية

توطئة ..

تُعدُّ الألفاظ من الركائز المهمة في عرف الشارح لشروح الزيارة الجامعة الكبيرة؛ لذا أُولعَ بدراستها في كل فقرة من فقرات الزيارة الشريفة التي أدخلها في حيِّز شرحه، وجعل منها نقطة للإنطلاقة الأولى في استكناه مواطن الجمال داخل البناء التركيبي للزيارة ، التي بنى الشارح بوساطتها معاني الشرح ، وعدَّها بعضهم . أي الشارحون . مادته الأساسية والمرتكز الأوَّل في شرح النصوص ؛ كونها مادة الباث التي بنى بها النص الأدبي([1]) من طريق التقاطها ليُحققَ بوساطة اجتماع بعضها مع بعض ليصل إلى غرضه والدلالة المقصودة ، وما يُريد أن يُحققه للمستقبِل ؛ مشحونا بالرموز والإيحاءات ، وكذلك القيمة النفسية والعاطفية التي يوشّيها بها ، لتحقيق مبتغاه ، ولتجعل المتلقي يعيش التجربة التي دبَّجها المُستِنُ ، فبرز بذلك الأثر على المُستقبِل وجعله ينفثها في المفردات المنتقاة من المنبع وهي اللغة ؛ لأنَّها باتساقها وانسجامها مع بعضها ؛ سوف يحقق مراد الباث الذي أراد أن يبثُّه ويوشِّحه بالرمز والإيحاء ، وكذلك الروح الجمالية المتشحة بالموسيقى والإيقاع .

والملاحظ في هذه القضية ؛ إيرادها بمختلف المصطلحات ، من الممكن أن يكون على سبيل التوسُّع؛ إلّا أنَّها لم تخرج من دائرة الألفاظ المنتقاة من الباث

---

[1]) ينظر : لغة الشعر في القرنين الثاني والثالث الهجريين ، جمال نجم العبيدي ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ، ١٩٨٢ م : ٢٥ ، لغة إيليا أبي ماضي الشعرية ، (رسالة) ، نوال كمال حسين ، مطبوعة بالآلة الكاتبة ، كلية التربية للبنات – جامعة الكوفة ، ١٩٩٦ م : ١٢ . لغة شعر السيد حيدر الحلي (١٨٦٨م) ، ،(رسالة) ،أحمد صبيح محسن الكعبي ، مطبوعة بالآلة الكاتبة كلية التربية – جامعة بابل ، ٢٠٠٤ م : ٩١ .

للنص، وهذا نجده كثيراً عند الشعراء ؛ لأنَّهم بحاجة إلى استعمال الألفاظ المتقاربة في الدلالة لغرض الوزن والقافية ، فهم محكومون بذلك شاؤوا أم أَبَوا ، فإن جمعتهم ثقافة واحدة في زمكان واحد ؛ كان النتاج متقارباً ولو على نحو القلَّة ، وتُسمَّى هذه المصطلحات بالألفاظ ، والمعجم ، وكذلك المعجم الشعري .

كانت الألفاظ مدار البحث في الزمن الطويل على طول طريق الفكر النقدي العربي ؛ بل والعالمي ؛ بدأت في البحوث النقدية القديمة([1]) ، إلّا أنَّها انعطفت انعطافة صعبة في الفكر العربي ، لمَّا تداخلت ومجيئها في النصوص الشرعية ، وصارت دلالاتها منطلقاً من منطلقات الفهي التفسيري لتفسير الأحكام الشرعية ووضعها ، ولا سيما عند المعتزلة ، وعند الأشاعرة .

تُعدُّ دراسة المفردة من ضروريات الشروح الخاصَّة بالجامعة الكبيرة ؛ إذ يتكأ عليها الشارح لبيان المعاني العامَّة للمفردة ؛ مستعيناً بما ورد في المعجمات العربية تالياً ذلك بحصيلته اللغوية وما يكتنزه من أفكار متحصل عليها عبر مسيرته الدراسية، فلم ينأى أحدٌ من الشارحين عن المفهوم العام للغة في المفردات ؛ وإنَّما كان الإتيان به أوَّلاً ؛ وما يليه يُعدُّ تأييداً أو تعضيداً له ، والخروج على ذلك ؛ يكون خروجاً عن جادَّة المألوف والمعروف .

أمَّا الاستعانة بالنصوص الأخرى (كالقرآن الكريم والروايات والأشعار والأمثال) ماهي إلّا لبيان وكشف علم مشكل أوكشف الحكمة المستغلقة التي استقرَّت في ذهن الشارح مسبقاً ، وهذا لا يعني عدم خروجه عن مفهوم اللغة في شرح بعض الفقرات؛ إلّا أنَّ الإطار العام لبيان النصوص في الزيارة الشريفة كان معتمداً اعتماداً كبيراً

---

[1]) يُنظر : البيان والتبيين : ٧٥/١ ، كتاب الصناعتين : ٧٢ ، مقدمة إبن خلدون ، عبد الرحمن بن خلدون ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، د.ط . د.ت : ٥٧٧ .

على اللغة ومفهومها المعجمي ؛ لذا حكمنا على التغليب لهيمنة اللغة . بمفهومها ودلالتها العامَّة المطلقة . على ما خرجت النصوص من دائرتها لبيان مفاهيم أخرى.

فالسمة الغالبة على بيان المفردة في نصوص الزيارة الجامعة الكبيرة هو الاعتماد على ما جاء في المعجمات العربية ، من ذلك ما جاء به **الهمداني** في شرحه على سبيل التمثيل لا الحصر ، بيانه لمفهوم (الموضع) بمعنى : المحل([1]) وهو معنى لغوي صرف ؛ إلّا أنَّه لم يذكر مصدراً لغوياً لذلك . كما سنوضحه في فصل التناص إن شاء الله . فقد ورد هذا المعنى عند أهل اللغة([2]) ؛ والشارح اعتمد على خزينه اللغوي الذي يمتلكه دون الرجوع إلى المعجمات ، وهذا الأسلوب يؤخذ على الباحث في شؤون اللغة ؛ لأنَّ ارتكازه على علمه لا يغني في البحث شيئاً ؛ بل يكون مردوده عليه سلبياً بعدم إرجاع المفردات إلى أصولها .

ومن ذلك ما جاء في بيان مفردة (مهبط) بمعنى : منزل([3]) ، وهو معنى لغوي استدل به الشارح لتوضيح هذه المفردة دون ذكر أصلها المعجمي في كتب المعجمات العربية([4]) ، فكان الاعتماد على المعجم العربي . في بيان المفردات الواردة في الزيارة الجامعة الكبيرة . كبيراً جداً ؛ بل والانطلاقة منه إلى المفاهيم الأخرى ، إذ يُعدَّ الخطوة الأوّلى للوصول إلى سبيل الدلالة القصدية المرادة ، فلم يستطع الشارح أن يستغني عن اللغة بوساطة تثبيت الدلالة المعجمية للمفردة مما يُدلل على أنّ هذه الدلالة . المعجمية . تلزم بتلابيب المفردة في أي سياق ولجت فيه،

---

[1]) الشموس الطالعة من مشارق الزيارة الجامعة ، الهمداني : ٨١ .

[2]) يُنظر : المفردات في غريب القرآن : ٥٢٥/١ـ٥٢٦ ، لسان العرب مادّة (وضع) ، تاج العروس : ٥٦٠٢/١ .

[3]) الشموس الطالعة من مشارق الزيارة الجامعة ، الهمداني : ١٠١ .

[4]) يُنظر : مقاييس اللغة : ٣٠/٦ ، المفردات :٥٣٦/١ ، أساس البلاغة ٤٩٦/١ ، لسان العرب ، مادة (هبط) .

ومهما تناقلت بين السياقات ؛ أمَّا الدلالة السياقية ؛ فهي عبارة عن إضافة معنوية إلى الدلالة العامة المطلقة المتمثلة بالدلالة المركزية ، ومنها يخرج توضيح الغرض السياقي .

وقد اعتمد . الهمداني . على المفهوم اللغوي في بيان مفردة (الوحي) ؛ إذ جاء بما ذكره صاحب القاموس ولم يُعقِّب على كلامه([1]) مما يجعلنا نحكم بموافقته لما جاء في لغة القاموس ، والفرق بين هذا الاستدلال والاستدلال السابق ؛ هو أنَّ الشارح فيما سبق اعتمد على خزينه المعرفي في بيان معاني المفردات دون الرجوع إلى المعجمات العربية ، أمَّا في هذا المورد ؛ فالشارح يذكر المفردة ويذكر المعجم الذي اعتمد عليه في بيانها ، وهذا يُحسب له ؛ لأنَّ إرجاع المعاني إلى أصولها من أصول البحث الرصين .

ومنه ما يُشير . **الهمداني** . إلى لفظة (كذا في اللغة) ؛ ولكن لا يُرجع المعنى إلى المعجم الذي وردت فيه ، كما جاء في قوله : ((الرحمة . لغة . هي التعطف وهو إمالة الوجه أو القلب إلى الغير([2]) رقَّة عليه ...))([3]) ، نعم ؛ الرحمة تعني : الرقَّة والعطف والرأفة([4]) ، ولم يذكر الشارح أين وردت هذه المفردة في المعجمات ، و. حسب تتبعنا لهذا الشرح . نجد أنَّ الهمدانيَّ في بيان المعاني اللغوية يعتمد على

---

[1]) يُنظر : الشموس الطالعة من مشارق الزيارة الجامعة ، الهمداني : ١٠١ ، القاموس المحيط : ٣٩٩/٤ ، وقد اعتمد على القاموس في مواضع كثيرة جداً منها ما بيَّن معنى (الإله) ، يُنظر : ١٠٧ .

[2]) كذا في الأصل ، وهو لا يجوز تعريف (غير) لأنَّها ملازمة للإضافة ولا تجتمع الألف واللام مع الإضافة .

[3]) الشموس الطالعة من مشارق الزيارة الجامعة : ١١٣ .

[4]) يُنظر : كتاب العين : ٢١٦/١ ، مقاييس اللغة : ٤٩٨/٢ ، التهذيب في اللغة : ١١٣/٢ ، المفردات : ١٩١/١ ، لسان العرب ، مادة (رحم) ، المعجم القراني : ١٩٦/٢ .

معجم (القاموس) فقط ، ولم يستشهد بغيره ، وإذا كان المعنى قد استقرَّ في ذهنه ولم يجده في القاموس؛ فهو يذكره دون الإشارة إلى المعجم الذي وردت فيه بالمعنى المقصود ، ربما ذلك يُعزى إلى عدم توافر الكتاب لدى الشارح ؛ لأنَّ الزمكان الذي كان يعيش فيه الشارح يمتاز بشحة الكتب المطبوعة وقلَّة توافر المخطوطات ؛ إذ كان الباحث يكتري الكتب لغرض القراءة وإعادة الكتاب إلى المؤجِّر .

ومثله نجد **المجلسي الأوَّل** يذكر المعنى اللغوي ويعتمد عليه ؛ غير أنَّ هذا الأسلوب لم يكن عامّاً لديه ؛ وإنَّما ذلك نُتَفٌ متفرقة بين أثناء شرحه ، مثل ما جاء . على سبيل المثال . في قوله : ((**وَعَناصِرَ الأبْرارِ** جمع العنْصُر بضم العين والصاد، وبفتحهما : الأصل والحسب، أي: أصلهم منهم؛ فإنّهم ذرية الأنبياء.))([1])، فحدد ـ الشارح ـ المعنى بالدلالة المركزية للمفردة ، وعلى ضوئها أشار إلى المراد من إيرادها دون غيرها من المفردات ، فيعتقد الشارح أنَّهم . أهل البيت . بسبب تناسلهم من الأنبياء صاروا عناصرهم ، فَفَهِمَ من ذلك أنَّ الأنبياء أصلهم وهم (عليهم السلام) الفرع .

في حين يرى **الهمداني** عكس ذلك ؛ إذ يرى أنَّهم (عليهم السلام) عناصر الأنبياء، أي : هم أصل الأنبياء ، في شرحه للطينة وعناصرها ، وبعد أن يُثبت أن الطينة التي خُلِقَ منها محمدٌ وآلُ محمدٍ طينة نورانية غير مركبة ، وأثبت أن طينة الأبرار مخلوقة من طينة مركبة وهم الأنبياء وشيعتهم ... قال : ((فالمراد من قوله (عليه السلام): **وَعَناصِرَ الأبْرارِ** أنَّهم عليهم السلام مبادئ شيعتهم الذين خُلقوا من طينتهم وآمنوا بالله ورسوله وأقرّوا بالولاية في الميثاق الثالث ، فطابت جبلَّتهم وطهُرت طينتهم وصارت كتبهم في علّيين ، يشهدها المقرَّبون ، ويؤتى يوم القيامة كتابهم

---

[1]) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، المجلسي الأوَّل : ٣٧ . وإلى هذا المعنى ذهب المجلسي الثاني ، يُنظر : شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، المجلسي الثاني : ٢١٤ .

بأيمانهم ويُحاسبون حساباً يسيرا ، ثمَّ ينقلبون إلى أهاليهم مسرورين...))([1]) ، وهذا مفهوم ضدّيٌّ لما جاء به المجلسي الأوَّل ، نعم ؛ والدراسة تميل إلى رأي الهمداني ؛ لأنَّه يوافق قول رسول الله (صلى الله عليه وآله) الذي جاء ((عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: قُلْتُ لِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله أَوَّلُ شَيْءٍ خَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى مَا هُوَ فَقَالَ : **نُورُ نَبِيِّكَ يَا جَابِرُ خَلَقَهُ اللَّهُ ثُمَّ خَلَقَ مِنْهُ كُلَّ خَيْر**))([2]) ، والأنبياء من الخير ، والأولياء والشهداء والصديقون والصالحون من الخير ، والعرش من الخير ، والكرسي من الخير، والسماوات والأرضون من الخير ، والهواء والماء من الخير ، والجنان والحور والولدان من الخير،.....إلى آخره ، فهم (عليهم السلام) العناصر لكلِّ خير ؛ لأنَّهم من طينة جدهم خير الورى فصاروا أعلام الهدى وحجج الله على الخلق أجمعين من الأوَّلين والآخرين .

إذن : تنبَّه الهمداني إلى مفهوم العُنْصُر في سياق هذه الفقرة المباركة وهي من اللّف والنشر المرتَّب . حسب هذا الرأي ، لأنّ رأي المجلسي الأوَّل يدل على اللّف والنشر المقلوب . الذي أشرنا إليه فيما سبق . وهذا ما لم تُشر إليه الفقرة بقدر ما تروم بيان المقام الأسمى والخاص بهم (عليهم السلام) .

ومثل ذلك في مواضع متعددة في شرح المجلسي الأوَّل([3]) ، وما ذكرناه للمثال خشية الإطناب ونحو الدراسة منحى النشر والبسط الكثير .

وقد ذهب **المجلسي الثاني** إلى الاعتماد على الدلالة المركزية في بيان بعض مواضع الألفاظ في الزيارة الشريفة ، ولم تكن طريقته السائدة في جميع مفاصل الشرح ، من ذلك ما جاء في قوله . على سبيل المثال : ((**وَسُلالَةَ النَبِيِّينَ** والسُّلالة

---

[1]) الشموس الطالعة من مشارق الزيارة الجامعة ، الهمداني : ١٨٢ .
[2]) بحار الأنوار : ٢٤/١٥ .
[3]) يُنظر : شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، المجلسي الأوَّل : ٣٨ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٥ ، وغيرها .

بالضم ما أنسل من الشيء، والولد والصفوة مثلثة الفاء الخلاصة والنقاوة.))([1]) ، إلّا أنَّه لم يُشر إلى المعجم الذي اعتمد عليه في استلال المعنى المركزي للمفردة، ربما ارتكز المعنى في ذهنه بوساطة كثرة المطالعة .

والشارح لم يكترث بالرجوع إلى المصادر بقدر ما يذهب إلى إكمال الشرح، فهُم الخلاصة التي سُلَّت من الأنبياء والمرسلين ، وكان الارتكاز على اللغة منتجاً لخصوصيَّة أهل البيت (عليهم السلام) بتناسلهم من الأنبياء دون غيرهم ، بل ((يكفي فضلاً لهم أنَّ المناوئين لهم لم يكونوا من **سُلالَةَ النَبِيّينَ** ، بل لم تخلص أنسابهم من الفاحشة والسفاح ، فالأئمة (عليهم السلام) فقط **سُلالَةَ النَبِيّينَ** دون غيرهم من كبار صحابة رسول الله عليه وآله السلام))([2]) ، فلم يكن الاستغناء عن اللغة وما ورد في المعجمات حاضر في شرح المجلسي الثاني ، وكان تعكّزه على بعض المعاني المركزية في بيان فحوى المفردات دليلاً على الاعتماد المباشر في بيانها .

وهذا المورد لم يكن يتيماً في شرح المجلسي الثاني([3]) ؛ وإنَّما ذكرناه للتمثيل ، فهو يجعل من المعاني المركزية محورية في بعض توضيحات المفردات التي تنماز بالتعقيد الذهني بأنَّ المعنى الظاهر منها لم يكن مراداً بدلالة العبارة أو السياق أو النص ؛ إلّا أنَّه لم يذكر كتب اللغة التي اعتمد عليها ، وهذا مأخذ عليه ؛ لأنَّه من دلائل الأمانة العلمية ، وهو إرجاع النصوص إلى الأصول .

---

[1]) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، المجلسي الثاني : ٢١٤ . يُنظر : كتاب العين : ١٩٢/٧ ، تهذيب اللغة : ٢٠٦/١٢ .

[2]) مع الأئمة الهداة ، الميلاني : ١٤٢ .

[3]) يُنظر : شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، المجلسي الثاني : ٢١٤ ، ٢١٥ ، ٢١٧ ، ٢١٨ ، وغيرها من الموارد .

وعلى هذا الدأب درج **الجزائري** في شرحه لعبارات الزيارة الشريفة ؛ إذ اعتمد على اللغة في بعض الفقرات التي قام بشرحها دون أن يذكر من أين أتى بهذا المعنى المعجمي ، ولعلّ ذلك من المرتكزات الذهنية التي استقرَّت في باله على مدى أعوام الدراسة والبحث ، فهو يفسِّر معنى السكينة بالاطمئنان(١) ، وهو معنى لغوي صِرْف(٢) ، وانماز هذا الشرح عن غيره بتكثيف المعاني في قليل من الالفاظ مما حدى بأحد الشيوخ(٣) إعادة تفكيك عباراته وعبارات المجلسيَّينِ مرَّة أخرى مما خرج الشرح الآخر بأجزائه الخمسة وصار بعد ذلك من أشهر شروح الزيارة الجامعة الكبيرة.

يرى الشارح أنّ اختصار بيان المعاني المعجمية للألفاظ ؛ يفي بالغرض المنشود وهو الوصول إلى الحكمة المستغلقة التي تُشير إليها العبارات ، إلّا أنَّ ذلك لم يكن وافياً ؛ بسبب أنَّ ذلك سيكون بمتناول الناس ، وسيقرأه العالم والبسيط فسيذهب به علم كثير ولا يكون سبيل الحلِّ موجوداً ، مما يُشعر بسطحيَّة العبارة بغياب الإحالات وما يُتكشَّف ما ورائها.

وليس هذا فحسب ؛ فالشارح يترك بعض الألفاظ دون شرح ظنّاً منه أنَّها لا تحتاج إلى بيان أو توضيح(٤) ، وهذا مأخذ عليه لأنَّ الألفاظ كلُّها عربية وواضحة ولا يوجد فيها تعقيدٌ حتى تحتاج إلى شرح بعضها وترك بعضها الآخر ؛ وإنَّما اتساقها وانسجامها في سياق العبارات تُشير إلى مقامات بيانها واجبٌ ، فبيان معاني الكلمات بمعزل عن الجملة والعبارة والسياق ؛ سيذهب بعلمٍ كثير ، وهذا ما وقع به الشارح .

---

١) يُنظر : شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، الجزائري : ٢٤٣ .
٢) يُنظر : مجمع البحرين ، الطريحي : ٣٩٣/٢ .
٣) نعني به الشيخ زين الدين الأحسائي .
٤) يُنظر : شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، الجزائري : ٢٤٤ ، ٢٤٧ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٥١ ، وغيرها .

ولا يختلف **الأحسائي** عن الشارحين السابقين ؛ إذ يعتمد على اللغة المعجمية في بيان الألفاظ دون إحالة المعنى المركزي إلى أصل إيراده ، فعلى سبيل المثال ، يذكر معنى العصمة لغة وهو المنع([1]) ، ولعلَّ ذلك غرضه بيان الذات باللفظة بوساطة العَرَض([2]) ؛ فقد طبَّق المفاهيم اللغوية على بيان ألفاظ الزيارة الجامعة الكبيرة ، ومنها انتقل إلى بيان الإيحاءات التي اختبأت خلف ألفاظ العبارات مجتمعة، ومع ذلك لم تغب القرينة ومتعلقاتها عن شرحه ؛ بل كانت حاضرة في جميع مفاصل شرحه.

يُعدُّ شرح **الأحسائي** من أكثر الشروح بسطاً للألفاظ ونشراً للغة من حيث الشمولية والتفصيل المُسهب ، فهو يبدأ بشرح الفقرات ابتداءً من اللغة وبيان ماهيَّة الألفاظ مارَّاً بالتأثر والتأثير ولغة القرآن الكريم واستعمالاته وانتقاله إلى الروايات الصادرة عن أفضل الخلق أجمعين محمد وآله محمد الطاهرين ؛ وبين هذه وتلك يبثُّ الشارح رأيه لغرض الوصول إلى مراده بهذه الإنتقالات مجتمعة ، وهو أسلوب اتخذه الأحسائي في جميع مفاصل شرحه .

وقد اعتمد الشارح على اللغة واستعمالاتها المعجمية في كل شرحه بلا استثناء ، فعلى سبيل المثال ما جاء في شرح قوله (عليه السلام) : ((**وَطَهَّرَكُم مِنَ الدَّنَسِ**))([3])، شرح الأحسائي الطهارة بنقيض النجاسة ، وتُطلق لرفع كل ما يُستقذر([4]) ، إلّا أنَّ الشارح لم يذكر مصدراً لهذا المعنى ، على الرغم من أنَّ هذا المعنى هو معجمي ؛ لأنَّ ((الطَّاءُ وَالْهَاءُ وَالرَّاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى نَقَاءٍ

---

[1]) يُنظر : شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، الأحسائي : ٢/٥ .
[2]) نقصد بالذات : المعنى ، والعَرَض : الواسطة اللفظية .
[3]) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، للأحسائي : ٢/١١ .
[4]) المصدر نفسه : ٢/١١ .

وَزَوَالِ دَنَسٍ . وَمِنْ ذَلِكَ الطُّهْرُ، خِلَافُ الدَّنَسِ. وَالتَّطَهُّرُ: التَّنَزُّهُ عَنِ الذَّمِّ وَكُلِّ قَبِيحٍ. وَفُلَانٌ طَاهِرُ الثِّيَابِ، إِذَا لَمْ يُدَنَّسْ.))([1]) وهذا ما ذهب إليه جل اللغويين([2]) ، مما يُدلل على عدم الاستغناء عن المفاهيم المركزية للألفاظ.

يبدو أن الشارح . الأحسائي . لم يذهب إلى المعنى المستقر في ذهنه دون المرور بالمعاني اللفظية الخارجية الواردة في البنية السطحية للسياق ، وعدم الاستغناء عنها يدل دلالة قطعية على حُجيَّة ظواهر الألفاظ ؛ لأنّ استقرار المفهوم اللفظي تؤكده الدلالة المركزية مع زيادة في المعنى الذي يُعطيه السياق.

ومن الّلافت للنظر ؛ إنَّ الأحسائي كان مطَّلعاً على دقائق اللغة والخلافات التي وقعت فيها من قبل الدارسين ؛ فنجده في بحث مفردة (الاسم) يذكر الخلاف الاشتقاقي بين المدرستين . البصرية والكوفية ، وذلك في قوله : ((و ذكره في مادة سَما تنبيهاً على أنَّه من السموّ لا من الوسم ؛ وتفسيره ينافي تنبيهَهُ إلّا أنَّ اختياره ما دلّ عليه تنبيهه كما هو اختيار البصريين في الاشتقاق ، والتفسير مقتضي معنى الاسم ؛ ولذا جرت به طبيعته كما هو اختيار الكوفيّين وهو أولى لمطابقة الاشتقاق للمعنى لأنَّ الاسم إنَّما وُضع لتمييز المسمى فهو علامة له والعلامة من الوسم أَلْيَق بها من السمو لأنَّ الرفعة المعنيّة لا يُراد بها المسمّى ولا فائدة في أنْ يُراد بها الألفاظ ودليلهم بالجمع والتصغير لا ينهض بالحجة ؛ لأنَّه إذا قام الاحتمال بطل الاستدلال، والاحتمال القائم المساوي بل الراجح لأجل صحة معناه ؛ هو أنّهم إنَّما قال الصرفيّون [:] بأنَّهما يردَّانِ الأسماء إلى أصولها غالباً بقي فيه غير الغالب ، ولا يقال [:] إنَّ غير الغالب لا يعارض الاستدلال ؛ لأنَّا نقول : إذا رجعنا إلى المعنى

---

[1]) مقاييس اللغة : ٤٢٨/٣ .

[2]) يُنظر : كتاب العين : ٢٦٣/١ ، التهذيب : ٢٩٦/٢ ، المفردات : ٣٠٧/١ ، لسان العرب ، مادة (طهر) ، المعجم القرآني : ٦٢١.٦١٨/٢ .

وكان معَنا لا مع البصريّين ورجعنا إلى السبب الموجب لكون الجمع و التصغير يردَّانِ الأسماء إلى أصولها غالباً شهد بصدق غير الغالب وكان غالباً في مورده...))([1]) ، وهذا ينم عن سعة اطلاع والتركيز في أصول المفردات واحتوائهما مع جميع متعلقاتها في ذهنه ، وهو مما يُحسب له .

وهذه المسألة مسألة خلافية بين المدرستين ؛ إذ : ((ذهب الكوفيون إلى أنَّ الاسم مشتق من الوَسْم وهو العلامة وذهب البصريون إلى أنه مشتق من السُّمُوِّ وهو العُلُوّ.

أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا: إنما قلنا إنَّه مشتق من الوَسْم لأنَّ الوَسْم في اللغة هو العلامة، والاسم وَسْمٌ على المسمى، فصار كالوسم عليه؟ فلهذا قلنا: إنَّه مشتق من الوَسْمِ ؛ ولذلك قال أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب : الاسم سمةٌ تُوضَع على الشيء يعرف بها. والأصل في اسم وسم، إلا أنَّه حذفت منه الفاء التي هي الواو في وَسْم، وزيدت الهمزة في أوله عِوَضًا عن المحذوف، ووزنه إِعْلٌ؛ لحذف الفاء منه.

وأما البصريون فاحتجوا بأن قالوا: إنَّما قلنا إنَّه مشتق من السُّمُوِّ لأنَّ السُّمُوَّ في اللغة هو العلو، يقال: سما يَسْمُو سُمُوًّا، إذا علا، ومنه سُمِّيَتْ السماء سماء لعلوّها، والاسم يَعْلُو على المسمّى، ويدل على ما تحته من المعنى، ولذلك قال أبو العباس محمد بن يزيد المبرِّد: الاسم ما دلَّ على مسمّى تحته، وهذا القول كافٍ في الاشتقاق، لا في التّحديد، فلمّا سَمَا الاسم على مُسمّاه وعَلَا على ما تحته من معناه دلَّ على أنَّه مشتقٌّ من السُّمُوِّ، لا من الوَسْمِ.))([2]) ، وقد ذهب الشارح مذهب الكوفيين في اشتقاق الاسم ، ولم يكن تأييده للكوفيين لاقتناعه بهذا الرأي بقدر ما هو

---

[1]) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، الأحسائي : ٤/١٣.١٤ .

[2]) الإنصاف في مسائل الخلاف : ١/٨ .

تسليم لرأي الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) الذي ذهب إلى هذا الرأي قبل المدرسة الكوفية بكثير ، لمَّا سُئل عن الاسم قال : ((**صِفَةٌ لِمَوْصُوفٍ**))([1]) ، والصفة هي علامة للموصوف ؛ لذا كان رأي الكوفيين مطابقاً لقول الإمام أبي الحسن الرضا (عليه السلام) ، وليس بعد كلام الإمام كلام .

وهذا الأسلوب اتخذه الشارح سبيلاً لبيان ألفاظ الزيارة الجامعة الكبيرة بجميعها.

وتذهب الدراسة إلى ملازمة المعنى المعجمي . الدلالة المركزية . للألفاظ مهما تعددت السياقات لهذه الألفاظ ، أي ؛ أنّه يبقى المعنى المركزي ملازماً للفظة في جميع السياقات ولم تنتقل . اللفظة . إلى معنى آخر منتزعة معناها الأصلي ؛ بل يبقى ملازماً لها فضلاً عن الغرض السياقي الذي يضيفه السياق للفظة ، وهذا يدل على عدم موت اللفظة خارج السياق ، ودليل ذلك معناها المعجمي .

في حين نجد **الميلاني** يبحث الألفاظ بحثاً أكاديميّاً يذكر أصولها المعجمية وتثبيت دلالة الألفاظ المركزية ، ثمَّ ينتقل بعدها إلى مراده في تركيز المعنى ، من ذلك ما جاء في بيان مفردة (الوحي) ، فهو يذكر المعاني اللغوية لهذه المفردة مع أصحاب الرأي القائل بذلك ، فيقول : ((الوحي لغة : قال ابن منظور : الوحي هو الاعلام بالخفاء .

وقال الفيروز آبادي : الوحي هو كل ما ألقيته لغيرك فهو وحي .

وقال الفيّومي : الوحي : الإشارة والرسالة والكتابة وكل ما ألقيته لغيرك ليعلمه وحي كيف كان ، قاله ابن فارس .

---

[1]) الكافي : ١١٣/١ ، يُنظر : عيون أخبار الرضا : ١٢٩/١ .

المستفاد من أهل اللغة هو العموم والإطلاق. إنَّ الوحي هو الإعلام والإلقاء بأي نحو كان الإعلام والإلقاء...))([1]) ، يستنتج الشارح معنى الوحي بوساطة ما ورد في معجمات اللغة وما ورد فيها من معاني ثمَّ يُجمل القول في كلمتين وهما (العموم والإطلاق) ، أو (الإعلام والإلقاء) ، في حين أنَّ هذه المصطلحات أشار إليها ابن فارس بالإشارة([2]) ، فالإشارة تشمل الإعلام والإلقاء والعموم والإطلاق ، وينماز الوحي عن الإشارة العامَّة بالسرعة ، فالوحي هو الإشارة السريعة([3]) ، وذكر الشارح للمعاني اللغوية كان مراده أن يصل إلى ما استقرَّ في ذهنه واعتقده قلبه كي يستلَّ من قلب القارئ الظنَّ بالغلو.

أراد الشارح من هذه المعاني أن يقول : إذا كانت الإشارة السريعة . بطرقها المتعددة من إلهام أو رؤيا أو إلقاء في القلب أو إعلام بعد خفاء . هي واردة لمخلوقات الله ؛ فلا ضير أن تكون لأهل البيت (عليهم السلام) ، فكان استدراجه للمعاني اللغوية فيه قصدية لتثبيت معنى الإيحاء لاهل البيت (عليهم السلام)([4]) ، فلم يخرج عن المعنى اللغوي ؛ بل استشهد به لغرض تعضيد رأيه وتثبيته .

ولم يخرج المعنى الاصطلاحي عن المعنى اللغوي([5]) ، فكان المعنى اللغوي مسيطراً على اللفظة في سياقاتها المختلفة؛ إذ لا توحي إلى غير الإشارة السريعة ،

---

[1]) مع الأئمة الهداة ، الميلاني : ٨٠ ، يُنظر مصادر اللغة : لسان العرب ، مادة (وحي) ، القاموس المحيط : ٣٩٩/٤ ، المصباح المنير : ٦٥١ .

[2]) يُنظر : مقاييس اللغة : ٩٣/٦ .

[3]) يُنظر : المفردات : ٥١٥/١ .

[4]) يُنظر : مع الأئمة الهداة ، الميلاني : ٨٢.٨١ .

[5]) يُنظر : البرهان في علوم القرآن : ٢٠٧/١ ، الإتقان في علوم القرآن : ٧٤/١ ، مناهل العرفان، محمد عبد العظيم الزرقاني ت(١٩٤٨م) ، تحقيق : سليم الكردي ، دار احياء التراث

فكان أسلوب الشارح في ذلك اسلوباً بحثيًّاً في تثبيت المفاهيم والوصول منها إلى المراد.

وكذلك ما جاء في شرحه لمفردة (مَعِدن) وهو مستقر الجوهر وماهيَّة الأصل([1])، فقد يُثبِّت المعنى اللغوي لهذه المفردة بوساطة تتبعها لغويًّاً ، وذكر لذلك قول الراغب والفيَّومي([2]) ، فمن هذا الأسلوب نستنتج حاكميَّة الدلالة المركزية في شرح الميلاني ، ويُحسبُ له ذكر المصادر اللغوية التي استند إليها في تعضيد المعنى المراد تبيانه في سياق المفردات المشروحة .

وهذا لا يعني أنَّه ذكر كل المصادر التي اعتمد عليها في بيان الدلالة المركزية . المعجمية ، في جميع مفاصل شرحه ؛ وإنَّما في أغلبه .

ففي بعض الموارد يذكر المعاني اللغوية دون إرجاعها إلى أصولها كما في بيان معنى (الأصول) في قوله : ((الأصل لغة : « الأصل » جمع « الأصول » يقال: أصل هذا البناء كذا. أي: قاعدته. وأصل هذه الشجرة كذا، أي: جذرها. وفلان وفلان من أصل واحد، أي: يرجعان إلى جدٍّ واحد ونسب واحد. وأصل هذا النهر هو المحلّ الفلاني ، أي : منبعه))([3]) ، وهو معنى لغوي أسس عليه الشارح مفاد الفقرة ؛ لأنَّ

العربي ، بيروت ، لبنان ، د.ط ، د.ت : ٤٧/١ ، مباحث في علوم القرآن ، صبحي الصالح ، ت(١٩٨٧م) ،دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، ط١٨ ، ١٩٩١م : ١٧ .

[1]) يُنظر : مع الأئمة الهداة ، الميلاني : ٨٢ .

[2]) يُنظر : المصدر نفسه : ٨٢ ، مصادر اللغة : المفردات : ٣٢٦/١ ، المصباح المنير : ٣٩٧.

[3]) يُنظر : مع الأئمة الهداة ، الميلاني: ٩٤ .

((أصل الشيء: قاعدته التي لو تُوهِمتْ مرتفعة ؛ لارتفع بارتفاع سائره))([1]) ؛ ولكنَّ الشارح لم يذكر ذلك ، وهذه الموارد التي تؤخذ عليه في شرحه رغمَ قلَّتها .

ومن الجدير بالذكر ؛ أنَّ الميلانيَّ يذكر آراء مجموعة من اللغويين في بيان دلالة اللفظة الواحدة ، وبها يخرج بنتيجة تفيد البحث في المعنى السياقي للمفردة ، وهذا ما لم نجده عند غيره من الشارحين ؛ حتى تعددت مصادره اللغوية ، والدراسة ترى أنّ ذلك يُحسب للشارح في جمع الآراء والخروج منها بنتيجة تضفي على المفردة جمالية تعدد الدلالات ؛ وهذا يوحي إلى أنَّ استعمال الإمام الهادي (عليه السلام) المفردات المشحونة معنويَّاً ، فتنبَّه الميلاني لذلك فجاء بالآراء اللغوية المتعددة كي يصل إلى مراد الفقرة التي هو بصدد شرحها ، وهذا منوط بفهم الشارح لا الدلالة القطعية ، ولو كانت الدلالة . في مفردات الزيارة الشريفة . قطعية ؛ لما تعددت الشروح .

وقد ذكرنا هذه الموارد للتمثيل لا للحصر ؛ لأنَّ الميلاني اتخذ هذا الأسلوب خارطة لشرحه في بيان الحكم المستغلقة كي لا يبقى علمٌ مشكل.

أمَّا **الوحيدي** ؛ فكان قد ذكر اللغة على سبيل التعضيد في مواطن قليلة دون أن يذكر المصدر الذي اعتمد عليه في توضيح المفردات ، من ذلك ما جاء في بيان مفردة (الجلال) في قوله : ((جلال الله عظمته ، والجلال في اللغة بمعنى العظمة والجليل من أسمائه تعالى وكناية عن كمال الصفات كما أنَّ الكبير راجع الى كمال الذات ، والعظيم راجع الى كمال للذات والصفات.))([2]) ، وهذا استعمال لغوي([3])

---

[1]) المفردات : ١٩/١ ، يُنظر : كتاب العين : ١٥٦/٧ ، مقاييس اللغة : ١٠٩/١ .

[2]) أنوار الولاية الساطعة ، الوحيدي : ١٤٦ .

[3]) يُنظر : مقاييس اللغة : ٤١٧/١ ، المفردات : ٩٤/١ ، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الحديث القاهرة ، مصر ، ط٢ ، ١٩٨٨م : ٢٢٢ ،

استدعاه الشارح لبيان الدلالة التامَّة للمفردة ، ورُبَما في هذا المورد أثر قرآني بوساطة استقطاب اللفظ القرآني الخاص ووضعه في إحدى فقرات الزيارة الشريفة ، ولم يُشر الشارح إلى هذا الأثر .

وليس هذا فحسب ؛ فقد ذكر المعنى اللغوي في أكثر من مورد واتخذ السبيل المذكور ذاته من أنّه لا يذكر المصدر ؛ كما جاء في تبيين معنى (الجحود) في قوله: ((...الجحود في اللغة يقال للانكار المرافق للعلم ، بمعنى أن يعرف الإنسان شيئاً حق المعرفة ويجحده وينكره ، فهذه الفقرة الشّريفة ظاهرة في الذين يخالفون ويجحدون الأئمّة الهداة عليهم السلام ، وأمّا مع معرفتهم الكاملة بأحقّيتهم فإنّهم حينئذ يكونوا كفاراً.))([1]) وهذا المفهوم اللغوي يحتاج إلى تأصيل من منابع اللغة ؛ بيد أنّ الشارح جعله من المُسلَّمات وأرسله إرسالاً ، فكان حريٌّ بالدراسة تبيانه .

فالجحود ((هو ضد الإقرار ،ولا يكون إلّا مع عِلْمِ الجاحد به أنَّه صحيحٌ؛ فهو كلُّ ما يُنكرُ باللسان ؛ ولكنَّ القلبَ يُثبته ويُقرُّ به ...))([2]) ، فاستقرَّ المعنى في ذهن الشارح بوساطة المطالعة القديمة لا الآنيَّة ؛ أدَّت به إلى ذكر المعنى المركزي أو الدلالة المعجمية وأرسلها إرسال المسلَّمات ، وإلّا لو كان النقل إبَّان الشرح ؛ لذكره في هامش كتابه كما ذكر بعض المصادر الحديثية والفلسفية والعقدية والفقهية والأصولية والأخلاقية ، وعدم ذكره لمصادر اللغة يدل على عدم توافر المصدر اللغوي أثناء الشرح، وهو مأخذ على الشارح ؛ لأنَّه يدل على الأمانة العلمية في البحث النَّصِّي ، ولا يشفع له إرسال المعنى دون ذكر مصدر .

المفردات الفذَّة في القران الكريم . دراسة لغوية (رسالة) ، خالد حامد عطية الربيعي ، كلية الآداب ، الجامعة الإسلامية ، بغداد ، ٢٠٠٣م : ٧ .

[1]) أنوار الولاية الساطعة ، الوحيدي : ١٨٦ .

[2]) المعجم القرآني : ٨٢٠/١ ، يُنظر : مقاييس اللغة : ٤٢٥/١.٤٢٦ ، المفردات : ٨٨/١ ، لسان العرب ، مادة (جحد) .

كان ذِكْرُنا لهذه الموارد من شرح الوحيدي على سبيل المثال ؛ فهو يعتمد على الدلالة المعجمية . المعنى اللغوي للمفردات . للكلمة في مواضع كثيرة ؛ لذا ارتأينا أن نستشهد بنماذجَ للتمثيل لا للحصر ، كي لا ندخل البحث في بوتقة الإسهاب والتطويل، والإطلاعُ كفيلٌ بتصديق ما ذكرنا .

في حين يذكر **الصدر** المصدر اللغوي الذي يستنبط منه المعاني ، واستعماله للمصادر استعمالاً أكاديمياً من حيث ذكر المصادر في هوامش الصفحة ، فمن ذلك ما جاء في بيانه للفظة (الوحي) ؛ قال : ((الوحي في اللغة بأنّه هو كلّ ما ألقيته إلى غيرك بإشارة أو كتابة أو رسالة أو إلهام أو خفيّ كلام))([1]) ، وذكر في هامشه كتاب (مجمع البحرين ، للطريحي)([2]) ليُشير إلى المصدر المخصوص الذي اعتمد عليه ، ولا يخرج الوحي من أنَّه ((فكرٌ ؛ من حيث أنَّه يُنظِّم الفِكرَ والحياة طبقاً لنسق نظري يوجِّه سلوكنا))([3]) ، والملاحظ على سلوك الصدر في شرحه ؛ أنَّه سلك سلوكاً بحثياً يختلف عمن سبقه ما خلا الميلاني ، بوساطة إرجاء أصول المفردات إلى منابعها بلمسات أكاديميَّة ، وهذا يُحسب له في الدرس البحثي .

وفي مورد آخر كان الصدر أكثر ملاحظة في الاستعمال اللغوي والتعضيد لتأكيد المعنى ، من ذلك قوله : ((والخير في اللغة هو ما يرغب فيه الكلّ كالعقل ، والعدل والفضل ، والشيء النافع ، وضدّه الشرّ))([4]) ، وبوساطة بيان طباقه في اللفظ يتضح المعنى ويتبيَّن المراد ، كان إيراده للمعاني المضادَّة داخل سياق الشرح

---

[1]) في رحاب الزيارة الجامعة الكبيرة ، الصدر : ٤٣ .
[2]) المصدر نفسه : ٤٣ ، يُنظر : مجمع البحرين : ٩١ .
[3]) المعجم القرآني : ٣/٧٠٦ .
[4]) في رحاب الزيارة الجامعة الكبيرة ، الصدر : ٨٦ ، يُنظر : المفردات : ١٦٠ .

تفتح آفاقاً أُخرى وتُحيل إلى موضوعات تُقرِّب المعنى من جهة وتُثري الدلالة من جهة أخرى.

والمأخذ على شرح الصدر في هذا المورد ؛ هو خلطه بين مفهومي الاستعمال في الاستشهاد المعجمي والسياق النحوي ، من ذلك ما جاء في استعمال حرف المعنى (لولا) في قوله : ((واعلم أنّه لا إشكال في دخول لولا في هذا الحديث على الضمير كما توهّمه بعض المغرضين ، بل هو صحيح لغةً كما نصّ عليه في المعجم الوسيط ....بل يدلّ على فصاحته مضافاً إلى صحّته الاستعمال القرآني في قوله عزّ إسمه في سورة سبأ ﴿ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴾))([1])، وكان الأحرى به أن يذهب إلى كتب النحو لا إلى المعجمات اللغوية لتأكيد وتعضيد ما ذهب إليه ، فالنحويون لم يُنكروا دخول (لولا) على الضمير المنفصل ؛ وإنَّما كانت لهم آراء في مفهوم حرف المعنى (لولا) منهم من عدَّها حرف جر([2]) ، ومنهم مَن عدَّها أداة شرط يدل على امتناع لوجود ، والضمير الذي يليها في محل رفع مبتدأ([3]) ، فالخلاف غير ناظر إلى الضمير الذي يأتي بعد حرف المعنى (لولا) ؛ وإنَّما الخلاف في (لولا) نفسها ، وهذا ما خفي على الشارح ، ومن المحتمل قد قصد أُناساً بعينهم ؛ إلّا أنَّه لم يُشخصهم ، فأطلق القول على أهل اللغة جميعهم ؛ لذا وجب التنويه لذلك ، لأنَّ مجيء الضمير بعد (لولا) كثيرٌ ومشهورٌ في اللغة . الشعر والخطب ولغة القرآن الكريم والمقالات والتقريرات... وغيرها . ، فلا يخفى على

---

[1]) في رحاب الزيارة الجامعة الكبيرة ، الصدر : ٤٨ ، يُنظر : المعجم الوسيط : ١٤٧/٢ .

[2]) عدَّها سيبويه حرف جر وما بعدها ضمير منفصل مبني في محل جر اسم مجرور . يُنظر : الكتاب : ٣٤٢/٢ .

[3]) أغلب النحاة ذهبوا هذا المذهب . يُنظر : شرح ابن عقيل : ٥/٣ ، في التطبيق النحويّ والصرفيّ ، عبدة الراجحي ، دار المعرفة ، الإسكندرية ، مصر ، ط١ ، ١٩٩٢م : ٢١٠ .

أساطين اللغة ذلك ؛ فكان الأمر الخلافي في مفهوم (لولا) هل هي حرف جر أم أداة شرط ؟! .

فكان أسلوبه بالاستشهاد اللغوي جيداً إلى حدٍّ ما ؛ على الرغم من الهنات التي وقع فيها وهي قليلة ولا تكاد تُذكر إذا ما عُدَّت في كيان الشرح بأجمعه ، واستناد الصدر على المعجمات ليس بالقليل ؛ وما ذكرنه للمثال .

وإلى مثل ذلك يذهب **الغزّي** في شرحه ؛ بيد أنَّه لم يذكر الكتاب اللغوي الذي اعتمد عليه في استقطاب المعنى([1]) ، شأنه في ذلك شأن مَن ذكرنا.

- **خلاصة النقد اللفظي**

مما تقدَّم تتضح لنا أمورٌ :

أولها : نجد الشُارحين يقومون بتقديم المفردة (اللفظ) على مضمونها (المعنى) ولو على نحو الصورة ضمنية([2]) ؛ لأنَّ اللفظ هو أهم وسيلة من الوسائل والركيزة الأساسية لبناء لغة الزيارة الجامعة الكبيرة([3]) ، وكذلك يُعدُّ اللفظُ المرتكزَ الأساس والأول في بيان الحجّة الظاهرية للزيارة الجامعة المباركة ، ولا يمكن الاستغناء عنه ؛ لأنَّه لَبِنة صنعة الكلام([4]) ، فضلا عن أنَّه المكوِّن الرئيس المجعول من قبل بعضهم مقياساً لتمييز كاتب عن غيره ، ومنه يخرج أسلوب الكاتب وإمكاناته الأدبية؛ لأنَّ الكاتب المبدع ؛ المُحسن لاختيار الألفاظ ، وسبكها في السياق الملائم لهذه اللفظة حتى لا تشمئز النفوس ولا تنفر من استقبالها القلوب في التعبير النثري ، حتى تؤدي

---

[1]) على سبيل التمثيل ، يُنظر : شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، الغزي : ٤٣/١ .

[2]) يُنظر : شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، المجلسي الأوَّل : ٤٥ .

[3]) يُنظر : شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، الغزي : ٣٣/٢ .

[4]) بنية اللغة الشعرية ، جون كوهين ، ترجمة : محمد الولي ومحمد العمري ، دار توبقال للنشر، ط١ ، ١٩٨٦م : ٧٥ .

باتساقها وانسجامها اللفظي ؛ معناها المركزي المعجمي ، فضلا عن خروجاتها المجازية([1]) الذي ينشده ويريد الوصول إليه الكاتب ، ويحرص على إيصاله إلى المتلقي بأي وسيلة يراها مناسبة في أداء المعنى متكاملاً من دون نقص([2]) .

وثانيها : إنَّ بعض شارحي الزيارة الجامعة الكبيرة ممن سبر أغوار هذه المسألة ـ وهي الدراسة اللفظية ـ اتخذ منها موضوعاً للشرح دون تصريح بذلك([3])، وأراد أن يجعلها سُلَّماً يصلُ بوساطته إلى نهاية المطاف المراد منه المعنى ، وهو أسلوب اتخذه بعض النُّقاد القدماء ، وكذلك ممن لحقهم من النقاد الغربيين اتخذوه سبيلاً، ونعني بذلك المحاولة لحل الإشكالات القديمة ؛ وهي أي العنصرين نقدِّمه على الآخر ؛ هل اللفظ مقدَّماً على المعنى أو العكس ؟ ، معتبرين كلَّ عمل أدبي لا يمكن أن يقوم إلا بهما معاً . أي الألفاظ والمعاني . في الوقت نفسه([4]) ؛ إذ العناية باللفظ هي عناية بالمعنى وكيفية اختيار الطرق لتوصيله في الوقت نفسه ؛ لأن حسن اختيار اللفظ يُوصل المعنى بأحسن وأبهى صورة يتطلع لتوصيلها الكاتب([5]).

---

[1]) نقصد بها : المجازية التي أصلّنا لها وهو الطرق المتعددة للوصول إلى الحقيقة ، راجع مبحث المجاز في الباب الأول : الفصل الثاني . المبحث الأول ..

[2]) يُنظر : الشموس الطالعة من مشارق الزيارة الجامعة ، الهمداني : ٥١٤ ، شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، الأحسائي : ٢١٢/٣ .

[3]) يُنظر : شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، المجلسي الأوّل : ٢٠ ، شرح الزيارة الجامعة الكبيرة، المجلسي الثاني : ٢٤٠ ، شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، الجزائري : ٢٨٠ ، مع الأئمة الهداة ، الميلاني : ١١٨ .

[4]) يُنظر : البيان والتبيين : ٨٣/١ ، عيار الشعر : ١١ ، دلائل الاعجاز : ٩٦ ، بنية لغة الشعر : ٤١ ، الخطاب النقدي الأكاديمي العراقي : ١٦٦ .

[5]) يُنظر : شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، الأحسائي : ٢/ ٨٠ ، في رحاب الزيارة الجامعة الكبيرة ، الصدر : ٥١٢ ، في رحاب الزيارة الجامعة الكبيرة ، السند : ٢٥ .

وثالثهما : ما اهتم في دراسة الجانب التنظيري للألفاظ ، وهذا ما نجده عند بعضهم؛ إذ أولوا الجانب النظري اهتماماً كبيراً ومنه يلج إلى أهمية بيان السياق والدور الذي تؤديه جماليات اللفظة أو تعقيدها أو قبحها في الاستعمال ، فعندهم نجاح النص ويكون وسيلة جذبٍ بوساطة اختيار الألفاظ بأحسن اختيار(١) ، وهذا ما تجلَّى عند أحد النقّاد القداماء من حسن التأليف والصياغة(٢) ، ويدل على ما ذهبنا إليه ؛ إنَّ المُستقبِل لمَّا يسمع اللفظة يشعر بجماليتها أو بحسنها وقبحها في وضع الإفراد ، في حين سيكون على يقين تام بخصوص كون هذه اللفظة ذات حسن أو قُبح داخل السياق ، وكل هذا يتم بانسجامها مع أخواتها ليبرز السياق إمكانية الكاتب في كيفية نظم المفردات واختيارها ، ويبدو أنَّ ذلك يرجع إلى موسيقى اللفظة الذي تحدثه بوساطة تجاورها واقترانها بأخواتها(٣) ، فالتفاوت في التفاضل باختيار الألفاظ يكون في الغالب بين ثنايا تراكيب الألفاظ أكثر مما هي منفردة ، لأنَّ الإفراد يعتمد على المعاني المركزية التي تُلازم المفردة ؛ في حين أن السياق يُضفي عليها دلالة إضافية تُعرف بالغرض السياقي ، فالبساطة والتعقيد والجمال والقبح والحسن والردائة؛ بالتالي تخضع إلى كيفية تناغم المفردة مع أخواتها داخل السياق الواردة فيه ، وكذلك مدلولاتها المشعّة بالإثراء المعنوي بانتظامها في السياق الخاص بها .

ورابعها : يذهب بعض الشارحين إلى أنَّ جميع الألفاظ الداخلة في إطار اللغة وهي صالحة في كل الاستعمالات الأدبية ، ولكن ذلك متوقف على حنكة الكاتب وذوقه الأدبي في انتقاء الألفاظ وكيفية اختياره للمفردات المناسبة في المواضع المناسبة؛ حتى تخرج بحُلَّة تستميل المُستَقبِل ، كي تكون إيحائية أكثر ، وتأثيراً أشد

---

١) مع الأئمة الهداة ، الميلاني : ١٦٥ ، أنوار الولاية الساطعة ، الوحيدي : ٨٤ .

٢) يُنظر : العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده : ١٢١/١ .

٣) ينظر : البلاغة العربية ، علم المعاني بين بلاغة القدامى وأسلوبية المحدثين ، طالب إسماعيل الزوبعي ، منشورات جامعة قازيونس ، بنغازي ، ليبيا ، ط ١ ، ١٩٩٧م : ٢٧ .

في نمط التناسق اللفظي والمعنوي من غيرها في هذا الموضع([1]) ، مما كان استعمال الإمام الهادي (عليه السلام) لهذه الألفاظ ينماز بقصدية كبيرة ولم تكن الألفاظ قد أُختيرت جزافاً([2]).

وتبقى هذه الألفاظ محكومة بقول السائل : ((علّمني يا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قولاً أقوله بليغاً كاملاً إذا زِرْتُ واحداً منكم))([3]) ، فكانت الألفاظ تخضع في إختيارها لهذا القول ؛ لأنَّ مقاماتهم (صلوات الله عليهم) الحقيقية ؛ أكبر وأعظم وأرقى وأسمى من هذه الكلمات بكثير ؛ إذ اختصرها سيد الموحدين وإمام المتقين ويعسوب المسلمين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) بقوله : ((**نَحْنُ أَهْلَ الْبَيْتِ لَا يُقَاسُ بِنَا أَحَدٌ فِينَا نَزَلَ الْقُرْآنُ وَ فِينَا مَعْدِنُ الرِّسَالَةِ**))([4]) ، إلّا أنَّ الألفاظ الواردة في سياقات الزيارة الجامعة الكبيرة ؛ ناظرة إلى المقام وحال المُستَقبِل ، وعلى الرغم من هذا أفصحت عن هذه الكنوز المعنوية التي لا بدَّ من النظر في خزائنها . وإن كانت على قدر عقولنا . لأنَّها إطارٌ لمقامات أعظم ؛ لذا نظر أحد الباحثين إلى هذه المفردات بأنَّها واجهة لمعاني أعظم بكثير مما تكشَّف لنا ويتكشَّف لغيرنا([5]) ، أمَّا استعمال هذه الألفاظ يُشير إلى مراعاة الطبقية الاستيعابية لمقامات أهل البيت (صلوات ربي وسلامه عليهم أجمعين) ؛ وقد أفصح عن ذلك الشارحون واعترفوا بأنَّهم . بكل ما أدوه . مقصِّرون .

---

[1]) يُنظر : في رحاب الزيارة الجامعة الكبيرة ، السند : ٢٦ .
[2]) يُنظر : الشموس الطالعة من مشارق الزيارة الجامعة ، الهمداني : ١٨٢ .
[3]) أنوار الولاية الساطعة ، الوحيدي : ٢٧٩ .
[4]) عيون أخبار الرضا : ٦٦/٢ .
[5]) يُنظر : شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، الغزي : ٥١٢ .

وخامسها : كان للجانب الإجرائي السهم الأوفر في بيان الألفاظ ، فقد اتَّخذ الشارحون . بصورة عامّة . الجانب التنظيري وسيلة للوصول إلى الأداء الإجرائي الذي يُعدُّ ، في شروح الزيارة الجامعة الكبيرة . الكاشف لما خلف السطور ، وهو البوّابة الرئيسة للدخول إلى حرم الاستطراد المعرفي . القرآني والروائي (الحديثي) والأدبي . وكان ذلك أسلوباً عند بعض الشارحين([1]) .

فدراسة الألفاظ كانت مهيمنة على الشروح المختارة للزيارة الجامعة الكبيرة بالتنظير واستدعائها من معجماتها وتوظيف معانيها المركزية في الشرح ، ومن ثمَّ الانتقال إلى الأغراض التي أدتها هذه المعاني المركزية في الشروح .

[1]) الشموس الطالعة من مشارق الزيارة الجامعة ، الهمداني : ١١٣ ، شرح الزيارة الجامعة الكبيرة، الأحسائي : ١٣٨/١ ، ٢١٢/٢ ، ٣/ ١٥ ، ٥٢/٤ ، شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، الغزّي : ٢٥٩ ، في رحاب الزيارة الجامعة الكبيرة ، الصدر: ٣٤٠ .

المبحث الثالث

القضايا النقدية الخاصَّة في الشروح

توطئة :

من استقراء الشروح المختارة الخاصَّة بالزيارة الجامعة الكبيرة ؛ يتضح للدراسة افتراق الشارحين في أمور نقدية تُعدَّ من مميزات هذه الشروح ؛ لا سيما ونحن أمام نصٍّ أدبيٍّ واحد ؛ إلّا أنَّ الأذواق في النظر إليه اختلفت بحسب الحصيلة المعرفية لكلِّ شارح ؛ فقد نظروا إليه كلًّاً بحسب توجهه وميله الذوقي ، منهم مَن هيمنت عليه اللغة المعجمية وأثَّرت في بيان المعاني العامَّة المركزية لمفردات الزيارة الشريفة ، ومنهم مَن توسَّع بوساطة اللغة إلى بيان الأثر القرآني والأثر الروائي في هذه النصوص ، ومنهم مَن زاد على ذلك وجعل الأدبَ وسيلةً من وسائل المعرفة في سياقات هذا النص المبارك.

في حين نجد منهم مَن سيطرت الفلسفة على تفكيك السُّنن للزيارة الجامعة الشريفة، فصار يُضفي . على ذلك . الآراء الفلسفية من وجهة نظر إسلامية في بيان العلل والمعلولات والأسباب والمسببات ونظرية المعرفة وغيرها من اللمسات الفلسفية التي كانت مهيمنة على تلقي الخطاب المعصومي ، مما أنتج تعقيداً في بعض النصوص قد يستغلق على القارئ استقبال دلالته من أول وهلة .

وعنى بعضهم الآخر باستجلاب القرائن الخارجية والداخلية والحالية والمقامية؛ غايته من ذلك الوصول إلى دلالة قطعيَّة . من وجهة نظره . تكاد تكون حاضرة مسبقاً في ذهن الشارح . فجعل هذه القرائن ؛ وسائلَ لإلفات النظر إلى المعنى المراد بيانه وتبنِّيه .

وركَّز بعضهم على بثِّ متبنياته العقلية والمنطقية ، مما جعل الدراسة تحكم على أنَّ الشرح كان وسيلة لبيان هذه المتبنيات تحت إطار النصّ المقدَّس.

كل ذلك دعا الدراسة إلى احتواء هذه المباحث النقدية ووضعها على طاولة تشريح الدراسة ، وإعادة قراءتها ، وسيعمد الباحث ـ في هذا المبحث ـ إلى الوقوف عند ما رصده الشارح للفقرات المباركة من الزيارة الشريفة من القضايا التي أوضحها أثناء شرحه ، أو كانت خصّيصة من مختصَّاته في بيان الدلالة ، وبيان الأسباب التي دعته إلى تفضيل هذا الأسلوب على غيره ، وإيضاح العوامل المساعدة على انتشارها في نتاجه الخاص في شرحه.

فمن القضايا المهمَّة التي سنتناولها في هذا المبحث هي : **(التجديد ، الوضوح والإغماض ، السرد القصصي)** .

أوَّلاً : التَّجديد :

الذي يُميِّز كلَّ عمل من الأعمال ؛ ابتكاره وإبداعه ، أو التجديد في وتطوير عملٍ ما ، والعمل الأدبي حاله حال الأعمال الأخرى ؛ ينماز عن غيره بالتجديد والابتكار، ومن دون هذا ؛ سيكون العمل عبارة إمَّا عن اجترار لعمل آخر ، أو دون فائدة ، وينحصر التجديد مع فائدة علمية تُثري المعرفة عند المُستقبِل ؛ وإلَّا لم يكن من العمل فائدة .

ومن الصعب أن تجد نصّاً تُعاد قراءته بأذواقٍ متعددة وتجد بين هذه القراءات تجديداً وإيضاحاتٍ مختلفة ما خلا كتاب الله المجيد ، وهذا أحد الأسباب الذي دعانا إلى اختيار هذه الشروح المتعددة لنصٍّ ثبت عن أحد أركان الثقل الأصغر . من العترة الطاهرة صلوات ربي وسلامه عليهم أجمعين . وكأنّ ذلك يُنبئ عن سنخية النصّ الصادر عن المعصوم . من القران الحكيم .

وقد أطلق النقّاد الأكاديميون على هذا النتاج الناتج من الأذواق المختلفة التي أسبرت أغوار هذا النص المقدَّس ؛ مصطلح (التجديد) ، وعنوا به مساعي ((الأديب إلى التجديد في أعماله ، ويخرج عما هو مألوف وشائع ، سواء في ابتكار موضوعه أم أسلوب أدائه ، أم طريقة تفكيره ، ويعد جديداً حين يعيد الأديب النظر في موضوع سابق ، ويعرضه بطريقة مبتكرة))([1]) ، ولكن هذا الحد للتجديد فيه التباس أو خلط بين (التجديد والجديد) ، **فالتجديد** : يعتمد على تطوير عملٍ قديم بالإضافة والتعديل والترتيب والتحويل والتغيير في السياقات ، فهو يعتمد على أصل سابق.

أمَّا **الجديد** : هو الإتيان بأصل لم يكن معتمداً على غيره ، فهو إبداع وابتكار أصلاً وفرعاً ، فلم يعتمد على أصل سابقٍ عليه ، وهذا الفرق بين التجديد والجديد ، فالمصطلح الذي نستعمله في هذا المبحث هو (التجديد) ؛ لأنَّ النصَّ موجودٌ ، وما يطرأ عليه هو تعديل وترتيب وتحويل وتغيير .

من القضايا التي جدد بها شارحو الزيارة الجامعة الكبيرة في شرحهم . وهي كثيرة جدَّاً وسنذكر نماذجَ منها للتمثيل . كما جاء في معنى المثاني عند **الهمداني** ؛ إذ حاول الهمداني أن يشُدَّ أواصر الروايات التي هي بظاهرها متعارضة ، منها ما جاءت تؤكد أنّها سورة الفاتحة المباركة([2]) ، ومنها ما جاءت في آل محمد (صلوات

---

[1]) معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة (عرض وتفسير ومقارنة) ، سعيد علوش ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، سوشبرس ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط١، ١٩٨٥م : ٢٢٤ ، يُنظر: لغة الشعر في الخطاب النقدي الأكاديمي العراقي : ٧٦ .

[2]) يُنظر : مجمع البيان : ٤٢/١ ، الكشف والبيان (تفسير الثعلبي) ، الهمّام أبو إسحاق الثعلبي ت(٤٢٧هـ) ، تحقيق: أبو محمد بن عاشور، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٢م : ١٨/١ ، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، أبو محمد عبد الحق ابن عطية الأندلسي ت(٥٤٦هـ) ، تحقيق : الرحّالة الفاروق ، عبد العال السيد إبراهيم ، وآخرون ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، قطر ، ط٢ ، ٢٠٠٧ م : ١/١ ، نور الثقلين : ٢٨/٥ .

ربي وسلامه عليهم أجمعين)([1]) ، فحاول الشارح أن يربط بين هذه الروايات بقوله : ((إنَّما سُمِّيت (مثاني) لأنَّ المثاني جمع (مثنى) ومعناه : اثنان اثنان .وقد عرفت أنَّه لا بدَّ من تثنية هذه العوالم السبعة في كل نفس لثبوت حقيقة الاختيار ، وإنَّما خصّ بذلك رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، لأنّ أحداً من الخلق لم يُعطَ ما هو مبدء هذه العوالم السبعة النورانية غيره (صلى الله عليه وآله) بنحو الكليَّة ...وأمَّا ما ورد بأنَّها سورة الحمد فلا يُنافي ما ذكرت ، ولا الأخبار السابقة للروايات التي وردت بخصوص سورة الحمد ...

[وحدة محمد وأله (عليهم السلام) مع سورة الفاتحة]

فالأئمة وسورة الفاتحة قالبان لروح واحدة . الذي هو اسم الله . فآل محمد (صلى الله عليه وآله) قوالبه في عالم الجسم وغيره إلى عالم العقول ، وسورة الفاتحة قالبه في عالم اللفظ والكتب ، ولذا قد فسر السبع المثاني بهم عليهم السلام وقد فسر بسورة الفاتحة ، لاختلاف أفهام المخاطبين ..))([2]) ، القارئ لهذا النصِّ من الشرح . إن لم يكن قد قرأ الشرح بالكامل . ظنَّ إنَّ الشارح يعتقد بالحلول والاتحاد ، إلَّا أنَّه قد أشار إلى مقامات سامية اتصف بها آل محمد (صلوات ربي وسلامه عليهم) فوصلوا إلى مراتب المثاني المختارة ، فأراد الشارح القول : أنَّ الله تعالى أكبر وأعظم وأجل وأسمى مِن أن يُباشر عباده في كل شيء ؛ فجعل لهم وسائل إيصال بينه وبينهم ، ففي العالم الجسماني وعالم العقل ؛ خصَّ لهم محمد وآل محمد (عليهم صلوات ربي)، وفي عالم اللفظ والكتب ؛ خصَّ لهم سورة الحمد المباركة.

---

[1]) يُنظر : تفسير نور الثقلين : ٢٨/٥ ، تفسير العياشي : ٢٦٠/٢ .

[2]) الشموس الطالعة من مشارق الزيارة الجامعة ، الهمداني : ٤١٧.٤١٨ .

في حين ترى الدراسة أنَّ قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ ﴿الحجر/٨٧﴾ ، تُعدُّ الأصل القرآني لقول رسول الله (صلى الله عليه وآله) : **﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمُ الثَّقَلَيْنِ مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا لَنْ تَضِلُّوا- كِتَابَ اللَّهِ وَ عِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي فَإِنَّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ﴾**(١) ، إذ إنَّ الآية المباركة أجملت القول في السبع المثاني وكذلك في القرآن العظيم ؛ فالسبع المثاني مختلف عن القرآن العظيم ويشترك معه في العمل والترتيب والبيان . بحسب المعنى البلاغي لحرف العطف (الواو) . ؛ وبما أنَّه اتضح أنَّ المثاني تعني : إثنين إثنين ؛ وهي سبع مثاني أي : أربعة عشر فرداً ، وهم الذين يشتركون مع القرآن في العمل.

وجاء القرآن العظيم بعدهم بالتتابع لا بمعنى تقديمهم عليه الأفضلية لهم ؛ وإنَّما هم بمثابة الأرضية الخصبة التي انطلق منها القرآن الكريم للناس ، وتبيَّن أنَّهم أشخاص، والقرآن العظيم هو كتاب الله المنزل.

- **الترابط الدلالي بين الحديث الشريف والآية المباركة :**

يرتبط الحديث الشريف بالآية المباركة ارتباطاً وثيقاً لا انفصام له بوساطة السياقين المباركين إذ إنَّ :

---

(١) بصائر الدرجات: ٤١٣/١ ، والخصال ، للصدوق : ٧٥/١ . وذكر هذا الحديث الشريف غير واحد من الصحابة ، إذ ورد باسانيد مختلفة ، يُنظر : وسائل الشيعة : ٥/ ١٤ ، مستدرك الوسائل : ٢٦٥/٣، شرح أصول الكافي : ٦١/١ ، ومن مدرسة الصحابة ، يُنظر : ينابيع المودة لذوي القربى :٩٠/١ ، الصواعق المحرقة : ١٠٩/١ ، فضائل الصحابة ، أحمد بن حنبل ت(٢٤١هـ) ، تحقيق : وصي الله بن محمد عباس ، دار ابن الجوزي ، مكة المكرمة ، ط١، ١٤١٤هـ : ٤٤٩/٢، سلسلة الاحاديث الصحيحة ،للالباني : ٤/ ٣٣٠ ،

القرآن العظيم ← يوازي قول الرسول : **كـــــــتاب الله**

السبع المثاني ← يوازي قول الرسول : **عـتـرتـي أهل بيتي**

وبطريقة أخرى :

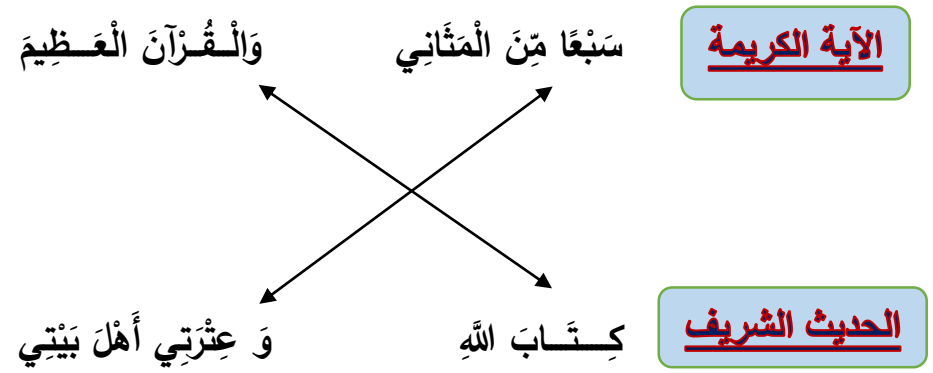

إذ ابتدأت الآية المباركة بالسبع المثاني وانتهت بالقرآن العظيم ، والحديث النبوي قدَّم كتاب الله على العترة ، وكأنَّهما عملية عكسية بين الآية المباركة والحديث الشريف، فكانت الآية المباركة تسلية لرسول الله (صلى الله عليه وآله) فذكر الله عترة النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) قبل القرآن العظيم ، وقدَّم الرسول الأكرم كتاب الله على العترة للإهتمام وبيان الثقل الأكبر .

- **المعضدات في إثبات هذه الفكرة :**

هناك مجموعة من المعضدات التي تُقوّي ما ذهبنا إليه بمفهوم الحديث والآية المباركة، وإنَّ الآية قصدت العترة الطاهرة بالسبع المثاني ، منها :

١. ورد في تفسير نور الثقلين وتفسير العياشي : ((عن سورة بن كليب عن أبى جعفر عليه السلام قال : سمعته يقول : **نَحْنُ المَثَانِيْ الَّتِي أُعْطِيَ نَبِيّنَا**.))([1])

---

[1]) تفسير نور الثقلين : ٢٨/٥ ، يُنظر: تفسير العياشي : ٢٦٠/٢ .

٢. ورواية أخرى وردت في نفس التفسير فيها تكملة لم تُذكر في الرواية السابقة : ((في كتاب التوحيد باسناده إلى أبي سلام عن بعض أصحابنا عن أبي جعفر عليه السلام قال : **نَحْنُ المَثَانِي الَّتِى أَعْطَاهَا اللهُ نَبِيَّنَا ، صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَنَحْنُ وَجْهُ اللهِ ، نَتَقَلَّبُ فِي الأَرْضِ بَيْنَ أَظْهُرِكُم عَرَفَنَا مَنْ عَرَفَنَا ، وَمَنْ جَهِلَنَا فَأَمَامَهُ اليَقِيْن**))([1]).

٣. تفسير الآصفي عن الإمام أبي جعفر الباقر (عليه السلام) : ((**نَحْنُ المَثَانِي الَّتِي أَعْطَاهَا اللهُ نَبِيَّنَا صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآله ... نَحْنُ الَّذِيْنَ قَرَنَنَا النَّبِيُّ إِلى القُرْآنِ، وَأَوْصَى بِالتَّمَسُّكِ بِالقُرآنِ وَبِنَا، وَأَخْبَرَ أُمَّتَهُ أَنَّا لا نَفْتَرِقُ حَتَّى نَرِدَ حَوْضَهُ**، أقول: لعلَّهم إنَّما عُدّوا سبعاً باعتبار أسمائهم، فإنها سبعة ، وعلى هذا فيجوز أن يجعل المثاني من الثناء، وأن يجعل من التثنية باعتبار تثنيتهم مع القرآن، وأن يجعل كناية عن عددهم الأربعة عشر، بأن يجعل نفسه واحدا منهم بالتغاير الاعتباري بين المعطى والمعطى له))([2]) ، فقد أشار صاحب التفسير إلى أنَّ من الممكن أن يكونوا (عليهم السلام) هم المقصودون بالسبع المثاني على سبيل الاحتمال لا القطع .

في حين أن الدراسة . تسليماً للرواية واعتقاداً بها . تقطع بالقول على أنّ السبع المثاني هم المعصومون الأربعة عشر وعلى رأسهم ؛ سيدهم وإمامهم رسول الله (صلى الله عليه وآله) ويأتي بعده مرتبة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)؛ فالآية القرآنية هي أصل لقول الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) ، وبهذا تبيَّن لنا أنَّ أمير المؤمنين يُمثل قمة الهرم في حديث الثقلين من جهة العترة،

---

[1]) تفسير نور الثقلين : ٣٠/٥ ، وذكر الحديث ذاته الفيض الكاشاني في تفسير الصافي ، يُنظر : تفسير الصافي : ١٢٢/٤

[2]) تفسير الآصفي ، الفيض الكاشاني ت(١٠٩١هـ) ، علق عليه : حسين الأعلمي ، مكتبة الصدر ، طهران ، ط٢، ١٤١٢هـ : ٢٠٣/٢ ، يُنظر : بحار الأنوار : ١١٨.١١٤/٢٤ ، باب أنَّهم (عليهم السلام) السبع المثاني .

وله المكانة السامية من بين السبع المثاني ، فكان ذلك تجديداً بالمفهوم السائد عند الخاصَّة والعامَّة ؛ لمركب (السبع المثاني) ، وهذا يُثبت أنّ كل قول لرسول الله (صلى الله عليه وآله) له أصل في القرآن الكريم يتكشَّف عند البحث والتنقيب في القرآن الكريم وأحاديث النبي العظيم .

ومن التجديد الذي جاء به الهمداني ؛ جعله مراتباً للهداية ، وذلك في شرحه لقول الإمام العاشر (عليه السلام) : ((**وَدَعَوْتُمْ اِلى سَبيلِهِ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ**))([1])، فأشار إلى أنَّ مراتب الهداية هي ثلاث ؛ الحكمة ، والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن([2]) ، وهذا دليل على تفرُّسِه وحذاقته في تفكيك السُّنن الواردة في فقرات الزيارة الشريفة ، ربما يتبادر إلى ذهن المستقبِل إنَّ هذه المراتب خاصة في الدعوة لا الهداية ، لأنَّها في سياق الدعوة ، إلى أنَّ إشارته ألمحت إلى مآل الدعوة والغرض منها ؛ ألا وهي الهداية ، وهذا المفهوم غير مألوف عند مَن سبقه ومَن لحقه من الشارحين ، والدراسة تميل إلى رأيه.

ومن التجديد ما جاء في مفهوم الاسم عند **الأحسائي** ، فهو يخالف أهل اللغة في مفهوم الاسم في قول الإمام (عليه السلام) : ((**وَأَسْمَاؤُكُمْ فِيْ الأَسْمَاءِ**))([3]) ؛ إذ قال: ((إن اعتبرنا اللفظيّة في اللفظية كانت أسْمَاؤهم (عليهم السلام) في سائر الأسماء كالواحدِ في الأعدادِ و كالفِعْلِ في ما اشْتُقَّ منه كضَرَبَ محرّكاً في الضَّرْبِ و كالصوت في الصَّدا و ما أشبه ذلك فإنّ الأعداد متقوّمة بأمثال الواحد المتكررة فيها و المصادر متقوّمةً بموادّ أفعالها وما فيها من الحروف كالضادِ في المصدر

---

[1]) الشموس الطالعة من مشارق الزيارة الجامعة ، الهمداني : ٤٢٨ .

[2]) يُنظر : المصدر نفسه : ٤٣٠.٤٢٩ ، وورد التجديد في شرح الهمداني بوساطة تلمسه لمفهوم العرش ، يُنظر : ٥٢٨ .

[3]) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، الأحسائي : ١٣/٤ .

مثال لما في الفعل الذي هو ضَرَبَ محركاً يعني أنَّ الضادّ في المصدر مثال الضاد في الفعل و الراء مثال للراء و الباء مثال للباء فيه والصداء مثال للصوت))([1]) ، فالشارح يعدُّ أسماء أهل البيت (عليهم السلام) موجودة في جميع الأسماء لا على النحو اللفظية القطعيَّة ؛ وإنَّما بتداخلها البشري الإنساني ، حيث لهم أسماء ظاهرة كالأسماء وأرواح ظاهرة كالأرواح وأجسام ظاهرة كالأجسام ؛ إلّا أنّ هذه الظواهر لها لطائف خاصَّة انماز بها أهل البيت (عليهم السلام) عن غيرهم بامتدادهم وإمدادهم لهذه الأجسام والأرواح والأنفس والأسماء ، فهي فيهم على نحو المدد والإمداد ؛ وهذه إشارة رائعة جدَّاً من قبل الشارح ، والبحث يميل إلى هذا الرأي الذي تفرَّد به الأحسائي عن غيره ؛ لأنَّه يُؤيدُ بمعنى قوله تعالى : ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾{النجم/٩} ، فهُم فيض الوجودات بين قوس الصعود وقوس النزول ، أي : يُفيضون على الوجودات بما أفاض الله تعالى عليهم ؛ لأنَّهم الصُّورة المُثلى والآية العظمى والوساطة الكبرى التي اتخذها الله عزَّ وجلَّ بينه وبين عباده ، لا لحاجة منه إليهم ؛ بل لأنَّ قابلية الناس لا تحتمل المباشرة مع الله تعالى ، فالمشكلة ليست بالفاعل ؛ بل في القابل ، فكانوا هم الوسيلة إليه سبحانه .

وجاء الأحسائي بتجديد مفهوم ضمير الجمع في قوله تعالى : ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾{الكهف/١٨} ، قال : ((واعلم أنَّ الضمير الذي في ﴿وَنُقَلِّبُهُمْ﴾ المدلول عليه بالنون في تفسير الظاهر يعود إلى الله تعالى وهو ضمير المتكلّم ومعه غيره أو المعظِّم نفسه والمعلوم أنَّه لا يعود على الذات البحت إنَّما يعود على مبدأ النسبة وهو مثال الذات المعبر عنه هنا بفاعل التقليب لا الذات البحت على أنَّ

---

[1]) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، الأحسائي : ٤/٢٢.٢٣ .

معوده المتصف بالتكلم بقيد التكلم والتعظيم غير الذات ، بل هو في الحقيقة هو الذي معه غيره فهُم (عليهم السلام) التكلم وهم العظمة وهم ذلك ألمع ...))([1]) ، فيرى الشارح أنَّ الجمع ههنا لم يكن للتعظيم وإنَّما هو جمع حقيقي داخل فيه الأئمَّة الطاهرين (عليهم السلام) وفاعل التقليب (هم) يُشير إلى الذات الإلهية ومعه آل محمد ، لا بمعنى الاشتراك معه سبحانه وتعالى عمّا يصفون ؛ وإنَّما بإيكاله الأمر إليهم (عليهم السلام) إذ ﴿لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾ {الأنبياء/٢٧} ، وهذا يعني أنّ الجمع في القرآن الكريم . على الأقل في نظر الأحسائي . هو جمع حقيقي لا جمع تعظيم أو يُشير إلى مجازية المفردة؛ بل يُقصد به مشتركات عدَّة في أمرٍ واحد ، وهذا يدعو إلى التحقيق في ذلك، ومورده ليس هنا .

فما ذكرناه نموذجاً من بين عشرات الموارد التجديدية عند الأحسائي ؛ والتوقف في ذكر أحدها يغني بالإشارة ؛ ومنه إلى الاستغناء عن التطويل والإسهاب بالعبارة.

ومن التجديد الذي ورد في شروح الزيارة الجامعة الكبيرة ؛ ما جاء في شرح **الميلاني** لشرح قول الإمام العاشر(عليه السلام) : ((**وَخُزّانَ الْعِلْمِ**))([2]) ؛ فقد استنبط من عدم التقييد الإطلاق ؛ إذ قسَّم العلم إلى : علم الرسول وعلم الكتاب من [تفسير وتأويل ، وناسخ ومنسوخ ، ومحكم ومتشابه ، وأسباب النزول ومناسبته ، ولغته وبلاغته... وعلم الغيب وعلم الحضور([3])، وأثبت ذلك كله لهم (عليهم السلام) بوساطة استدلالات عدَّة ، منها روائية ومنها تفسيرية ومنها لغوية وغيرها ، ولم نجد هذا التقسيم عند أحد من الشارحين إلَّا ما أشار إليه الأحسائي من العلم اللّدنّي([4]) ؛

---

[1]) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، الأحسائي : ٤٧/٢ .
[2]) مع الأئمة الهداة ، الميلاني : ٨٤ .
[3]) يُنظر : المصدر نفسه : ٨٤ .٩١ .
[4]) يُنظر : شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، الأحسائي : ٦٥/١ .

لذا كان الميلاني قد أبدع في استقراء الإطلاق وقسَّم العلم على أساسه ، وتضيف الدراسة على تلك العلوم المذكورة كـ(علم الجفر) و(علم اللوح) و(علم القلم)و (علم النون) ، وهذا ما دلَّت عليه الروايات الشريفة([1]).

ثانياً : الوضوح والإغماض :

غاية كُلِّ عملٍ تفكيكي ؛ التوضيح والتبسيط ، أو لكشف مشكل وبيان الحكمة المستغلقة في النص ، أو تفصيل مجمل أو نشر مطوي ، وهذا العمل يقوم به مفكك السُّنن كي يُسهِّل على المستقبِل استلهام المعاني الكامنة في فقرات النص ؛ لأنَّه . باعتقاده . هذه الألفاظ التي حواها النصُّ ما هي إلَّا وسائل لبيان المعاني ، وهي الوعاء الحامل للمعاني ، وهذه الألفاظ لم تستطع حمل كل المعاني الكامنة وراء النص ، فهي كشفت جزءاً كشفاً مباشراً من طريق اللغة والدلالة المركزية (المعجمية)؛ وبقي الجزء الآخر يستنبطه الشارح بوساطة تفحُصه لفقرات القطعة المكتوبة .

وقد ذهب النُّقَاد الأكاديميون إلى تسليط الضوء على استعمال الكاتب للألفاظ بحسب تفاعلات يراها مناسبة لنزول اللفظ بديلاً عن غيره ، وأوعزوا . النقاد . ذلك إلى البيئة التي يقطنها الكاتب أو تداول الألفاظ بكثرة أو العرف الاجتماعي أو غرض النص الأساس . مدح أو رثاء أو غزل أو دعاء ، فكل ذلك يدعو الكاتب بانتقاء ألفاظه وتوظيفها توظيفاً يبعث على الوضوح والتبيين ، ومنهم مَن ذهب إلى العصر

---

[1]) يُنظر : كتاب سُليم بن قيس الهلالي ، سُليم بن قيس الهلالي ت(٧٦هـ) ، مطبعة الهادي ، قم ، إيران ، ط١ ، ١٤٠٥هـ : ٧٠٨ .

الذي يعيشه الكاتب ، فألفاظه إبنة بيئته([1]) ، وهذا ما حدا بالنقَّاد إلى تلمُّس النقد الاستقرائي في النصوص العربية التي اخضعوها للبحث والدراسة .

في حين أنَّ الزيارة الجامعة الكبيرة لا تخضع لهذا المفهوم ؛ وإنَّما هي منوطة بقول القائل : ((علّمني يابن رسول الله قولاً أقوله بليغاً كاملاً إذا زرت واحداً منكم))([2])، فما كان من الإمام الهادي (عليه السلام) إلَّا مراعاة حال المتلقي ورفده بقولٍ كاملٍ لا يفتقر لشيء من المفاهيم اللغوية والدلالية والبلاغية ، وكان الشارحون متنبهين لذلك مما جعلهم يسيرون بخُطى متأنية في بيان دقائق هذا القول ؛ رغم أنَّه لم يستوفِ كل مقامات أهل البيت (عليهم السلام) .

ومن هنا ارتأت الدراسة استشمام نفحات المعاني فيما ذهب الشارحون للزيارة الجامعة الكبيرة إلى التركيز على وضوحه عند بعضهم وغموضه عند بعضهم الآخر، وهذا ما نستكشفه عند الاطلاع على نماذج من آرائهم في موارد نستقيها للتمثيل في هذا الموضع ؛ لأنَّها كثيرة جدَّاً ، تكاد تكون على طول ألفاظ الزيارة الجامعة الكبيرة الشريفة ؛ إذ يرى شارحٌ اللفظة واضحة المعنى يستدل على وضوحها بوساطة بيان المعنى اللغوي فحسب ، في حين يذهب آخر إلى مجمليتها وطيِّها على مجموعة معانٍ يستلّها من بين قرائن ظاهرة معها وباطنة فيها .

---

[1]) يُنظر في ذلك على سبيل المثال : لغة شعر الشريف الرضي ، أحمد عبيس عبيد المعموري ، (رسالة ماجستير) مطبوعة بالآلة الكاتبة ، كلية التربية ، جامعة بابل ، ٢٠٠٥ م : ٤ ، لغة الشعر في جمهرة أشعار العرب ، باب (أصحاب الرثاء) صبا عبد الستار سلطان العزاوي ، رسالة ماجستير مطبوعة بالآلة الكاتبة ، كلية التربية ،جامعة بابل ، ٢٠٠٥ م : ٢ ، لغة شعر ديوان الحماسة لأبي تمام (باب المرا ثي) ، رفاه علي نعمة العزاوي ، (رسالة ماجستير) مطبوعة بالآلة الكاتبة ، كلية التربية – جامعة بابل ، ٢٠٠١ م : ٢ ، لغة الشعر في هاشميات الكميت ، رزاق عبد الامير مهدي الطيار ،(رسالة ماجستير) مطبوعة بالآلة الكاتبة ،كلية التربية للبنات ،جامعة الكوفة ، ١٩٩٩ م : ٩ .

[2]) أنوار الولاية الساطعة ، الوحيدي : ٢ .

من ذلك ما نجد بساطة المفردة عند **المجلسي الأوَّل** في بيان معنى ((**وَأُمَنَاءَ الرَّحْمَنِ**))([1]) ، يجد في سطحيّة المعنى كمال استيفاء الغرض ، وذلك في قوله : ((**وَأُمَنَاءَ الرَّحْمَنِ** بالآيات والأخبار المتواترة من طرقهم وطرقنا.))([2]) ، وهذا القول لا يفي ببيان المعنى العام لهذه الفقرة فضلاً عن البنية العميقة لها ؛ فالشارح يجد بوضوحها أداء الغرض من الدلالة بخصوص الأمناء وكذلك الإضافة إلى الرحمن، والمتلقّي لم يضع إصبعه على مراد المؤلف ، ففيها من الغموض ما يُضفي على شرحها هالة من تأطير الإحالي ، فالشارح يُحيل إلى أخبار مدرسة الصحابة ومدرسة أهل البيت (عليهم السلام) القائلة بأمانتهم دون التصريح بهذه الأخبار ، فنجد بساطة الشرح مع غموض المراد .

في حين أنَّ **الهمداني** يبسط القول في هذه العبارة بشرح مستفيض ، ويأتي بالروايات التي تُثبت ماهيَّة الأمانة التي أوكلت لهم (صلوات ربي وسلامه عليهم) ، فيبدأ من المعنى اللغوي إلى مفهوم الأمانة قرآنيَّاً ، ومنه إلى الروايات الواردة عن أهل البيت (عليهم السلام)([3])، وهذا التوضيح يجعل المستقبِل أكثر حصيلة معرفيَّة من قول المجلسي الأوَّل ، لأنَّ الحشد الدلالي والإحالات الرمزية لا يفيد القارئ السطحي بشيء .

وأكثر بسطاً ونشراً لمفهوم ((**وَأُمَنَاءَ الرَّحْمَنِ**)) ؛ ما ذكره **الأحسائي** في شرحه لهذه الفقرة المباركة ؛ فقد جاء بموارد متعددة من اللغة والآيات القرآنية والروايات وبعد ذلك أجمل القول في مفهومها بالقول : ((والحاصل إنَّهم أُمناء الرَّحمن لأنّه سبحانه ائتمنهم على جميع ما استوى به من رحمانيّته على عرشه و أمرهم أن يؤدّوا

---

[1]) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، المجلسي الأوَّل : ٤٢ .

[2]) المصدر نفسه : ٤٢ .

[3]) يُنظر : الشموس الطالعة من مشارق الزيارة الجامعة ، الهمداني : ٢١٧.٢١٩ .

الأمانات إلى أهلها فأدّوا إلى كلّ ذي حقٍّ حقه حتى انتهوا إلى أنفسهم فادّوا إليها جميع ما لها من الحق والاستحقاق فأمرهم حينئذٍ أن يؤدّوا الأمانات إلى أهلها فعرفوه بما أعطاهم فسبّحوه بما له و حمدوه بما هو حقائقهم وهلّلوه بما وجدوا وكبّروه بما لهم وعرّفهم ما ذلك الأمر فقالوا ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعونَ﴾ وإلى ذلك الإشارة بقول سيّد الشهداء صلوات الله و سلامه عليه إلهي أمرتَ بالرجوع إلى الآثار فارجعني إليها بكسوة الأنوار و هداية الاستبصار حتى أرجع إليك منها كما دخلتُ إليك منها مصونَ السرّ عن النَّظر إليها ومرفوع الهمّة عن الاعتماد عليها ﴿إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.))([1])، هذا التفصيل فيه إشارات إلى قصَّة تعليم العترة الطاهرة للملائكة في عالم الأرواح وبدء خلق الملائكة ، فكانوا (عليهم السلام) مؤتمنين على تعليم الخلق وأدّوا ما أُمروا به ، فكانت التفاتة الأحسائي لهذا الأمر دقيقة في إحالة المتلقي إلى ماهيَّة الأمانة ، فكان الوضوح بوساطة البسط في شرحه أجلى للقارئ من غيره .

ومثل ذلك يختصر **المجلسي الأوَّل** القول في معنى قول الإمام الهادي (عليه السلام) : ((**وَالمُقَصِّرُ فِي حَقِّكُمْ زَاهِقٌ**))([2]) ، بأنَّ المقصر في القول بإمامتكم والتقصير من مكانة رُتَبكم ؛ باطل([3]) ، وتبعه في هذا الاختصار **المجلسي الثاني والجزائري والوحيدي**([4]) ، وفي شرح العبارة نفسها نجدُ شرحاً مستفيضاً عند **الهمداني**

---

[1]) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، الأحسائي : ٩٩.٩٨/١ .

[2]) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، المجلسي الاوَّل : ١٢٨ .

[3]) يُنظر : المصدر نفسه : ١٢٨ .

[4]) يُنظر : شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، المجلسي الثاني : ٢٣٣ ، شرح الزيارة الجامعة الكبيرة، الجزائري : ٢٥٢ ، أنوار الولاية الساطعة : ١٦٢ .

والأحسائي والصدر([1]) ، وإيضاح الشرح عند البسط أولى ببيان المفهوم العام لهذه الفقرة المباركة ؛ حيث الاختصار يحتوى على الإغماض والتعمية على دلالات أخرى ممكن أن تكون قد تكشَّفت لدى بعضهم دون بعضهم الآخر ، فالدراسة تميل إلى البسط والشرح المستفيض لغرض الزيادة في الإيضاح لاعتقادها بزيادة الحشد المعنوي الكامن في ألفاظ الزيارة الشريفة ، وإلى هذا قال المجلسي الثاني في خاتمة شرحه : ((إنَّما بسَّطتُ الكلام في شرح تلك الزيارة قليلاً وإن لم أستوف حقّها حذراً من الإطالة ؛ لأنَّها أصح الزيارات سنداً ، وأعمُّها مورداً، وأفصحها لفظًا، وأبلغها معنى، وأعلاها شأنًا .))([2]) ، فقلل الكلام فيها خِشية الإطالة ، وهذا لا يعفيه من تغميض بعض المعاني فيها بوساطة الإشارة السريعة ، لأنَّ المتلقي يُريد المعاني التي يحويها هذا السّفر الكبير ، فالإيضاح أولى من الغموض .

والإيضاح والتوضيح لمفردات الزيارة المباركة ؛ نجده عند **الميلاني** في أغلب مفاصل شرحه ، فهو ينتقل من البيان اللغوي إلى الإيضاحات الخارجية واستقطاب الموارد التي وردت فيها المفردات ومن ثمَّ يُثبت ما يريده([3]) ، ويبتعد عن التعمية والإغماض بالقدر الذي يمكِّنه من ذلك ، وممكن أنّ ذلك اتخذه من أسلوب الدرس الذي طالما يُلقيه على طلّابه ؛ فصار يُراعي جميع الطباقات حتى في تأليفه ، مما جعل له شهرة واسعة في استقطاب القرّاء لسهولة طرحه ووضوح سرده.

وفي بعض الموارد التي تكون كامنة تحت إطار من الحشد المعنوي ويحويه غلاف من التعقيد ؛ يعمد **الوحيدي** في بيان ذلك بالتوضيح مما جاء في هذا

---

[1]) يُنظر : الشموس الطالعة من مشارق الزيارة الجامعة ، الهمداني : ٤٥٠.٤٥١ ، شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، الأحسائي : ٢/١٠٣.١٠٦ ، في رحاب الزيارة الجامعة الكبيرة ، الصدر : ٣٦٠.٣٦١ .

[2]) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، المجلسي الثاني : ٢٣٩ .

[3]) يُنظر على سبيل المثال : مع الأئمة الهداة ، الميلاني : ٤٣، ٤٥ ، ٥٠ ، ١٣٠ ، ٢٥٦ .

المضمار ؛ لمَّا ذكر حديث الإمام الصادق (عليه السلام) : ((عن أبي الصامت قال : قال أبو عبد الله عليهالسلام : **إنّ حَدِيْثَنَا صَعْبٌ مُسْتَصْعَبُ ، شَرِيْفٌ كَرِيْمٌ ، ذُكْوَانٌ ذَكِيٌّ وَعِرٌ ، لا يَحْتَمِلُهُ مَلَكٌ مُقَرَّبُ ، وَلا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ ، وَلا مُؤْمِنٌ مُمْتَحَنٌ.**

قلت : فمن يحتمله فداك؟

قال عليه السلام : **مَنْ شِئْنَا يَا أَبَا الصَّامِت.**

قال أبو الصامت : فظننتُ أنّ لله عباداً هم أفضل من هؤلاء الثلاثة))([1]) ، قال الوحيدي: ((توضيح ذلك : سبب عدم حمل الآخرين هذه الأحاديث سوى من أشارت إليهم الروايات ومنهم هؤلاء الثلاثة باستثناء نبيّنا الأكرم صلى الله عليه وآله يرجع إلى أنَّ المراد من هذه الأحاديث هو الأسرار الغيبية ، والأمور العجيبة التي لا طاقة لأحد على حملها سواهم.))([2]) ، فالشارح لم يُوضِّح الصعوبة والوعورة في الأحاديث؛ وإنَّما بيَّن عدم المقدرة على استيعاب هذه الأحاديث من الناس بطبقاتهم المختلفة، وقد حصرها الإمام في أهل البيت (عليهم السلام) ولا طاقة لغيرهم عليها ، وهذه من العلم المكنون والمعرفة اللّدنِّية ، وكان المعروف عن أهل البيت (عليهم السلام) عند أصحابهم ؛ لمَّا يأتيهم شخصٌ ويطلب منهم العلم يعطوه على قدر استطاعته ، وإذا جاءهم من المقرَّبين العارفين يعطوه ويُتبعون ذلك بالقول : ((**خُذها فإنَّه مِن مخزون العلمِ ومكنونه لا تُخرجه إلا إلى أهله**))([3]) ، وإذا أعطوه على قدر تحمُّله ؛ يتلامز أصحاب الإمام بقولهم : أعطاه من جراب النُّورة([4]) ، والمعروف من جراب النورة هو

---

[1]) بحار الأنوار : ١٩٢/٢ .

[2]) أنوار الولاية الساطعة ، الوحيدي : ٦٥ .

[3]) علل الشرائع ، ابن بابويه (الشيخ الصدوق) ت(٣٨١هـ) ، داوري ، قم ، ط١، ١٤٢٧هـ : ١٩٣/١ .

[4]) يُنظر : تهذيب الأحكام : ٣٣٣/٩ .

جراب يضعون فيها النورة لتنظيف البدن ، واستعماله في هذا المورد كناية عن نسبة يحتاجها المتلقي لتسيير أموره.

وهكذا كان أصحاب الإمام يعرفون من أينَ تُؤكل الكتف ، أمَّا العلم اللدنّي فلا يُخرجوه لغيرهم ؛ لأنّ مراتب المعرفة لدى الناس لم تصل إلى تحمُّل ذلك ، فكان توضيح الوحيدي لعدم تقبل الناس لهذه العلوم وليس للعلوم بما هي هي .

ومثله ما جاء في شرح الوحيدي لقول الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) : ((**قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى : يَا مُحَمَّدُ إِنِّي خَلَقْتُكَ وَعَلِيّاً نُوراً يَعْنِي رُوحاً بِلَا بَدَنٍ قَبْلَ أَنْ أَخْلُقَ سَمَاوَاتِي وَ أَرْضِي وَ عَرْشِي وَ بَحْرِي فَلَمْ تَزَلْ تُهَلِّلُنِي وَ تُمَجِّدُنِي ثُمَّ جَمَعْتُ رُوحَيْكُمَا فَجَعَلْتُهُمَا وَاحِدَةً فَكَانَتْ تُمَجِّدُنِي وَ تُقَدِّسُنِي وَ تُهَلِّلُنِي ثُمَّ قَسَمْتُهَا ثِنْتَيْنِ وَ قَسَمْتُ الثِّنْتَيْنِ ثِنْتَيْنِ فَصَارَتْ أَرْبَعَةً مُحَمَّدٌ وَاحِدٌ وَ عَلِيٌّ وَاحِدٌ وَ الْحَسَنُ وَ الْحُسَيْنُ ثِنْتَانِ ثُمَّ خَلَقَ اللَّهُ فَاطِمَةَ مِنْ نُورٍ ابْتَدَأَهَا رُوحاً بِلَا بَدَنٍ ثُمَّ مَسَحَنَا بِيَمِينِهِ فَأَفْضَى نُورَهُ فِينَا.**))([1]) قال : ((توضيح ذلك : أنَّ المراد من «**بعد**» في هذا الحديث ليس معنى التراخي في الزمان ، بل تراخي في الرّتبة ، ومراد من «امتداد النور» اتساع النّور.))([2]) ، أي : يقصد البعدية المعنوية وليست اللفظية ، لأنَّ النَّصَّ لا يوجد فيه لفظ (بعد) ؛ فالشارح أشار إلى البعدية المعنوية ، وهذه البعدية لا تعني البون الزماني أو المكاني ؛ بل البعدية المراتبية التي انصفَّ فيها الأئمةَّ بعد النبي (صلوات ربي وسلامه عليهم أجمعين) ، فالمراتيبة هنا مراتبية مقامية أوضحت امتداد النور الإلهي المودع في النُّبوة والرسالة ومن ثمَّ اتسع ليُثري الإمامة فكان الامتداد على سبيل الاتساع والانتشار في الطاهرين ؛ إذ تنبَّه الوحيدي إلى بيان المقامات بهذا الإيضاح .

---

[1]) الكافي : ٤٤٠/١ ، بحار الأنوار : ١٩.١٨/١ .

[2]) أنوار الولاية الساطعة ، الوحيدي : ١٩٠ .

وغير هذا المورد موارد أخرى جاء فيها الإيضاح والتوضيح في نصوص الأسفار المحمدية العلوية الواردة في شرح الوحيدي([1]) وما ذكرناه للتمثيل لا للحصر.

وكذلك الصدر في بيان النشأة الأولى([2]) ، لمَّا استغلق فهمها ؛ بادر الشارح في بيانها وتوضيحها بوساطة تسلسلها في القرآن الكريم ومن ثمَّ انتقل إلى الروايات الشريفة باثَّاً بينهما اعتقاده في ذلك وتأكيده على أنَّ الإنسان مرَّ بمراحل متعددة وقد أخذ الله منه ميثاق الأئمة الطاهرين وأقرَّه عليه ، فكانوا هم الولاة الحماة والسادة والقادة في كل العوالم([3]) ، وهم كذلك .

ثالثاً : السرد القصصي :

السرد : أحدُ الأساليب الأدبية واللغوية التي يتبعها الأدباء في كتابة الحكايات والقصص القصيرة والروايات السردية والمسرحيات الأدبية ، فهو أسلوب أدبي يعمل على إعادة إنباء ما تمت مطالعته وقراءته أو الاستلذاذ بسماعه أو بمشاهدته عياناً ، ومن خاصيَّته المرونة ، ويعدّ إحدى أدوات التعبير اللغوي والأدبي الإنساني([4]) ؛ إذ يعمل الباث بسرد ما مرَّ به من التجارب أوالخبرات أوالأفعال أوالسلوكيات الحياتية وما وطأت قدمه من الأماكن ، وما صادفته من الأحداث ؛ إلى بناء تركيبي من المعاني التي جمعها بأسلوب الطرح السردي .

---

[1]) يُنظر : أنوار الولاية الساطعة ، الوحيدي : ٨ ، ١٠٩ ، ٢٦٩ .

[2]) يُنظر : في رحاب الزيارة الجامعة الكبيرة ، الصدر : ١٣٩ .

[3]) يُنظر : المصدر نفسه : ١٣٩.١٤٤ .

[4]) يُنظر : إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد ، يوسف وغليسي ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، منشورات الاختلاف ، تونس ، ط١ ، ٢٠٠٨م : ٥٧ ، دليل الناقد الأدبي ، ميجان الرويلي، وسعد البازعي ،المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، تونس ، ط٢ ، ٢٠٠٠م : ١٠٣ . ١٠٥ .

وكذلك هو عملية ترتيبية ذات طابع منطقي لتشكيل الأفعال وتحديد زمني للأحداث في قصة قصيرة أو رواية أدبية أو حكاية عامَّة([1]) ، ومن الممكن أن نعبِّر عن العملية السردية بطرق أو أساليب مختلفة ؛ كالوصف للأحداث والحوارات بين الشخصيات والتفاصيل العامَّة والدقيقة للأدوار ، ويُستعمل السرد لغرض الإثارة أو الترويح القصصي أو لجذب اهتمام المُستقبِل وجعله يسشعر الاندفاع أو الجذب لمعرفة ما ستؤول إليه أحداث السيناريو المقصوص .

ويُعد السرد القصصي أحد الأساليب المستعملة في شروح الزيارة الجامعة الكبيرة، وأحد الطرق التي تمَّ إعدادها لغرض الوصول بالمتلقي إلى المعنى المراد من الفقرات المشروحة ، وكلُّ شارح اتَّخذ سرداً روائيَّاً خاصَّاً ، وبعض القصص الروائية كانت مشتركة بين بعض الشروح ، وهذا المطلب سنُخصصه بما جاء به الشارح منفرداً عن غيره في إيراد قصَّة ما .

إنَّ السرد القصصي الذي ورد في الشروح المختارة ؛ لم تكنْ قصصاً أدبيَّة أو قصصاً خياليَّة ؛ بل هي قصص واقعية حقيقية الغرض منها إثراء المعنى وتثبيت الغرض ، ولم يكن المراد منها تغذية العقل بالخيال والوهم ، فهي عبارة عن قصص واقعية حدثت بين أحد الأئمة وأصحابهم ومنها تداولت الروايات الحديثيَّة ، وهذا ما أشرنا إليه في تمهيد الدراسة ، فهي قصَّة قصيرة مكتملة العناصر وفق ما أثبتناه من العناصر القصصية الخاصَّة بالكتاب والعترة .

من ذلك ما جاء في شرح **المجلسي الأوَّل** الذي ذكر قصَّة البروج ، وهي القصَّةُ التي نقلها جابر بن يزيد الجعفي عن أبي خالد الكابلي عن الإمام زين العابدين (عليه السلام) ، ومفادها : أنَّ قنبراً مولى أمير المؤمنين (عليه السلام) جاء ذات يوم

---

[1]) يُنظر : بنية النص ، السرد من منظور النقد الأدبي ، حميد الحمداني ، المركز الثقافي العربي، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٩٩١م : ١٥ .

إلى بيت الإمام وطرق الباب فخرجت له فضة خادمة السيدة الزهراء (عليها السلام) فسألها عن الإمام فقالت له : في البروج([1]) ، فتعجب من قولها وشكاها إلى الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) فأقرَّ الإمام قولها .

اكتملت العناصر في القصَّة من حوار وشخصيات وزمان ومكان وأسلوب وأفكار وبلاغ وإعجاز ، وتوافر هذه العناصر خلق جوَّاً سرديَّاً دعا الشارح باستشهاده بها إلى أن يتخذها أداة لترسيخ القواعد العقدية التي يؤمن بها في هذا النص ، فكانت القصَّة إحدى وسائل الشارح في إثراء المعاني دون الإحالات إلى غيرها من القصص.

وعلى الرُغم من أنَّ شرح المجلسي الأول ينماز باختصاره الشديد في شرح الألفاظ ؛ إلّا أنَّه لا يخلو من هذا اللون النقدي في شرحه .

ومن السرد القصصي ما جاء في شرح الهمداني ؛ إذ يذكر قصَّة بني إسرائيل كاملة ، وحوارهم مع نبي الله موسى (عليه السلام) وحلَّلَ الشارح قول نبي الله بالجواب القطعي ولم يُعيد الكلام بالابتداء بقوله : ((...(قالوا : يا موسى إنَّ ربنا أمرنا أن نذبح بقرة هذه صفاتها) ؟ قال : (بلى) ولم يقل : موسى في الابتداء : (إنَّ الله قد أمركم) لأنَّه لو قال : (إنَّ الله قد أمركم) ، لكانوا إذ ﴿قَالُواْ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ﴾{البقرة/٦٨} ، ﴿وما لَوْنُهَا﴾ ، كان لا يحتاج إلى أن يسأله عن ذلك عزَّ وجلَّ...))([2]) ،وهذا تحليل دلالي بلاغي ، مما يُلاحظ فيه حس الشارح الدلالي وذوقه البلاغي في تحليل النصوص القرآنية .

---

[1]) يُنظر : شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، المجلسي الأوَّل : ٥٦.٥٥ .

[2]) الشموس الطالعة من مشارق الزيارة الجامعة ، الهمداني : ٥١٥ .

ثمَّ يُكمل القصَّة من البحث عن البقرة والحوار الذي دار بينهم وبين الغلام والحوار الدائر بين الغلام وبين أمِّه والثمن المتغيِّر بين الحين والآخر... حتى ذبح البقرة([1]) ، فالقصَّة . على قصرها . إلَّا أنَّها كانت مكتملة العناصر واستطاع الشارح أن يُلملم شتات القصَّة من طريق التفاسير والروايات ومن ثمَّ أشار إلى مواضع فيها وتثبيتها.

فكان السَّرد القصصي في شرح الهمداني ينماز بالتفرّد وتثبيت المطلب من جهة، وإثراء الدلالة وتوسيع المعنى من جهة أخرى ، فضلاً عن أنَّ هذا السرد لم يكن هو المطلوب بقدر جعله واسطة ووسيلة لتثبيت معنى مفاده الإحسان للوالدين يفتح أبواب الرزق وأبواب الرحمة وباب الرضا الإلهي .

ومثل ذلك ما نقله **الهمداني** من سرد قصصي بطريقة السؤال والجواب بين الإمام أمير المؤمنين ومولى الموحدين علي بن أبي طالب (عليه السلام) وبين كُميل بن زياد (رضوان الله تعالى عليه) ، إذ سأله كميل عن الروح فقسَّمها الإمام (عليه السلام) على خمسة أرواح ، ولكل قسم فصَّله وفرعه إلى تفريعات عدَّة ، وبعد هذا الحوار يسأل كميل عن النفس ؛ فيشرع الإمام (عليه السلام) بتقسيمها على أربع أنفس ومنها تتفرع القوى والخصائص([2]) ، ولم أجد هذا التفريق بين الروح والنفس كما وجدته في تفصيل أمير المؤمنين (عليه السلام) ، ويا له من تقسيم وتحديد لماهيَّتهما ، فأينَ الناس من هذا المعين الصافي الوافي والشافي ؟!! .

فتفرَّد الهمداني بذكر هذه القصَّة القصيرة المفعمة بالحقائق ، البعيدة عن الخيال والوهم ، الصادرة من فم لم يتطرق إليه الخلل والخطل ، وافتقرت التفاسير

---

[1]) يُنظر : الشموس الطالعة من مشارق الزيارة الجامعة : ٥١٥.٥١٦ .

[2]) المصدر نفسه : ٥٢٣.٥٢٥ .

لهذا المعين فصار الناس يفسرون الروح بالنفس والنفس بالروح ولم يهتد لذلك سبيلاً، فقد وُفِّق الشارح في ذكرها ويهدي الناس إلى نهر الأمير عليٍّ (عليه السلام) الزُّلال.

وجاء السرد القصصي أيضاً في شرح **الأحسائي** ؛ فقد رسم صورة رائعة لحادثة الغدير بوساطة وصف دقائق الأشياء وكيف كان الحرُّ قائضاً وقد أوقفهم رسول الله (صلى الله عليه وآله) في مفترق الطرق وأمرهم بالتوقف ليلحق بهم من تأخر عنهم ليسمع كلام الله وتبليغه من رسول الله ، وأنَّ الرجلَ ليضعَ طرف ردائه تحت قدمه والطرف الآخر فوق رأسه ، وكيف جمعوا أحداج الإبل وصنعوا منها منبراً لرسول الله (صلى الله عليه وآله) ، وبيَّن التبليغ والإبلاغ من رسول الله والحوار الذي دار بين النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله) والمسلمين ، وكيف كان الكلام ينماز بالأخذ والرد والحديث الحسن ومنه انتقل إلى بيان الغرض من جمعهم وهو تنصيب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أميراً وخليفةً ووليَّاً وقائداً على جميع مَن قال : لا إله إلا الله ، ومحمد رسول الله([1]) ، ولم يتطرق إلى هذا الوصف الفني من الشارحين للشروح المختارة غيره ؛ إذ أبدع الشارح في بيان الصورة الفنيَّة الرائعة لهذه الحادثة المفصلية في تاريخ الأمّة الإسلامية .

الغرض من إيراد هذا السرد القصصي في هذا الشرح ؛ هو التأكيد على ولاية الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) على جميع الخلق ، وقد ذكر الشارح الذين رووا هذا الحديث([2]) ليؤكد تواتره ، ومنه إلى بيان الغرض من إيراده وهو توكيد الخلافة الإلهية النصِّية .

فكان للسرد القصصي طعم خاص في تثبيت التوجهات الخاصَّة لدى الشارح داخل الشروح المختارة ، مما جعلها إحدى الوسائط في بث الأفكار والرؤى العقدية

---

[1]) يُنظر : شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، الأحسائي : ٢/١٥٩.١٦٢ .

[2]) يُنظر : المصدر نفسه : ٢/١٦١ .

داخل المنظومة المدوَّنة ، فصار الكاتب مجرَّداً عن الحيادية في الكتابة ؛لأنَّه رهين أفكار قديمة ومتجذرة داخل أروقة حصيلته اللغوية ، فمنها ما يتسلل إلى طرق وخطوط قلمه دون قصد ؛ ومنها ما يكون مقصوداً في الذكر ، وهنا نجد الشارح يزرُّ ويُوَشِّي شرحه بعقائده التي يؤمن بها بقصديَّة تامَّة ، والدليل على ذلك ؛ وصفه لدقائق الأشياء العقدية مضيفاً لها الأدلَّة في تثبيتها ، فكان بذلك مبدعاً من حيث تمهيد الأمور لسرد القصص التي يُريد ذكرها ، ومن ثمَّ يحوك القصَّة حياكة السجاد الغني ، فلا يدع فيه منفذاً لتقليل شأنه ، ولا بوناً في الإتساق مابين القصَّة وما قبلها والقصَّة وما بعدها ، وهذا عمل الحرِّيف المتمكن من أدواته .

وقد سرد **الميلاني** قصَّة جده المرجع في زمانه سماحة المرجع الديني الأعلى محمد هادي الميلاني (قدس سرُّه)([1]) ؛ تحكي عن زيارة أحد الأشخاص إلى داره وهو في حالة تستوجب الغُسل ، وقد قرأ المرجع الميلاني سريرته وأخبره بأن المكان الذي كان فيه هو موضع استنباط الأحكام الإلهية ولا يجوز الدخول إليه إلّا على طهارة([2])، وتُعدُّ هذه القصَّة وأمثالها ؛ من القصص الواقعية التي يأتي بها المُسنِّن لتدعيم خبره وتثبيت الفكرة .

---

[1]) السيّد محمد هادي بن جعفر الحسيني الميلاني (٦ سبتمبر ١٨٩٥ – ٧ أغسطس ١٩٧٥) فقيه شيعي إيراني – عراقي في القرن العشرين م/الرابع عشر هـ ومن مراجع شيعي بارز بعد الوفاة البُروجردي في ١٩٦١. ولد في النجف بالعراق في ١٨ محرم ١٣١٣هـ. كان والده من مراجع الدين البارزين في القرن الرابع عشر الهجري، وجده كان أيضاً من المراجع الذين درسوا عند صاحب الجواهر، وينتسب من ناحية الأم لعائلة المامقاني فجده هو المرجع محمد حسن المامقاني. وله من الأولاد نور الدين وعباس ومحمد علي. يُنظر : https://ar.wikipedia.org/wiki .

[2]) يُنظر : مع الأئمة الهداة ، الميلاني : ٧٩ .

وقد ذكر **الميلاني** هذه القصَّة وأراد منها إثبات علم الغيب الكسبي لأهل البيت (عليهم السلام) ، إذ قال في نهاية سرده للقصَّة : ((فإذا كان هذا شأن السيد الميلاني قُدِّس سره ، فما بالك بالأئمة عليهم السلام الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً...))([1]) ، فهو يُريد أن يثبت معجزات أهل البيت (عليهم السلام) بذكر كرامة لأحد الفُضلاء ممن يرتبطون بهم ؛ وهذا الأسلوب تفرَّد به الميلاني دون الشارحين ، فلم يلتزم بذكر الروايات والسرد الروائي ؛ وإنَّما أدخل القصص الاجتماعية الواقعية ؛ لكدِّ الذهن وتقريب الفكرة وتوجيه بوصلة الشرح من الجانب التنظيري إلى الجانب التطبيقي الواقعي المجتمعي ، وقد ذكر جميع عناصر القصَّة في سرده المذكور كالزمان والمكان وحوار الشخصيات والإعجاز ... وغيرها ، مما جعل السرد القصصي ـ رغم قصره ـ متكاملاً بآلياته .

وهذا لا يعني أنّ شرحه مفتقرٌ للسرد القصصي الروائي([2]) ؛ وإنَّما اقتصرت الدراسة على ذكر التميُّز الذي ينماز به الشارح عن غيره في مدوَّنته ؛ لذا أشارت إلى هذا اللون من ألوان النقد في شرح الميلاني .

ومن السرد القصصي النادر ما ذكره الوحيدي في شرحه ((عن الإمام الصادق عليه السلام قال : **أَتَى الحُسَيْنَ عَلَيْهِ السَّلامُ أُنَاسٌ فَقَالوا لَهُ** : يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ حدثنا بفضلكم الذي جعل الله لكم.

فقال الإمام عليه السلام : إنَّكُم لَا تَحْتَمِلُوْنَهُ وَلا تُطِيْقُوْنَهُ.

قالوا : بل نحتمل.

---

[1]) مع الأئمة الهداة ، الميلاني: ٧٩ .

[2]) يُنظر : المصدر نفسه : ١٣٢ .

قال عليه السلام : إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِيْنَ فَلْيَتَنَحَ اثْنَانِ وَأُحَدِّثُ وَاحِداً فَإِنِ احْتَمَلَهُ حَدَّثْتُكُم.

فتنحى اثنان وحدث عليه السلام واحداً فقام طائر العقل ومرّ على وجهه وكلّمه صاحباه فلم يرد عليهما شيئاً وانصرفوا.))([1]) ، فأراد الشارح أن يشيرَ إلى حديث (الصعب المستصعب) بالإحالة السردية ؛ إذ أورد سرداً قصصياً عن الإمام أبي عبد الله الحسين (عليه السلام) ليؤكد بأنّ كلامهم (صلوات الله وسلامه عليهم) كلَّه لا يحتمله غيرهم ، وقد أُمِروا أن يُكلّموا الناس على قدر وسعهم وطاقتهم وما تحتمله عقولهم ، فعلى الناس أن يأخذوا ما يُقدِّمه لهم الأئمة ؛ لأنَّهم الأدرى والأعرف بقدرة الناس فيُعطوهم على قَدَرِهم ، وكذلك أن لا يطلبوا . الناس . أكثر من قدرهم لأنَّ ذلك ضارٌ لهم ولا يعود عليهم بالمنفعة ، وهذا الذي طار عقله ؛ خير دليل على تثبيت هذا الأمر .

حاول الوحيدي أن يجعل من السرد القصصي . في بعض موارد شرحه . جسراً يُوصل المتلقي إلى برِّ الدلالات الهامشية الكامنة وراء ظواهر الألفاظ ، فكان السرد القصصي أحد الوسائل المستعملة عند الوحيدي لمساعدة مفكك السنن كي يصل إلى المعاني بسهولة .

---

[1]) أنوار الولاية الساطعة ، الوحيدي : ٢٠٥.٢٠٦ . يُنظر : بحار الأنوار : ٣٧٨/٢٥ .

الفصل الثاني

التناص معياراً نقديَّاً

الفصل الثاني

التناص بين التنظير والإجراء

توطئة :

ما تزال الخطى تسير متوازيةً بين الخطاب النقدي . منذ القدم وحتى الآن . والخطاب الأدبي ، والعلاقة بينهما وطيدة لا تنفك ولم يُصبها الجمود أو الضمور لحد الآن ، ويحاول الخطاب النقدي استيعاب متغيرات عالم الأدب المتسارعة ، ليواكب حالات البناء التركيبي الجديدة الناتجة من قبل المبدعين ، التي لم تنتمِ لجنس بعينه ، وإنَّما استطاعت شمول – بإبداع –الأجناس الأدبية باختلافها ، على الرغم من تداخلها وتشابهها، فكان المطلوب من النقد استيعاب المنهج الجديد ويتعامل معه بوصفه بناء تركيبيًّاً متنوّعاً ينتمي إلى الأجناس الأدبية([1]).

ومن مهام النقد الأكاديمي رصد تلك العناصر التي تأخذ على عاتقها تشكيل النصوص وبنائها ، وبيان فضاءات إنتاجها ، والمعين الذي استقى مادته منه ؛ لذا تُعدُّ آلية التناص ـ أو النصوصية أو التنصيص ـ أداة من الأدوات النقدية ، قمينةً بالبحث في تاريخ حركة إبداع النصوص ، وفاعليتها على ما تؤديه تجديداً في مستوى الإنتاج والتسنين والتأويل ، وكذلك بيان المستوى الدلالي والأثر الإبداعي الجمالي ، ولهذا نعدَّ موضوع التناص . كما أسلفنا . من آليات الدراسات النقدية ، لمَّا ابتعدت أكثر الدراسات الأدبية عن مفهوم تكوين المسنون (النص) وبادرت إلى عزله في محمولاته الأدبية واللفظية السياقية (الشكلية) ؛ رجعت مرة أخرى بثوبٍ جديد لترفع من مكانة النص الأدبي الذي تكوَّن عبر مخاض تناسله وألم توالده من

---

[1]) يُنظر : التناص معياراً نقديًّاً . شعر أحمد مطر إنموذجاً . ، أحمد عباس كامل الأزرقي ، (رسالة ماجستير) ، كليَّة الآداب ، جامعة ذي قار ، ٢٠١٠م : ٦ .

نصوص سابقة له ، وراحت تهتم بالعلاقة بين الباث والمستقبِل بالنص([1]) ، وعلاقتهما بسياق النص الداخلي (البنية العميقة) والخارجي (البنية السطحية) .

فضلا عن ذلك ، إنَّ الإقبال الشديد على دراسة نظرية التناص والبحث فيه ؛ سارت مع العزوف عن محيط النص بخطوط متوازية وكذلك عن حقول تكوُّن وإنتاج النص الذي رفعت رايته الشكلانية الروسية ؛ لذا قام كثير من النقَّاد والباحثين والدارسين في البحث والتنقيب ومن ثمَّ التطبيق على النصوص المبحوث فيها ، مما أنتج نتاجاً معرفياً ضخماً يحوم حول مفهوم التناص وفيه ؛ ابتداءً من المصطلح مارَّاً بالآليات المتَّبعة والأشكال النصيَّة والقوانين الخاصَّة فيه وحتى النتائج ، وإلى الآن يعاني التناص من الاضطراب المنهجي ، وهذا الاضطراب يعزى إلى عوامل ثلاثة، ((**الأول:** عدم اكتمال التنظير الكافي لفلسفة التناص مما أدى إلى تشعب المفهوم وتداخله مع مجالات بحثية أخرى .

الثاني : إنَّ المدة التي نشأت وتكونت فيها نظرية التناص ما تزال غير كافية لبلورة المفهوم وصياغته صياغة محكمة.))([2]) ، ورصينة يمكن عدَّها نظرية متكاملة تامة الأجزاء .

الثالث : لم تكن نظرية التناص نظرية ذات مقبولية عالية بين أوساط البحث الأكاديمي العربي ، كونها نظريَّة مستوردة من الخارج ، وكونها تحتوي على قوانين يرفض اصطلاحها بعض الناقدين (كالاجترار) ؛ لذا جوبهت بنقد لاذع وتغيير لمصطلحاته بمصطلحات عربية تتوافق والدراسات النصيَّة العربية ؛ لأنَّ أغلب

---

[1]) يُنظر : آفاق التناصية المفهوم والمنظور ، ترجمة : د. محمد خير البقاعي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر ، ١٩٩٨ : ٦٠ ، التناص معياراً نقديَّاً . شعر أحمد مطر إنموذجاً . : ٧.

[2]) التناص معياراً نقديَّاً . شعر أحمد مطر إنموذجاً . : ٧ .

الدراسات العربية تبحث في النصوص المقدَّسة كالقرآن الكريم والروايات والشعر العربي ، وهذه النصوص عند العرب مقدَّسة لا يمكن دراستها وفق نظرية التناص .

وحداثة مفهوم التناص لم تكن ذات طابع إبداعي متجرد عن الاحتذاء والتجديد والتجذير القديم ، بمعنى آخر ؛ أنَّ مفهوم التناص كانت جذوره ممتدَّة عبر الدرس العربي القديم ؛ إذ تلمَّس دارسو اللغة العربية هذا اللون في مضمار البلاغة تحت يافطة مصطلحات عربية قديمة كالانتحال ، والسرقات ، والاقتباس ، والتضمين ، والمعارضات ، والاحتذاء ، والأخذ ، وغيرها ؛ إلا أنَّ هذه المصطلحات بقيت تُبحث داخل أروقة وحدود البلاغة بدراسة شكلية ضمن البنية السطحية ، ولم ترتقِ إلى مفهوم النظرية المستقلَّة الشاملة ، مع وجود الوعي النقدي عند العرب ، وفكرة استقلاليَّة النصوص ورفض التداخل النصي وتعالقه مع النصوص.

تلك الدراسات كانت تنظر إلى هذه المفاهيم نظرة تؤكد لهم بتبعيَّتها إلى نظريات أكبر ، وهي منتمية إلى تلك النظريات انتماءً ودِّياً ؛ لذا لو كانت انتماءً حقيقيَّاً لما رضوا باستقلاليتها ولو على نحو التجديد والإبداع .

أمَّا أنَّهم لم يُفردوها بدراسة مستقلَّة ومن الممكن إيعاز ذلك إلى عدم توافر آلياتها لديهم ، وعندما تكاملت هذه الآليات لدى الباحثين العرب . وإن جاء تكاملها على يد الدارسين الغربيين . أشاروا إلى أصولها الأولى من طريق الدراسات العربية القديمة وتكاملها من قبل الأبحاث الغربية المترجمة ؛ فحاولوا اسقاط التطبيقات على امثلة من النصوص الأدبية العربية ، وقد بالغت الدراسات الغربية في التنظير التصويري لحدود التناص ؛ إذ جعلته أساساً للنصوص جميعاً ، فقد أطلقت لافتة :

لا نص بدون تناص([1])، فإنَّ كل ما كُتبَ ويُكتب ، إنَّما هو متعلق بنصوص أخرى سابقة عليه .

إذا صحَّ هذا القول الذي ذهب إليه أصحاب نظرية التناص ؛ سوف يتلاشى مفهوم الإبداع والابتكار ؛ لأنَّ النصوص اللغوية كلَّها تنتمي إلى معين المادَّة اللغوية، وهذه المادَّة هي التي تُشكِّل المفردة والجملة والعبارة والسياق والنص والكتاب ؛ إذ يُعدُّ التناص هو قانون الحياة جميعاً وليس للأدب احتكاره ، ومن الممكن أنْ يكون هذا المعنى مأخوذاً من قوله تعالى : ﴿ وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ ﴾{آل عمران/ ١٤٠}، فيعني تدويل النصوص وتحويرها ، أو مأخوذ من قول أمير البلاغة وإمام الكلام علي بن أبي طالب (عليه السلام) : ((**لولا أنَّ الكلامَ يُعادُ لنَفَدَ**))([2]) ؛ إذ إنَّ إعادته ساهمت وأسست لديموته .

وبهذا لا يبقى لتجديد الأصول المعرفية للنص مكانٌ بين بين دارسي النصوص، إذ تكون المرجعيات الثقافية للنصوص ممتدة عبر اللامحدود متجاوزة الحد اللامتناهي في تلمُّس الباثِّ الأوَّل ، ودراسته تكون عديمة الفائدة ؛ لأنَّها تدخل في إطار التخمين والاحتمالية والترجي والظنيَّة ؛ لذلك نريد التعامل مع نظرية التناص في هذا المبحث ((لا على أساس أنَّه حقيقة ميتافيزيقية بل على أساس أنَّه بُني على القصد والوعي من المنشئ الذي يريد بوساطة تناصاته تحقيق رؤية ما في عمله

---

[1]) يُنظر : اللسانيات وآفاق الدرس اللغوي ، د. أحمد محمد قدور ، دار الفكر المعاصر ، بيروت، ط ١، ٢٠٠١ : ١١٨ .١١٩ ، في نظرية النص الأدبي ، عبد الملك مرتاض، مجلة الموقف الأدبي، العدد ٢٠١، السنة ١٧، ١٩٨٨، دمشق : ٥٥ .

[2]) كتاب الصناعتين الكتابة والشعر ، أبو هلال العسكري ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي وشركاؤه ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٥٢ : ١٩٦ .

الأدبي [،] وإلا فهو لا يأتي به اعتباطاً بل لكي يضفي بعداً إضافياً للنص ، وهذا ما اشترطه منظرو التناص من النقاد الغربيين ؛ إذ يجب أن يكون النص الجديد نصاً تحويلياً ومنتجاً.))([1]) ، وعلى هذا الأساس سيتخذ البحث على عاتقه القصديَّة في النصوص الخاصَّة في شروح الزيارة الجامعة الكبيرة في بيان مدى التناص وتطبيق آلياته فيها .

وقد عُدَّ موضوع التناص من ضمن المباحث الإبداعية في صالونات الأعمال الأدبية وعنصراً مهمَّاً من عناصر الكشف عن جماليَّة النص ؛ إذ يشكل انسجام التداخل النصي ثيمة من ثيمات الجمال في اللغة الأدبية .

لذلك ستسعى الدراسة إلى وضع اليد على مواضع الإبداع وجمالياته في التعالق النصي ومدى تعانقه مع النصِّ الجديد في شروح الزيارة الشريفة ، وهذا السعي لأجل التعرف على التفاعل بين النصوص وبيان مدى حيويتها .

من بعد هذه التوطئة الخاصَّة في التناص ؛ كان لا بدَّ من بيان المفهوم بوساطة الروافد المعرفية التي بيَّنت هذا المصطلح في ما ورد بين صفحات المعجمات وما جاء في مظانِّه الخاصَّة .

فالتناص في اللغة : لفظ التناص مأخوذ من نصَّ ينُصُّ نصَّاً أو تنصيصاً ويعني: ((رفعك الشيء . نصَّ الحديث يَنُصُّه نصاً : رَفَعَهُ وكل ما أُظهر فقد نُص ، والمنصة ما تُظهَرُ عليه العروس لتُرى ، ومنه قولهم نَصَّصتُ المتاع إذا جعلت بعضه على بعضٍ ، ونصَّ الرجل نصاً إذا سأله عن شيءٍ حتى يستقصي ما عنده ، ونص كل شيءٍ منتهاه))([2]) ، فهو دالٌّ على الرفعة والسمو ومنه أخذت المنصَّة

---

[1]) التناص معياراً نقديَّاً . شعر أحمد مطر إنموذجاً . : ٨ .

[2]) لسان العرب ، مادة (نصص) ، يُنظر : أساس البلاغة : ٦٣٥.٦٣٦ .

التي يظهر عليها الممثلون في أداء العمل المسرحي ، وكذلك الشاعر في إلقاء شعره.

ويبدو أنَّ هذا المفهوم . نعني التناص . مأخوذٌ من قول أهل اللغة : ((حيةٌ نصناص كثيرةُ الحركةِ))[١]، وهو قريب من حركة النصوص وانسيابها وتداخلها بين بعضها في التعانق بين العبارات ؛ مما أُطلق عليه بالنص المهاجر[٢] ، أي شدَّ الرحال من نصٍّ إلى آخر مع بقاء نُسخته الأصلية في الأصل ، ؛ يعني المهاجر لم يكن النصَّ بكُليَّته ؛ وإنَّما نُسخةً منه ؛ أو جزء من مقاطعه ؛ أو معناه .

التناص في الاصطلاح : زار التناص البلاد العربية في العقود الأخيرة من القرن العشرين حاملاً معه حقائب المكوث وهو يشعر أنَّ هذه السفرة ستطول في بلاد تعشق لغتها ، وتفخر في نتاجها ؛ إذ هو فخرها ووسامها الذي ترفعه على جميع الأمم، فجاء الزائر بمصطلحه الجديد لا بدلالاته ؛ لأنَّها موجودة تحت قدور العرب الراسيات ، فكان التناصّ وافداً إليهم بثوبه القشيب وهو يعني : ((تقاطع داخل النص لتعبير (قول) مأخوذ من نصوص أخرى))[٣] ، ويعدُّ هذا التعريف هو الأوَّل في مفهومه التناص النقدي ، ومنه توالت التعريفات الأخرى ؛ إذ كان لمبدعته الناقدة الفرنسية (جوليا كرستيفا) .

---

[١] القاموس المحيط ، الفيروز أبادي ، أعداد وتقديم : محمد عبد الرحمن المرعشلي ، دار التراث العربي ، بيروت ، ط٣ ، ٢٠٠٣ : مادة نصص : ٥٨٢.

[٢] يُنظر : الخطيئة والتكفير ، عبد الله الغذامي ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ط٦ ، ٢٠٠٦ : ٢٨٨.٢٨٩ .

[٣] علم النص ، جوليا كرستيفا ، ترجمة : فريدة الزاهي ، مراجعة : عبد الجليل ناظم ، دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء ، ط١ ، ١٩٩١ : ٢١. ويُنظر : في أصول الخطاب النقدي الجديد ، تودوروف وآخرون ، تر : د. أحمد المديني ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط٢ ، ١٩٨٩ : ١٠٣.

أصله معرَّب من الإنجليزية (Intertertuality) وتعني في العربية : التناصِّية أو النصوصية([1]) أو التعالق النصّي أو تداخل النصوص أو النص الغائب([2]) ، وكلُّ هذه المصطلحات تعني انتقال النص بنسخته من نصٍّ قديم إلى نصٍّ جديد حال الكتابة إمَّا بلفظه ومعناه ، أو بجزء من ألفاظه ومعناها ، أو بمعناه دون ألفاظه .

- **قوانين التناص :**

التناص حاله حال المصطلحات العامَّة الأخرى تُميِّزه عن غيره قوانين عدَّة ، فالقوانين التي أشار إليها النقاد وأثبتوها تحت يافطة التناص :

١. الاجترار : وهو ((تكرار للنص الغائب من دون تغيير أو تحوير وهذا القانون يسهم في نسج النص الغائب ؛ لأنه لم يطوره ولم يحاوره واكتفى بإعادته كما هو ، أو مع إجراء تغيير طفيف لا يمس جوهره بسوء ؛ بسبب نظرة من التقديس والاجترار لبعض النصوص والمرجعيات ولا سيما الدينية منها))([3]) ، ويبرز هذا القانون في العصور التي تتماز بضعف الملكة ورداءة الكتابة وتسطيح المفاهيم ، فيعمد الكاتب إلى إعادة النصوص مع تعليقات أو إضافات بسيطة حولها أو فيها .

وهذا القانون من أكثر قوانين التناص جدلاً بين الناقدين ؛ لأنَّ معنى الاجترار في اللغة العربية هو ((الجِرَّةُ : جِرَّةُ البعير حين يَجْتَرُّها فَيَقْرِضُها ثم يَكُّ ظِمُها.

---

[1]) ينظر : آفاق التناصية المفهوم والمنظور : ٦٠ ؛ اللسانيات وآفاق الدرس اللغوي : ١١٨ وما بعدها ؛ في نظرية النص الأدبي : ٥٥ .

[2]) ينظر : ظاهرة التعالق النصي في الشعر السعودي الحديث ، د. علوي الهاشمي ، كتاب الرياض مؤسسة اليمامة الصحفية الرياض : ٢١. تداخل النصوص ، هانس جورج روبريشت ، ترجمة : الطاهر شيخاوي ، ورجاء بن سلامة ، مجلة الحياة التونسية ، العدد : ٥٠ ، ١٩٨٨م :٥٢ ، ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب العربي مقاربة بنيوية تكوينية ، محمد بنيس ، دار التنوير للطباعة والنشر ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٨٥ : ٢٥١.

[3]) ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب العربي مقاربة بنيوية تكوينية : ٢٥٣ .

الجوهري: الجِرَّةُ، بالكسر، ما يخرجه البعير للاجْتِرار. واجتَرَّ البعير: من الجِرَّةِ، وكل ذي كَرِشٍ يَجْتَرُّ.))([1]) ، فهو مأخوذ اجترار الحيوان بعد بلع الطعام ، فاللفظ لا يدلُّ على المعنى المقصود ، فاجترار الحيوان يكون عن فراغ في فمه ، أمَّا المعنى لمفهوم القانون يعني تدوير النصوص وتكريرها لفظاً ومعنى ، أو أجزاء من اللفظ مع بقاء المعنى ، أو تبديل الألفاظ مع بقاء المعنى ، فالدراسة تقترح لفظ **(التدويل)** بدلاً عن **(الاجترار)** حتى ينطبق العنوان والمعنون .

٢. الحوار أو التحوير : كما تقدَّم ؛ فإنَّ استهواء الأدباء للنصوص السابقة لفظاً ومعنى، ومن هذا الاستهواء هو ما كان توظيفاً آخراً استعمله الكتَّاب باستلهامهم المعنى المراد من النصوص الأخرى مع بقاء بعضاً من ألفاظها في البيت الشعري أو النص الجديد، وهذا كان معروفاً لدى السابقين بمصطلح (الاقتباس الجزئي) وهو الاقتباس الذي يتضمن كلمة أو كلمتين من آية قرآنية مباركة مع بقاء رحى البيت تدور حول معنى الآية المباركة التي تتضمن هذا اللفظ الوارد في البيت الشعري أو النص الجديد .

وقد ذكر المحدثون هذا المعنى بمصطلح جديد أسموه (الحوار) وهو أعلى مرحلة من مراحل قراءة النص الغائب ؛ لأنَّه يعتمد النقد المؤسس على أرضية علمية صلبة، تحطم مظاهر الاستلاب ، مهما كان شكله ونوعه وحجمه، فلا تقديس لكل النصوص الغائبة مع الحوار([2]) ؛ إذ إنَّه ((تغيير للنص وقلبه وتحويله بقناعة راسخة في عدم محدودية الإبداع ومحاولة لكسر الجمود الذي يغلق الأشكال والتعميمات ، والكتابة من جديد ، وتناسي الاعتبارات الدينية والعرفية والأخلاقية ، والخوض في

---

[1]) لسان العرب ، مادة (جرر)

[2]) يُنظر : ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب مقاربة بنيوية تكوينية : ٢٥٣ ، لغة الشعر عند أحمد مطر (رسالة) ، مسلم مالك الأسدي ، كلية التربية ، جامعة بابل ، ٢٠٠٧م : ٢٢٢ .

المسكوت عنه لضرورة الأدب))([1]) ، والدراسة تسير مع تثبيت هذا المصطلح ؛ لأنَّه يدل على محاورة النصوص السابقة مع بقاء جزئيات منها .

٣. **الامتصاص** : ينطلق مفهوم هذا القانون بوساطة بيان مدى إقرار الكاتب بالنصوص السابقة ومدى جاذبيتها له وتأثيرها فيه ، فيقوم بامتصاص المعنى فقط وتوظيفه بوساطة ألفاظ جديدة([2]) ، وهو من أجمل قوانين التناص وأصعبها ؛ حيث لا يستطيع تفكيك النص وإعادته إلى سابق عهده إلّا الناقد الحصيف ومن مرَّ عليه النص القديم وهظمه .

فسندرس هذا المفهوم بقوانينه الثلاثة بوساطة ثلاثة مباحث (التناص الديني ، والتناص الأدبي، والتناص البيني) .

---

[1]) التناص في شعر الرواد أحمد ناهم ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط١ ، ٢٠٠٤ م: ٥٧.

[2]) يُنظر : لغة الشعر عند أحمد مطر (رسالة) : ٢٢١ .

المبحث الأوَّل

التناص الديني في شروح الزيارة الجامعة الكبيرة المختارة

توطئة :

طابع الزيارة الجامعة المباركة هو طابع ديني بامتياز ، وخصائص شروحها هي بيان مقامات أمناء الرحمن الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم من كل دنس وآمنهم من الفتن وجعلهم مصابيح الدجى ليكشف بهم رين القلوب ؛ لذا نجد أنّ الطابع الديني هو المنتشر والمسيطر على شروحها ، واقتصرت شروحها على الدينيين دون غيرهم ؛ حيث لا نجد من قام بشرحها غير المدرسة الدينية ، وهذا لا يعني أنَّهم يفتقرون للأدب والنقد الثقافي والأكاديمية ؛ وإنَّما جعلوا شروحهم مليئة بكلِّ العلوم ؛ إلّا أن الإطار الديني هو السور العام لهذه الشروح .

والمقصود بالطابع الديني هو القرآن الكريم وما يتعلَّق به أو الثقل الثاني وهي العترة الطاهرة وما يتعلَّق بها ؛ فسيتحدث هذا المبحث عن الأثر الديني في شروح الزيارة الجامعة الكبيرة الخاص بالثقلين (الكتاب والعترة الطاهرة) ، وكما تقدَّم في بيان القوانين الخاصة بالتناص ؛ سيكون الشروع في بيان الموارد التناصِّية بوساطة القوانين .

١. **التدويل في شروح الزيارة المباركة** : بعد اقتراح هذا المصطلح بدلاً عن مصطلح (الاجترار) كان لزاماً بيان مفهومها ، **فالتدويل** : فهو مصطلح استقيناه من قوله تعالى : ﴿ وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ ﴾ **{آل عمران/١٤٠}** ، ودَوَلَ في اللغة : ((يدَّلُّ على تحوّل الشيء من مكان إلى مكان... وتداول القوم الشيء بينهم ؛ إذا

صار من بعضهم البعض))([1]) ، وهذان المصطلحان ينطبقان تماماً على مفهوم التناص المباشر .

فمن مواضع التدوير والتدويل في شروح الزيارة الجامعة الكبيرة ؛ ما جاء في شرح قول الإمام الهادي (عليه السلام) : ((**وَسَلَمْتُمْ لَهُ القَضَاءَ**))([2]) ، قال **المجلسي الأوَّل** : ((...بما قدَّره الله تعالى من أن لا يكون التكليف بالإلجاء ، بل يكون بالاختيار؛ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاؤُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى.))([3])، فكانت نهاية قوله تدويلاً وتدويراً من قوله تعالى : ﴿**وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاؤُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى**﴾{**النجم/٣١**} ، إلَّا أنَّ الشارح لم يُشر إلى الآية المباركة في معرض كلامه مما يُشعر المستقبِل أنَّها من ضمن سياق شرحه وهي عائدة إليه لا للقرآن الكريم ، فالشارح جعل شرحه سبباً والآية المباركة نتيجة ؛ إذ لا تجد بوناً بين سياق كلامة والآية المباركة ، وعلى الرغم من أنَّ للآية حلاوة خاصَّة أضفت على النص طلاوة فأصبح للمقطع المشروح شعور جذب واستدعاء للمتلقي كبير ، وهذا ينم عن قوَّة قلم وامتلاك أداة لصوغ الكلام وسبك عبارة وحبك بالمعنى.

وجاء التدويل للروايات الشريفة في سياق شرح المجلسي الأوَّل لموضوع الاستخلاف ، فقال : ((...وأنّه لو لم يبق إلّا اثنان لكان أحدهما الإمام عليه السلام))([4])، أي من باب أنَّه لا بدَّ من وجود الحُجَّة في الأرض وإلَّا لساخت بأهلها.

---

[1]) مقاييس اللغة : ٣١٤/٢ ، يُنظر : أساس البلاغة : ١٤٣/١ ، لسان العرب ، مادة (دول) ، المعجم القرآني : ١٣٠/٢ .

[2]) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، المجلسي الأوَّل : ١٢٤ .

[3]) المصدر نفسه : ١٢٤ .

[4]) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، المجلسي الأوَّل : ١٠٣ .

وهذا حديث جاء عن الإمام الصادق (عليه السلام) في قوله : ((**إِنَّهُ لَوْ لَمْ يَبْقَ فِي الأَرْضِ إِلَّا رِجُلَانِ لَكَانَ أَحَدُهُمَا الحُجَّةَ**))([1]) ، فكان إيراد اللفظ تدويلاً من قول الإمام الصادق (عليه السلام) ، ولم يُشر إليه الشارح ؛ ويبدو عدم الإشارة جاءت من الكثرة في التداول ومعرفة المجتمع بهذا الحديث فلا يتسلل الشكُّ إلى قلب السامع من أنَّه للشارح ، فالتسليم في المعرفة أحد وسائل التناص المستعملة في التدويل والتحوير والامتصاص ، ومنه يصل المتلقي إلى الحكمة التي استُغلقت في العبارة أو السياق أو النص .

ذكرنا هذا الحديث في سبيل التدويل ، وهو كذلك امتصاص من حديث آخر عن الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) : ((**إِنَّ الأَرْضَ لا تَخْلُو مِنْ حُجَّة**))([2]) ، وهذه الإشارة كتلميح للأمر وليس للولوج في بيانه ؛ لأنّ الموضع ههنا لبيان التدوير والتدويل ، ونريد أن نكتفي بهذا القدر من شرح المجلسي الأوّل كي لا نطيل المقام في هذا الشرح ؛ خشية الإسهاب .

وجاء التناص التدويري التدويلي في قول **المجلسي الثاني** في بيان مفهوم الصديق؛ قال : ((الصِّدق . بالكسر . الشدَّة ، وهو رجل صدق وصدّيق صدق مضافين (وكذا امرأة صدق ، وحمار صدق) ، وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ ، أي أنزلناهم مُنزلاً صالحاً .))([3]) ، فقد استشهد بجزء من آية مباركة دون ذكرها مما يُشعر بأنَّها قد انتُحلت في هذا المورد .

---

[1]) يُنظر : بصائر الدرجات : ٥٥٦/١ ، شرح أصول الكافي : ٥٠٢/٢ ، علل الشرائع : ١٧٩.
[2]) عيون أخبار الرضا : ١٢٢/٢ ، يُنظر : كمال الدين وإتمام النعمة : ١٠ .
[3]) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، المجلسي الثاني : ٢٢٩ .

فما ذكره الشارح في ذيل شرحه تدويلاً من قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى جَاءهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾{يونس/٩٣} ، إلّا أنَّه لم يذكرها كآية استشهد بها ؛ وإنَّما جعلها كلاماً سياقيَّاً من ضمن شرحه ، ويبدو أنّه اعتمد على الذوق العالي للمتلقي في تمييزه عن الكلامه؛ لأنَّ كلام الله تعالى لا ينسجم معه كلام أبداً مما يجعله بين رُكام الألفاظ ألقاً ولؤلؤاً يتلالأ يسرُّ الناظرين ويلتذُّ به السامعين فلا يخفى على متلقٍّ أنَّه ليس للمؤلّف وإنَّما استشهد به للتدعيم أو للتأكيد أو لتثبيت فكرته أو للتبرُّك .

وذكر **المجلسي الثاني** مورداً داولَ فيه رواية شريفة دون ذكرها على أنَّها رواية، وذلك في تفسيره لقوله تعالى :﴿ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾{إبراهيم/٥} ، قال : ((أيام قيام القائم عجل الله تعالى فرجه الشريف))([1]) ، وهذ القول في أصله رواية عن الإماميَنِ الباقرينِ الصادقينِ محمد بن علي وجعفر بن محمد (صلوات ربي وسلامه عليهم أجمعين) ؛ قالا : ((**وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ قَالَا : أَيَّامُ اللَّهِ ثَلَاثَةٌ يَوْمُ الْقَائِمِ وَ يَوْمُ الْمَوْتِ وَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ**))([2]) ، فاقتطع من الرواية ثلثها وفسَّر الآية المباركة دون الرجوع إلى الرواية التفسيرية ، وهذا مأخذ على الشارح لأنَّه من أساطين المحدِّثين وصاحب أكبر موسوعة حديثية في مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) ، وإذا أخذنا ذلك بظنٍ حسن ؛ ربما حِفْظهُ للأحاديث جرى الحديث على لسانه دون التأكيد على الرواية بجميعها ، ويبدو ذلك منه .

---

[1]) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، المجلسي الثاني : ٢٣٢ .

[2]) الخصال : ١٠٨ ، يُنظر : بحار الأنوار : ١٢/١٣ ، البرهان في تفسير القرآن : ٣٠٧/٤ .

وقد ورد التدويل الديني المباشر في شرح **الهمداني** لقول الإمام العاشر (صلوات ربي وسلامه عليه وعلى آبائه الطاهرين) : ((**وَعَنَاصِرَ الأَبْرَارِ**))([1]) ، قال : ((...إنَّهم مبادئ شيعتهم الذين خُلقوا من طينتهم وآمنوا بالله ورسوله وأقرُّوا بالولاية بالميثاق الثالث ، فطابت جبلَّتهم وطهُرت طينتهم وصارت كتبهم في عليِّين ، يشهدها المقرَّبون، ويؤتى يوم القيامة كتابهم بأيمانهم ويحاسبون حساباً يسيراً ، ثمَّ ينقلبون إلى أهاليهم مسرورين ، والحمد لله رب العالمين .))([2]) ، جرى الأثر القرآني على لسان الشارح في مجموعة من الآيات القرآنية والروايات التي صدرت عن الأئمة الطاهرين.

فقد وظَّف الشارح على سبيل التدويل القرآني ؛ قوله تعالى : ﴿**يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ**﴾ {**المطففين/٢١**} ، وقوله تعالى : {**فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا**﴾ {**الإنشقاق/٩**} ، وقوله تعالى : ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ {**الفاتحة/٢**} ، في شرحه لهذه الفقرة المباركة ؛ إذ استطاع الشارح أن يستلهم الآيات القرآنية التي تدعم الدلالة الذهنية المرادة في سياق كلامه ، فقام بالجمع بين آيات متفرقة من سوَرٍ متعددة ووظفها توظيفاً رائعاً يكشف عن مدى تأثره بالقرآن الكريم بالجمع والتدويل بدلالة جمعية ، وهي لا تخفى على الناقد المطلع على الآيات القرآنية المستقاة من الذكر الحكيم وإن خفيت على غيره .

وأخفى الشارح اللمسة القرانية المباشرة بعدم الإشارة إلى الآيات الشريفة بشكل مباشر ؛ إلَّا أنَّها من بين هذه وتلك سطعت وكان رونقها فوق كلامه مهيمناً وسيطرته واضحة كسيطرة الله على خلقه ، ومن دون أدنى شكٍّ أنَّه لم يقصد الإزاحة والانتحال بقدر الاستلهام للتبرُّك والتحسين للسياق ، وهذا مما لا ريب فيه.

---

[1]) الشموس الطالعة من مشارق الزيارة الجامعة ، الهمداني : ١٨٢ .
[2]) المصدر نفسه : ١٨٢ .

وفي هذا القول نجد موارد تناصّية أخرى قرانية وروائية ، مثل التناص الحواري مع قول الإمام الصادق (عليه السلام) : ((**إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ مُحَمَّداً مِنْ طِينَةٍ مِنْ جَوْهَرَةٍ تَحْتَ الْعَرْشِ وَ إِنَّهُ كَانَ لِطِينَتِهِ نَضْحٌ فَجَبَلَ طِينَةَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام مِنْ نَضْحِ طِينَةِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وَ كَانَ لِطِينَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام نَضْحٌ فَجَبَلَ طِينَتَنَا مِنْ فَضْلِ طِينَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام وَ كَانَتْ لِطِينَتِنَا نَضْحٌ فَجَبَلَ طِينَةَ شِيعَتِنَا مِنْ نَضْحِ طِينَتِنَا فَقُلُوبُهُمْ تَحِنُّ إِلَيْنَا وَ قُلُوبُنَا تَعْطِفُ عَلَيْهِمْ تَعَطُّفَ الْوَالِدِ عَلَى الْوَلَدِ وَ نَحْنُ خَيْرٌ لَهُمْ وَ هُمْ خَيْرٌ لَنَا وَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله لَنَا خَيْرٌ وَ نَحْنُ لَهُ خَيْرٌ**))([1]) ، وكذلك الحوار مع قوله تعالى : ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ﴾ **{المطففين/١٨}** ، فكان التوظيف له شُعبٌ وشراشر متعددة جمعها الشارح في قوله هذا ، وأرادت الدراسة الإشارة لها ههنا دون بيان مفاصلها كي تذكر مواردَ أخرى غيرها في موضع الحوار ، والله الموفق .

ومن الملاحظ ما ذكره **الهمداني** في مسألة مراتب أهل البيت (عليهم السلام) ، في بيان تعدد الأدوار ووحدة الهدف ؛ قال : ((... فمعناه تفضيل المرتبة التي خلفه الله تعالى فيها عن الباقين ، مثل الجهاد والشهادة كما في أمير المؤمنين وسيد الشهداء (عليهما السلام) وتأييد الدين بالحجة عجل الله تعالى فرجه الشريف بحيث يملأ الله به (عليه السلام) الأرضَ قسطاً وعدلاً بعدما مُلئت ظلماً وجوراً))([2]) ، أي أنّ الأدوار التي قام بها الأئمة بحسب الوقت والزمان الذي حتَّم عليهم القيام بالدور المناط بهم وحسب الظرف المتهيأ لهم ، فهم ينظرون إلى الأمور بما يتوافق مع دينهم ودورهم الريادي ؛ إذ مدار مصلحة الخلق فيما يرونه مناسباً ، فينسجون

---

[1]) بصائر الدرجات : ١٤/١ .

[2]) الشموس الطالعة من مشارق الزيارة الجامعة ، الهمداني : ٥٣٦ .

مؤدَّاهم على منوال ما يُريده منهم الوضع العام ؛ فيقومون بأداء ما عليهم وإن تكالبت عليهم الناس فقُتلَ مَن قُتل وسُبيَ مَن سُبي وأُقصيَ مَن أُقصي .

ففي قول الشارح نجد تدويلاً لقول رسول الله (صلى الله عليه وآله) : ((**أَفْضَلُ أَعْمَالِ أُمَّتِي انْتِظَارُ الْفَرَجِ، وَ لَا يَزَالُ شِيعَتُنَا فِي حُزْنٍ حَتَّى يَظْهَرَ وَلَدِيَ الَّذِي بَشَّرَ بِهِ أَنَّهُ يَمْلَأُ الْأَرْضَ عَدْلًا وَ قِسْطاً، كَمَا مُلِئَتْ ظُلْماً وَجَوْراً**))(١) ، فوظَّف هذا القول لترسيخ فكرة المنقذ التي يعتقد بها كما تعتقد بها جميع الأديان بمختلف المسمَّيات والشخوص ، وهذا الحديث من أشهر الأحاديث التي قيلت في الإمام محمد بن الحسن المهدي (عجل الله تعالى فرجه المبارك) لتهيأة الذهنية الإسلامية لاستقبال الحدث الموعود على يد خاتم الأوصياء وأمل الأنبياء ، نور الله في الأرض والسماء، ((**مبير الظالمين ، ومُدرك الهاربين ، صريخ المستصرخين ، موضع حاجات الطالبين ، معتمد المؤمنين**))(٢) ، فكان سياق كلامه . الشارح . ينم عن قصدية لبيان النتيجة التي يريدها ، فهو توظيف يكشف عن جزالة سبك ومتانة حبك يتمتع بهما الشارح في نسج الشرح.

ونجد التناص الديني المباشر (تدويلاً) في شرح **الأحسائي** ، منه قرآنيَّاً كما جاء في قوله على سبيل المثال لا الحصر : ((...فإنَّ العارف ينظر مرَّة في وجوه الحكمة في وجود المصنوعات فيقول : ربّي ما خلقت هذا باطلاً ، ومرَّة ينظر ما فيها من العِبَر الدالَّة على فناء الدنيا وبقاء الآخرة وسرعة هجوم الموت .... وإن عسى أن

---

١) الإمامة والتبصرة من الحيرة ، علي بن بابويه القمّي ت(٣٢٩هـ) ، مدرسة الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه الشريف) ، قم ، إيران ، ط١ ، ١٤٠٤هـ : ٢١ ، وجاء الحديث ذاته من طريق أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) ، يُنظر : الكافي : ٣٣٨/١ .

٢) نفحات من دعاء الافتتاح المبارك ، مفاتيح الجنان : ١٣٥

يكون قد اقترب أجلهم ...))([1] ، فجعل الشارح قوله تعالى : ﴿ ...رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ ﴿آل عمران/١٩١﴾ ، على لسان العارف بالله ؛ وهو تدويل قرآني استلهمه الشارح ووضعه في هذا النص دون أن يُشير إلى قرآنيَّته ، فاستطاعة أن يوظف النص القرآني في كلامه رغم قوَّة العبارة القرآنية ، ومن خلالها جعل سبك نصّه سبكاً متماسك الأطراف ومتين الوسط ، فأعطت العبارةُ القرآنيةُ النصَّ قوَّة وجمالاً .

وفي هذا النص امتصاص قرآني من قوله تعالى : ﴿ وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ {العنكبوت/٦٤} ، إذ أشار إلى هذه الآية المباركة بإيراد المعنى ، واعتماده على ذهن المتلقي في تلمُّس المعاني القرآنية واستنباط آياتها .

وكذلك نجد حواراً قرآنيَّاً مع قوله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴾ {الأعراف/١٨٥} ، ففي نصٍّ قصير استطاع الشارح حشد مجموعة من المعاني القرآنية ، وهذا يكشف الأثر القرآني المستحوذ على فكر الشارح ؛ إذ لم نجد صفحة من صفحات شرحه يخلو من الأثر القرآني ؛ إمَّا مباشر أو جزئي أو غير مباشر ، وهذا ما يميّزه عن غيره من شروح الزيارة الجامعة الكبيرة المختارة .

أمّا التدويل الروائي ؛ فنجده . **الأحسائي** . يذكر قول رسول الله (صلى الله عليه وآله) دون ردّه إلى مصدره ، وذلك في قوله : ((... البيّنة على المدَّعي واليمين على المدَّعى عليه وهو من الفصل بين الحقِّ والباطل ..))([2]) ، فكان هذا الحديث

---

[1]) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، الأحسائي : ٣٣/٢ .

[2]) المصدر نفسه : ١٣٣/٢ .

الشريف في معرض كلامه ، وهو تدويل وتدوير لقول النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله) : ((... **الْبَيِّنَةُ عَلَى الْمُدَّعِي وَ الْيَمِينُ عَلَى الْمُدَّعَى عَلَيْهِ وَ الصُّلْحُ جَائِزٌ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَّا صُلْحاً أَحَلَّ حَرَاماً أَوْ حَرَّمَ حَلَالاً**...))([1]) ، إلَّا أنَّ المأخذ النقدي الذي نُشير إليه في شرح الأحسائي ؛ هو أنَّه يطلق الآيات والروايات في معاريض كلامه وفي سياقات نصوصه دون الإشارة إلى المصادر التي استقى الأحاديث منها ؛ ويبدو أنَّ هذا الأمر واردٌ في المدرسة التي ينتمي إليها ؛ إلّا أنَّ هذا الأمر لا يجوز أكاديميَّاً أو في البحوث العلمية مما جعل الدراسة تضع الإصبع على هذا الأمر .

أمَّا من الناحية التوظيفيَّة ؛ فالأحسائي يمتلك ذوقاً رفيعاً في استقطاب الألفاظ وتوظيفها في سياقات مسبوكة التراكيب ، محبوكة الدلالة ؛ فقد سفَّ شراشر الألفاظ وشدَّها وضبط معانيها في مواردها ، فالآثار التدويلية والتدويرية من القرآن والأحاديث والروايات كثيرة جداً وما ذكرناه للتمثيل .

ومن الجدير بالذكر : إنَّ الأحسائي نهج طريقينِ في شرحه، طريق الظاهر وطريق الباطن ، وهذا في جميع مفاصل الزيارة الشريفة من بدايتها إلى نهايتها .

ومن التناص المباشر التدويلي والتدويري ، ما جاء في شرح **السند** ، عند بيان موضوع نفي التشبيه والتجسيم عن الله سبحانه وتعالى ، وذلك في قوله : ((...هذا تساؤل لا يُطرح في المعاد فقط ، بل حتى في دار الدنيا ، وهؤلاء المستشكلون والمتسائلون يُثيرون العجب ، فكأنَّما يُريدون أن يوحدوا الله عزَّ وجلَّ في يوم المعاد دون دار الدنيا! إن الحكم إلّا لله ، ليس الحكم في التشريع فحسب ، إن الحكم إلَّا لله بل هو في كل مجال حتى في الحكم والحاكمية السياسية وحتى في التكوين ، وما

---

[1]) من لا يحضره الفقيه : ٣/٣٢ . وذات الحديث ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام) ، يُنظر: الكافي : ٧/٣٦١ .

تشاؤون إلا أن يشاء الله إنَّ الله كان عليماً حكيماً))([1])، نجد في هذا النص تدويلاً لآيات قرآنية مباشرة، وهي قد أعطت رصانة للسياقات الواردة في النص وقوَّة سبك الشارح قامت بانسجام كلامه مع الآيات المباركة .

التدويل الأوَّل في النص من قوله تعالى : ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾{يوسف/٤٠} ، وشرع الشارح في بيان الحكم دون النظر إلى بقيَّة الأية المباركة .

والتدويل الثاني من قوله تعالى : ﴿وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَن يَشَاء اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾{الإنسان/٣٠} ؛ فقد استطاع الشارح استدعاء الأيات القرآنية وتوظيفها في نصِّه مما يُخيَّل إلى المتلقي أنَّها منه ما لم يتلمس النفس القرآني فيها ، على الرغم من الفرق اللفظي والتناسق الصوتي الكاشف عن الفرق بين الآية والقول البشري ، فهذا التدويل أعطى رونقاً جميلاً للنص وجعله أكثر جذباً مما يكون من دونه ، وكان على الشارح أن يُشير إلى قرآنية العبارات وإحالتها إلى سورها .

ومن التدويل الوارد في شرح **السند** على سبيل التمثيل ، ما ورد داخل سياق نفي التجسيم لله ؛ في قوله : ((ونفي توهم التجسيم غير مخصوص بدار الدنيا ، فالباري تعالى لا تحيط به الدُّنيا ولا الآخرة ، ولا برزخ ، ولا أوَّلية ولا آخريَّة ، لأنَّه الأوَّل قبل الأشياء ، فهو أوَّل الأوَّلية ، والآخر بعد فناء الأشياء ...))([2]) ، في هذا النص نجد تدويلاً وحواراً وامتصاصاً من نصوص متعددة .

من التدويل الوارد في هذا النص ؛ الفقرة الأخيرة من قول الإمام زين العابدين علي بن الحسين (عليهما السلام) من دعاء له ، قال : ((**بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**

---

[1]) في رحاب الزيارة الجامعة الكبيرة ، السند : ٧٣ .

[2]) المصدر نفسه : ٦٤.٦٥ .

الحمدُ للهِ الأوَّلِ قَبْلَ الأشْيَاءِ ، والأحْيَاءِ ، والآخِرِ بَعْدَ فَنَاءِ الأشْيَاءِ ، العَلِيْمِ الَّذِيْ لا يَنْسَىٰ مَنْ ذَكَرَهُ وَلَا يَنْقُصُ مَنْ شَكَرَهُ وَلَا يَخِيْبُ مَنْ دَعَاهُ ولَا يَقْطَعُ رَجَاءَ مَنْ رَجَاه.))([1]) ، تسلل هذا المقطع في سلسلة كلام الشارح دون أن يكون قد قصده . على حسن الظن . ورُبَما جاء في معرض كلامه بسبب حفظه للأدعية فكان الاستشهاد غير مقصود ؛ لأنَّه لو كان يقصد التناص مع الدعاء السجادي المبارك؛ لأشار إليه كما أشار إلى غيره من الأدعية ، وهذه الفقرة نفسها حوار مع قول الإمام أمير البلاغة والكلام الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) من دعاء كميل : **((وَبِوَجْهِكَ الْباقي بَعْدَ فَناءِ كُلِّ شَيء))**([2]) ، فالشارح استطاع توظيف النصوص الدُّعائية الواردة عن أئمَّة أهل البيت (عليهم السلام) ، وهذه تُعدُّ من المركوزات الذهنية الراسخة في باله بكثرة الحفظ والقراءة ، فتسللت إلى صادرات قلمه دون أن يشعر ، أو إنَّه أراد أن يُزيّن كلامه بها دون أن يذكر أنَّها من وارد المعصوم ، فإذا كانت على الأوَّلى ؛ فكان ذلك له والتناص من جانبه أجمل ، أمَّا إذا كان على الثاني ؛ فكان عليه أن يذكر في معرض كلامه على سبيل المثال (كما ورد عن الإمام) ، ومن ناحية الجمال التوظيفي ؛ فكان الشارح مبدعاً في توظيف المقطع المذكور في سياق كلامه.

أمَّا من ناحية الامتصاص ؛ فالنصُّ امتصاص من قوله تعالى : ﴿ ...**ولا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاء وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَلاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ**﴾ **{البقرة/٢٥٥}**، فامتصَّ المعنى القرآني من هذه الآية المباركة وصاغ من معناها نصًّا جديداً .

---

[1]) بحار الأنوار : ١٣٤/٨٧ .

[2]) مفاتيح الجنان : ٤٩ .

وكذلك نستطيع أن نقول : إنَّ هذا النصُّ هو بيان نتيجة قول الإمام امير المؤمنين (عليه السلام) : ((**أَوَّلُ اَلدِّينِ مَعْرِفَتُهُ وَ كَمَالُ مَعْرِفَتِهِ اَلتَّصْدِيقُ بِهِ وَ كَمَالُ اَلتَّصْدِيقِ بِهِ تَوْحِيدُهُ وَ كَمَالُ تَوْحِيدِهِ اَلْإِخْلاَصُ لَهُ وَ كَمَالُ اَلْإِخْلاَصِ لَهُ نَفْيُ اَلصِّفَاتِ عَنْهُ**))([1])، فالمعنى . بالنسبة لنص السند . ممتَصٌّ من هذا القول المبارك ، فقد حثَّ نصُّ الشارح على المعاني العامَّة النافية للتجسيم والتشبيه والإحاطة لله ﴿ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ {الأنعام/١٠٠} .

ومن التناص التدويلي الذي ورد في شروح الزيارة الجامعة الكبيرة ؛ ما جاء في شرح **الميلاني** في سياق مفهوم الرحمة ؛ قال : ((... إذن : كتب على نفسه الرحمة التي هي خير مما يجمعون))([2]) ؛ فقد وظَّف الشارح أبعاضاً من آيتينِ من القرآن العظيم في هذه العبارة ، كقوله تعالى : ﴿ . . . كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ {الأنعام/١٢} ، وقوله تعالى : ﴿ . . . وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ {الزخرف/٣٢} ، فكانت مكوناته اللغوية المعرفية التي استقاها من القرآن الكريم مستقرة في ذهنه ؛ إذ تسللت إلى شرحه بقصد أو بغير قصد ، فتعكَّز الشارح عليها لتأدية المعنى بها حتى يتسنَّى لمفكك السنن تقبُّل المفهوم والمنطوق على حد سواء دون إبهام أو إيهام ، وهذا من باب اختصار الكلام بدلالة واضحة كافية شافية وافية ، وأيُّ كلامٍ أوفى بأداء المعاني من كلام الله ؟! ، فجاءت كلمات الآيات الشريفة على سبيل التدويل والتدوير التناصّي في كلمات الشارح لغرض اختصار التوصيل وسرعة التراسل بيه ذهنه ومستقبِل نصّه ، وبوساطة عظيمة تمتلك من القدرة التوصيلية ما لم تمتلكها غيرها من الوسائط الأُخرى مهما بلغت .

---

[1]) نهج البلاغة : ١٨.١٧ ، الخطبة الأولى .

[2]) مع الأئمة الهداة ، الميلاني : ٨٤ .

وكذلك ورد التناص التدويلي الروائي في قول **الميلاني** أثناء معرض بيانه لعبودية الناس لساداتهم وكبرائهم ؛ قال : ((إنّ الواحد منا يخاطبهم لدى الاستيذان للدخول عليهم بقوله: عبدك وابن عبدك وابن أمتك المقرّ بالرقّ والتارك للخلاف عليكم))([1]) ، فالفقرة الأخيرة من قوله ؛ تدويل وتدوير لكثير من زيارات الأئمة الأطهار ، حيث وردت هذه العبارة في استقبال القبور الزواكي من أئمَّة أهل البيت وذُكرت في مصادر مدرسة الإمامية بالأخبار المتكثِّرة الصحيحة([2]) ، وقد وظَّف الشارح النصَّ توظيفاً أراد منه تدعيم فكرته الرئيسة من بيان مفهوم العبد والعبودية ، ومن طريقها رامَ دحض المرتكزات الذهنية لدى المخالفين من أنَّ المراد من العبودية لأهل البيت (عليهم السلام) تشوبها العبادة التأليهية والربوبية ، في حين أنَّ المراد ههنا عبودية طاعة وعبودية خدمة ليس إلّا ، وما شنَّع به أولئك الذين لا يرعون فينا إلّاً ولا ذمَّة ؛ ما هي سوى محض افتراء ليس لهم فيها دليل ينهض بأمرهم ، فإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون .

ومثل ذلك ما جاء في شرح **الصدر** من تناص مباشر (تدويلي وتدويري) ؛ إذ ورد هذا اللون النقدي في بيان قول الإمام العاشر (عليه السلام) : ((**الْعامِلُونَ بِإِرادَتِهِ**))([3]) قال الصدر : ((لم يفعلوا شيئاً ولا يفعلون إلاّ بعهدٍ من الله المتعال وأمرٍ منه ، يطيعونه ولا يتجاوزونه ، وقد عرفت أنّهم لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون، فهم ورثة رسول الله صلى الله عليه وآله الذي لا ينطق عن الهوى ، إن هو إلاّ وحي

---

[1]) مع الأئمة الهداة ، الميلاني : ١٢٠ .

[2]) يُنظر : الكافي : ٥٦١/٢ ، ٥٦٥ ، ٥٩٤ ، من لا يحضره الفقيه : ١٦٤/١ ، ١٧٢ ، ٣٠٤ ، المقنع ، محمد بن علي بن بابويه القمي (الشيخ الصدوق) ت(٣٨١هـ) ، مؤسسة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف ، قم ،إيران ، ط١ ، ١٤١٥ هـ : ٦٤ ، وغيرها من المصادر الإمامية التي ذكرت هذه الفقرة المباركة .

[3]) في رحاب الزيارة الجامعة الكبيرة ، الصدر : ٢٥٣ .

يُوحى))([1])، نجد في هذا النص أكثر من آية محبوكة داخله بطريقة التدويل دون الإشارة إلى قرآنية الفقرات .

فقد وظَّف الشارح قوله تعالى : ﴿لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾ {الأنبياء/٢٧} ، وكذلك قوله تعالى : ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ {النجم/٤} ؛ داخل نصِّه ، إلَّا أنَّ هذه الآيات المباركة تتلاصف وتتوهج داخل العبارات حتى أنَّ مفكك السُّنن (المتلقي) يشعر بهيمنة اللفظ القرآني على باقي الكلمات ، ونفحاته نشرت أريجها بين أثناء الكلمات ، فلم يبقَ من كلمات الشارح شيء يُذكر بسبب حشد التراكيب القرآنية والمعاني داخل منظومته المشروحة ، ويبدو أنَّه كان قاصداً من ذكر الآيات القرآنية استئناساً بها ورصانة لعباراته وقوَّة في تثبيت مرامه وقصده ، وهذا عمل الحرِّيف الذي يواجه الضد بما يعتقده ؛ إذ لا يتأتى هذا العمل لكلِّ باحث ما لم تكن باعه طويلة في معرفة الآيات القرآنية كي يُكيِّف نصَّه معها.

ومثل هذا اللون جاء في موضع آخر من شرح الصدر ؛ فقد وظَّف نصَّاً روائيَّاً في قوله : ((...وأمير المؤمنين عليه السلام هو الصدّيق الأكبر))([2]) ، وهذه الصفة الخاصَّة وردت عن رسول الله (صلى الله عليه وآله)([3]) ، ووردت عن أمير المؤمنين (عليه السلام) على سبيل التفاخر وطلب الحقّ([4]) ، فكان التدويل الروائي لغرض التأكيد على تخصيص الصفة وحصرها في أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) ، لأنَّها قد انتُحلت حالها حال الصفات الأخرى التي تقمَّصها من لا عهد له

---

[1]) في رحاب الزيارة الجامعة الكبيرة ، الصدر : ٢٥٣ .

[2]) المصدر نفسه : ٢٤٧ .

[3]) يُنظر : شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار : ٤٦٩/٣ .

[4]) يُنظر : بشارة المصطفى لشيعة المرتضى : ١٥٢/٢ ، بناء المقالة الفاطمية في نقض الرسالة العثمانية ، أحمد بن موسى (ابن طاووس) ت(٦٧٣هـ) ، مؤسسة أهل البيت (عليهم السلام) لإحياء التراث ، قم ، إيران ، ط١ ، ١٤١١هـ : ٢٨٠ .

بكعبها وما شمَّ عبقات أريجها ، فأصبحت صفةً عامَّة للمنتحِل بسبب الشهرة والتغليب والتصفيق له بها ، ولمَّا تضعه على محك النقد ؛ تجده لا ناقة له فيها ولا جمل ، بل تتبرأ أفعاله منها حتى قال عمرو بن العاص في جلجليته الشهيرة : [من المتقارب]

فأينَ الثُّرَيَّا وأيْنَ الثَّرى وأينَ مُعَاويةٌ مِنْ عَلِي(١)

والفضل ما شهدت به الأعداء كما أُثر عن العرب .

٢. الحوار أو التحوير في شروح الزيارة الجامعة الكبيرة المختارة

من القوانين المهمة التي وضعها النقّاد المحدثين ، وأوّل مَن أشار إلى هذا المصطلح ؛ هو الشكلاني الروسي ميخائيل باختين ، وكان يقصد به التناص بجملته؛ فهو يعرفه : بإنَّه ((فعلان لفظيان ، تعبيران اثنان متجاوران في نوع خاص من العلاقة الدلالية ندعوها نحن علاقة حوارية والعلاقات الحوارية هي علاقات (دلالية) بين جميع التعبيرات التي تقع ضمن دائرة التواصل اللفظي))(٢) ، إلَّا أنَّه ـ نعني باختين ـ كان يرى أن مجال التناص منحصرٌ في الرواية ولا يعبر إلى الشعر ؛ لأنَّ الشعر ينماز بلغة خاصَّة يجوز لناظمه ما لا يجوز لكاتب الرواية ؛ إذ إنَّ الناثر يستقي مادته وكثافة لغته من المجتمع فيميل إلى الموضوعية(٣) أكثر من الخيال ؛

---

١) أوَّليات أمير المؤمنين، شاكر هادي شكر،مؤسسة البلاغ، بيروت،لبنان ، ط١، ٢٠٠٢م: ٢٠٧.

٢) التناص ، تودوروف ، ترجمة : فخري الصالح ، مجلة الثقافة الأجنبية ، العدد ٤ – السنة ٨ ، ١٩٨٨ : ٤ ، ينظر: شفرات النص دراسة سيمولجية في شعرية القص والقصيد ، د. صلاح فضل ، دار الآداب ، القاهرة ، ١٩٩٩ : ١١٤

٣) ينظر: ميخائيل باختين المبدأ الحواري ، تودوروف وآخرون ، ترجمة : فخري الصالح ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط١ ،١٩٩٢ : ٨٦ .

لذا كل ما يرسمه الراوي يتمثل مشاهداً ذهينة أو مسرحية ، إلَّا أنَّ الشعر يصعب على متلقيه رسم صورته الواقعية .

لم توافق الدراسة على ما ذهب إليه باختين ومَن تابعه في ذلك ؛ لأنَّ مضمار التناص يصب في مجال تلاقح الأفكار واستدعاء النصوص المحبذة من قبل المُسنِّن؛ لذا كانت جوليا كرستيفا تعدُّ القطعة التناصيَّة قطعة موزائيكية ((وشبكة من العلاقات تتلاقى فيها نصوص عديدة وفق آلية من التقاطع والتعديل والتبادل بين وحدات هذه النصوص))([1]) ، وهذا أقرب تعريف ينطبق على الحوار الذي هو آليَّة من آليات التناص التطبيقيَّة .

فالتناص الحواري : هو التناص الذي يقوم الكاتب بمحاورة نصّ سابق بوساطة الإبقاء على بعض ألفاظه مع الإطار المعنوي العام ، فيكون النصُّ الجديد مزيجاً من ألفاظ قديمة متجاورة وألفاظ جديدة يأتي بها الكاتب ويزجها في سبكٍ سياقيٍّ وحبك معنوي يستدعي . به . ذهن المتلقي لاستقبال النص الجديد والاعتراف . ولو ضمناً . أنَّه من إبداع الكاتب ، وهذا يتكشَّف لدى الناقد المطَّلع على النص السابق والنص اللاحق فيضع إصبعه ليشير إلى التنصيص في النص الجديد.

وهذا المبحث مخصص بالتناص الديني في شروح الزيارة الجامعة الكبيرة المختارة ؛ إذ سنُشير إلى التناص الحوار القرآني والروائي في هذه الشروح.

من التناص الحواري الوارد في شروح الزيارة الجامعة الكبيرة ما ذكره **المجلسي الأوَّل** في معنى ((**وَمَهْبِطَ الوَحْي**))([2]) ، قال : ((إمَّا باعتبار هبوط الوحي إلى رسول

---

[1]) التناص معياراً نقديًا . شعر أحمد مطر إنموذجاً . : ٢٩ ، يُنظر : التناص المعرفي في شعر عز الدين المناصرة ، ليديا وعد الله ، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع ،عمان ، الأردن ، ط١ ، ٢٠٠٥ : ٩٨ .

[2]) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، المجلسي الأول : ٢٨ .

الله (صلى الله عليه وآله) في بيوتهم ، وأمَّا لغير حكم شرائع الأحكام من الأخبار والمغيَّبات .

أو الأعم [وهو نزولهم] في ليلة القدر ، ويكون باعتبار الشرائع تأكيداً))([1]) ، وهذا الكلام حوار مع قوله تعالى : ﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾{القدر/٤} ، لأنَّ هذه الآية المباركة تُثبت تنزل الملائكة كل سنة في ليلة القدر على القيِّم ؛ لذا أكَّد أئمةُ أهل البيت (صلوات ربي وسلامه عليهم) على المحاججة والمخاصمة بسورة القدر المباركة ؛ إذ جاء ((عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: **يَا مَعْشَرَ الشِّيعَةِ خَاصِمُوا بِسُورَةِ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ تَفْلُجُوا فَوَ اللَّهِ إِنَّهَا لَحُجَّةُ اللَّهِ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى عَلَى الْخَلْقِ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وَ إِنَّهَا لَسَيِّدَةُ دِينِكُمْ وَ إِنَّهَا لَغَايَةُ عِلْمِنَا...**))([2])، وبمجرد السؤال : على مَن تتنزل الملائكة ؟؟ ؛ سيتضح أنَّ النزول لم يكن محصوراً بالشأن النبوي وإنَّما يتسع إلى القيِّم من الذين عدَّهم الله ورسوله عِدلَ القرآن الكريم ، فاستطاع الشارح أن يُحاور المعنى مع بقاء بعض الألفاظ التي أشار بها إلى موضع الآية المراد التأكيد عليها ليصل إلى الحكمة المستغلقة في تأكيد النزول الملائكي عليهم (عليهم السلام) ، وهنا حاور الشارح الآية والرواية معاً ، إلَّا أنّ حواره فيه شيء من الإبهام قد يستغلق المعنى على المتلقي إن لم يكن قد اطَّلع على الرواية وحيثياتها ، فكان الغموض ملقياً ستاره على واجهة هذا النص الحواري .

---

[1]) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، المجلسي الأول : ٢٨ .

[2]) الكافي : ٢٤٩/١ ، يُنظر : مرآة العقول : ٨٧/٣ ، بحار الأنوار : ٧٢/٢٥ ، البرهان في تفسير القرآن : ٧٠٦/٥ ، تأويل الآيات الظاهرة : ٧٩٦ .

ومن التناص الحواري في شرح **المجلسي الأوَّل** ، ما ورد في شرحه لقول الإمام العاشر (عليه السلام) : ((**وأوْلِياءَ النِّعَمِ**))([1]) ؛ قال : ((فإنَّ النعم الحقيقية من العلوم والكمالات، وصلت منهم إلى الأمة، والنّعم الظاهرة نزلت بسببهم، فهم أولياء كُلّ نعمة من نعم الله تعالى على العباد، ...إنَّ بهم تُنزل السماء المطر، وبهم تنبت الأرض بركتها))([2]) ؛ فقد حاور في كلامه روايات عدَّة جاءت في أسفار المحدِّثينَ التي تذكر سرداً حوارياً بين سيد الكائنات وفيض الوجودات رسول الله (صلى الله عليه وآله) ؛ وسيد الوصيّين إمام المتقين (عليه السلام) ، وفي معرض كلام رسول الله قال لأمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليهما) : ((...**الأَئِمَّةُ مِنْ وُلْدِكَ، بِهِم تُسقَى أُمَّتِيْ الغَيْثَ، وَبِهِم يُسْتَجَابُ دُعَاؤهُم، وَبِهِم يُصْرَفُ البَلَاءُ عَنْهُم(أو يَصْرِفُ اللهُ عَنْهُم البَلَاءَ) ، وَبِهِم تُنْزَّلُ الرَّحْمَةُ مِنَ السَّمَاءِ**...))([3]) ، يشير الشارح إلى هذا المعنى بطرف خفي بحواريته مع هذا النص المبارك ، ورُبَما هذه الحوارية لم يقصد منها الإغماض بقدر اعتماده على فهم المتلقي من استحضار النصوص الأخرى المؤاتية على غرار الحوارية ، وبسبب اختصاره لشرح الزيارة المباركة ؛ عمد إلى الإحالة الإشارية بذكر المعنى العام للحديث الشريف مع الإبقاء على بعض الألفاظ المرادفة أو المباشرة في الحديث ؛ لذا جاءت الدراسة بالشاهد الروائي دون ذكر الرواية ، لأنّ موضع الشاهد يكفي لبيان المراد ، ومن الممكن أنّ الشارح فيما ذكره كان قاصداً الاختصار فيه لما هو موجه الشرح إليه وقتئذٍ ، فالعصر الذي كان فيه التأليف إبّان وجود المؤلّف ينماز بالإحالات والتلميح أكثر من السرد والتصريح.

---

[1]) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، المجلسي الأول : ٣٥ .

[2]) المصدر نفسه : ٣٥ .

[3]) بصائر الدرجات : ١٨٨.١٨٧/١ ، يُنظر : علل الشرائع : ٢٠٨/١ ، كمال الدين وتمام النعمة : ٢٠٦ ، الأمالي (الطوسي) : ٤٤١ .ووردت أحاديث أخرى بألفاظ أخرى تدل على المعنى ذاته، يُنظر : الكافي : ٥٧٥/٤ ، كامل الزيارات : ٣٦٢ ، الأمالي (الصدوق) : ٤٨٥.

وهناك مواضع حوارية أُخرى في شرح المجلسي الأوَّل([1]) ، إلّا أنَّنا نكتفي بهذا القدر للإشارة وليس للحصر ، كي نورد أكثر نصوص من الشروح المختارة ولا نضع اليد على أحدها ونُقصي الأخريات .

وجار التناص الحواري في شرح **المجلسي الثاني** أثناء معرض كلامه لشرح قول الإمام (عليه السلام) : ((**وشُّهداء على خَلْقِهِ**))([2]) ، قال الشارح : ((...أنَّ أعمال العباد تُعرض عليهم))([3]) ، حاور الشارح . في هذا النص . ما ورد عن الإمام أبي الحسن علي بن موسى الرضا (عليه السلام) قوله [نأخذ من الرواية موضع الشاهد]: ((...**إِنَّا مَعَاشِرَ الْأَئِمَّةِ تُعْرَضُ عَلَيْنَا أَعْمَالُ شِيعَتِنَا صَبَاحاً وَ مَسَاءً فَمَا كَانَ مِنَ التَّقْصِيرِ فِي أَعْمَالِهِمْ سَأَلْنَا اللَّهَ تَعَالَى الصَّفْحَ لِصَاحِبِهِ وَ مَا كَانَ مِنَ الْغُلُوِّ سَأَلْنَا اللَّهَ الشُّكْرَ لِصَاحِبِهِ**))([4]) ، فأشار الشارح بالتناص الحواري إلى هذه الرواية المباركة مع الإبقاء على الإطار المعنوي العام من جهة ؛ وبقاء بعض الألفاظ المتجاورة من الرواية في كلامه ؛ إلَّا أنَّه أحال القارئ إلى الروايات دون ذكرها معتمداً في ذلك على بحث المتلقي عنها ، ممكن ذلك كان موجهاً إلى طبقة من الدارسين أو الباحثين ؛ أو بسبب أنَّ اشتهار الرواية أغنى عن ذكرها .

ومن التناص الحواري الوارد في شروح الزيارة الجامعة المباركة المختارة ؛ ما جاء في شرح **الهمداني** عند بيانه امتداد الإمامة لتمام حقيقة النبوَّة ، قال :

---

[1]) يُنظر : شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، المجلسي الأوَّل : ٣٠ ، ٤١ ، ٩٠ ، ٩٨ ، ١٠٩ ، ١٢٤ .

[2]) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، المجلسي الثاني : ٢٢٢ .

[3]) المصدر نفسه : ٢٢٢ .

[4]) مناقب آل أبي طالب : ٣٤١/٤ ، يُنظر : مدينة معاجز الأئمة الإثني عشر ودلائل الحجج على البشر ، هاشم بن سُليمان البحراني ت(١١٠٧هـ) ، مؤسسة المعارف الإسلامية ، قم ، إيران ، ط١ ، ١٤١٣هـ : ٢٢٩/٧ ، بحار الأنوار : ٩٩/٤٩ .

((...فالإمام الذي هو النبأ العظيم والاسم الأكبر والآية العظمى والكلمة العليا والبحر الذي لا ينزف[1] . ولا يمكن نسبة الموجودات كلها إليه (عليه السلام) نسبة القطرة إلى البحر المحيط . أولى بأن يكون كذلك ، لما عرفت أنَّه (عليه السلام) مظهر كلي ومثال تام لحقيقة النبوَّة ، وأنَّه (عليه السلام) بالنسبة إلى خاتم الأنبياء (صلى الله عليه وآله) كذلك ، لقول علي (عليه السلام) : **أَنَا عَبْدٌ مِنْ عَبِيْدِ مُحَمَّدٍ** وهو (صلى الله عليه وآله) بالنسبة إلى الاسم المستأثر الذي هو حقيقة النبوَّة الإلهيّة كذلك، لأنَّه (صلى الله عليه وآله) آية منها وهو مخلوق من نور ذاته تعالى . لا هو ذاته تعالى . اسمه مشتقّ من اسمه الحميد))[2] ، في هذا المقطع من الشرح ؛ نجد الشارح قد حشَّد ابعاض آيات وروايات ومعانٍ سامية وقولبها في سياق محبوك الدلالة أدّى من خلالها مراده الذي رامه .

من ذلك ما هو حوار مع قوله تعالى : ﴿قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ﴾{ص/٦٨} ، وقوله تعالى : ﴿عَمَّ يَتَسَاءلُونَ ﴿١﴾ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ ﴿٢﴾ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ﴾{النبأ/٣} ، وكذلك فيه حوار مع قوله تعالى : ﴿ . . .وَكَلِمَةُ اللّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾{التوبة/٤٠} ، وقد فسرت الروايات المباركة هذه الآيات بأمير المؤمنين[3] والأئمة (عليهم السلام) بالتبعية له ، هذا ما جاء بالحوار القرآني .

والنصُّ فيه حوار روائي في رواية جاءت ((عَنِ الْأَصْبَغِ بْنِ نُبَاتَةَ قَالَ : سَمِعْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام يَقُولُ : **إِنَّ لِلَّهِ عِلْمَيْنِ عِلْمٌ اسْتَأْثَرَ بِهِ فِي غَيْبِهِ فَلَمْ يُطْلِعْ**

---

[1] كذا في الأصل ، والصواب : لا ينضب .

[2] الشموس الطالعة من مشارق الزيارة الجامعة الكبيرة ، الهمداني : ٥٢٠.٥٢١ .

[3] يُنظر : الكافي : ٤١٨/١ ، عيون أخبار الرضا : ٦/٢ ، مناقب آل أبي طالب : ١١٨/٢ ، تفسير فرات الكوفي : ٥٣٣/٢ ، تفسير الصافي : ٢٧٣/٥ ، البرهان في تفسير القرآن : ١٣٠/٤ .

عَلَيْهِ نَبِيّاً مِنْ أَنْبِيَائِهِ وَ لَا مَلَكاً مِنْ مَلَائِكَتِهِ وَ ذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى :﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ ما فِي الْأَرْحامِ وَما تَدْرِي نَفْسٌ ما ذا تَكْسِبُ غَداً وَما تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ وَ لَهُ عِلْمٌ قَدِ اطَّلَعَ عَلَيْهِ مَلَائِكَتُهُ فَمَا اطَّلَعَ عَلَيْهِ مَلَائِكَتُهُ فَقَدِ اطَّلَعَ عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ وَ آلُهُ وَ مَا اطَّلَعَ عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ وَ آلُهُ فَقَدْ أَطْلَعَنِي عَلَيْهِ [يَعْلَمُهُ] الْكَبِيرُ مِنَّا وَالصَّغِيرُ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ))([1]) ، فكانت إشاراته إلى الآيات والروايات بأسلوبٍ انماز بقوّة السبك اللفظي ومتانة الحبك الدلالي، ولم يتأتّى هذا الحوار لكلِّ كاتب ؛ وإنَّما نجده عند الذين يبحثون وراء اللفظ ولستنطقوا السياقات بترتيب التسنين.

وليس هذا فحسب ؛ فقد اختتم الشارح كلامه بحوار مع قول سيد البطحاء وبيضة العرب ، الذي آوى ونصر وآزر رسول الله (صلى الله عليه وآله) عمّه وحاميه ؛ أبي طالب بن عبد المطلب (عليهما السلام) من مقطوعة له يقول فيها : [من الطويل]

وَ شَقَ لَهُ مِنِ اسْمِهِ لِيُجِلَّهُ فَذُو الْعَرْشِ مَحْمُودٌ وَ هَذَا مُحَمَّدُ([2])

ولو شهد لأبي طالب (عليه السلام) هذا البيت بالإيمان لكفى ، ولكنَّ حقدَ القوم يأبى إلا تكفيره ، ولا يضير الشمس نباح الثعالبِ ، فهو كان ولا يزال نجماً يتلألأ في سماء الإسلامِ عزّاً وكرامةً وفضلاً .

---

[1]) بصائر الدرجات : ١١١/١ .

[2]) ديوان أبي طالب بن عبد المطلب ، تحقيق : محمد حسن آل ياسين ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت ، لبنان ، د.ط ، ٢٠٠٩م : ٣٣٢ ، يُنظر : مناقب آل أبي طالب : ٦٩/١ ، يُنظر : بحار الأنوار : ١٢٠/١٦ ، مواهب الواهب في فضائل والد أمير المؤمنين أبي طالب (عليه السلام) ، الشيخ جعفر بن محمد النقدي ت(١٣٦٩هـ) ، تحقيق : د. محمد هادي الأميني ، الكتبي للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، ط٢ ، ١٩٩٣م : ١٣٨ . وقد ذكر هذا البيت كثير من العلماء في مصنفاتهم ؛ وما ذكرناه للتمثيل لا للحصر .

إذن : استطاع الشارح أن يحتوي مجموعة من النصوص ويحاورها محاورة الحرّيف المتمكن من أدواته ، وبسببها يصل بالمستقبِل إلى أفانين الحكمة المستغلقة، ولعلَّ النصَّ يحمل محاورة لنصوص أخرى خفيت علينا ؛ لأنَّنا نُشير إلى ما نكتنزه من معرفة في النصوص ، ويقيناً عرفنا شيئاً وغابت عنّا أشياء كثيرة ؛ لذا لا ندَّعي المعرفة التامَّة بالنصوص بقدر التلميح إلى بعض ما فيها .

ومثل هذا الحشد المعرفي يسبكه **الهمداني** في قوله : ((...هو الله الخالق البارئ المصوّر المتفرد بالتصرف في خلقه بلا واسطة ، ولم يكن له واسطة ولا وليّ من الذُّل ، ولا وزير ولا مشارك ، سبحانه وتعالى عمَّا يصفون))([1]) ؛ حيث نجد صدر الكلام هو حوار مع قوله تعالى : ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾{الحشر/٢٤} ، ثمَّ يحاور آية أخرى في السياق ذاته وكأنَّه سبك واحد مقصود ؛ في قوله تعالى : ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾{الإسراء/١١١} .

وبعد ذلك اختتم كلامه من مسك الذكر الحكيم في محاورته لقوله تعالى : ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ﴾{الأنعام/١٠٠} ، فكان لتوظيف المعنى القرآني . مع الألفاظ المتناثرة منه . جمالاً خاصَّاً رصَّع فيه الشارح هذه المقطوعة من شرحه، وإمكاناته في رصف معاني لآيات متفرقة من القرآن الكريم كشف عن حصيلة دينية قرآنية مركوزة في ذهن الشارح يستعين بها في تثبيت المراد وكشف الحكمة من الألفاظ الواردة في الزيارة الجامعة الكبيرة المباركة ، فما بين آية الحشر وآية الإسراء وآية الأنعام بون شاسع بالمعنى العام للآيات في كلِّيّتها ؛ فآية الحشر تتكلم عن التسبيح وبيان قدرة الله تعالى

---

[1]) الشموس الطالعة من مشارق الزيارة الجامعة ، الهمداني : ٥٢٢ .

في الخلق ، وآية الإسراء تتكلم عن التوحيد وعدم الإشراك به وبيان صمديته تعالى ، وآية الأنعام تتكلم عن نفي احتياج الله تعالى لخلقه ؛ إلّا أنَّ الشارح استلهم بعض ألفاظ هذه الآيات المباركة وصبَّها في قالب من الكلمات برَّزَ فيها معنى واحداً مفاده كل المعاني الواردة في الآيات الثلاث ، وهو عمل جدير بالتبجيل ؛ إذ عمل من الآيات المباركة نسيجاً بديعاً متقناً أدّى من خلاله مراده .

أمَّا التناص الحواري في شرح **الأحسائي** ؛ فقد ورد كثيراً في صفحاته ، وسنقتصر على ذكر نماذج منها دون الإطناب .

جاء التناص الديني الحواري في شرح **الأحسائي** في قوله : ((...فإنَّ العارف مرَّة ينظر في وجوه الحكمة في وجود المصنوعات فيقول ما خلقت هذا باطلاً ومرَّة ينظر ما فيها من العبر الدالة على فناء الدنيا وبقاء الآخرة وسرعة هجوم الموت ... وإن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم ومرَّة ينظر فيما كتب فيها من أدلّة العلوم على كل مسألة أصلية أو فرعية يعرفها أهل العلم (عليهم السلام) ... وهذا معنى قوله عليه السلام **الْمُؤْمِنُ نُطْقُهُ ذِكْرٌ وَ صَمْتُهُ فِكْرٌ وَ نَظَرُهُ اعْتِبَار**))([1]) ، استعان الشارح بألفاظ من قوله تعالى : ﴿**الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ**﴾{**آل عمران/١٩١**} ، وذات المعنى الذي تحمله الآية المباركة استلهمه الشارح ووظَّفه في نصِّه على أنَّ الكلام يأتي على لسان العارف في شؤون الحياة والشؤون الدين والدنيا ، فالذي عنده دقَّة الملاحظة في الحياة الدنيا سينكشف له فناؤها وبقاء الدار الآخرة.

وكذلك جاء حواره مع قول الله تعالى : ﴿**بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى**﴾{**الأعلى/١٧**} ، و حوار مع قوله تعالى : ﴿**أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ**

---

[1]) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، الأحسائي : ٣٣/٢ .

وَالأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾{الأعراف/١٨٥}؛ إذ استقطب ألفاظاً من هذه الآيات الشريفة وصاغ منها معنى متكاملاً على لسان العارف بالله وكيف ينظر إلى الحياة ، ولم يُحيل أنصاف الآيات إلى منابعها القرآنية، فهو عالم بما يفعل من استلهام هذه المعاني المتفرقة في الآيات وسبكها في قالب يحوي معنى واحد .

والمأخذ على هذا النص الوارد في شرح الأحسائي ؛ هو ذكره النصوص بطريقة التدويل أو التدوير دون ذكر أصول ورودها ؛ فقد ذكر قول الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) : ((**الْمُؤْمِنُ نُطْقُهُ ذِكْرٌ وَ صَمْتُهُ فِكْرٌ وَ نَظَرُهُ اعْتِبَار**))([1]) ، وهو تدويل مباشر وظَّفه الشارح في قوله هذا دون ذكر المصدر ، وهو أسلوب اتخذه الأحسائي منهجاً في شرحه من ذكر الروايات وعدم إرجاعها إلى مصادرها ؛ فيُعدُّ هذا مأخذاً على الشارح المتخذ النصوص سبيلاً للشرح .

وغيرها من موارد التناص الحواري الديني الوارد في شرح الأحسائي([2]) ، وما ذكرناه على سبيل التمثيل لا الحصر .

وجاء الحوار الديني في شرح **السند** حينما فسَّر قوله تعالى : ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾{القيامة/٢٥}، قال الشارح : ((لا نعني بالنظر هنا النظر إلى شاب أمرد جميل . والعياذ بالله . وليست تلك الرؤية رؤية جسمانية ، إنَّما هي رؤية قلبية : تُدركه

---

[1]) إرشاد القلوب إلى الصواب ، حسن بن محمد الديلمي ت(٨٤١هـ) ، منشورات الشريف الرضي، قم ، إيران ، ط١ ، ١٤١٢هـ : ٨٣/١ .

[2]) يُنظر على سبيل المثال : شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، الأحسائي : ١١٩/١، ١٢٤ ، ١٥٨، ٤٧/٢ ، ٤٩ ، ١٢٩ ، وغيرها .

القلوب بحقائق الإيمان...))([1])، في هذا النص يُعرِّض الشارح بما يعتقده علماء مدرسة الصحابة بالحديث الذي ذكروه وهو ما ((رَوَاهُ النَّضْرُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنِ الْأَسْوَدِ بْنِ عَامِرٍ بِإِسْنَادِهِ أَنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمَ رَأَى رَبَّهُ **فِي صُورَةِ شَابٍّ أَمْرَدَ، دُونَهُ سِتْرٌ مِنْ لُؤْلُؤٍ قَدَمَيْهِ** . أَوْ قَالَ: **رِجْلَيْهِ** . **فِي خُضْرَةٍ.**))([2]) ، فعرَّض الشارح بهذه الرواية بأسلوب مهذَّب وعلميٍّ في سبيل الإحالة والرفض ، فلم يذكر الراوي أو المصدر لأنَّ ذلك يقدح في عقيدة عليها كثير من الناس ، وهذا من باب الدعوة بالموعضة والحوار الأحسن .

نفى الشارح بهذا النص حقيقة الرواية وبثَّ من طريقها عقيدته التي تقول بنفي التجسيم والتأيين والحد والاستواء والتعديد والحيِّز ...إلى آخره ، وأكَّد على ذلك بقول الإمام أمير المؤمنين ومولى الموحدين علي بن أبي طالب (عليه السلام) : ((**لَمْ تَرَهُ العُيُوْنُ بِمُشَاهَدَةِ الأَبْصَارِ وَ لَكِنْ رَأَتْهُ القُلُوْبُ بِحَقَائِقِ الإِيْمَانِ ، لَا يُعْرَفُ بِالقِيَاسِ وَ لَا يُدْرَكُ بِالحَوَاسِ وَ لَا يُشَبَّهُ بِالنَّاسِ**))([3]) ؛ فقد حاور الشارح روايتين في آنٍ واحد؛ نفى مفهوم أحدهما وأثبت مفهوم الأخرى ، إلَّا أنَّه لم يذكر أنَّ في كلامه روايات قد وضع يده على مفهومها ؛ بل ترك الأمرَ إلى المتلقي ليستبين الأمر ، رُبَما كان ذلك بسبب الاختصار الممنهج في هذا الشرح ، وإلّا كان عليه أن يوضِّح ويبسط القول

---

[1]) في رحاب الزيارة الجامعة الكبيرة ، السند : ٦٣ .

[2]) الأسماء والصفات ، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي ت(٤٥٨هـ) ، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: عبد الله بن محمد الحاشدي ، مكتبة السوادي، جدة – المملكة العربية السعودية ، ط١ ، ١٩٩٣م : ٣٦٣/٢ ، يُنظر : الترغيب في فضائل الأعمال وثواب ذلك ، أبو حفص عمر بن أحمد بن عثمان بن أحمد بن محمد بن أيوب بن أزداذ البغدادي المعروف بـ ابن شاهين ت(٣٨٥هـ) ، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل ، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان ، ط١، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٤ م : ١٦٢/١ . وغيرها من المصادر التي ذكرت هذه الرواية .

[3]) شرح أصول الكافي ، ملا صدرا : ١٦٠/٣ ، يُنظر : بحار الأنوار : ٤٨/١٠٨ .

في ذلك لأنَّ المفهوم العام المقصود مستغلق على القارئ ، وهذا النص يُثير عدَّة أسئلة مثل : مَن يقول بالتجسيم ؟ ما قصَّة الشاب الأمرد ؟ ما المقصود بالنظر ؟ ما المقصود بالنضر ؟ وغيرها من الأسئلة ، كان على الشارح بيانها .

وكذلك جاء التناص الديني الحواري في شرح **الميلاني** ؛ إذ ذكر قصَّة فيها كرامة لجدِّه ثمَّ قال : ((فإذا كان هذا شأن السيد الميلاني قُدِّس سره فما بالك بالأئمة عليهم السلام الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً))([1]) ، فهو حوار مع قوله تعالى : ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾{الأحزاب/٣٣} ؛ حيث أراد الشارح أن يثبت ـ بهذه الحوارية ـ المعجزات والكرامات إلى أهل بيت النبوَّة ومعدن الرسالة الذين اصطفاهم الله من بين الخلق وفضلهم على من سواهم ، وهذه هي عقيدة الشارح التي صرَّح فيها في غير موضع من شرحه للزيارة الجامعة الكبيرة ، ولا نحسب أنَّه جاء بذكر ألفاظ الآية المباركة على سبيل توارد الخواطر ؛ وإنَّما كان ذكرها عن قصد وتأكيد وتثبيت ؛ لأنَّ الأمر كان في سياق بيان العقيدة وتثبيت الكرامة ، ومن ذلك نستشفُّ مدى القدرة على بث العقيدة بطرق متعددة لدى الشارح .

والتناص الحواري في شرح الميلاني كثير([2]) ، إلّا أنَّ الدراسة تكتفي بما ذكرته تجنباً للإسهاب .

وحاور **الوحيدي** مجموعة من الآيات القرآنية المباركة في معرض كلامه عن فقرات الزيارة الجامعة المباركة ، قال : ((تشتمل فقراتها على إشارات لطيفة هي أدلة وبراهين متعلقة بأصول الدّين ، وأسرار الأئمّة الطّاهرين عليهم السلام ، وتحتوي على لمحات من فضائل ومناقب أولياء الدّين ، وتتضمن بعض الحقوق الحقّة لأولى

---

[1]) مع الأئمة الهداة ، الميلاني : ٧٩ .

[2]) يُنظر : المصدر نفسه : ١٠ ، ٨٣ ، ٨٥ ، ٩١ ، ١٢٠ ، وغيرها .

الأمر الذين أمر الله عزّ وجلّ بطاعتهم ، وأهل البيت رغبّ ربّ العزّة والجلالة على متابعتهم ، وذوي القربى الذين أوجب مودّتهم ، وأهل الذكر الذين أكّد القرآن الكريم من بمسألتهم))([1]) ، فلو أنعمنا النظر في هذه الفقرة نجدها عبارة عن قطعة مزخرفة من الذكر الحكيم أراد الشارح بها أن يلفت نظر القارئ إلى مقامات أهل البيت (عليهم السلام) القرآنية قبل الشروع ببيان مقاماتهم في فقرات الزيارة الجامعة الشريفة.

فنجد فيها حواراً مع قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾ {النساء/٥٩} ، وكذلك فيها حوار مع قوله تعالى : ﴿اتَّبِعُوا مَن لاَّ يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ ﴿يس/٢١﴾ ، إضافة إلى حواره مع قوله تعالى : ﴿ . . .قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى. . . ﴾ {الشورى/٢٣} ، واختتم قوله في هذه القطعة بآية الرجوع إليهم (عليهم السلام) حصراً دون غيرهم ، وهو حوار مع قوله تعالى : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾ {الأنبياء/٧} ، فكانت . هذه القطعة . قرآنية في المعنى ؛ وللشارح اللفظ ، مع التبرُّك والتأييد بالألفاظ القرآنية المتجاورة من الآيات التي استعارها الشارح ووظفها توظيفاً رائعاً في نصّه ، فأراد بهذا التوظيف إحالة الذهن إلى المقامات الإلهية التي حبى الله تعالى نبيَّه الكريم وأهل بيته (صلوات ربي وسلامه عليهم أجمعين) ؛ فإذا كانت هذه المقامات المحمودة في كتاب الله عزَّ وجل ؛ فما يذكره الإمام الهادي (عليه السلام) هي امتداد لما أرادها الله لهم .

إلّا أنّ المأخذ على الشارح هو ؛ عدم ذكر الآيات القرآنية في هذا النص معتمداً على المفهوم السائد لدى الناس ، وهذا لا يعفيه من التأكيد عليها بالإحالة أو الإشارة أو الذكر المباشر للآيات المباركة ، لأنَّ التأليف من شأنه لا يكون لفئة دون أخرى ؛

---

[1]) أنوار الولاية الساطعة ، الوحيدي : ٨ .

وإنَّما هو مباح وبمتناول جميع الطبقات ، وسيصعب فهم الإحالة والحوار على قليلي المعرفة بالقرآن الكريم ؛ لذا كان عليه التصريح دون التلميح .

وهناك موارد أُخرى في هذا الموضوع عند الوحيدي([1]) ، وذكرها يطول المقام فيه ، فما ذكرناه للتمثيل .

وحوار ديني جاء في شرح **الصدر** حينما شرع ببيان قول الإمام العاشر (عليه السلام) : ((**الْفائِزُونَ بِكَرامَتِهِ**))([2]) ، قال الصدر : ((...ولا غرو في ذلك فإنّهم أهل بيت من هو سيّد النبيين ومن هو رحمة الله للعالمين.))([3]) ، مؤكداً على سيادتهم على الخلق، وهذا حوار مع قوله تعالى : ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ**﴾**{الأنبياء/١٠٧}** ؛ إذ استلهم الشارح معنى الآية المباركة في بيان مقام الفوز بكرامة الله تعالى ، ولكنَّه لم يُشر أو يُحيل إلى الآية المباركة أو بيان استلهامه منها، وهذا بوساطة التدويل الديني من القرآن الكريم والروايات الكريمة صار الشارح الديني يُحاور النصوص المقدَّسة بقصد أو من دون قصد تثبيتاً وتأييداً لما يذهب إليه الباث؛ إذ يجعل النصوص الدينية بمثابة دِعامة يسند بها قوله ويبلغ بوساطتها مرامه؛ لذا نجد الكاتب الديني ينماز بلياقة تعبيرية تناصِّية يُخبّء بين طياتها ألفاظه ويُناثر عقيدته داخل إطار النصوص .

٣. الامتصاص الديني في شروح الزيارة الجامعة الكبيرة المختارة

يُقصد بالامتصاص ؛ تذويب ألفاظ النص الغائب وإعادة صياغته تحت مفهوم الدلالة القديمة للنصِّ الذائب وفق متطلبات متجددة أو تاريخية([4]) ، و((ينطلق هذا

---

[1]) يُنظر : أنوار الولاية الساطعة ، الوحيدي : ٢٠ ، ٣٨ ، ٦٦ ، ١٢٧ .

[2]) في رحاب الزيارة الجامعة الكبيرة ، الصدر : ٢٥٤ .

[3]) المصدر نفسه : ٢٥٤ .

[4]) يُنظر : ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب العربي :٢٥٣ .

القانون من فكرة الإقرار بأهمية النص الغائب وقداسته ولكنه يتعامل وإياه كحركة وتحول لا ينفيان الأصل ، بل يسهمان في استمراره كجوهر قابل للتجدد))([1]) ، وإرادة البحث في النصوص الدينية تستدعي الحصيلة اللغوية المعرفية الدينية التي حصل عليها الباث في مسيرته الدراسية ، فيقوم بتسخير كامل إمكاناته المعرفية في سبيل البحث الديني، وهذا ما نجده في شروح الزيارة الجامعة المباركة ، فهي عبارة عن تذويب الألفاظ القرآنية داخل الشكلانية الجديدة للنصوص الواردة عن المعصوم ؛ لذا سنذكر أمثلة لهذه الامتصاصات الدينية كنماذج لا للحصر لأنَّها ـ بكُلِّيَّتها ـ عبارة عن امتصاص كبير لآيات الذكر الحكيم ؛ حيث أنَّها صادرة عن الثقل الأصغر المتمثل بالإمام علي بن محمد الهادي (عليه السلام) .

جاء الامتصاص في شرح **المجلسي الأوَّل** في قوله : ((وقارب بين خطاك للوقار، ولحصول كثرة الثواب فإنَّ له بكلِّ خطوة حجة وعمرة...))([2]) ، استلهم الشارح هذا المعنى مما أُثر عن صادق العترة الإمام جعفر بن محمد (عليهما السلام) قوله : ((**مَنْ زَارَ أَمِيْرَ المُؤمِنِيْنَ عَلِيَّ بنَ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَارِفَاً بِحَقِّهِ كُتِبَ لَهُ بِكُلِّ خُطْوَةٍ حَجَّةٌ مَقْبُولَةٌ وَعُمْرَةٌ مَبْرُوْرَةٌ، وَاللَّهِ مَا يُطْعِمُ اللَّهُ النَّارَ قَدَمَاً تَغَبَّرَتْ فِيْ زِيَارَةِ أَمِيْرِ المُؤمِنِيْنَ عَلَيْهِ السَّلامُ مَاشِيَاً كَانَ أَوْ رَاكِبَاً**))([3]) ، ومثل هذه الرواية في الإمام أبي عبد الله الحسين (عليه السلام) مع بيان رفعة المقامات للزائر

---

[1]) لغة الشعر عند أحمد مطر ، رسالة : ٢٢١ .

[2]) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، المجلسي الأوَّل : ١٩ .

[3]) الغارات ، إبراهيم بن محمد بن سعيد الثقفي ت(٢٨٣هـ) ، لجنة الآثار الوطنية ، طهران ، إيران ، ط١ ، ١٣٩٥هـ : ٨٥٤/٢ ، يُنظر : الكافي : ١٨٤/٢ ، الأصول الستة عشر ، جمع من العلماء ، مؤسسة دار الحديث الثقافية ، قم ، إيران ، ط١ ، ١٤٢٣هـ : ٢٢٨ .

في كل رواية خاصَّة في الزيارة([1]) ، من هذه الروايات المباركة استنبط الشارح معنى قول الإمام (عليه السلام) بتقريب الخُطى أثناء الزيارة وهي دعوى منه (عليه السلام) وإرشاد وتوجيه بحصول الثواب الجزيل من كلِّ زيارة ، فكان تناص الشارح تناصَّاً امتصاصيَّاً من الروايات الصادرة عن المعصوم مع ابقائه للمعنى العام للروايات بألفاظ جديدة خاصَّة بالشارح .

وجاء الامتصاص عند **المجلسي الأوَّل** في شرحه حينما شرع ببيان مقام من مقامات مولى الموحدين وإمام المتقين الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) فقال: ((...إنَّه عليه السلام كان شريكه صلى الله عليه وآله في العلم ، وما كان الفضل إلّا النبوَّة العظمى له صلى الله عليه وآله وإلّا فمرتبته عليه السلام كانت أرفع من جمع الأنبياء على ما يظهر من الأخبار المستفيضة))([2]) ، هذا النَّصُ هو امتصاص من قول النبي الكريم محمد (صلى الله عليه وآله) لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) في حديث المنزلة : ((**يَا عَلِيُّ أَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى غَيْرَ أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي**))([3]) ، ومن الحديث الشريف ننتقل إلى الآيات القرآنية التي تُبيِّن منازل هارون من موسى (عليهما السلام) فنجدها في طلب موسى (عليه السلام) من الله عزَّ وجلَّ في قوله تعالى : ﴿**وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَارُونَ أَخِي**

---

[1]) يُنظر : الكافي : ٢٠٦/٨ ، ٥٨٦ ، ٣٢٤/٩ ، كامل الزيارات : ١٣٢ ، من لا يحضره الفقيه : ٥٨٠/٢ ، وغيرها .

[2]) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، المجلسي الأوَّل : ٢١ .

[3]) كتاب سُليم بن قيس الهلالي : ٩٠٣ . يُنظر : تفسير القمّي : ٢٩٢/١ ، صحيح مسلم ، مسلم بن الحجاج النيسابوري ، شرح النووي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط٢ ، ١٤٠٧هـ : ٨٧٠/٤، الأمالي ، الشيخ الصدوق : ٤٦ . الكافي :١٠٧/٨ ، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني ت(٨٥٢هـ) ، دار المعرفة ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٩٩م : ٤٧٣/٣ ، وهو من أشهر الأحاديث المتواترة الصحيحة التي ذكرتها المصادر الإسلامية بمختلف مشاربها .

﴿ ٣٠ ﴾ اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي ﴿ ٣١ ﴾ وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي ﴾{طه/٣٢} ؛ إذ استلهمَ الشارح المعنى العام من الحديث والآيات المباركة وصاغ نصَّه من المفهوم الكامل للنصوص المقدَّسة ليبثَّ به الحكمة في استلهامه المعنى وتوظيفه داخل سياق كلامه ، فكان تناصَّه بطريقة الامتصاص للمعنى وصبَّه في قالب كلماته لبيان المقام الأسمى الذي يتمتع به أمير الكون الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) ، وهي عقيدته التي ينتمي إليها الشارح وفي معتقده أنَّ المرتبة التي حازها الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) مرتبة لا يعلوه أحد بها إلَّا سيد العرب والعجم ونور الأمم ؛ معدن الخير ؛ رسول الإنسانية ؛ النبي الأكرم محمد بن عبد الله (صلوات ربي وسلامه عليهم أجمعين) ، إلّا أنَّ الشارح لم يُشر إلى المقامات صراحة ؛ وإنَّما أحال ذهن المتلقي إليها بسيميائية ذكيَّة كشفت عن التسليم المطلق إلى هذه المقامات من جهة ؛ وتحريك همَّة المتلقي للاستفهام من جهة أخرى.

ومثل هذا الامتصاص الديني ورد في مواضع أخرى من شرح المجلسي الأوَّل([1])، إلّا أنّ ذكرها يطول المقام فيه ، وهذا للمثال .

ومن التناص بطريقة الامتصاص نجده في شرح **الهمداني** في قوله : ((...ما جاء عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يُؤخذ به ، وما نهى عنه يُنتهى، جرى له من الفضل ما جرى لرسول الله صلى الله عليه وآله ، ولرسوله الفضل على جميع من خلق الله ، العائب على أمير المؤمنين في شيء كالعائب على الله وعلى رسوله صلى الله عليه وآله ، والراد عليه في صغير وكبير على حد الشرك بالله))([2])، وهذا القول امتصاص من آية ورواية ، فالآية ؛ قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن

---

[1]) يُنظر : شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، المجلسي الأوَّل : ١٦ ، ٢٨ ، ٦٢ ، ٧٣ .

[2]) الشموس الطالعة من مشارق الزيارة الجامعة ، الهمداني : ٥٣٤.٥٣٥ .

﴿كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾ {النساء/٥٩} ، وقد جاء التفسير بأمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) المقصود بأولي الأمر(١) ، فكانت الإطاعة والتسليم واجبة في كل الأمور لولي الأمر ، والمخالف له ؛ مخالف لله وللرسول .

أمَّا الرواية التي حمل هذا المعنى ؛ ما جاء ((عَنْ عُمَرَ بْنِ حَنْظَلَةَ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام عَنْ رَجُلَيْنِ مِنْ أَصْحَابِنَا يَكُونُ(٢) بَيْنَهُمَا مُنَازَعَةٌ فِي دَيْنٍ أَوْ مِيرَاثٍ فَتَحَاكَمَا إِلَى السُّلْطَانِ أَوْ إِلَى الْقُضَاةِ أَ يَحِلُّ ذَلِكَ فَقَالَ [:]**مَنْ تَحَاكَمَ إِلَى الطَّاغُوتِ فَحَكَمَ لَهُ فَإِنَّمَا يَأْخُذُ سُحْتاً وَ إِنْ كَانَ حَقُّهُ ثَابِتاً لِأَنَّهُ أَخَذَ بِحُكْمِ الطَّاغُوتِ وَ قَدْ أَمَرَ اللَّهُ أَنْ يُكْفَرَ بِهِ** قُلْتُ [:] كَيْفَ يَصْنَعَانِ ؟ قَالَ : **انْظُرُوا إِلَى مَنْ كَانَ مِنْكُمْ قَدْ رَوَى حَدِيثَنَا وَ نَظَرَ فِي حَلَالِنَا وَ حَرَامِنَا وَعَرَفَ أَحْكَامَنَا فَارْضَوْا بِهِ حَكَماً فَإِنِّي قَدْ جَعَلْتُهُ عَلَيْكُمْ حَاكِماً فَإِذَا حَكَمَ بِحُكْمِنَا فَلَمْ يَقْبَلْهُ مِنْهُ فَإِنَّمَا بِحُكْمِ اللَّهِ قَدِ اسْتَخَفَّ وَ عَلَيْنَا رَدَّ وَ الرَّادُّ عَلَيْنَا الرَّادُّ عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَى حَدِّ الشِّرْكِ بِاللَّهِ**))(٣)، فالشارح اعتمد على المعنى العام للآية والرواية في صياغة عبارته المذكورة .

ونجد الشارح في ما ذكر ؛ أنَّه حوَّل المعنى لصيغة المتكلِّم ؛ إذ يُوحي للمتلقي أنَّ الألفاظ والمعاني معاً من نسج الكاتب لأنَّه لم يجد ما يُحيل إلى الآية والرواية مما يجعله يؤمن بإصدار الكلام من الباث مباشرة ، ولعلَّ استقرار المعنى في ذهن الطبقة التي يتعايش فيها الباث ساعدت على جعل المعنى من المسلَّمات ولم يحتج

---

١) يُنظر : التبيان في تفسير القرآن : ٢٣٥/٣ ، تفسير العياشي : ١٧٨/١ ، نور الثقلين : ٣٥٧/١، البيان في تفسير القرآن ، أبو القاسم الموسوي الخوئي ت(١٤١٣هـ) ، مؤسسة الخوئي الإسلامية، ط٤ ، ٢٠٠٩م : ٤٧٠، والمكتبة الشاملة رقم الصفحة : ١٥٤ .

٢) كذا في الأصل ، والصواب : تكون .

٣) الكافي : ٤١٢/٧ .

الشارح إلى توضيحها وذكر متعلقات قوله وانتماءاته ، فكان الامتصاص للمعنى قد وجَّه الهدف من دون الذكر المباشر للأصول الدينية للعبارة .

وورد أيضاً التناص بطريقة الامتصاص في قول **الهمداني** : ((كان أمير المؤمنين عليه السلام باب الله الذي لا يؤتى إلا منه ، وسبيله الذي من تمسك بغيره هلك ، كذلك جرى حكم الأئمة عليهم السلام بعده واحداً بعد واحد ، جعلهم أركان الأرض ، وهم الحجّة البالغة على من فوق الأرض وعلى مَن تحت الثرى ...))([1]) ، فهذا النصَّ امتُصَّ من رواية وآية ؛ وحوار مع آية أخرى . كما سنبيّن . ، فالرواية هي قوله رسول الله (صلى الله عليه وآله) : (عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام قَالَ: **قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله عَلَى مِنْبَرِهِ : يَا عَلِيُّ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَ جَلَّ وَهَبَ لَكَ حُبَّ الْمَسَاكِينِ وَ الْمُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ فَرَضِيتَ بِهِمْ إِخْوَاناً وَ رَضُوا بِكَ إِمَاماً فَطُوبَى لِمَنْ أَحَبَّكَ وَ صَدَّقَ عَلَيْكَ وَ وَيْلٌ لِمَنْ أَبْغَضَكَ وَ كَذَّبَ عَلَيْكَ يَا عَلِيُّ أَنْتَ الْعَالِمُ [الْعَلَمُ] لِهَذِهِ الْأُمَّةِ مَنْ أَحَبَّكَ فَازَ وَ مَنْ أَبْغَضَكَ هَلَكَ يَا عَلِيُّ أَنَا مَدِينَةُ الْعِلْمِ وَ أَنْتَ بَابُهَا وَ هَلْ تُؤْتَى الْمَدِينَةُ إِلَّا مِنْ بَابِهَا**))([2]) ، فكانت العبارة الأولى من النص قد امتصَّ معناها الشارح من هذه الرواية المباركة .

أمَّا العبارة الثانية في النصّ ؛ هي امتصاص من قوله تعالى : ﴿**لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾{البقرة/٢٥٦} ، وقد ورد عن ((أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: **مَضَى رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وَخَلَّفَ فِي أُمَّتِهِ كِتَابَ اللَّهِ وَوَصِيَّهُ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ عليه**

---

[1]) الشموس الطالعة من مشارق الزيارة الجامعة ، الهمداني : ٥٣٥ .

[2]) الأمالي ، الصدوق : ٥٦١ ، يُنظر : تفسير القمي : ٦٨/١ ، عيون أخبار الرضا : ٢٣٣/١، المجازات النبوية ، محمد بن الحسين (الشريف الرضي) ت(٤٠٦هـ) ، دار الحديث ، قم ، إيران ، ط١ ، ١٤٢٢هـ : ١٩٩ ، الأمالي ، الطوسي : ٤٣١ .

السلام وَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَ إِمَامَ الْمُتَّقِينَ وَ حَبْلَ اللَّهِ الْمَتِينَ وَ العروة [عُرْوَتَهُ] الْوُثْقَى الَّتِي لَا انْفِصامَ لَها وَ عَهْدَهُ الْمُؤَكَّدَ صَاحِبَانِ مُؤْتَلِفَانِ يَشْهَدُ كُلُّ وَاحِدٍ لِصَاحِبِهِ بِتَصْدِيقٍ يَنْطِقُ الْإِمَامُ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ فِي الْكِتَابِ بِمَا أَوْجَبَ اللَّهُ فِيهِ عَلَى الْعِبَادِ مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ وَ طَاعَةِ الْإِمَامِ وَ وَلَايَتِهِ وَ أَوْجَبَ حَقَّهُ الَّذِي أَرَاهُ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ مِنِ اسْتِكْمَالِ دِينِهِ وَإِظْهَارِ أَمْرِهِ وَالِاحْتِجَاجَ بِحُجَّتِهِ وَالِاسْتِضَاءَةِ بِنُورِهِ...))[1] ، فكان استلهامه لهذا المعاني نابعاً من الحصيلة المعرفية المركوزة في خلايا أفكاره .

والعبارة الأخير في النص هي حوار مع قوله تعالى : ﴿**قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ**﴾**{الأنعام/١٤٩}** ، فهو استعار بعض ألفاظ الآية المباركة ما استقطاب المعنى العام للآية ووظَّفها في نصِّه الذي جاء بطريقة التأكيد والإرشاد إلى ولاية أمير المؤمنين (عليه السلام) ، ولم تكن هذه التناصّات أو التنصيصات موضَّحة بألفاظه ، ولعلَّ ذلك لغاية في نفس الشارح أراد بها أن يُحيل الأذهان إلى المقام العالي الذي يتمتع به الإمام أمير النحل ، يعسوب الدين (عليه السلام) دون غيره من الصحابة، وهذا الأسلوب تفرَّد به الهمداني عن غيره من شرَّاح الزيارة الجامعة الكبيرة؛ إذ يتبنَّى المعنى تبنّياً كاملاً ويصوغه بطريقة حِرَفِيَّة يستهويها المتلقي ويميل إلى تأييدها ، فضلاً عن الصياغة الفلسفية في بعض الموضوعات ، إذن : استطاع الشارح أن يوظِّف المعاني الدينية توظيفاً مسبوكاً لفظاً ؛ محبوكاً معنى .

ومن التناص الذي جاء بسبيل الامتصاص ؛ في شرح **الأحسائي** لقول الإمام علي الهادي (عليه السلام) : ((**فَعَظَّمْتُمْ جَلالَهُ**))[2] ، قال الأحسائي : ((...فعظموا جلاله بأنفسهم حيث لم يخلق الله غيرهم فلمّا خلق خلقه علموهم الحمد والثناء فعظموا

---

[1] بصائر الدرجات : ٤١٣/١ .

[2] شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، الأحسائي : ٢٧/٢ .

جلاله بما خلق وفيما خلق حتى عُبِد الله في أرضه وسمائه بدعائهم إلى الله وهداهم إلى رضاه ...))([1]) ، وهذا النص امتصَّ الشارح معناه مما أثر من أهل البيت (عليهم السلام) على لسان ((أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: كُنَّا جُلُوساً مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله إِذْ أَقْبَلَ إِلَيْهِ رَجُلٌ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَخْبِرْنِي عَنْ قَوْلِهِ عَزَّ وَ جَلَّ لِإِبْلِيسَ ﴿أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعالِينَ﴾ فَمَنْ هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ الَّذِي هُوَ أَعْلَى مِنَ الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله : **أَنَا وَ عَلِيٌّ وَ فَاطِمَةُ وَ الْحَسَنُ وَ الْحُسَيْنُ كُنَّا فِي سُرَادِقِ الْعَرْشِ نُسَبِّحُ اللَّهَ وَ تُسَبِّحُ الْمَلَائِكَةُ بِتَسْبِيحِنَا قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ آدَمَ بِأَلْفَيْ عَامٍ فَلَمَّا خَلَقَ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ آدَمَ أَمَرَ الْمَلَائِكَةَ أَنْ يَسْجُدُوا لَهُ وَ لَمْ يَأْمُرْنَا بِالسُّجُودِ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ إِلَّا إِبْلِيسَ فَإِنَّهُ أَبَى وَ لَمْ يَسْجُدْ فَقَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى ﴿أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعالِينَ﴾ عَنَى مِنْ هَؤُلَاءِ الْخَمْسَةِ الْمَكْتُوبَةِ أَسْمَاؤُهُمْ فِي سُرَادِقِ الْعَرْشِ فَنَحْنُ بَابُ اللَّهِ الَّذِي يُؤْتَى مِنْهُ بِنَا يَهْتَدِي الْمُهْتَدِي فَمَنْ أَحَبَّنَا أَحَبَّهُ اللَّهُ وَ أَسْكَنَهُ جَنَّتَهُ وَ مَنْ أَبْغَضَنَا أَبْغَضَهُ اللَّهُ وَ أَسْكَنَهُ نَارَهُ وَ لَا يُحِبُّنَا إِلَّا مَنْ طَابَ مَوْلِدُهُ.**))([2]) ، فهم الخلق الأوَّل الذين عبدوا الله عزَّ وجلَّ قبل أن يخلق اللهُ الخلقَ، وهذه الأخبار عن أهل البيت (عليهم السلام) مستفيضة تعبر حدَّ التواتر وهي عندنا من المسلَّمات بأوَّليتهم وأفضليَّتهم وقداستهم (صلوات ربي وسلامه عليهم أجمعين) ؛ فقد امتصَّ الشارح هذا المعنى ووظَّفه في نصِّه لغرض التأكيد وبيان المقام الأسمى لأهل البيت (عليهم السلام) .

---

[1]) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، الأحسائي : ٢/٢٧ .

[2]) فضائل الشيعة ، محمد بن علي بن بابويه القمّي (الشيخ الصدوق) ت(٣٨١هـ) ، مؤسسة الأعلمي ، طهران ، إيران ، ط١ ، د.ت : ٨ . يُنظر : علل الشرائع : ١/١٣٤ ، الأمالي ، الطوسي : ١٨٣ ، مناقب آل أبي طالب : ١/٢٧ .

وعلى سبيل الاختصار ؛ ورد الامتصاص في قول الأحسائي : ((...إنَّ ولاية علي عليه السلام ولاية الله تعالى وأنَّ كلَّ شيء عبارة عنها ...))([1]) ، وهذه العبارة امتصاص من الآية الشريفة : ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾{المائدة/٥٥} ، فهي ولاية واحدة في كل الأمور ، والذي أفصح عن وحدة الولاية ؛ أداة الحصر (إنَّما) ومعنى (الواو) البلاغي المفيدة للترتيب والتشريك والبيان، وقد فُسِّرت الآية بأمير المؤمنين (عليه السلام)([2]) ، وجاء ((عَنْ زُرَارَةَ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ : سَأَلْتُهُ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَ ﴿وَما ظَلَمُونا وَلكِنْ كانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ قَالَ : **إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَعْظَمُ وَ أَعَزُّ وَ أَجَلُّ وَ أَمْنَعُ مِنْ أَنْ يُظْلَمَ وَ لَكِنَّهُ خَلَطَنَا بِنَفْسِهِ فَجَعَلَ ظُلْمَنَا ظُلْمَهُ وَ وَلَايَتَنَا وَلَايَتَهُ حَيْثُ يَقُولُ :﴿إِنَّما وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا ﴾يَعْنِي الْأَئِمَّةَ.**))([3]) ، فلحق الأئمةُ أميرَ المؤمنين (عليهم السلام) بالتبع لجري الآية مجرى الشمس والقمر وفق قاعدة الجري والانطباق، فعند نزول الآية المباركة كان مصداقها الوجودي والحضوري هو الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) ويلحقه الأئمة بالتبعية ، وقد تصدَّقوا كلهم وهم في حالة الركوع كما مرَّ في الروايات آنفاً .

إذن : قام الشارح بامتصاص المعنى وتذويب ألفاظه وصياغته بألفاظه الخاصَّة بأسلوب المتكلم وكأنّ القول والمعنى له ، وهذا التبنّي للمعنى يتَّضح من خلاله تسليم الشارح لهذا المعنى والاعتقاد به .

---

[1]) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، الأحسائي : ٢/٧١ .

[2]) يُنظر : تفسير القمي : ١/١٧٠ ، تفسير الإمام العسكري (عليه السلام) : ١/٤٦٠ ، تفسير العياشي : ١/٣٢٧ .

[3]) الكافي : ١/١٤٦ .

ومن التناص الوارد بسبيل الامتصاص ما جاء في شرح **السند** لمفهوم الجبر والتفويض ؛ إذ قال : ((...وليس من الاعتباط أنَّ أئمة أهل البيت عليهم السلام انبروا بكل قوَّة وشدة لتفنيد نظرية التشبيه والتجسيم والتعطيل كما قال البررة عليهم السلام لتفنيد نظرية الجبر والتفويض .))([1]) ، وهذا امتصاص مما ورد عن صادق العترة الطاهرة (عليهم السلام) قوله : ((**لَا جَبْرَ وَ لَا تَفْوِيضَ وَ لَكِنْ أَمْرٌ بَيْنَ أَمْرَيْنِ**))([2]) ، فأشار الشارح إلى الحديث من طرف خفي ؛ إذ لم يُوضح الخبر الوارد عن العترة الطاهرة وكيف نفوا الجبر والتفويض ، وكذلك ماهو السبب من النفي ، كلُّ ذلك جعله الشارح تحت بزَّة الدلالة الهامشية وكأنَّ المتلقي عارفٌ بحيثيات الرواية الشريفة .

وفي هذا النصِّ أيضاً يوجد امتصاص آخر بنفي التجسيم والتشبيه والتعطيل ؛ وهو عصارة خطبة الإمام أمير المؤمنين (عليهه السلام) في التوحيد ، من قوله (صلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله) : ((**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا يَبْلُغُ مِدْحَتَهُ الْقَائِلُونَ وَلَا يُحْصِي نَعْمَاءَهُ الْعَادُّونَ وَلَا يُؤَدِّي حَقَّهُ الْمُجْتَهِدُونَ الَّذِي لَا يُدْرِكُهُ بُعْدُ الْهِمَمِ وَ لَا يَنَالُهُ غَوْصُ الْفِطَنِ الَّذِي لَيْسَ لِصِفَتِهِ حَدٌّ مَحْدُودٌ وَلَا نَعْتٌ مَوْجُودٌ وَلَا وَقْتٌ مَعْدُودٌ وَلَا أَجَلٌ مَمْدُودٌ فَطَرَ الْخَلَائِقَ بِقُدْرَتِهِ وَ نَشَرَ الرِّيَاحَ بِرَحْمَتِهِ وَ وَتَّدَ بِالصُّخُورِ مَيَدَانَ أَرْضِهِ.**

أَوَّلُ الدِّينِ مَعْرِفَتُهُ وَ كَمَالُ مَعْرِفَتِهِ التَّصْدِيقُ بِهِ وَ كَمَالُ التَّصْدِيقِ بِهِ تَوْحِيدُهُ وَ كَمَالُ تَوْحِيدِهِ الْإِخْلَاصُ لَهُ وَ كَمَالُ الْإِخْلَاصِ لَهُ نَفْيُ الصِّفَاتِ عَنْهُ لِشَهَادَةِ كُلِّ صِفَةٍ أَنَّهَا غَيْرُ الْمَوْصُوفِ وَ شَهَادَةِ كُلِّ مَوْصُوفٍ أَنَّهُ غَيْرُ الصِّفَةِ.))([3]) ، وذكر هذا

---

[1]) في رحاب الزيارة الجامعة الكبيرة ، السند : ٦١ .
[2]) الكافي : ١٦٠/١ ، يُنظر : التوحيد ، الصدوق : ٢٠٦ ، عيون أخبار الرضا : ١٢٤/١ .
[3]) نهج البلاغة ، شرح : محمد عبده : ١٨.١٧ .

الحديث ههنا استئناساً بتوحيد مولى الموحدين وقائد الغر المحجلين إمام البررة وقاصم الكفرة علي بن أبي طالب (عليه السلام) الذي صاغ للأمَّة توحيداً لا نظير له ولا شبيه ، وإلى هذا الوصف التوحيدي أشار الشارح من نفي التشبيه والتجسيم والتعطيل، إلَّا أنَّه لم يذكر هذا النبع الذي لا تُكدِّره دلاء الحاسدين .

وورد الامتصاص الديني في شرح **الميلاني** في موارد متعددة ، نذكر منها مثالاً للبيان لا للحصر ، إذ شرع ببيان علم الله تعالى في كلِّ شيء قبل أن يحدث ولا يعزب عن علمه شيء ، فقال : ((ولا شكَّ أنَّ كلما يقع ؛ فالله عالم به من الأزل ، ونحن نعلم علمه بذلك بالأدلَّة العقلية والشرعية ، ويعلم الناس منه ما يصل إليهم عند ظهوره...))([1]) ؛ فقد وظَّف الشارح قوله تعالى : ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ {يونس/ ٦١} .

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ {سبأ/ ٣}، فكان الامتصاص أحد الطرق المستعملة عند الشارح في بيان الحكمة المستغلقة وتقريب الدلالة إلى ذهن مفككي السُّنن ، واستعمال الأدوات المتعددة في تثبيت المفاهيم يؤكد على حرص الشارح في تأدية ما يُمليه عليه دينه من جهة ؛ وبيان مقدرته في اتساع رقعة استجلاب المعلومة من جهة أُخرى ، فضلاً عن الإحالة الضمنية في الكلام للدفع إلى البحث عن المعلومة .

---

[1]) مع الأئمة الهداة ، الميلاني : ٧١ .

وهناك مواضع أخرى يمتصّ فيها الميلاني معانيه من الكتاب وأقوال العترة([1]) واختصاراً للبحث نكتفي بهذا المورد .

ولم يبتعد **الصدر** عن التناص بطريقة الامتصاص للمعنى الديني من نصوص القرآن الكريم والعترة الطاهرة ، حيث جاء في شرحه لمعنى ((**الصَّادِقُونَ**))([2]) قوله : ((...وأتمّ مصاديقه أهل بيت العصمة سلام الله عليهم الذين صدقوا في دين الله نيّة وقولاً وفعلاً ، وصدقوا في عهودهم المأخوذة عليهم من الله تعالى ووفوا بها ، ولازموا الصدق حتّى كانوا من الصدّيقين ، وصدّقوا النبي من عالم النور))([3]) ، فهذا قوله امتصاص من قوله تعالى: ﴿**مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا**﴾ {**الأحزاب/٢٣**} ، وكذلك من قوله تعالى : ﴿**وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُواْ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاء والضَّرَّاء وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ**﴾ {**البقرة/١٧٧**} ؛ فقد ذوَّب الشارح الألفاظ التي في الآيات المباركة واستلَّ المعاني منها ووظَّفها تارة أخرى في نصِّه ، والميزة في هذا النَّص . رغم امتصاص المعنى وإقصاء الألفاظ المتجاورة . أنَّه يُشير إلى أصوله القرآنية بوضوح ، فهو كاشف عن منبعه القرآني بنفسه ، فيجد المتلقي فيه الإشارات واضحات ساطعات محيلات ببنان الحروف إلى الآيات المقدَّسة، وهذا يُحسب للشارح الذي استطاع أن يحافظ على المعنى العام للآيات في نصِّه الجديد دون أن يسلخ المعنى عن ألفاظه تماماً ، ويتضح أنَّ ألفاظ الآيات في النص وحول النص تحيط به كما يُحيط السوار بالمعصم .

---

[1]) مع الأئمة الهداة ، الميلاني : ١٣ ، ٦٣ ، ٧١ ، ٧٤ ، ١١٦ ، ١٢١ .

[2]) في رحاب الزيارة الجامعة الكبيرة ، الصدر : ٢٤٧ .

[3]) المصدر نفسه : ٢٤٧ .

ومقاطع أخرى يأخذ الشارح ـ الصدر ـ معانيها من الآيات والروايات([1]) ؛ إلّا أنّنا نكتفي بهذا القدر للتمثيل لا للحصر .

وفي هذا المورد ننهي مبحث التناص الديني في شروح الزيارة الجامعة الكبيرة بحمد الله وفضله .

[1]) يُنظر : في رحاب الزيارة الجامعة الكبيرة ، الصدر: ٢٤٨ ، ٢٥٠ ، ٢٥٣ ، ٢٧٦ ، ٣٣٣ .

المبحث الثاني

التناص الأدبي واللغوي في الشروح المختارة

توطئة :

للتناصّ الأدبي واللغوي الدور المهم في إثراء النصوص، وكذلك هو بمثابة قوَّة دفع تُثري التجارب الإبداعية ، وما التناص الأدبي واللغوي إلّا نقل تلك التجارب التي خاضها الأدباء إلى المتلقي، والعودة لتلك النصوص هي إضافة قيمة جماليَّة للنصِّ الجديد([1]).

وللتراث الأدبي واللغوي سطوة وسيطرة لا يكاد نصّ أن يفلت من قبضته ، إذ أنَّ الأديب يستقي مادته مما أُثر عن من سبقه من المبدعين ، ويُحتِّم على الكاتب أن يهضم تراثه الشعري والنثري واللغوي ويعيه بكلِّ ما أُوتي من قوَّة وذاكرة ، وبعد ذلك يكون تغلغل التراث وما التَهَمَهُ من حصيلة معرفية داخل نصوصه الإبداعية ؛ وتكون جزءاً من كيانه وتكوينه ، ويشقُّ بعدها طريقه واتخاذه أسلوبه الخاص ولونه المميَّز الذي ينماز به .

وأكثر المبدعين يتجاوز تراثه بحنكة وابتكار ، وليس عليه أن يستظل بظله ويبقى يمضغ ابداع الآخرين مختتلاً وراءه ؛ بل يكشف عن ساق ابداعه إلى ساحة التجربة الواسعة ، وشعوره العميق بسيطرته على أدواته([2]) .

والموضوع الذي يطرحه المبدع إذا كان ذات الموضوع المُتناص من النصوص السابقة ؛ سيكون النصُّ الجديد عبارة عن إسهاب وتدويل لفكرة قديمة تداولها الكاتب

---

[1]) يُنظر : التناص في شعر محمد القيسي ، نداء علي يوسف إسماعيل ، (رسالة ماجستير) ، جامعة النجاح الوطنية ، نابلس ، فلسطين ، ٢٠١٢م : ١٠٣ .

[2]) يُنظر : قراءة جديدة لشعرنا القديم ، د. صلاح عبد الصبور ، منشورات إقرأ ، بيروت ، لبنان ، ط١، ٢٠٠٦م : ١٩.١٨ .

الجديد ، وإعادة المفاهيم السابقة ومدوّراً لها ، وإذا كان النص الجديد ذا فكرة جديدة ووظَّف الكاتبُ نصَّ الفكرة المختلفة مع لَيِّ النص السابق وإخضاعه للفكرة الجديدة لتتماشى معها ؛ لعَمْرُكَ هذا هو الإبداع وإظهار الأفكار القديمة بحُلَّةٍ قشيبة ، فيكون التناص هو إضفاء الزخارف والجماليات بوساطة استحباب للنصوص السابقة واستدعاء العقول والأسماع للنص المُبتكر الحديث أو المولَّد .

وبما أنّ شُرَّاح الزيارة الجامعة الكبيرة الذين اخترنا شروحهم للدراسة ؛ هم حديثي الوجود من حيث القدم للدرس النقدي ، فنجد أنّ التناص الأدبي واللغوي متناثراً في شروحهم ، لذا سندرس هذه التناصَّات على مطالب :

المطلب الأوَّل

التناص الأدبي

نقصد بالتناص الأدبي : هو التناص الذي قام الشارح باستدعاء النصوص الأدبية (الشعرية والنثرية والأمثال) ، ووظَّفها في شرحه ، ونجد ذلك كثيراً في الشروح المختارة سنقتصر على نماذج منها للتمثيل لا للحصر.

ومن التناص الأدبي ؛ ما جاء في شرح الهمداني ؛ إذ ذكر أبياتاً من الشعر لم يذكر قائلها وكأنَّها له ؛ في سياق قوله ((بواسطة اتصافك بصفة كذا يصح نفيك عنك لأنَّك متصف بصفة كذا : [من المتقارب]

وَأَنْتَ الْكِتَابُ الْمُبِينُ الَّذِي ... بِأَحْرُفِهِ يَظْهَرُ الْمُضْمَر

وَتَحْسَبُ أَنَّكَ جِرْمٌ صَغِيرٌ ... وَ فِيكَ انْطَوَى الْعَالَمُ الْأَكْبَرُ

دَوَاؤُكَ فِيكَ وَ لم تبصِرِ ... وَ دَاؤُكَ فيكَ وَ لم تَشعُرِ))([1]).

[1]) الشموس الطالعة من مشارق الزيارة الجامعة ، الهمداني : ٥٢٠ .

وهذه الأبيات مما يُنسب إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) ، وفي البيت الأخير خطأٌ نحوي ، لعلّ الشارح لم يلتفت إلى الأبيات بقدر إلتفاته إلى أداء المعنى ، وأصل الأبيات في الديوان : [من المتقارب]

دَوَاؤُكَ فِيكَ وَ مَا تَشْعُرُ وَ دَاؤُكَ مِنْكَ وَ مَا تَنْظُرُ

وَتَحْسَبُ أَنَّكَ جِرْمٌ صَغِيرٌ وَ فِيكَ انْطَوَى الْعَالَمُ الْأَكْبَرُ

وَأَنْتَ الْكِتَابُ الْمُبِينُ الَّذِي بِأَحْرُفِهِ يَظْهَرُ الْمُضْمَرُ([1])

رُبَما أورد الشارح الأبيات من حفظه . على سبيل حسن الظن به . لأنَّه محققٌ بارع ومستدل ماهر لا يفوته أمر كهذا ، وبسبب شهرة هذه الأبيات والتي تُعدُّ من الحكم المتداولة بين الناس ؛ تداولها الشارح بالتناص التدويلي التدويري الذي نمَّ عن اعجابه بها وتبنِّها رغم المأخذ الذي يُؤخذ عليه بعدم ذكر أصلها وورود الخطأ فيها ، فهذا من التناص التدويلي في شرح الهمداني .

ولم تكن هذه الأبيات يتيمة شرح الهمداني ؛ فقد ذكر بيتاً نسبه إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) ، في معرض تثبيته حضور رسول الله وأمير المؤمين وفاطمة الزهراء والحسن والحسين (صلوات ربي وسلامه عليهم أجمعين) في قوله : ((...والدليل على ذلك قول أمير المؤمنين عليه السلام لحارث الهمداني : [من المنسرح]

يَا حَارِ هَمْدَانَ مَنْ يَمُتْ يَرَنِي مِنْ مُؤْمِنٍ أَوْ مُنَافِقٍ قُبُلًا))([1])

([1]) ديوان أمير المؤمنين (عليه السلام) ، حسين بن معين الدين الميبدي ت(٩١١هـ) ، دار نداء الإسلام للنشر ، قم ، إيران ، ط١ ، ١٤١١هـ : ١٧٥ . وقد جُمع وحُقق الديوان من قبل الدكتور يحيى مراد وذكر البيتين الأوَّلين فقط مع تغيير بسيط ، يُنظر : ديوان الإمام علي بن أبي طالب ، تحقيق : د. يحيى مراد ، مؤسسة المختار للنشر ، القاهرة ، مصر ، ط١ ، ٢٠٠٦م : ٨٤ .

وهذا البيت من الأبيات المشهورة المنسوبة لأمير المؤمنين ومولى الموحدين علي بن أبي طالب (عليه السلام) إلّا أنَّ هذا البيت هو من نظم السيد إسماعيل بن محمد الحميَري وهو بيت ينتمي لمقطوعة من ثمان أبيات ، يقول الحميري : [من المنسرح]

قَوْلُ عَلِيٍّ لِحَارِثٍ عَجَبٌ كَمْ ثَمَّ أُعْجُوبَةٍ لَهُ حَمَلَا

يَا حَارِ هَمْدَانَ مَنْ يَمُتْ يَرَنِي مِنْ مُؤْمِنٍ أَوْ مُنَافِقٍ قُبُلَا

يَعْرِفُنِي طَرْفُهُ وَ أَعْرِفُهُ بِنَعْتِهِ وَ اسْمِهِ وَ مَا فَعَلَا

وَ أَنْتَ عِنْدَ الصِّرَاطِ تَعْرِفُنِي فَلَا تَخَفْ عَثْرَةً وَ لَا زَلَلَا

أَسْقِيكَ مِنْ بَارِدٍ عَلَى ظَمَأٍ تَخَالُهُ فِي الْحَلَاوَةِ الْعَسَلَا

أَقُولُ لِلنَّارِ حِينَ تُعْرَضُ لِلْعَـــرْضِ دَعِيهِ لَا تَقْبَلِي الرَّجُلَا

ذَرِيْـهِ لَا تَقْرَبِيهِ إِنَّ لَـهُ حَبْلًا بِحَبْلِ الْوَصِيِّ مُتَّصِلا

هَذا لَنا شيعةٌ وشيعتُنا أعطانيَ اللهُ فيهمُ الأملا([2])

وقد ذكر جامع ديوان الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) هذه الأبيات دون البيت الأوَّل([3]) ، لأنَّ البيت الأوَّل يُثبت أنّ الأبيات منسوبة للإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) ، والبيت قد صاغه السيد الحميري من رواية عن الإمام علي (عليه السلام) لحارث الهمداني يقول الحارث : ((دَخَلْتُ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام فَقَالَ : **مَا جَاءَ بِكَ** فَقُلْتُ : حُبِّي لَكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ : **يَا حَارِثُ أَ تُحِبُّنِي** قُلْتُ : نَعَمْ وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَالَ : **أَمَا لَوْ بَلَغَتْ نَفْسُكَ الْحُلْقُومَ رَأَيْتَنِي**

---

[1]) الشموس الطالعة من مشارق الزيارة الجامعة الكبيرة ، الهمداني : ٦٩٣ .

[2]) ديوان السيد الحميري ، إسماعيل بن محمد الحميري ت(١٧٣هـ) ، تقديم : نواف الجراح ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٩٩٩م : ١٢٧

[3]) يُنظر : ديوان الإمام علي بن أبي طالب : ١٤٠ .

حَيْثُ تُحِبُّ وَ لَوْ رَأَيْتَنِي وَ أَنَا أَذُودُ الرِّجَالَ عَنِ الْحَوْضِ ذَوْدَ غَرِيبَةِ الْإِبِلِ لَرَأَيْتَنِي حَيْثُ تُحِبُّ وَ لَوْ رَأَيْتَنِي وَ أَنَا مَارٌّ عَلَى الصِّرَاطِ بِلِوَاءِ الْحَمْدِ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لَرَأَيْتَنِي حَيْثُ تُحِب))([1]) ، ولأنّ الاستشهاد بهذه الرواية ؛ يُذيّلها الكاتب ببيت السيد الحميري ؛ صار البيت مغنياً عن ذكر الرواية ، بل وأصبح بديلاً عنها حتى نسبوه إلى أمير المؤمنين (عليه السلام)، وسلَّم الشارح لنسبة البيت لأمير المؤمنين دون ردّه لأصله ولقائله ، فكان حريٌّ بالدراسة أن تُرجع الفروع إلى أصولها ، ويُعدُّ هذا من التناص التدويلي إذ جاء الشارح بالبيت الذي يحوي الرواية على الرغم من المأخذ المذكور عليه .

أمَّا **الأحسائي** ؛ فقد ذكر كثيراً من النصوص الأدبية الشعرية والنثرية وسنذكر منها موردين للتمثيل مثل قوله في وصف الواصفين لله تعالى : ((...وما أشبه ذلك عرفوه حق ما يُمكنهم معرفته كما نُقل أو نُسب إلى علي عليه السلام أنَّه قال : [من المنسرح]

اعتصامُ الورى بمَغفِرتكْ عجزَ الواصفونَ عَن صِفَتِكْ

تُبْ علينَا إنَّنَا بَشَـرٌ مـاعرفنـــاكَ حقَ معرفتِكْ))([2])

ذكر الشارح هذا البيت على سبيل الظنِّ وعدم التأكد من أنَّه للأمير علي (عليه السلام) أو لا ، فلم نجد هذا البيت في الديوان المنسوب للإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) وهذان البيتان ذكرهما أكثر من مصدر أنَّهما لأبي علي بن سينا الطبيب العربي العباسي([3]) وهما منتشران على الشبكة العنكبوتية المعلوماتية (الانترنت

---

[1]) بحار الأنوار : ١٨١/٦ . يُنظر : الأمالي ، المفيد : ٧ ، الأمالي ، الطوسي : ٦٢٧ .

[2]) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، الأحسائي : ٢٩/٢ .

[3]) يُنظر : روض الأخيار المنتخب من ربيع الأبرار ، محمد بن قاسم بن يعقوب الأماسي الحنفي، محيي الدين، ابن الخطيب قاسم ت(٩٤٠هـ) ، دار القلم العربي، حلب ، سوريا ، ط١ ،

متصفح جوجل) لأبي علي سينا([1]) وليس للإمام أمير المؤمنين ، رُبَما كان ذلك سِبْقَ قلمٍ من الشارح ـ على محمل الظن الحسن ـ فالشارح وَهَم ونسبه إلى غير قائله، ومن طبيعة الشارحين للنصوص ؛ الاهتمام بكيفيَّة أداء الدلالة واستجلاب المتلقي بالجذب الأدائي ولم يهتمّوا لنسبة الأقوال كالاهتمام بالأداء الدلالي ؛ لذا كان التناص تدويليّاً غرضه التأكيد والحث على أداء المفاهيم الغائبة ، وهو مأخذ على الشارح لأنَّ

١٤٢٣هـ : ٣٨٦/١ ، شرح فصوص الحكم ، محمد داوود قيصري رومي ، تحقيق: جلال الدين آشتياني ، منشورات كلية العلوم ، طهران ، إيران ، د.ط ، ١٣٧٥هـ : ٣٤٦ ،

[1]) المعروف بالشيخ الرئيس ((هُوَ أَبُو عَليّ الْحُسَيْن بن عبد الله بن عَليّ بن سينا وَهُوَ أَن كَانَ أشهر من أَن يذكر وفضائله أظهر من أَن تسطر فَإِنَّهُ قد ذكر من أَحْوَاله وَوصف من سيرته مَا يُغني غَيره عَن وَصفه ، وَلذَلِك أننا نقتصر من ذَلِك على مَا قد ذكره هُوَ عَن نَفسه نَقله عَنهُ أَبُو عبيد الجوجزاني قَالَ قَالَ الشَّيْخ الرئيس : إِن أبي كَانَ رجلا من أهل بَلخ وانتقل مِنْهَا إِلَى بُخَارى فِي أَيَّام نوح بن مَنْصُور واشتغل بِالتَّصَرُّفِ وَتَوَلَّى الْعَمَل فِي أثْنَاء أَيَّامه بقرية يُقَال لَهَا خرميثن من ضيَاع بُخَارى وَهِي من أُمَّهَات الْقرى وبقربها قَرْيَة يُقَال لَهَا أفشنة وَتزَوج أبي مِنْهَا بوالدتي وقطن بهَا وَسكن وَولدت مِنْهَا بهَا ...ثمَّ انتقلنا إِلَى بُخَارى ، وأحضرت معلم الْقُرْآن ومعلم الْأَدَب وأكملت الْعشْر من الْعُمر وَقد أتيت على الْقُرْآن وعَلى كثير من الْأَدَب حَتَّى كَانَ يقْضى مني الْعجب... ثمَّ أخذت أَقرَأ الْكتب على نَفسِي وأطالع الشُّرُوح حَتَّى أحكمت علم الْمنطق وَكَذَلِكَ كتاب أقليدس فَقَرَأت من أَوله خَمْسَة أشكال أَو سِتَّة عَلَيْهِ ثمَّ توليت بنفسي حل بَقِيَّة الْكتاب بأسره ثمَّ انْتَقَلت إِلَى المجسطي وَلما فرغت من مقدماته وانتهيت إِلَى الأشكال الهندسية... وَكَانَ عمره ثَلَاثًا وَخمسين سنة وَكَانَ مَوته فِي سنة ثَمَان وَعشْرين وَأَرْبَعمِائَة وَكَانَت وِلَادَته فِي سنة خمس وَسبعين وثلثمائة...)) ، عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس الخزرجي موفق الدين، أبو العباس ابن أبي أصيبعة ت(٦٦٨هـ) ، المحقق: الدكتور نزار رضا ، دار مكتبة الحياة – بيروت ، لبنان ، ط١ ، د.ت : ٤٤٢.٤٣٧/١ ، يُنظر : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان:٣١٥/٧ . سير أعلام النبلاء ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي ت(٧٤٨هـ) ، المحقق : مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة ، المدينة المنورة ، المملكة العربية السعودية ، ط٣، ١٩٨٥م : ٥٣١/١٧ .

ذلك لا يُبرر له عدم المعرفة وإلقاء حبل النصوص على غارب الظنِّ والاحتمال واستعمال أدوات الترجي والتخيير في سياق الشرح ، لأنَّ المتلقي يُريد القطع و ﴿ إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ {يونس/٣٦} .

وجاء التناص الأدبي في شرح **الأحسائي** في شرحه لمعنى الإسم وترجيح علاميته على وسمه في قوله : ((...والعلامة من الوسم أَلْيَقُ بها من السمو لأنَّ الرفعة المعنيّة لا يراد بها المسمّى ولا فائدة في أن يُراد بها الألفاظ ودليلهم بالجمع والتصغير لا ينهض بالحجة لأنَّه إذا قام الاحتمال بطل الاستدلال...))([1]) ، اختتام هذا النص بمَثَل اتخذه الأصوليون قاعدة في تطبيق آليات علم أصول الفقه([2]) في بعض فروعه؛ وقد استشهد به الشارح هنا لبيان مفهوم العلامة والوسم ليصل بوساطة هذا المثل إلى تثبيت ما يُريده مِن أنَّ العلامة هي أقرب لمعنى الإسم من التوسيم ، وهو تناصّ تدويلي دوَّله الشارح في شرحه من دون أن يذكر أنَّه مثل أو قاعدة من قواعد أصول الفقه ، ويبدو أنَّها من البديهيّات في المدرسة البحثية أو الدراسية للأحسائي وهي من الأمور الموضِّحة لبيان دخول الاحتمال في مضمار البحث يتلاشى الاستدلال بسببه، لأنَّ الاحتمال يفتح آفاق التعددية في الطرح فلا مجال للاستدلال في القطع الدلالي ، إذ التعددية تستوهن مقام الدليل ، فكان على الشارح أن يُشير إلى هذا المثل أو إلى تقعيده كقاعدة بحثية في أصول الفقه ، وهو من شأنه بيان ذلك ، لأنّ المتلقي لا ينظر للنصّ على أنَّ ما فيه تناصّاً من مثل ؛ وإنَّما يجد في ذلك ابتكاراً أو تجديداً أو جماليات بديعيَّة في النصّ ، وهذا يكشف له بعد ذلك

---

[1]) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، الأحسائي : ١٣/٤ .

[2]) يُنظر : الحدائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة ، يوسف البحراني ت(١١٨٦هـ) ، جماعة المدرسين ، قم ، إيران ، ط١ ، ١٤١٢هـ : ٥٥٣/٣٣ ، الاحتمال وأثره على الاستدلال (بحث) ، عبد الجليل زهير ضمرة، الشبكة المعلوماتية .
https://elibrary.mediu.edu.my/books/MAL03705.pdf .

تناصَّ المؤلف فتضعف ثقته في ما يكتبه هذا المؤلّف : هل هو منقول أو من إبداع الكاتب؟ .

والتناصّ الأدبي في شرح الأحسائي كثير جدَّاً([1]) ؛ إلّا أنَّنا نكتفي بما ذكرناه من بيان النموذج لا للإحصاء .

وقد تناص **السند** في قوله لبيان اشتهار الزيارة بين الأوساط الشيعية : ((...وقد اشتهرت بين الشيعة الأبرار ، اشتهار الشمس في رابعة النهار..))([2]) ؛ إذ جاء بتدويل مثل عربي مشهور ، يُتّخذ هذا المثل للنصِّ الواضح الذي لا غُبار عليه ، يستدل به الكاتب لبيان بديهيَّة الأمر والتسالم عليه ولا يحتاج إلى توضيح أو استدلال لتثبيت النص ؛ حيث ((قالت العرب للشيء الواضح : كالشمس في رابعة النهار، ويستخدم تعبير «رابعة النهار» للتعبير عن وضوح الشيء وجلائه، مثلاً يقال كثيراً «الحقيقة واضحة وضوح الشمس في رابعة النهار»، وكلمة «رابعة» تعني الوضوح والتوسط ، ومنها كلمة مربع، ... فهي من الوضوح إلى حد يثير الظلمة...))([3]) ، فسار الشارح على منوال المآثر العربية ؛ فجاء بالمثل لتأكيد الوضوح والاشتهار للزيارة الجامعة بين الأوساط الشيعية .

وجاء التناصُّ الأدبي كثيراً في شرح **الوحيدي** ، منه ما جاء في قوله الذي يصف فيه ألفاظ ومضامين الزيارة الشريفة : ((...إنّ زيارة الجامعة الكبيرة من أعظم الزّيارات وأحسنها وتشهد فصاحة ألفاظها وبلاغة فقارتها ، وعلوّ مضامينها وعباراتها أنَها تنبع من عين صافية من ينابيع الوحي والإلهام ، وتدل على أنّها واردة من أئمّة

---

[1]) يُنظر : شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، الأحسائي : ٢/٤٤ ، ٥٨ ، ٨٣ ، ١٦٠ ، ٤/١٩ ، ٣٣، ٦٦ ، ٦٧ ، ٨٩ ، وغيرها .

[2]) في رحاب الزيارة الجامعة الكبيرة ، السند : ٤٧ .

[3]) https://arabi21.com .

الدّين ومظاهر علوم ربّ العالمين عليهم السلام لأنّها دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوق.))([1]) ، نهاية هذا النص عبارة كررها الكتّاب والباحثون في مؤلفاتهم([2]) ؛ إلّا أنّ الدراسة وقفت على قائلها ؛ ألا وهو الكراجكي ت(٤٤٩هـ) في قوله عن الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) : ((فكان أمير المؤمنين له القدم الأولى والذراع الطولى في هذا العلم حتى عُدَّ كلامه ونهجه الشريف دون كلام الخالق و فوق كلام المخلوق))([3]) ، إلّا أنَّ الذاكرين لهذا القول أخذوه أخذ المُسلَّمات دون إرجاعه لقائله مما أدّى ذلك إلى إقصاء القائل عن المقول ، وعلى ذلك النهج دأب الوحيدي دون إيعازه إلى أصل وجوده ، نعم وهو كذلك : أنَّ قول الإمام أمير الكلام بلغ مرتبة النفس من رسول الله (صلى الله عليه وآله) فكان أديبه وأستاذه ومعلِّمه ومربّيه ومنشئه ومغذّيه حتى صار باب مدينة علمه وحكمته فلا يجرؤ أحد أن يجاريه أو يُناظره ، وكان هذا الكلام عين الصواب ومبلغ الجواب للسائل عن بلاغة عِدل الكتاب ومفرّق الأحزاب.

أمَّا النص فهو حوار مع نص الكراجكي ؛ إذ حاول الشارح الحفاظ على المعنى العام للقول ووظَّفه . مع بعض ألفاظه . في نصِّه الجديد ؛ إلّا أنَّ نص الكراجكي كان خاصَّاً في كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) ؛ ونصُّ الوحيدي شمل به كلام المعصومين جميعاً .

---

[1]) أنوار الولاية الساطعة ، الوحيدي : ٧ .

[2]) يُنظر : اختيار معرفة الرجال (رجال الكشي) : ٤٩٠/٢ ، تصنيف غرر الحكم ودرر الكلم ، عبد الواحد بن محمد التميمي الآمدي ت(٥٥٠هـ) ، مكتب الإعلام الإسلامي ، قم ، إيران ، ط١، ١٤٠٧هـ : ٣٠ ، الاحتجاج : ١٩١/١ ، شرح أصول الكافي ، صدرا : ٨٨/١ ، وغيرها من المصادر والمراجع التي ذكرت هذا القول دون ذكر قائله .

[3]) الرسالة العلوية في فضل أمير المؤمنين على سائر البرية سوى رسول الله صلى الله عليه وآله ، محمد بن علي الكراجكي ت(٤٤٩هـ) ، دليل ما ، قم ، إيران ، ط١ ، ١٤٢٧هـ : ١١.

ويأتي تارة التناصُّ الأدبي لتوكيد أمر ما ، كما جاء في توكيد **الوحيدي** لمعنى الصراط المستقيم بأمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) ، وقد استشهد بقول السيد إسماعيل الحميري ، قال الوحيدي : ((...قال مولى المتقين عليّ عليهالسلام : ((**أَنَا صِرَاطُ اللَّهِ الْمُسْتَقِيمُ وَ عُرْوَتُهُ الْوُثْقَى الَّتِي لَا انْفِصامَ لَها**)).

وتفسير هذا الكلام هو أنَّ معرفتهم طريق الوصول إلى الله عزّ وجلّ... قال الحميري يمدحه عليه السلام : [مجزوء الرجز]

سمّاهُ جبّارُ السَّمَا صِراطَ حقٍّ فسَمَى

فقالَ في الذّكرِ وَمَا كانَ حَديثاً يُفْتَرَى

هَذا صِرَاطِيْ فَاتْبَعوا وعنهمُ لا تُخْدَعُوا

فَخَالفُوا مَا سَمِعُوا والخُلْفُ مِمّنْ شَرَعا

واجْتَمِعوا واتّفَقُوا وعَاهَدُوا ثمّ التَقوا

إنْ مَاتَ عنهمْ وبَقُوا أنْ يَهدِمُوا مَا قَدْ بَنَى))([1])

ومن هذه الأبيات نستنتج أن السيد الحميري هو من أوائل الذين خرجوا على عمود الشعر وأوَّل من كتب الموشَّحات ، لأنَّ هذه القصيدة هي على نظام الموشحات الأندلسيَّة التي جاءت بعد السيد الحميري بقرون عدَّة ، وقد ظُلِمَ بإيعاز

---

[1]) أنوار الولاية الساطعة : ١٠٢ ، يُنظر مصادر الحديث : تصحيح اعتقادات الإمامية ، محمد بن محمد المفيد ت(٤١٣هـ) ، منشورات مؤتمر الشيخ المفيد ، قم ، إيران ، ط٢ ، ١٤١٤هـ : ١٠٨ ، بحار الأنوار : ٧٠/٨ ، مرآة العقول : ٢٥٥/٣ . ويُنظر : ديوان السيد الحميري : ١٠ ، وجاء في شرح الوحيدي خطأ في الأبيات مما جعلنا نصححها من الديوان .

هذا اللون من الفن لغيره([1]) ، ولم تجد الدراسة ـ بحسب اطلاعنا ـ مَن أشار إلى أوَّلية الحميري في إبتكار هذا اللون الشعري .

والشارح ـ الوحيدي ـ جاء بهذه الأبيات لتوكيد الرواية وبيان اعتقاده بها اعتقاداً جازماً ؛ لأنَّه يذكر كل ما ما تعلَّق بهذه الرواية ـ من أحاديث وأشعار وغيرها ـ ويؤكد على أنَّ الصراط المستقيم المذكور في القرآن الكريم هو أمير المؤمنين (عليه السلام)، وكان قول مولى المتقين (عليه السلام) القول الفصل في ذلك ، ومنَ أصدق من أمير المؤمنين قيلا ؟!! .

فجاءت الأشعار بطريقة التناص التدويلي ؛ إذ دوَّلها الشارح في هذا المورد لغرض التوكيد ، واستطاع أنْ يوظفها توظيفاً جميلاً في موضع يستحق أن يُشار إليه بديوان العرب وما تحبه النفوس وتستميله الآذان وهو الشعر .

والتناص الأدبي في شرح الوحيدي كثير جداً([2]) وما ذكرناه للمثال لا للحصر حتى لا يطول المقام في هذا اللون .

ومن اللافت للنظر ؛ نجد الشارح للزيارة الجامعة الكبيرة لا يقتصر على ذكر النصوص الأدبية التي تنتمي لطائفته ؛ وإنَّما يستشهد بكلِّ نصٍّ أدبي يصبُّ في خدمة شرحه ، والغرض منه أن يجعله أحد الوسائل التي يستنجد بها لبلوغ المعنى المراد ، من ذلك ما ورد في استشهاد **الميلاني** بأبيات من بردة البوصيري ويمدح قائلها دون أن يُعرِّض أو يستنقص من شخصه كونه يخالف معتقده ، وهذا هو سبيل

---

[1]) أُوعِزَ ابتكار فن الموشح لإبن عبد ربه الأندلسي وهو مولود في سنة (٢٤٦هـ) أي بعد وفاة السيد الحميري بـ(٧٣)سنة ، يُنظر : العقد الفريد ، أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، د.ط ، د.ت : ٧/١ .

[2]) أنوار الولاية الساطعة : ٣٣ ، ٤١ ، ٤٩ ، ٥٣ ، ٥٥ ، ٥٨ ، ٧٢ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٤ ، وغيرها.

العلماء ؛ ديدنهم العلم ؛ وقوتهم المعرفة ؛ وصومهم عن الرذيلة والكلام الفاحش ، وإفطارهم بالكلمة الطيّبة والتعامل الحَسِن ، ليكونوا زيناً لِمن ربّوهم ، قال **الميلاني** : ((...وقال الشيخ البوصيري في قصيدة البردة الشهيرة التي أنشأها في مدح رسول الله (صلى الله عليه وآله) بعد أن توسَّل به فبرء من مرضه : [من البسيط]

وَكُلُّ آيٍ أَتَى الرُّسْلُ الكِرَامُ بِهَا فَإِنّمَا اتَّصَلَتْ مِنْ نُورِهِ بِهِمِ

فَإِنَّهُ شَمْسُ فَضْلٍ هُمْ كَوَاكِبُهَا يُظْهِرْنَ أَنْوَارَهاَ لِلنَّاسِ فِي الظُّلَمِ

لقد باح هذا العالم الفقيه المحدِّث الشافعي بهذه الحقيقة ، وتبعه على ذلك شُرَّاح قصيدته من الفريقين ، وصرَّحوا بما دلَّت عليه النصوص المعتبرة من أنَّ الأنبياء السابقين كانوا مظاهر النور المحمدي ، وإنَّ نبينا (صلى الله عليه وآله) كان قد سبقهم في الوجود.))([1]) ، و كَيْلُ المدح من الشارح لعالم من علماء مدرسة الصحابة يكشف أنَّ الاختلاف لا يفسد في الودّ قضيَّة ، رُغم أنَّنا لا نجد هذا المدح عند مدرسة الصحابة لعلماء مدرسة أهل البيت(عليهم السلام) ، ولم يمنعهم ذلك من بيان مكانتهم العلمية ومعرفتهم الدينية ، وطول نجادهم في تثبيت الرواية.

وظَّف الشارح أبيات البوصيري لبيان تأكيد الخبر الوارد بأسبقيَّة رسول الله (صلى الله عليه وآله) ليؤكد بها اتفاق المسلمين على صحّة هذا الخبر ، ولم يشذ عنهم إلّا فئة قليلة اتّخذت من ظواهر الأشياء حجَّة في كل شيء فخالفوا جميع المسلمين ، فكان توظيف هذه الأبيات بطريقة التناص التدويلي غرضها توكيد الخبر

---

[1]) مع الأئمة الهداة : ٦٢ ، يُنظر : المولد النبوي ... هل نحتفل؟ ، شحاته محمد صقر ، دار الخلفاء الراشدين ، الإسكندرية ، دار الفتح الإسلامي ، الإسكندرية ، مصر ، د.ط ، د.ت : ٣٣/١ ، تفسير ابن باديس في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير ، عبد الحميد محمد بن باديس الصنهاجي ت(١٣٥٩هـ) ، تحقيق : أحمد شمس الدين ، دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٤١٦هـ – ١٩٩٥م : ٤٧/١ .

. كما مرَّ . وليس الناظم من قال بصحّة هذا الخبر فحسب ؛ وإنَّما كلُّ شارحي البردة البوصيرية ، وهذه الأبيات هي امتصاص من قول رسول الله (صلى الله عليه وآله) : ((**كُنْتُ نَبِيّاً وَآدَمُ بَيْنَ المَاءِ وَالطِّيْنِ**))([1]) ؛ لذا نهل الشعراء من هذا الحديث وامتصّوا المعنى العام له ووظَّفوه في أشعارهم ، وكأنَّ السيد رضا الهندي يُجيب على ذلك بقوله في مدحه للنبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) : [من الطويل]

لهُ الصَّدرُ بيْنَ الأنْبياءِ وقبْلُهم على رأسِهِ تاجُ النُّبُوَّةِ يُعْقَدُ

لَئنْ سَبَقُوهُ بالمَجِيءِ فَإنَّما أَتَوا لِيَبُثُّوا أَمْرَهُ وَيُمَهِّدُوا([2])

والبيت الثاني مما قاله الهندي ممكن أن نحسبه جواباً لأبيات البوصيري ؛ إذ بيَّن سبب مجيء الأنبياء قبل رسول الله (صلى الله عليه وآله) وهو تمهيد الأمر لرسول الله وتثبيت قواعد دولته .

وليس الحديث فقط مَن يؤكد خلق النبي الأكرم قبل الأنبياء (صلوات ربي وسلامه عليهم) ؛ بل حتى القرآن الكريم يؤكد هذا الخبر ، وهو قوله تعالى :﴿**وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا**﴾{**الأحزاب/٧**} ، وهذا التقديم ؛ تقديم خلقي لا تفضيلي، والدراسة تدرَّجت بهذا السُّلَّم الحجاجي التدريجي من ذكر من الدليل البسيط (الشعر) ثمَّ الأقوى (الرواية) ثمَّ الأقوى (الآية القرآنية الشريفة) لتؤكد أنّ الخبر الوارد بهذه الحادثة من المُسلَّمات الدينية والأدبية عند الجميع، فتنبَّه الشارح إلى تدويل الحادثة بطريقة الأدب لجذب الانتباه واستمالة النفوس.

---

[1]) الحاشية على أصول الكافي ، أحمد بن زين العابدين العلوي العاملي ت(١٠٥٧هـ) ، دار الحديث ، قم ، إيران ، ط١ ، ١٤٢٧هـ : ١٦٣/١ .

[2]) ديوان السيد رضا الموسوي الهندي : ١٧ .

ويأتي الشرح تارة يكشف عن امتصاص معناه من قطعة أدبية كما جاء في قول **الميلاني** أثناء حديثه لبيان شأن العلم في الإسلام ، قال : ((ولا يخفى شأن العلم وقدره وقيمته في المنظور الإسلامي ، وما ورد في الحث على طلب العلم وتحصيله لا يمكن إحصاؤه ، ولقد بلغ قدر العلم حدَّاً أوجب احترام العالم وإن كان كافراً كما هو الحال عند العقلاء ، وذلك لأنَّ العلم نور وكمال والجهل نقص وظلام))([1]) ، وهذا الكلام هو امتصاص من قصيدة تُنسب إلى أمير البلغاء وسيد العلماء وإمام الأوصياء علي بن أبي طالب (عليه السلام) قال فيها : [من البسيط]

النَّاسُ مِنْ جِهَةِ التِّمْثَالِ أَكْفَاءٌ ... أَبُوهُمْ آدَمُ وَ الْأُمُّ حَـــوَّاءُ

وَ إِنَّمَا أُمَّهَاتُ النَّاسِ أَوْعِيَةٌ ... مُسْتَوْدَعَاتٌ وَ لِلْأَحْسَابِ آبَاءُ

فَإِنْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ أَصِلِهِمْ شَرَفٌ ... يُفَاخِرُونَ بِهِ فَالطِّينُ وَ الْمَاءُ

وَ إِنْ أَتَيْتَ بِفَخْرٍ مِنْ ذَوِي نَسَبٍ ... فَإِنَّ نِسْبَتَنَا جُودٌ وَ عَلْيَاءُ

لَا فَضْلَ إِلَّا لِأَهْلِ الْعِلْمِ إِنَّهُمْ ... عَلَى الْهُدَى لِمَنْ اسْتَهْدَى أَدِلَّاءُ

وَ قِيمَةُ الْمَرْءِ مَا قَدْ كَانَ يُحْسِنُهُ ... وَ الْجَاهِلُونَ لِأَهْلِ الْعِلْمِ أَعْدَاءُ

فَقُمْ بِعِلْمٍ وَ لَا تَبْغِي لَهُ بَدَلًا ... فَالنَّاسُ مَوْتَى وَ أَهْلُ الْعِلْمِ أَحْيَاء([2])

قام الشارح بامتصاص المعانى العام لهذه الأبيات التي غلب عليها طابع الحكمة والإرشاد والأخلاق الإسلامية ؛ ووظَّفها في نصِّه ، فكان النَّصُّ عصارة لهذه الأبيات وتؤطره وتتغلغل في أعماقه فأصبح النصُّ مطابقاً لهذه الأبيات إلّا أنَّه منثور

---

[1]) مع الأئمة الهداة ، الميلاني : ٨٥ .

[2]) ديوان امير المؤمنين ، المبيدي : ٢٤ ، وجدت الدراسة تغيير بعض الألفاظ في البيت الأخير في الديوان الذي جمعه الدكتور يحيى مراد ، (ففز) بدلاً من (فقم) و(تطلب) بدلاً من (تبغي) ، يُنظر : ديوان الإمام علي بن أبي طالب : ٩ .

والأبيات منظومة ، والشارح لم يُشر إلى هذه الأبيات ولم يُحيلْ إليها ، وكان يجدر به أن يوضِّح هذا الأمر ، ورُبَما كثرة الحفظ يطبع في الذاكرة المعنى العام لنصٍّ معيَّن فيسكب معناه في نصٍّ جديد دون أن يشعر أنّ هناك نصّاً قد امتصَّ منه المعنى.

وفي هذا النص حوارُ مع قول سيد الكائنات (صلى الله عليه وآله) الوارد عن حفيده صادق العترة (عليهم السلام): ((**الْعِلْمُ نُورٌ يَقْذِفُهُ اللَّهُ فِي قَلْبِ مَنْ يَشَاء**))([1])، وكذلك جاء عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الصادق (عليه السلام)، قَالَ للمفضل بن عمر : ((**يَا مُفَضَّلُ، لَايُفْلِحُ مَنْ لَا يَعْقِلُ، وَ لَا يَعْقِلُ مَنْ لَا يَعْلَمُ، وَ سَوْفَ يَنْجُبُ مَنْ يَفْهَمُ، وَ يَظْفَرُ مَنْ يَحْلُمُ ، وَ الْعِلْمُ جُنَّةٌ، وَ الصِّدْقُ عِزٌّ، وَ الجَهْلُ ذُلٌّ، وَ الْفَهْمُ مَجْدٌ، وَ الْجُودُ نُجْحٌ ، وَ حُسْنُ الْخُلُقِ مَجْلَبَةٌ لِلْمَوَدَّةِ، وَ الْعَالِمُ بِزَمَانِهِ لَاتَهْجُمُ عَلَيْهِ اللَّوَابِسُ، وَ الْحَزْمُ مَسَاءَةُ الظَّنِّ، وَ بَيْنَ الْمَرْءِ وَالْحِكْمَةِ نِعْمَةُ الْعَالِمِ ، وَالْجَاهِلُ شَقِيٌ بَيْنَهُمَا، وَاللَّهُ وَلِيُّ مَنْ عَرَفَهُ، وَعَدُوُّ مَنْ تَكَلَّفَهُ ، وَالْعَاقِلُ غَفُورٌ، وَالْجَاهِلُ خَتُورٌ...**))([2]) ، فحاور الشارح هذه الروايات بالإضافة إلى امتصاصه لمعنى الأبيات المنسوبة لإمام المتقين (عليه السلام)، فاستطاع الشارح أن يوظِّف المعاني العامَّة للنصوص المذكورة ويجمع معانيها في نصٍّ قصير الألفاظ ؛ غزير المعاني ، فكانت للدراسة لمستها في بيان أنَّ التناصَّ هو أحدُ المعايير النقدية في شروح الزيارة الجامعة الكبيرة .

ومن التناص الأدبي الذي تعكَّز عليه شارحو الزيارة الجامعة الكبيرة ؛ ما ورد في قول **الغزّي** من بيان مفهوم درجات الجود ؛ قال : ((...العرفاء يقولون بأنَّ أجود

---

[1]) مصباح الشريعة ، الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) ت(١٤٨هـ) ، مؤسسة الأعلمي، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٤٠٠هـ : ١٦ .

[2]) الكافي : ٦١/١ .

الجود الإلهي أنَّه جاد بنفسه ، ما المراد أنَّهُ جاد بنفسه ؟ العبارات مجازية ، جاد بنفسه أنَّهُ تجلَّى بكل أسمائه في الحقيقة الأولى ، والجود بالنفس أقصى غاية الجود، من أين جاء الإنسان بهذه المقدرة على أنْ يجود بكل ما عنده ، هناك من الناس من عنده المقدرة ومن عنده الحب بأنْ يجود بكلِّ ما عنده في سبيل من يحب ، من أين جاء بهذه القدرة إنْ لم تكن من الأصل...))([1]) ، ذكر الشارح في هذا النصِّ شطراً من بيت لمسلم بن الوليد الشاعر العباسي ، فهو حوار مع بيت الشاعر : [من البسيط]

يَجُودُ بالنَّفْسِ إنْ ضَنَّ الجَوادُ بِها والجودُ بالنَّفْسِ أَقْصَى غايةِ الجُودِ([2])

فأدخل الشارح شطراً من هذا البيت بطريقة الحوار الجزئي للإطار المعنوي العام ووظَّفه توظيفاً جميلاً ؛ ولو أنَّه ذكر البيت وأوعزه إلى قائله ؛ لكان أجمل ، ورُبَما بسبب اتخاذ هذا البيت مثلاً في الأوساط الاجتماعية ؛ ذكره الشاره على أنَّه مثل ، وهذا لا يعفيه عن المسائلة بإرجاعه لأصله ، فالشطر أعطى جماليَّة خاصَّة تؤكد فحوى المعنى الذي أراده الشارح .

ومثل هذا الحوار الأدبي يذكره **الغزّي** في قوله : ((...**وأُصُول اَلكرمِ** يعني أصول الشرف ، وحينما يقال شيءٌ كريم شيءٌ شريف ، الشيء الشريف ، الكائن الشريف ، الموجود الشريف هو الموجود الذي لا يلحق به عيب ، لا يلحق به نقص، فهم **خُزّانَ العِلْمِ** وهم **مُنْتَهَى الحِلْمِ** وهم **أُصُوْلَ الكَرَمِ** ، إليهم كلُّ مكرمةٍ تؤول ، إليهم كل مكرمة تعود ، هم أصل الكرم لأنَّ الكرم الإلهي تجلى فيهم...))([3])، في هذا النص نجد

---

[1]) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، الغزّي : ٢١٠/١ .

[2]) ديوان مسلم بن الوليد ، تقديم : كرم البستاني ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٩٩٨م : ١٨٧ .

[3]) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، الغزّي : ٢٣٣/١ .

الشارح يحاور الأبيات التي تُنسب إلى الإمام كريم أهل البيت الحسن بن علي (عليه السلام) فكان يفتخر بأصله وفرعه وجوده وكرمه فقال : ((...**مَنْ كَانَ يُبَاءُ بِجَدٍّ فَجَدِّي الرَّسُولُ أَوْ كَانَ يُبَاءُ بِأُمٍّ فَإِنَّ أُمِّي الْبَتُولُ أَوْ كَانَ يُبَاءُ بِزَوْرٍ فَيَزُورُنَا جَبْرَئِيلُ** أَنْشَدَ : [من الوافر]

إِلَيْكُمْ كُلُ مَكْرُمَةٍ تَئُـولُ إِذَا مَا قِيلَ جَدُّكُمُ الرَّسُولُ

كَفَاكُمُ مِنْ مَدِيحِ النَّاسِ طُرّاً إِذَا مَا قِيلَ أُمُّكُمُ الْبَتُولُ

وَ إِنَّكُـمْ لَآلُ اللهِ حَـقّـاً وَ مِنْكُمْ ذُو الْأَمَانَةِ جَبْرَئِيلُ

فَلَا يَبْقَى لِمَادِحِكُمْ كَلَامٌ إِذَا تَمَّ الْكَلَامُ فَمَا يَقُولُ))([1])

فهذا النصُّ حوار مع هذه الأبيات ، حاول الشارح محاورتها دون الرجوع إليها، فنجده يستعمل بعض ألفاظ المقطوعة مع الحفاظ على المعنى العام من مدح آل الرسول (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) وبيان مقاماتهم السامية ، بالإضافة إلى تدويله لبعض فقرات الزيارة الجامعة في هذا النصّ ، ولم يذكر هذه الحوارية ، وهي نتيجة الحصيلة اللغوية التي يمتلكها ، وهي التي أدت به إلى استعمال بعض الألفاظ دون ذكر أصولها ، وذكر المعنى العام المستنبط من النص الأصلي .

---

[1]) مناقب آل أبي طالب : ٩/٤ . يُنظر : روضة الواعظين وبصيرة المتعظين ، محمد بن أحمد الفتال النيشابوري ت(٥٠٨هـ) ، منشورات الرضي ، قم ، إيران ، ط١، ١٤١٧هـ : ١٥٦/١ . أمَّا في الشبكة المعلوماتية ؛ فقد أوردوا الأبيات إلى الشاعر علي الرمضان الشهيد : المولود في عام ١١٨٥ هـ والمتوفى في عام ١٢٦٦ هـ ، في مدينة الهفوف ، الأحساء، وتوفي فيها .تنقل بين الأحساء وإيران والبحرين . سافر إلى إيران للتحصيل الدراسي. تنوعت أغراض شعره بين المدح والرثاء ، وذكر بعض المناسبات الاجتماعية، فضلاً عن الغزل العفيف، وأراجيز. ؛ لكنَّ المقطوعة المذكورة وردت في المصادر القديمة ، رُبَما لكثرة تردده بها أو وجدوها في ديوانه ، إلّا أنني لم أجد ديوانه لأفتِّش عنها فيه ، يُنظر :

https://www.arabehome.com/poetry .

ومن التناص الأدبي ما جاء في شرح **الغزّي** أيضاً في قوله الذي يبيّن فيه عدم إساخة الأرض بأهلها في مقتل الإمام أبي عبد الله الحسين (صلوات ربي وسلامه عليه) ؛ قال : ((لكنَّ الأرضَ ما ساخت ، لأنَّ إمامتهم الكونية لا تقتل وإنَّما تصل السيوف، تصل السيوف وبرغبتهم، تصل السيوف وبإرادتهم ، هذا الكلام وإن قاله شاعرٌ من شعراء أهل البيت: [من الكامل]

إنْ كَانَ دِيْنُ مُحَمَّدٍ لَمْ يَسْتَقِمْ إلَّا بِقَتْلِيْ يَا سُيُوْفُ خُذِيْنِيْ

هذا الكلام وإن قاله شاعرٌ من شعراء أهل البيت ، ربما الكثير يتصورون أنَّ هذا البيت لسيد الشهداء ، هذا البيت لأحد الشعراء المتأخرين للشيخ محسن أبو الحب([1]) من أدباء محبي أهل البيت ومن شعراء الحسين، لكن هذا المعنى هو قراءةٌ وإدراكٌ من قِبل الشاعر للحقيقة التي كانت في الطفوف...))([2]) ، وهذا من التناص التدويلي الذي استدعى الشارح بيتاً من قصيدة محسن أبي الحب الذي قالها على لسان الإمام الحسين (عليه السلام) .

وقد ((صور أبو الحب في هذا البيت حال الحسين(عليه السلام) بعد أن قدم القرابين من أهل بيته ، قام بتقديم نفسه قرباناً لدين جده محمد(صلى الله عليه وآله وسلم)، وقد توهم الكثير بأن هذا البيت هو من نظم الإمام الحسين(عليه السلام) في ساحة المعركة؛ وذلك لما أوحى لهم تصويره ، إلا أنَّه من نظم خطيب كربلاء

---

[1]) هو الشيخ محسن بن محمد بن الملا حسن أبو الحب الكعبي الحائري ، يُنظر : تراث كربلاء، سلمان هادي آل طعمة، منشورات مؤسسة الأعلمي للطباعة، بيروت، ط٢ ، ١٩٨٣م : ١٥٥ .

[2]) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، الغزّي : ٦٣/٢ ، يُنظر : ديوان الشيخ محسن أبو الحب الكبير ت(١٣٠٥هـ) ، تحقيق : جليل كريم أبو الحب ، بيت العلم للنابهين، بيروت، لبنان ، ط١ ، ٢٠٠٣م : ١٦٨ .

وشاعر المأساة الحسينية الشيخ محسن أبي الحب الكبير.))([1]) ؛ فاستلهم الشارح من بيت أبي الحب المعنى وحلل مفاد البيت وحلَّ ما كان مستشكلاً لدى أغلب الناس الذين كانوا يعتقدون أنَّه من نظم الإمام الحسين الشهيد (عليه السلام) .

وليس هذا فحسب ؛ وإنَّما بيَّن الشارح العلَّة من عدم إساخة الأرض بعد قتل إمامها وفيض وجودها ، فإنّها ما ساخت لعدم زوال الإمامة وأنَّ فيها من الأقطاب ما يستوجب بقاءها ، وامتداد الإمامة قمينٌ بامتداد الحياة عليها ؛ فقد وُفِّق الشارح في هذا التحليل وبيان السبب في عليَّة بقائها .

ومن التناص الأدبي التدويلي ؛ ما ورد في شرح الصدر ، ذكر ذلك في ذيل رواية في قوله : عن ((ابن أبي عمير عمّن سمع أبا عبد الله عليه السلام يقول : **مَا أَحَبَّ اللهَ عزّ وجلّ مَنْ عَصَاهُ** ثمّ تمثّل فقال : [من الكامل]

تَعصي الإِلَهَ وَأَنتَ تُظهِرُ حُبَّهُ هَذا مَحالٌ في القِياسِ بَديعُ

لَو كانَ حُبُّكَ صادِقاً لَأَطَعتَهُ إِنَّ المُحِبَّ لِمَن يُحِبُّ مُطيعُ))([2])

وهذا تدويل من محمد بن إدريس الشافعي ت(٢٠٤هـ)([3]) إمام المذهب الشافعي أحد المذاهب الأربعة ، إلّا أنَّ الشارح لم يُشر إلى الشاعر وإنَّما اعتمد على تمثيل مَن سبقه بها ، وهذا يجعل مفكك السُّنن يحكم بنسبتها إلى صاحب الرواية أو ينسبها إلى الإمام الصادق (عليه السلام) ، فكان على الشارح إرجاع الأبيات إلى أصولها أو يذكر قائلها أو الإحالة إليه تلافياً للخلط والإيهام ، فذكرُ هذه الأبيات من التناصّ

---

[1]) ديوان محسن أبو الحب الكبير . دراسة موضوعية فنية . (رسالة ماجستير) ، راوية محمد هادي الكلش ، كلية التربية للعلوم الإنسانية ، جامعة كربلاء ، ٢٠١٠م : ١١ .

[2]) في رحاب الزيارة الجامعة الكبيرة ، الصدر : ١٧٢ ، يُنظر : بحار الأنوار : ١٤/٧٠ .

[3]) يُنظر : ديوان الإمام الشافعي ، اعتنى به : عبد الرحمن المصطاوي ، دار المعرفة ، بيروت، لبنان ، ط٤ ، ٢٠٠٧م : ٧٨ .

التدويلي جاء بها الشارح لغرض الاهتمام والإرشاد إلى طاعة الله تعالى كي يكون الحبُّ نابعاً عن صدق ، وتطابق شعر الشافعي مع قول الإمام الصادق (عليه السلام) هو امتصاص قام به الشافعي في استقطاب المعنى من الإمام ووظَّفه في شعره ، وهو دليل تأثُّره بمنهج وكلام الإمام (عليه السلام) ؛ لأنَّه يُعدُّ من تلامذة تلاميذه (عليه السلام) .

ومن التناص التدويلي الوارد في شروح الزيارة الجامعة ؛ ما جاء في شرح **الصدر** أيضاً ، إذ نسب أبياتاً للإمام الصادق عليه السلام في قوله : ((وفي حديث ابن أبي عمير ، عمّن سمع أبا عبد الله عليه السلام يقول : [من الطويل]

لِكُلِّ أُنَاسٍ دَوْلَةٌ يَرْقَبُونَهَا وَدَوْلَتُنَا فِي آخِرِ الدَّهْرِ تَظْهَرُ))([1])

فقد نسبوا هذا البيت إلى الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) ولم أقف على قائل غيره ؛فلقد ذكره أرباب الحديث ونسبوه له (عليه السلام)([2]) ، فهو تناصٌّ تدويلي استعان به الشارح مع ذكر معدنِه الذي جاء على لسانه ، وفي هذا البيت نجد أنَّ الإمام الصادق (عليه السلام) يُمهِّد لدولة العدل الإلهيَّة المنتظرة التي دعا إليها جميع الأنبياء والمصلحين لينتشر الدين تحت عباءة القسط والعدل ؛ واندحار الظلم والجور بها ؛ ويؤكد (عليه السلام) أنَّ دولتهم لم تكن في وقته وإنَّما في آخر الدهر حيث يستشعر المتلقّي أنَ الإمام يُحذّر من الحركات المهدويَّة التي كانت تروّج لهذه الفكرة وقتئذٍ ؛ إذ ظهرت مجموعة من الفِرَق تدعوا إلى أشخاص يدَّعون الدولة الموعودة ، فالإمام الصادق (عليه السلام) في هذا البيت جاء بالجملة الخبرية الطلبية التي خرجت عن خبريتها للتحذير والتنبيه .

---

[1]) في رحاب الزيارة الجامعة الكبيرة ، الصدر : ٥٠٥ .

[2]) يُنظر: الأمالي ، (الصدوق) : ٥٧٨ ، روضة الواعظين : ٢٦٧/٢ ، بحار الأنوار: ٤/٧٤ .

وفي شرح الصدر موارد أخرى للتناصِّ الأدبي ([1]) ؛ إلّا أنَّنا ذكرنا أمثلة منها لبيان النموذج لا على سبيل الحصر .

[1]) يُنظر: في رحاب الزيارة الجامعة الكبيرة ، الصدر : ٧٢ ، ٤٦٩ ، ٥٩٣ ، ٦١٢ ، وغيرها .

المطلب الثاني

التناصُّ اللغوي

المقصود بالتناص اللغوي : هو استقطاب مخرجات اللغة التي تأثر بها الكاتب في نصِّه الجديد و توظيفه لها توظيفاً فنِّيَاً وفكريَّاً ، فتكون اللغة الخاصَّة التي كتبها الباث هي متناصَّة مع لغة نصٍّ آخر ، أو استدخال نصوص لغويَّة (نحوية وصرفية وصوتية ومعجمية) في بيان معانٍ معيَّنة دون ذكر أصولها .

ولغة الشروح المختارة للزيارة الجامعة الكبيرة فيها من هذه النصوص التناص الكثير ؛ سنذكر منها نماذج لكلِّ شارح دون الإسهاب والتطويل ؛ وتمثيلنا لغرض بيان وجودها لا التأكيد على حصر المُمَثل به فقط .

نجد التناصَّ اللغوي في شرح المجلسي الأوَّل ، في بيان شرحه لقول الإمام الهادي (عليه السلام) : ((**وَالذَّادَةُ الحُمَاةُ**))([1]) ، قال : ((**وَالذَّادَةُ:** جمع الذائد ، من الذود بمعنى الدفع))([2]) ، وهو تناص حواري مع ما جاء في المعجمات اللغوية بمعنى مفردة (ذَوَدَ) ، قال الخليل : ((ذود : الذَّوْد من الإبِل من الثلاث إلى العشر. وذُدْتُه أذودُه عن كذا أي دَفَعته.))([3]) ، وإلى هذا المعنى ذهب جلُّ اللغويين([4]) ، ولكنَّ الشارح رأى من البداهة معرفة هذا المعنى وهو من باب [توضيح الواضحات

---

[1]) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، المجلسي الأوَّل : ٧٣ .

[2]) المصدر نفسه : ٧٣ .

[3]) كتاب العين : ٥٥/٨ .

[4]) يُنظر : الفرق ، أبو حاتم سهل بن محمد بن عثمان الجشمي السجستاني ت(٢٤٨هـ) ، تحقيق: حاتم صالح الضامن ، المجمع العلمي العراقي ، بغداد ، العراق ، د.ط ، ١٩٨٦م : ٢٥١/١ ، مقاييس اللغة : ٣٦٥/٢ ، المحكم والمحيط الأعظم : ٤١٥/٩ ، تاج اللغة : ٤٧١/٢ ، وغيرها .

من أشكل المشكلات] ؛ لذا لم يُشر إلى أصله في المعجمات العربية ، في حين أنَّ الأمر ليس كذلك ما دام اللفظ يحمل دلالة مركزية تتعدد مصاديقها بحسب السياقات وبحسب القرائن ، كما أنَّ الذَّودَ يعني العددية في الإبل ؛ يعني الدفع ، فكان عليه تشخيص المصداق لبيان المعنى مع ذكر الأصل اللغوي للّفظ .

التناص اللغوي لم نُرد منه استعمال الشارح للألفاظ بقدر اعتماده على المعنى اللغوي الذي جاء عند غيره وتحديد ذات المعنى وذات الاستعمال في بيان الدلالة اللفظية ، وهذا ما نؤكده في هذا المضمار ؛ لأنَّ المعاني مباحة في بيان الدلالات، بالإضافة إلى ذلك متعلقات اللفظ. من قرينة وسياق وجملة وتركيب وعبارة ونص . إذ إنَّها تؤثر تأثيراً كبيراً في تحديد مصداق اللفظة .

ومن ذلك ما جاء في بيان قول الإمام العاشر (عليه السلام) : ((**وَعَزَائِمُهُ فِيْكُم**))([1])، قال المجلسي الأوَّل : ((**وَعَزَائِمُهُ فِيْكُم** ،أي : الجدُّ والصّبر والصَدع بالحق.))([2]) ، وهذا المعنى امتصاص لغوي من قول الخليل : ((عزم : العَزْمُ : ما عَقدَ عليه القلبُ أنَّكَ فاعلهُ، أو من أمرٍ تيقّنْتَهُ. وما لفلان عزيمة ، أي : ما يثُبتُ على أمرٍ يَعْزِم عليه، وما وجدنا له عَزْما، وإن رأيه لذو عزم.))([3]) ، حيث امتصَّ الشارح هذا المعنى كاملاً واختصره في ثلاث كلمات أوجز فيه المراد وقدَّمه على طبق أمام القارئ دون أن ينقص من معناه شيئاً ، ولم يُحيل في بيان المعنى إلى

---

[1]) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، المجلسي الأوَّل : ١٤٥ .

[2]) المصدر نفسه : ١٤٥ .

[3]) كتاب العين : ٣٦٣/١ ، ويُنظر : معجم ديوان الأدب ، أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم بن الحسين الفارابي ت(٣٥٠هـ) ، تحقيق : أحمد مختار عمر ، مراجعة : إبراهيم أنيس ، مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، القاهرة ، مصر ، ط١ ، ٢٠٠٣م : ١٨٥/٢ ، تهذيب اللغة : ٩٠/٢ ، تاج اللغة : ١٩٨٥/٥ .

أصله المعجمي ولم يحدد مصداقه الذي حُصر في إطار الجملة ، ورُبَما جعل الكلمات الثلاث مطلقة بسبب إطلاق الإمام الهادي (عليه السلام) للعزائم ولم يُحددها في أي شيء ؛ فإذا كان كذلك ؛ فهي التفاتة رائعة من قبل الشارح بالإطلاق دون التحديد.

وإلى هذا المعنى ذهب **المجلسي الثاني والجزائري** دون أن يذكرا أصل المعنى المعجمي([1]).

وغيرها من المواضع التي ورد فيها التناص اللغوي في شرح المجلسي الأوَّل([2])؛ إلَّا أنَّنا نكتفي بهذين المثالين .

وكذا اعتمد **المجلسي الثاني** على التناص اللغوي في أداء المعاني للألفاظ الواردة في الزيارة الشريفة ؛ منه ما ذكره في معنى الإياب ما قاله : ((الإياب بالكسر الرجوع، أي : رجوع الخلق في الدنيا لجميع أمورهم إليهم ، وإلى كلامهم ، وإلى مشاهدهم ، أو في القيامة للحساب ، وهو الأظهر.))([3]) ، وهذا المعنى امتصاص من المعنى اللغوي الوارد في المعجمات اللغوية دون أن يذكر ذلك الشارح([4]) ، فيعتمد الشارح على المعنى المعجمي في بيان القصد الوارد في السياق، وعدَّ التحديد برجوع الخلق في شيء إليهم ؛ دلَّ على أنَّ رجوع الخلق في كلِّ أمورهم إلى الأئمة (عليهم السلام) ، ولكنَّ الشارح جعل ذلك منوطاً بـ(أو) التخييرية ، وقد رجّح رجوع الخلق إليهم في الحساب بقوله : (وهو الأظهر) ، إلّا أنَّ الإمام الهادي (عليه

---

[1]) يُنظر : شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، المجلسي الثاني : ٢١٨ ، شرح الزيارة الجامعة الكبيرة، الجزائري : ٢٤٨ .

[2]) يُنظر : شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، المجلسي الأوَّل : ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٧ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥٤، ٧٨ ، ٨٢ ، ٩٤ ، ١١٢ ، وغيرها .

[3]) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، المجلسي الثاني : ٢٢٥ .

[4]) يُنظر : كتاب العين : ٤١٦/٨ ، المُنجَّد في اللغة : ١٣٤/١ ، جمهرة اللغة : ٢٢٩/١ .

السلام) لم يُحدد الأمر بالرجوع ؛ وإنَّما جعله مطلقاً ليؤكد على الرجوع في كلِّ شيء، وما يؤكد ذلك سؤالات الإمام الباقر (عليه السلام) لقتادة عن تفسير القرآن الكريم([1])، ويبدو أنّ الفقرة التالية من قوله الإمام (عليه السلام) : ((**وَحِسَابُهُم عَلَيْكُم**))([2]) هي التي جعلت الشارح يُرجح الرجوع في يوم القيامة دون غيره ، لذا كان استنباط الشارح المعنى من المعاجم اللغوية ووظفها في نصِّه بألفاظه الخاصَّة .

وذكر **المجلسي الثاني** قول الفيروز آبادي في معنى التسليم ؛ في قوله : ((وفي القاموس : التسليم : الرضا والسلام ، وأسلم : انقاد وصار مسلماً كتسلّم ، [وسلّم العدو: خذله، وسلّم] أمره إلى الله تعالى : سلّمه، وتسالماً : تصالحاً، وسالماً : صالحاً))([3])، وهو تناص تدويلي من قول الفيروز آبادي هو : ((والتَّسْلِيمُ: الرِّضا، والسَّلامُ. وأسْلَمَ: انْقادَ، وصارَ مُسْلِماً، كتَسَلَّمَ، و. العَدُوَّ: خَذَلَهُ، و. أمْرَهُ إلى الله تعالى: سَلَّمَه. وتَسالَمَا: تَصَالَحَا.وسالَمَا: صالَحا.))([4]) ، فكان الشارح أميناً في نقله لهذا النص ، وقد توهَّم المحقق بأن قال : ((وسلّم العدو: خذله، وسلّم] ما بين المعقوفتين منه))([5]) ، إلّا أنّ النص هو هو مع فارق في علامات الترقيم فقط .

إذن : وظَّف الشارح نصّ الفيروز آبادي . في بيان معنى التسليم . توظيفاً تدويليَّاً أدّى ذلك إلى بيان القصد الترجيحي لهذه الكلمة ، معتمداً على المعنى المعجمي لها.

---

[1]) يُنظر : الكافي : ٢٥٦/٦ ، ٣١١/٨ ، ٣١٢ ، روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه : ٤٧٦/٧ .

[2]) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، المجلسي الثاني : ٢٢٥ .

[3]) المصدر نفسه : ٢٣٢ .

[4]) القاموس المحيط : ١١٢١/١ .

[5]) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، المجلسي الثاني : ٢٣٢ ، الهامش .

وقد تناصَّ **الهمداني** المعنى النحوي في التعدية للفعل المتعدي بنفسه والمتعدي بحرف الجر أو بالتضعيف أو بالهمزة ؛ من القواعد النحوية التي وضعها النحويون مع بيان تفسير القاعدة ، في شرح قول الإمام العاشر (عليه السلام) : ((**فَبَلَغَ اللهُ بِكُم أَشْرَفَ مَحلِّ المُكرَّمِينُ**))([1]) ، قال : ((...والباء في (بكم) للتعدية ، فإنَّ (بَلَغَ) لا يتعدّى إلى المفعول الذي هو المُبلَغ . بفتح اللام . إلّا بالتضعيف . كقوله : (بلَّغه مناه) . أو بالباء كقوله : (بَلَغَ بكم) .وأمَّا إلى المفعول الذي هو المبلَّغ إليه فيتعدّى بنفسه وبـ(إلى) وبغيرهما.))([2]) ، وهذا الكلام امتصاص من قاعدة نحوية سار عليها النحويون منذ تأسيس القواعد النحوية وحتى الآن([3]) ، فاعتمد الشارح على المعنى النحوي ووظفه في تطبيقه على بيان تراكيب الزيارة الجامعة ، وهو امتصاص لغوي ولم يُحيل الشارح إلى هذه القاعدة النحوية ؛ بيد أنَّه تبنَّاها ولبس رداء النحوي وطبَّق

---

[1]) الشموس الطالعة من مشارق الزيارة الجامعة ، الهمداني : ٥٥٣ .

[2]) الشموس الطالعة من مشارق الزيارة الجامعة ، الهمداني : ٥٥٣ .

[3]) يُنظر : أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك : ٢٢٩/٣ ، توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك ، أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ المرادي المصري المالكي ت(٧٤٩هـ) ، شرح وتحقيق : عبد الرحمن علي سليمان ، أستاذ اللغويات في جامعة الأزهر ، دار الفكر العربي ، ط١ ، ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٨م : ٨٨٧/٢ ، شرح شافية ابن الحاجب مع شرح شواهده ، عبد القادر البغدادي ت(١٠٩٣هـ) ، محمد بن الحسن الرضي الإستراباذي، نجم الدين ت(٦٨٦هـ) ، حققهما، وضبط غريبهما، وشرح مبهمهما، الأساتذة: محمد نور الحسن – المدرس في تخصص كلية اللغة العربية ، محمد الزفزاف – المدرس في كلية اللغة العربية، محمد محيى الدين عبد الحميد – المدرس في تخصص كلية اللغة العربية ، دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان ، ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥ م : ٢٠/١ . حاشية الصبان على شرح الأشمونى لألفية ابن مالك ، أبو العرفان محمد بن علي الصبان الشافعي ت(١٢٠٦هـ)، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٩٩٧م: ٣٣٧/٢ ، وغيرها .

آلياته على التراكيب للوصول إلى مبتغاه ، فكان الامتصاص النحوي أحد الوسائل التي اعتمدها الشارح لبيان الحكمة من مجيء حرف الجر مع الضمير الجمعي.

و**الهمداني** يؤمن بمفهوم الترادف اللغوي ؛ فقد صرَّح في ذلك في قوله : ((ومن المعلوم أنَّ (الصلة) و (المودَّة) ترادفان (المعرفة) فكلَّما ازدادت ازدادتا...))([1]) ، وقد قال بالترادف كثير من العلماء وأنكره آخرون ، لأنَّ ((المعروف بصفة عامة أنَّ الترادف التام للمفردات نادر نسبياً في اللغات الطبيعية وأن الترادف المطلق ...غير موجود تقريباً ، وفي الحقيقة من المحتمل أن ينحصر الترادف المطلق في مفردات خاصة إلى حد بعيد تكون وصفية بحتة))([2]) ، لذا كان تحديد المترادفات من الصعوبة بمكان والإشارة إليها عسيرة .

فالترادف موضوعه شائك وطرقه غير معبَّدة ، إلّا أنَّ الدراسة تُقدِّمُ منهجاً جديداً للمفردة ؛ وهو : إنَّ المفرد العربية لها دلالة عامَّة مطلقة تبقى تلازمها أينما وردت في أي سياق ، ولهذه المفردة تمثُلات مختلفة يدل عليها السياق ، ويكون المعنى السياقي منتمياً . بشكل أو بآخر . للدلالة العامة المطلقة ، مع زيادة في المعنى الدلالي والبلاغيّ ، فتكون المفردة لها معنى عاماً يشملها ويشمل أخواتها المشابهة لها ؛ ولها معنى خاص يدل عليه السياق يُحتسب معنى إضافياً لبيان الغرض ، وتطلق الدراسة على هذا المنهج مصطلح (المفردة بين وحدة الدلالة العامة وتعدد التمثُلات) وتحتاج إلى دراسة خاصَّة للتوضيح والتطبيق .

---

[1]) الشموس الطالعة من مشارق الزيارة الجامعة ، الهمداني : ٦.٥ .

[2]) اللغة وعلم اللغة ، جون ليونز، دار النهضة العربية، القاهرة ، مصر، ط١ ، د.ت : ٢٠٢/١، يُنظر : الراغب الأصفهاني وجهوده في اللغة ، عمر عبد الرحمن الساريسي ، الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة ، السعودية ، ط١٣ ، ٢٠٠١م : ٢٣٣/١ .

فالدراسة لا تُنكر وجود الترادف من ناحية الدلالة العامَّة المطلقة ، فالألفاظ التي تُسمَّى مترادفة ؛ كلها تشترك بدلالة عامَّة تحوي كل هذه الكلمات وتكون مرجعاً لهذه الكلمات، ليس هذا فحسب ؛ بل تُلازم هذه المفردات في جميع سياقاتها ولا تنفك عنها البتة ، فالترادف بهذه الخاصيَّة موجود على نحو الكليَّة ، أمَّا التطابق التام ؛ فهذا ما يكون خاضعاً لسلطة السياق وهو محال جزماً ، فالسياق هو من يُحدد التمثُلات، حيث يكون السياق كاشفاً عن التمثُّل الخاص بالمفردة ، وكذلك ؛ للقرينة صولة في ميدان بيان المراد الدلالي للّفظة ، فلا نقول : إنَّ الكلمةَ ميّتةٌ في انفرادها؛ وإنَّما تخضع لمفهوم الدلالة العامة التي ستبقى معها أين ما وقعت في السياق، وما التمثُّلات إلَّا خصائص للاستعمال ، فتكون الكلمة بانفرادها ؛ لها دلالة عامة ملازمة لها دائماً، وتمثُّل خاص يُنبأُ عنه السياق ، فلا ترادف بذاته ولا إنكار لوجوده، إنَّما الترادف في العموم وإنكاره في الاستعمال ، فالفروق اللغوية : هي فروق سياقية أغدق عليها السياق خصائصاً لم تكن موجودة في ذات الكلمة عند إفرادها؛ إذ هي زيادة على المعنى الدلالي العام ولا تخرج عنه ، فلكلِّ مفردة خصائص سياقية تختلف عن أختها التي تنتمي معها إلى الدلالة العامَّة المطلقة .

فإذا ما جئنا نُطبِّق هذا المنهج على قول الهمداني ؛ نجد أنَّ معنى الصلة : ((كلُّ شيءٍ اتَّصَلَ بشيءٍ فما بينَهما وُصْلَةٌ.))([1]) ومعنى المودَّة : ((وددت الرجل وُداً ومودة ووِدادةً: إذا أحببته.))([2]) ، ومعنى المعرفة : ((عَرَف يَعْرِف عِرْفاناً ومَعْرِفة.

---

[1]) كتاب العين : ١٥٢/٧ ، يُنظر : الدلائل في غريب الحديث ، قاسم بن ثابت بن حزم العوفي السرقسطي، أبو محمد ت(٣٠٢هـ) ، تحقيق: د. محمد بن عبد الله القناص ، مكتبة العبيكان، الرياض ، السعودية ، ط١ ، ٢٠٠١م : ٤٠٧/١ .

[2]) شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم ، نشوان بن سعيد الحميرى اليمني ت(٥٧٣هـ) ، تحقيق : د حسين بن عبد الله العمري وآخرون ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٩٩٩م : ٧٠٣٨/١١ ، يُنظر : لسان العرب ، مادة (ودد) .

وَأمر عَارِف: مَعْرُوف عَرِيف. قلت: لم أسمع أَمر عَارِف أَي مَعْرُوف لغير اللَّيْث. وَالَّذِي حصَّلناه للأئِمَّة: رجل عَارِف أَي صَبُور...))([1]) ، من هذه البيانات المعجمية نجد أن الدلالة العامّة المطلقة لـ(الصلة و المودة) هي التماس المباشر بين شيئين ، فالصلة ما كانت بين شيئين وشيجة أو خيط موصول ، والمودَّة ما كانت وشيجة عاطفية بين شيئين ، فالدلالة العامّة المطلقة هي (الوشيجة بين شيئين) .

أمَّا بين اللفظين (الصلة والمودّة) وبين (المعرفة) لا نجد نسبة تلاقي ، فهما بعيدان عنها ولا اتصال بينهما وبينها .

مما تقدَّم : إذا كان قصد الشارح الترادف في الدلالة العامَّة المطلقة ؛ فكلاهما يعنيان الوشيجة بين شيئين ، إلَّا أنَّ السياقات ستفرِّق هذه الصلة بإضافة الغرض إلى المعنى الدلالي العام الذي نسميه (التَّمَثُّل) ، رُبَما . بحسن ظن . قصد هذه الدلالة العامَّة المطلقة ؛ وإلّا لا نسبة لفظية بين اللفظتين ، بيد أنّ (المعرفة) بعيدة جدَّاً عن المعاني المذكورة .

وذكر **الغزّي** مواضع للترادف في شرحه وأقرَّ بوجوده ؛ إلَّا أنَّه رادف بين ألفاظ بعيدة عن بعضها . لفظاً ومعنى . وقال بترادفها ، كترادف (الحلم والخير) وترادف (الكرم والشرف)([2]) ، وشتان بين اللفظة وأختها .

ويوجد مواضع أخرى أشار إليها **الهمداني** متناصَّاً بها مع غيره([3]) ، إلَّا أنَّنا نكتفي بهذا القدر دفعاً للتطويل والإسهاب .

---

[1]) تهذيب اللغة : ٢٠٧/٢ .

[2]) يُنظر : شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، الغزي : ٢٣٠/١ ، ٢٣٣ .

[3]) يُنظر : الشموس الطالعة من مشارق الزيارة الجامعة ، الهمداني : ٦٠٨ ، ٦٤٣ ، ٨١٨ ، ٨١٩ .

ونجد التناصَّ النحوي عند **الأحسائي** كثيراً جدّاً ، فهو يذكر مسائل نحوية متعددة منها ما ذكره في مسألة جر (الآل) في (صلى الله عليه وآله) فهو يستشهد في ما ورد عند النحويين في جر (الأرحام) في قوله تعالى : ﴿ . . .وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾{النساء/١} ، قال الأحسائي : ((إعلم إنَّك إذا قلتَ صلّى الله عليه وآله فإنّ أهل العربيّة ينصبون (الآل) لأنّ العطف على الضمير بدون إعادة الجار قبيح ؛ بل رُبَما منعه بعضهم ، والأكثر على جواز الجر، وقد قرئ ﴿ . . .وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ ﴾ بجرّ الأرحام ،هذا ما يعرفونه أهل اللغة وأمّا الموجود في كتب الأدعية المرويّة عنهم (عليهم السلام) المصحّحة المعربة فكلّها بجَرّ (آلِه) لا يكاد يوجد في جميع أحاديثهم وأدعيتهم موضع بالنّصب بحسب ما ورد عنهم إلّا ما كان في بعضها يوضع الفتح بالأحمر وهو من إعْرابِ الرواة والنّقلة الْتِفَاتاً إلى أصل العربيّة ولقد رأيتُ مسائل للشيخ ناصر الجبيلي الأحسائي سَألَ بها الشيخ حسين بن الشيخ محمد بن جعفر الماحوزي رحمهما الله وكان مِن مسائله هذه المسألة فأجاب الشيخ حسين المذكور بما معناه إنّ الأكثر في أدعيتهم [؛] الجر ، وفي كثير منها بالفتح وذكر أصل القاعدة وهو رحمه الله نظر في جوابه إلى ما قرّروه في النحو وإلّا فالوارد عنهم (عليهم السلام) كلّه بالجرّ نعم رُبَما كتَب بعض النُّسَاخ الفتح نظراً إلى اللغة وأنَّه أرجح من الجرّ فيكتب نسخةً بالفتح وهذا وإن كان مرجوحاً بالنسبة إلى المشهور عند النحويّين الّا أنّه لغة صحيحةٌ...))([1]) ، فقد اعتمد الشارح على الاختلاف النحوي فيما قرره النحويُّون وقعَّدوا عليه قواعدهم فكان الأشهر والأكثر استعمالاً ؛ مستعيناً في ذلك على اختلاف الإعراب في الآية القرآنية المباركة عند المدرستين . البصرية والكوفية . ، وقال الأنباري في إنصافه : ((ذهب الكوفيون إلى أنَّه يجب العطف على الضمير المخفوض، وذلك نحو قولك : (مررت بك وزيد)

[1]) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، الأحسائي : ٤/٢٣٥ .

وذهب البصريون إلى أنه لا يجوز . أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا: الدليل على أنَّه يجوز أنَّه قد جاء ذلك في التنزيل وكلام العرب ، قال الله تعالى : ﴿ ...وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامِ﴾ بالخفض...، [واستشهد الكوفيّون في قول الشاعر : [من البسيط]

فاليوم قَرَّبْتَ تَهْجُونَا وتَشْتِمُنَا فاذهب فما بك والأيامِ من عَجَبِ

فالأيام : خفض بالعطف على الكاف في "بك" والتقدير: بك وبالأيام ...))([1])، وهذا البيت من الأبيات التي استشهد بها سيبويه([2]) ، وسيبويه هو رأس الهرم للمدرسة البصرية ؛ فأينَ الخلاف في العطف على الضمير المخفوض دون إعادة الخافض؟!، فصاحب الإنصافِ لم يكن منصفاً في هذه المسألة ؛ لأنَّ المدرستين استشهدتا في البيت نفسه فلا وجود للاختلاف بين المدرستين في هذه المسألة .

فالشارح اعتمد ذلك على ما ورد في المدارس النحوية فكان اعتماده على سبيل امتصاص المعنى وتوظيفه في بيان جواز العطف على الضمير المخفوض ، وهو يؤكد أنَّ خفض (وآله) جائز ولا لبس فيه ، وهو من مخرجات المدارس النحوية الأصيلة ، وكانت الأدعية معضدات الشارح في ورود اللفظة بالخفض دون النصب.

وأضافَ **الأحسائي** إلى أنَّ الموارد اللغوية تفيد غرض ما ؛ كما جاء في عطف البركة على الرَّحمة في قوله : ((...فإذا عطفت على السلام كما تقدم من معناه كانت بمعناه أو هو لدفع المكاره والرحمة لجلب الفواضل والفضائل الدينيّة ، والبركة محركة النما والزيادة والسعادة ... وبارك على محمّدٍ و آل محمّدٍ ؛ ادِمْ له ما أعطيته

---

[1]) الإنصاف في مسائل الخلاف : ٢/٣٧٩ . ٣٨٠ .

[2]) يُنظر : الكتاب : ٢/٣٨٣ ، الأصول في النحو : ٢/١١٩ ، شرح أبيات سيبويه ، يوسف بن أبي سعيد الحسن بن عبد الله بن المرزبان أبو محمد السيرافي ت(٣٨٥هـ) ، تحقيق : الدكتور محمد علي الريح هاشم ، مكتبة الكليات الأزهرية ، دار الفكر ، القاهرة، مصر ، د.ط ، ١٩٧٤م : ٢/١٩١، وهذا البيت من الابيات التي استشهد بها سيبويه ولم يُعرف لها قائل .

من التشريف و الكرامة و تَبارَكَ الله تعالى تقدّس و تنزّه ، فعَطْفُ البركة على الرحمة يفيد تنمية رحمته لهم وزيادتها والدعاء لهم بإسعادهم بالقرب منه لهم ولأتباعهم...))([1]) ، فكان التناص اللغوي يفيد غرض يكشف الشارح به ذلك الغرض ليصل منه إلى الدّلالة المنشودة من قبل المُستِن ، وبيانها يكون على عاتق الموضِّح والمُبيّن لهذه السُّنن ، لأنّ للعطف فوائدة عدَّة([2]) ومن هذه الفوائد ؛ بيان الزيادة والنماء ، امتصَّها الشارح من المؤثرات اللغوية الكامنة في فكره ووظَّفها في بيان نصوص الزيارة المباركة، ولو ذكر وظائف العطف الأخرى لكان الأمر أكثر اتساعاً، وعدم تحديد المعنى في هذه المسألة ، وإقصاء المعاني الأخرى.

وهناك مواضع أخرى في شرح الأحسائي([3]) وما ذكرناه للمثال لا للحصر .

وجاء التناص اللغوي بطريقة الامتصاص في قول **الميلاني** أثناء بيانه لمفردة (المحالّ) في قوله : (("المحال" جمع "المحلّ" ، أي : مكان الحلول وموضع الاستقرار، فهو مفهوم متقوم بطرفين : أحدهما : المكان والمحل ، والآخر : المكين والحال ، فالمكان هنا هم "الأئمة" والحال فيه هو" معرفة الله"))([4])، وهو امتصاص من المعنى اللغوي للمحل ؛ إذ إنَّ ((المَحَلَّ: نَقيضُ المُرْتَحَل... والمحلّةُ : مَنْزِل القَوم. وأرضٌ مِحلال: إذا أَكَثْرَ القَومُ الحُلول بها. والحِلَةُ: قَومٌ نُزولٌ...))([5])، فامتصَّ

---

[1]) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، الأحسائي : ١١٨/١ .

[2]) يُنظر : نتائج الفكر في النَّحو ، عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي ت(٥٨١هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٩٩٢م : ٢٤/١ ، توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك : ١٠١٩/٢ ، شرح الأشموني على ألفية ابن مالك ، علي بن محمد بن عيسى الأُشْمُوني الشافعي ت(٩٠٠هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٩٩٨م : ٣٨٩/٢ .

[3]) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، الأحسائي : ٣٦/١ ، ١١٨ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٣/٤ ، وغيرها.

[4]) مع الأئمة الهداة ، الميلاني : ١٨٢ .

[5]) كتاب العين : ٢٦/٣ ، يُنظر : تهذيب اللغة : ٢٧٩/٣ ، تاج اللغة : ١٨١٧/٥ .

الشارح المعنى اللغوي ووظَّفه في شرحه لبيان معنى المحل الواردة في نصّ الزيارة الشريفة؛ إلَّا أنَّه لم يُشر إلى موردها اللغوي والمنبع المعنوي لهذا اللفظ مما جعله يلفُّ المعنى وينشر اللفظ في قوله : (المكان والمحل ... المكين والحال) وهو لفٌّ ونشرٌ مُرتَّب في هذا النص فـ(المكان للمكين) و(المحل للحالِّ) ، فكانت الاستعانة باللغة إحدى الوسائل المستعملة لدى الشارح في تشخيص مصاديق الألفاظ.

وحاور **الميلاني** المعنى اللغوي في معنى (الحزب) في قوله : ((الحزبُ : الطائفة من الناس يجمعهم الرأي الواحد والهدف الواحد))([1]) ، وهذا المعنى هو حوار مع ما ورد في معنى (الحزب) اللغوي ، ففي اللغة : الحزبُ اسم من ((حَزَبَ الأمرُ يَحْزُبُ حَزْباً إذا نابَكَ، ... وتَحَزَّبَ القَومُ: تَجَمَّعوا. وحَزَّبْتُ أحزاباً: جَمَّعْتُهم. والحِزْبُ: أصحابُ الرجل على رَأْيه وأَمرِه))([2]) ، فقام الشارح بمحاورة المعنى اللغوي دون أن يُحيلَ المتلقي إلى معين اللفظ المعنوي ، فكان عليه أن يُشير إلى ذلك كما عُهدَ عنه بإشارات عديدة إلى المعجمات العربية التي نَهِل منها في بيان المعاني وتبنِّيها في تثبيت المراد من الشرح .

ومثله امتصاص **الوحيدي** لمعنى الوليجة من اللغة دون أن يُشير إلى المنبع ، في قوله : ((والوليجة في اللغة يقال لكلّ داخل في أمرٍ ليس منه ، ويقال لمن يكون في جماعة وهو ليس منهم.))([3]) ، وهذا المعنى نجده في النصوص التي صاغها أصحاب المعجمات مثل قول الخليل : ((الولوج: الدُّخول. والوَليجة: بطانةُ الرَّجُلِ ودِخلتُهُ. قال جلّ وعزّ: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِن دُونِ اللَّهِ

---

[1]) مع الأئمة الهداة ، الميلاني : ٢٥٧ .

[2]) كتاب العين : ١٦٤/٣ ، يُنظر : مقاييس اللغة : ٥٥/٢ ، أساس البلاغة : ٨٤/١ ، المعجم القرآني : ٩٢٤/١.٩٢٥ .

[3]) أنوار الولاية الساطعة ، الوحيدي : ٢٢٢ .

وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾{التوبة/١٦}. والتَّولجُ: كِناسُ الظَّبي، وقد اتَّلجَ الظَّبي في تولجة، وأتلجَهُ الحرُّ فيه وأولجه: أدخلهُ كناسه. ويقال: أعوذ بالله من كل نافث ورافث. وشرِّ كلّ تالجٍ ووالجٍ.))([1]) ، وغيره من بحور اللغة([2]) التي أُشربت بمعاني الكلمات وفاضت ألفاظها على نصوص المستلهمين .

فقام الشارح بامتصاص هذا المعنى ووظَّفه في نصِّه ؛ بيد أنَّه لم يُشر إلى مورده في معجمات اللغة مما يجعل القارئ يحكم بأحقيَّته باللفظ والمعنى دون أهل اللغة ، وهذا يحكمه البحث العلمي بردِّه إلى الأصول ، فكان عليه الإشارة إلى هذا الامتصاص كي لا يكون الظنُّ حليف فكر مفكك السُّنن .

وإلى هذا النحو ذهب **الصدر** في بيان قول الإمام (عليه السلام) : ((**زائِرٌ لَكُمْ**))([3])، قال : ((الزيارة في أصل اللغة هو القصد ، يقال : زاره يزوره ، زوْراً وزيارةً أي قصده ، فهو زائر وزَوْر وزَوّار.))([4]) ، هكذا من دون ذكر المصدر ، وهو في عرف البحث العلمي مأخذ على الباحث ، فإرسال الأمور إرسال المسلَّمات مردود على الباحث ، لأنَّ البحث العلمي يقتضي الأمانة العلمية في النقل والتنصيص ، وقوله حوار مع النصوص اللغوية ؛ حيث ورد معنى الزيارة في اللغة : أصله من((زور زأر: قَالَ اللَّيْث: يُقَال: زارَني فلانٌ يَزورُني زَوْراً وزِيَارَةً. والزَّوْرُ: الَّذي يَزُورك، رَجُل زَوْرٌ، رِجَالٌ زَوْرٌ، وامرأَةٌ زَوْرٌ، ونِسَاءٌ زَوْرٌ. وأَصل زار إِلَيْهِ: مَال، وَمِنْه

---

[1]) كتاب العين : ١٨٢/٦ .

[2]) يُنظر : مقاييس اللغة : ١٤٢/٦ ، تهذيب اللغة : ٤٧/٤ ، المفردات : ٥٣٢/١ ، لسان العرب، مادة (ولج) .

[3]) في رحاب الزيارة الجامعة الكبيرة ، الصدر : ٥١٣ .

[4]) المصدر نفسه : ٥١٣ .

تزاور عَنهُ، أَي: مَال عَنهُ. وزَوِر يزوَر، أَي: مَال. والزَّوْرُ: الصَّدرُ.))([1]) ، فحاور الشارح المعنى واستقطب بعض ألفاظ النص ووظَّفها في بيان معنى الزائر ، وهذا الحوار أعطى لنص الشارح شرعيَّة في تثبيت المعنى في الاختلاف إلى قبور آل محمد ، فكانت المناهل المعجمية من الوسائط التي اتخذها الشارح بينه وبين المستقبِل لنصِّه الجديد ، ويُعدُّ من معضداته في قطع الظن باليقين .

وقد حاور **الصدر** معنى الكر مع اللغة دون ذكر مصدره في قوله : ((كرَّ يكرُّ على وزن مدّ يمُدّ بمعنى : رجَعَ ، من الكرّة بمعنى الرجعة.

والرجعة : هي الرجوع إلى الدنيا بعد الموت والحياة قبل يوم القيامة عند ظهور الإمام المهدي أرواحنا فداه ، كما تقدّم بيانها ودليلها في فقرة «مصدّق برجعتكم».))([2]) ، وهذا حوار مع ما جاء في قول ابن دريد في معنى الكر ، قال : ((كرر وَمن معكوسه : كرّ يكر كرا إِذا رَجَعَ بعد فرار وَبعد ذهَاب وَهُوَ معنى قَول الشَّاعِر – هُوَ امْرُؤ الْقَيْس : [من الطويل]

مُكِرٍّ مُفِرٍّ مُقْبِلٍ مُدْبِرٍ مَعاً كَجُلْمُوْدِ صَخْرٍ حَطَّهُ السَّيْلُ مِنْ عَلِ

أَي يصلح للكر والفر وَلم يرد أَنه يكر ويفر فِي حَالَة وَاحِدَة.))([3]) ، فلو كان قد رجع إلى المصدر لكانت حجَّته أقوى وأمتن ، إلّا أنَّه فضَّل التحاور مع النص والإشارة إليه من طرف خفي على أنَّ المعنى مأخوذ من اللغة .

---

[1]) تهذيب اللغة : ١٦٣/١٣ .

[2]) في رحاب الزيارة الجامعة الكبيرة : ٥٦١ .

[3]) جمهرة اللغة : ١٢٦/١ ، يُنظر : شرح المعلقات العشر وأخبار شعرائها ، أحمد الأمين الشنقيطي ، تحقيق : فاتن محمد خليل اللبون ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، د.ط ، د.ت : ٢٨ .

المبحث الثالث

التناص البيني في شروح الزيارة الجامعة الكبيرة

نقصد بهذا المصطلح ؛ التناص الواقع بين الشارحين أنفسهم في هذه الشروح التي أُختيرت للدراسة ؛ فقد وجدتْ الدراسةُ مواضع كثيرة تناصّ الشارحون فيما بينهم، حيث كان الاعتمادُ على بعضهم بعضاً في مواضع كثيرة ، ويُعدُّ شرح المجلسي الأوَّل المنهل الرئيس لأغلب الشروح تدويلاً وحواراً وامتصاصاً على الرغم من اختصاره ؛ واقتصاره على بيان المعاني العامَّة في إطاره العام ، مما جعلنا الدراسة إفرادها لذلك مبحثاً خاصَّاً يُبيّن هذا التناص في الشروح التي هي قيد الدراسة ، فعلينا أوَّلاً أن نضع تعريفاً لهذا المصطلح لأنَّه لم يُطرق هكذا مصطلح في موضوع التناص.

فالتناص البيني : وهو اعتماد فكري . معنوي أو معنوي ولفظي . بين موضوعين متشابهين أو متطابقين يرتكز النصُّ الأوَّلُ في ذهن الباثّ الثاني بوساطة القراءة والتحبيب للنص الأوَّل ، فتكون اسقاطات النص الأول في النصّ الجديد بقصد أو من دون قصد . فهذا يُعدَّ من لفتات الدراسة لأمر في الشروح أرادت بيانه بطريقة التناص البيني .

ويعتمد المُتناص على **القبليات الآلية** (اللغة ، الأدب ، المنطق) ، و**القبليات الاستنطاقية** (وهي القبليات التي من شأنها تُثير الأسئلة لتصل بها إلى المراد من الفقرة المشروحة)، **والقبليات الاستخراجية** (والتي من شأنها بيان النتائج الكلية)، **والقبليات الظنِّية** (التي تختص بتعدد القراءات) ، فهذه المرتكزات المحصَّلة عند الباث؛ تتداخل النصوص المستلهمة سابقاً في نصِّه الجديد .

فنجد التناص البيني في شرح **المجلسي الثاني** لقول الإمام الهادي (عليه السلام) : ((**اصْطَفَاكُمْ بِعِلْمِهِ**))([1]) ، قال : ((**اصْطَفَاكُمْ بِعِلْمِهِ** أي : عالماً بأنَّكم مستأهلون لذلك الاصطفاء، أو لأن يجعلكم خُزَّان علمه أو بأن جعلكم كذلك))([2]) ، وهذا النصُّ حوار مع نصِّ **المجلسي الأوَّل** في شرحه لهذه الفقرة المباركة ، يقول المجلسي الأوَّل : ((**اصْطَفَاكُمْ بِعِلْمِهِ** عالماً بأنَّكم أهل الاصطفاء . أو بسبب أن يجعلكم مخزن العلوم.))([3]) ، فقد حاور الشارح نصَّ أبيه دون أن يذكر ذلك ، وهذا مأخذ على الشارح الذي أخذ على عاتقه شرح هذه الزيارة المباركة ، لأنَّ الشروح المتعددة تدل على أنّ لكلِّ شرح مزيَّته لا أنَّه يذكر رأي سابقه وكأنَّه . بتبنيّه . يُشعر المتلقي بأوحديته وأنّ النصَّ له ، فالتناصُّ البيني هنا جاء بطريقة الحوار؛ إذ ذكر الشارح المعنى مع مجموعة من الألفاظ الخاصَّة بالنص السابق.

وكذلك ما جاء في قوله : ((**وَاجْتَبَاكُم بِقُدرتِهِ** إشارة إلى علو مرتبة اجتبائهم، حيث نسبه إلى قدرته مومئًا إلى أن مثل ذلك من غرائب قدرته أو لإظهار قدرته.))([4])، وهذا الكلام تدويلاً لكلام المجلسي الأوَّل([5]) ، ولم يُزد حرفاً ولم يُنقص حرفاً ، وهذا مما يُؤخذ على المتناص الذي لا يذكر ممن أخذ ، والإشارة . بعد ذلك . للموافقة أو لعدمها كي يكون للأمانة العلمية قدم السبق في بيان موارد النصوص ، فهذا النصُّ يُعدَّ من التناص التدويلي التدويري دون تحوير أو امتصاص ، فهو نصٌّ متكامل .

---

[1]) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، المجلسي الثاني : ٢١٩ .
[2]) المصدر نفسه : ٢١٩ .
[3]) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، المجلسي الأوَّل : ٩٠ .
[4]) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، المجلسي الثاني : ٢٢٠ .
[5]) يُنظر : شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، المجلسي الأوَّل : ٩٣ .

وحبَّذ **الجزائريُّ** نصَّ المجلسيِّ الثاني في شرحه لقول الإمام الهادي (عليه السلام): ((**ذِكْرُكُمْ فِي الذَّاكِرِيْنَ** ...))([1]) ؛ إذ قال : ((**ذِكْرُكُمْ فِي الذَّاكِرِيْنَ**... مبتدأ وخَبر، أي: ذكركم موجود بين الذاكرين، كما أن أسماءكم موجودة بين الأسماء، إلّا أنَّ ذكركم لا نسبة لَه إلى ذكر الذاكرين، وكذلك أسماؤكم، بل هي أحلى وأشرف من كل ذكر ومن كلِّ إسم، وهكذا باقي صفاتكم فإنَّها مشاركة لصفات البشر في الاسم، مفترقة عنها بالمعنى.))([2]) ، فهذا النصّ حوار مع قول المجلسي الثاني : ((وإن كان ذكركم في الظاهر مذكورًا من بين الذاكرين . ولكن لا نسبة بين ذكركم وذكر غيركم وكذا البواقي...))([3]) ، فالنسبة بين النصَّين نسبةٌ حواريةٌ في مفهوم التناص ، إلَّا أنَّ الشارح لم يُشر إلى أصل النصِّ الذي أورده في شرحه ؛ حيث كان الحفاظ على الإطار العام للدلالة العامَّة مع اقتناص بعض الألفاظ من النصِّ السابق ووظَّف ذلك في نصِّه الجديد لبيان المفردة ذاتها .

وهناك مواضع أخرى في شرح الجزائري تناص بها مع المجلسيّينِ . الأوَّل والثاني([4]) إلّا أنَّنا ذكرنا هذا الموضع للتمثيل لا للحصر .

وهذا اللون النقدي نجده في شرح **الأحسائي** بشكل كبير ، فلو أحصينا الموارد التي اعتمد الأحسائي فيها على هذا اللون، وهو في أصل هذا الشرح شرحٌ على نصِّ المجلسي الأول والثاني والجزائري ، أي هو شرح على الشروح الثلاثة ؛ إلَّا أنَّه في بعض المواضع لا يذكر مورد الشرح الأصلي الذي ورد فيه ، مما يُخيَّل للمتلقي أنَّ الكلام للباثّ الأخير ، ولكنَّ الاتساع في الشرح والبيان الذي انماز بالبسط أصبح

---

[1]) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، الجزائري : ٢٥٧ .
[2]) المصدر نفسه : ٢٥٧ .
[3]) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، المجلسي الثاني : ٢٣٥ .
[4]) يُنظر : شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، الجزائري : ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ٢٥٨ ، ٢٦١ ، ٢٦٣ .

السمة الغالبة على هذا الشرح ، فانحسر التناص فيه بعبارات افتتاحية لكل فقرة دون الانزياح على استطراد الشرح .

من ذلك ما جاء . على سبيل المثال . في بيان قول الإمام العاشر (عليه السلام): ((**وَمُخْتَلَفِ المَلَائِكَةِ**))([1]) ، قال الأحسائي : ((**وَمُخْتَلَفِ المَلَائِكَةِ** أي: محل ترددهم أي : ينتهي ترددهم ابتداءً وانتهاءً إليهم للخدمة لاكتساب الكمالات والعلوم...))([2]) ، وهذا النصُّ حوارٌ مع نصِّ المجلسي الأوَّل في توضيحه لهذه الفقرة المباركة في قوله : ((أي: محل ترددهم ، أو اكتساب العلوم والكمالات، ولا استبعاد في ترقّيهم والاكتساب منهم ...))([3]) ؛ فقد حاور الشارح نصَّ المجلسي الأوَّل باقتناص بعض الألفاظ مع الحفاظ على المعنى العام لهذه الفقرة ، فكانت هذه الفقرة هي استهلال لتوضيح المعنى العام ؛ ثمَّ انتقل بعد ذلك . الشارح . إلى التوسّع والدخول في الروايات مما اتخذ بها طريقاً خاصَّاً في بيان المقامات السامية لأهل البيت (عليهم السلام) ؛ إلَّا أنَّه لم يُشر إلى مَعين هذا الاستهلال الذي اعتمد على غيره به ، فأخذت الدراسة ببيانه وإرجاعه إلى أصله ، ورغمَ حواريتها فأنَّها احتفظت بالإشارة إلى الأصل.

وقد حاور **الأحسائي** نصوصَ المجلسي الأوَّل في موارد أخرى كما في بيان قول الإمام الهادي (عليه السلام) : ((**وأَبْوَابِ الإِيْمَانِ**))([4]) ، قال الأحسائي : ((**وأَبْوَابِ الإِيْمَانِ** أي أنَّهم صلى الله عليهم لا يُعرف الإيمان إلا عنهم ولا يُكسب إلا

---

[1]) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، الأحسائي : ٥٠/١ .
[2]) المصدر نفسه : ٥٠/١ .
[3]) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، المجلسي الأوَّل : ٢١ .
[4]) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، الأحسائي : ٩٠/١ .

منهم ، ولم يُنزل الله من خزائن غيبه إلا فيهم ...))([1]) ، وهذا الاستهلال الذي ابتدأ به الشارح هو حوار مع شرح المجلسي الأوّل في قوله : ((**وأَبْوَابِ الإيْمَانِ** فإنّه لم يُعرف ولا يُعرف الإيمان إلا منهم، ولا يحصل بدون ولايتهم...))([2]) ، والشارح لم يُشر إلى هذه الحوارية مع النصّ السابق ، والذي دعانا لذكر هذا المورد ؛ هو أنّ الشارح في كثير من الموارد التي يستعين بغيره عليها ؛ يذكر المورد ويذكر الشارح السابق ومن ثمَّ يضع لمساته على النصّ بالموافقة أو المعارضة ؛ وبعد ذلك يذكر الروايات والاستنطاقات الخاصَّة به للنصّ أو الفقرة التي هو في صدد شرحها ، وهذا يؤخذ عليه لأنَّ هذا الفعل يقدح في الأمانة العلمية لدى الشارح ، فالمورد هنا للحوارية التناصّية بين الأحسائي والمجلسي الأوَّل .

وغيرها من الموارد التي تناصَّ بها الأحسائي مع المجلسي الأوَّل([3]) إلا أنَّ ما ذكرته الدراسة على سبيل المثال .

أمّا ما جاء من التناصّ بين **الأحسائي** والمجلسي الثاني ؛ في شرحه لقول الإمام (عليه السلام) : ((**المُسْتَوْفِزِيْن فِيْ أمْرِ اللهِ**))([4]) ، قال الأحسائي : ((أقول : المستوفزين بالفاء بعدها زاي بمعنى المستعجل والمعنى أنَّهم المسارعون إلى القيام بأوامر الله من الواجبات والمندوبات ...))([5]) ، وهذا المعنى امتصَّه الشارح من قول المجلسي الثاني لشرحه هذه الفقرة ، قال : ((**المُسْتَوْفِزِيْن** بالزاي المعجمة : من

---

[1]) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، الأحسائي : ٩٠/١ .
[2]) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، المجلسي الأوَّل : ٣٩ .
[3]) يُنظر : شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، الأحسائي : ١٣١/١ ، ١٣٦ ، ١٣٨ ، ١٤٢ ، ١٤٥ ، وغيرها .
[4]) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، الأحسائي : ١٩٩/١ .
[5]) المصدر نفسه : ١٩٩/١ .

الوفز : وهو العجلة ، يُقال : استوفز: أي قعد غير مستقر، متهيأً للوثوب))([1]) ، حيث استلهم المجلسي الثاني معنى العجلة من اللغة التي تقول : ((اسْتَوْفزَ في قِعْدتهِ، أي: قَعَد قُعوداً منتصباً غيرَ مُطْمَئنٍّ.))([2]) ، وعدم الاستقرار فسَّره بالعجلة ، وهذا المعنى امتصَّه الأحسائي ووضعه في نصِّه دون الإشارة إلى النصّ الأصلي ، إلَّا أنّ اللغة لم تقل بأنَّ الاستوفاز يعني العجلة ، وإنَّما قالت : عدم الاطمئنان وعدم الاستقرار ، فهذا الرأي خاص بالمجلسي الثاني واتبعه فيه الأحسائي ، ولم يُشر إلى ذلك .

ومثل ذلك التناص اعتمده **الأحسائي** في شرحه لقول الإمام العاشر (عليه السلام): ((**وَعَزَائِمُهُ فِيْكُم**))([3]) ، قال الأحسائي : ((**وَعَزَائِمُهُ فِيْكُم**أي الجد والصبر والصدع بالحق أو كنتم تأخذون العزائم بالرخص أو الواجبات اللازمة غير المرخَّص في تركها من الاعتقاد بإمامتهم وعصمتهم ...))([4]) ، وهو في هذا القول يُحاور نصَّ المجلسي الثاني في بيانه لهذه الفقرة المباركة ، قال المجلسي : ((**وَعَزَائِمُهُ فِيْكُم** أي: الجد والاهتمام في التبليغ والصبر على المكاره والصدع بالحق، فيكم وردت، وعليكم وجبت.))([5]) ، فالحوارية جاءت من قبل الشارح . الأحسائي . على سبيل التخيير بين عدَّة معاني ؛ إلّا أنَّه تناصَّ مع المجلسي الثاني في أحد التخييرات مع استلهامه المعنى واقتناص بعض ألفاظه مما يُدلل ذلك على تحبيبه للمعنى ولألفاظه ، وعدم ذكره النصَّ الأصلي يكون مأخذاً عليه ؛ لأنَّ استقطاب الألفاظ يكشف عن

---

[1]) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، المجلسي الثاني : ٢١٧ .

[2]) معجم ديوان الأدب : ٢٨٢/٣ ، يُنظر : تاج اللغة : ٥٥٣/٢ ، المخصص : ٣٥١/٣ ، أساس البلاغة : ١٠٠/٢ ، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم : ٧٢٣٩/١١ .

[3]) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، الأحسائي : ١٣٢/٢ .

[4]) المصدر نفسه : ١٣٢/٢ .

[5]) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، المجلسي الثاني : ٢٢٥ .

عدم عفويَّة أو توارد خواطر بين النصَّين ،ولو تفحّصنا النصين لوجدنا تسلسل الألفاظ . وإن فصل الأحسائي بينها بفواصل . جاءت بنسق واحد دون تقديم وتأخير ؛ (الجد ، الصبر ، الصدع بالحق) ؛ لذا كانت الإشارة إلى تناصِّية النصَّينِ بطريقة الحوار .

أمَّا ما جاء من تناصٍّ بين **الأحسائي والجزائري** ؛ فيتمثل في شرح قول الإمام الهادي (عليه السلام) : ((**سَابِقٌ لَكُمْ فِيْمَا مَضَى**))([1]) ، قال الأحسائي في شرحها : ((**سَابِقٌ لَكُمْ فِيْمَا مَضَى** أي فيما مضى من الدهور الألف الدهر كما مرَّ والأزمنة وهي زماننا هذا الجسماني ودهورنا وهي لهم ... وإنَّما قلنا الأزمنة بالجمع لأنَّ دهر الأنبياء زمان لهم وللأنبياء عليهم السلام ...))([2]) ، وهذا النصُّ امتصاصٌ من قول الجزائري في شرحه لهذه الفقرة المباركة ؛ قال الجزائري : ((أي أنَّه واجب لأولكم وآخركم . أو يكون المراد بـ(ما مضى) الأنبياء السابقة والكتب السماوية.))([3])، في حين أنَّ الجزائريَّ جعل المفهوم على سبيل الاحتمالية والتخيير ولم يقطع في بيان المعنى ، أمّا الأحسائي ؛ فامتصَّ المعنى ولكنَّه قطع في تحديد المعنى للفقرة ، فكان امتصاصه للمعنى الكلي وتوظيفه في بيان الفقرة دون الإشارة إلى النصّ الأصلي ، منه توسَّع في الأدلَّة بالآيات القرآنية والروايات المعصومية والأشعار العربية.

ومثله ما جاء في بيان قول الإمام العاشر (عليه السلام) : ((**مُحْتَمِلٌ لِعِلْمِكُم**))([4])، قال **الأحسائي** : ((أقول : يجوز أن يكون إشارة إلى ما روي عنهم عليهم السلام : **إِنَّ حَدِيثَ آلِ مُحَمَّدٍ صَعْبٌ مُسْتَصْعَبٌ لَا يُؤْمِنُ بِهِ إِلَّا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ أَوْ**

---

[1]) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، الاحسائي : ٢/٢٤٠ .
[2]) المصدر نفسه : ٢/٢٤٠ .
[3]) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، الجزائري : ٢٥٥ .
[4]) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، الأحسائي : ٣/٣٣ .

نَبِيٌّ مُرْسَلٌ أَوْ عَبْدٌ امْتَحَنَ اللَّهُ قَلْبَهُ لِلْإِيمَانِ ، ومعناه : أنِّي مصدق بتفاصيل علومكم، وأنَّ عندكم علم ما كان وما يكون إلى يوم القيامة))([1]) ، وهذا تدويل نصِّي لقول الجزائري في شرحه لهذه الفقرة المباركة بلا زيادة ولا نقصان([2]) ، مما يؤخذ على الأحسائي عدم ذكر النص أو الإشارة إلى قائله .

ويبدو أنَّ الشارح حبَّذ هذا النصَّ فافتتح به بيان معنى الفقرة ومنه انطلق إلى الأدلة الأخرى لتثبيت ما يعتقد به من مصداق دلالي؛ إلّا أنَّ ذلك لا يشفع له من أنَّه وجب عليه ذكر النصِّ الأصلي مع ذكر قائله ، فالنص تناصٌّ تدويلي لنصٍّ سابق .

وغير هذه الموارد كثيرة في شرح الأحسائي([3]) وقد ذكرنا هذه النصوص لغرض التمثيل لا الحصر.

ومن الشروح التي ورد فيها التناص البيني ؛ جاء في شرح **الوحيدي** لقول الإمام الهادي (عليه السلام) : ﴿**يَا أَهْلَ بَيْتِ النُّبُوَّةِ**﴾([4]) ، قال الوحيدي : ((يراد من أهل البيت هم الأئمّة عليهم السلام ، لأنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله منهم ، والرّسالة السّماوية نزلت في بيوتهم ، وأهل البيت أدرى وأعرف بما فيه.))([5]) ، وهذا النصُّ حوار مع نصِّ المجلسي الأوَّل في شرحه لهذه الفقرة المباركة ، قال المجلسي الأوَّل: ((فإنَّ النبي صلى الله عليه وآله منهم ، والرسالات نزلت في بيوتكم ، فأنتم ما أرسل

---

[1]) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، الأحسائي : ٣٣/٣ . يُنظر : بصائر الدرجات : ٢١/١ ، الكافي : ٤٠١/١ .

[2]) يُنظر : شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، الجزائري : ٢٥٦ .

[3]) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، الأحسائي : ٢٩٢/١ ، ٢/ ٣٤ ، ٤٤ ، ٥٨ ، ٣٢/٣ ، ٤٨ ، وغيرها .

[4]) أنوار الولاية الساطعة ، الوحيدي : ١٩ .

[5]) أنوار الولاية الساطعة ، الوحيدي : ١٩ .

إليه ، فإن أهل البيت أعرف بما في البيت.))([1]) ، ولولا الإضافات التي أضافها الوحيدي إلى نصِّ المجلسي الأوَّل ؛ لكان تدويلاً متكاملاً ، فقد تناصَّ الوحيدي مع المجلسي الأوَّل في هذه الفقرة دون الإشارة إلى أصل النصِّ ، فكان عليه ذكر استقطاب النص من منبعه أو موطنه الأصلي ، ولو تفحَّصنا النصَّين ؛ نجد أنَّ الوحيدي شرح الفقرة بطريقة ذكر السبب والمُسبب ، أمَّا المجلسي الأوَّل استهلَّ قوله بذكر المسبب . مباشرة . على سبيل التغليب ، فكانت الإضافات في نص الوحيدي جاءت للبيان وطرح مفهوم السبب .

و**للوحيدي** حوار آخر مع المجلسي الأوَّل ؛ وذلك في شرحه لقول الإمام العاشر (عليه السلام) : ((**وَمُخْتَلَفَ المَلائِكَةِ**))([2]) ، قال الوحيدي : ((موضع تردد الملائكة ونزولهم وعروجهم ، أمّا لأكتساب العلوم الإلهية والمعارف الرّبانية ، والأسرار الملكوتية من مقامهم السّامي وشأنهم العظيم ، لأنّهم أعلم وأفضل من الملائكة ، كما يدل على هذا العقل والنقل.))([3]) ، وهذا حوار مع نص المجلسي الأوَّل في قوله : ((أي: محل ترددهم ، أو اكتساب العلوم والكمالات، ولا استبعاد في ترقّيهم والاكتساب منهم، بل ورد في الأخبار الكثيرة أنَّهم لم يعرفوا الله إلا منهم.))([4]) ، فالمعنى هو هو مع تحويرات في الألفاظ وإضافات أخرى للمتناص ، ربما هذا من شدَّة إدمان الشارح قراءة الشروح الخاصَّة بالزيارة الجامعة الكبيرة قبل شرحه ؛ تسرَّبت بعض الألفاظ إلى نصوصه التي قام بشرحها ، ومن ثَمَّ انتقل إلى خصوصياته في بيان مرادات النصوص ، فهنا حاور الوحيديُّ المجلسيَّ الأوَّل في شرحه .

---

[1]) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، المجلسي الأوَّل : ٢٠ .
[2]) أنوار الولاية الساطعة ، الوحيدي : ٢٢ .
[3]) المصدر نفسه : ٢٢ ، وإلى هذا التناص ذهب الأحسائي كما تقدَّم .
[4]) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، المجلسي الأوَّل : ٢١ .

ومن التناص التدويلي الوارد في شرح **الوحيدي** ؛ ماجاء في شرحه لقول الإمام العاشر (عليه السلام) : ((**وَصِرْتُمْ فِي ذَلِكَ**))([1]) قال الوحيدي : ((أي في الجهاد أو في كلّ من الأُمور المذكورة.))([2]) ؛ وهذا تدويل نصِّي من شرح المجلسي الثاني في شرحه لهذه الفقرة المباركة ؛ إذ قال المجلسي الثاني : ((أي : في الجهاد ، أو في كلّ من الأُمور المذكورة.))([3]) ، والفرق بين النَّصين هي علامات الترقيم فقط ، فقد احتوى نصُّ المجلسي الثاني على تنقيط مقول القول ، والفارزة بعد كلمة (الجهاد) ، إلّا أنَّ النصَّ متطابقٌ تماماً ، ولم يُشر الشارح إلى أصل القول مما يُشعر المتلقي بأصالة العبارة ونسبها إلى الشارح ؛ في حين أنَّها تنتمي إلى نصٍّ آخر ، وكان من الواجب بمكان أن يُحيل إلى مصدرها . على أقل التقادير . فهذا مأخذ على الشارح المتناص ؛ لأنَّه يقدح بالأمانة العلمية في البحث الأكاديمي ، فالنصُّ من التناصِّ التدويلي في هذا المورد الذي جاء في شرح الوحيدي .

و**للوحيدي** حوار مع المجلسي الثاني في شرحه لقول الإمام (عليه السلام) : ((**وَالحَقُّ مَعَكُمْ وَفِيْكُمْ وَمِنْكُمْ وَإِلَيكُمْ**))([4]) ، قال الوحيدي في معنى (**وَإِلَيكُمْ**) : ((أي كلّ حقّ في أيدي النّاس فمرجعه إليكم لأنّه منكم أخذ ، أو أنّكم الباعث على وصوله الى الخلق وكلمات الحكمة التي توجد في كلام المخالفين كالحسن البصري ومن يحذو حذوه كلّها مأخوذة من كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وسائر أئمّة الهدى عليهم السلام كما لا يخفى على الماهر البصير والمتتبع

---

[1]) أنوار الولاية الساطعة ، الوحيدي : ١٦٠ .
[2]) المصدر نفسه : ١٦٠ .
[3]) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، المجلسي الثاني : ٢٢٤ .
[4]) أنوار الولاية الساطعة ، الوحيدي : ١٦٢.١٦٣ .

الخبير.))([1]) ، وهذا النصُّ حوار مع نصِّ المجلسي الثاني في قوله : ((**وَإِلَيكُمْ** أي: كل حق يرجع إليكم بالآخرة ، فإنَّكم الباعث لوصوله إلى الخلق ، أو في القيامة يرجع إليكم، فإن حسابهم عليكم .))([2]) ، والموازنة بين النَّصين نجد بها ؛ إنّ الحوارية قائمة بين النَّصين ؛ إذ قام الوحيدي باقتناص بعض ألفاظ نصِّ المجلسي الثاني مع الاحتفاظ بالمعنى بإطاره العام ؛ ومن ثَمَّ وظَّفه في بيان مفهوم الفقرة المشروحة ، وأيضاً لم يُشر إلى نصِّها الأصلي ؛ إلَّا أنّ الإضافات التي أضافها على النَّص أدات إلى تشخيص من استُغلِقَ تشخيصه في نصِّ المجلسي الثاني بوساطة تمثيله لمصداق من مصاديق الذين يأخذون من أهل البيت (عليهم السلام) بطريقة أو بأخرى؛ ويعزو ذلك له ، فكانت الزيادات ذا فائدة في بيان الحكمة من الإشارة إليهم (عليهم السلام) .

وورد الامتصاص في شرح **الوحيدي** في قوله : ((**وَأَتَلفَتِ الفِرقَةُ** أي بوجودكم الشريف تبدلت الفرقة إلى الأئتلاف والاتحاد ، ولأنّ الله سبحانه بجدّكم العظيم صلى الله عليه وآله وسلم رفع الاختلاف من قلوب النّاس ، وأوجد بقوّة الإيمان بين القلوب التآلف والمحبّة بالأخص بين قلوب قبائل العرب حين كانت هذه القبائل تتنابذ لأتفه الأسباب سنين متمادية وعندئذ لا يرتدعون من ارتكاب أبشع الجرائم في حقّ الآخرين من القتل والتعذيب والنهب والغارات.))([3]) ، وهذا النصُّ امتصاص من نصِّ الجزائري ؛ من قوله : ((**وَأَتَلفَتِ الفِرقَةُ** إنَّ العرب قبل الإسلام كانوا متفرقين في الأهواء ، وكان من عاداتهم الغارات ، ونهب أموال بعضهم بعضَاً ، والقتل بينهم ، فلمَّا جاء الإسلام جمعهم على الدين ، وهدر كل دمٍ قبل الإسلام ، فصاروا ببركته

---

[1]) أنوار الولاية الساطعة ، الوحيدي : ١٦٣.١٦٤ .
[2]) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، المجلسي الثاني : ٢٢٤.٢٢٥ .
[3]) أنوار الولاية الساطعة ، الوحيدي : ٢٥٧ .

إخواناً بعد أن كانوا أعداءً))([1]) ؛ فقد اعتصر الوحيدي نصَّ الجزائري واستخرج منه عصارة المعنى وأضاف عليها ما يُريده من مصاديق وصاغه من جديد مما صار النصُّ أصيلاً بألفاظه للوحيدي والمعنى في أصالته للجزائري ، مما يجعل الدراسة تحكم : إنَّ هذه الموارد المذكورة اعتمد الوحيدي على الشروح الثلاثة التي تناصَّ معها وكانت مورده الرئيس ووسيلته في بيان هذه الفقرات، ورغمَ قلَّتِها إلّا أنَّها تؤخذ عليه من عدم الإشارة لمَعينها ، والذي دعا الدراسة أن تؤاخذه على ذلك ؛ لأنَّه ذكر المصادر التي اعتمد عليها في الروايات واللغة والأدب، ولم يذكر روافده المعرفية الخاصَّة من الشروح السابقة ، في هذه النصوص ، وقد ذكر نصوصاً أخرى أحالها إلى أصحابها ، فكانت مؤاخذات الدراسة عليه لهذا السبب لا لشيء آخر ، والحقُّ أنَّ شرح الوحيدي من الشروح الرائعة جدّاً ، وللشارح لفتات لم نجدها في الشروح الأخرى مما يميزه عن غيره وهذا أحد الأسباب التي دعتنا لاختياره مع الأخريات للدراسة .

أمَّا في شرح **الميلاني** فوجدنا مورداً واحداً فيه حوار مع نصٍّ للأحسائي ، في شرحه لقول الإمام العاشر (صلوات ربي عليه وعلى آبائه وأبنائه المعصومين) : ((**وَدَعَائِمَ الأَخْيَارِ**))([2]) ، قال الميلاني في بيانها : ((**"الدعائم" جمع "الدعامة"** بالكسر، وهي : ما يستند به الحائط إذا مال يمنعه من السقوط ، ودعمتُ الحائط دعماً من باب نفع ، ومنه قبل للسيد في قومه : هو دعامه))([3]) ، وهذا النص حوار مع قول الأحسائي في شرحه لهذه الفقرة الشريفة ؛ في قوله : ((الدعائم : جمع دِعامة بكسر الدَّال وهي عماد البيت والذي عليه استناد الشيء وبه قوامه ...وما يستند إليه الحائط لئلا يسقط...))([4]) ، يبدو أنَّ هذا الحوار عفويٌ ولم يكن مقصوداً؛

---

[1]) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، الجزائري : ٢٥٩ .

[2]) مع الأئمة الهداة ، الميلاني : ١١٤ .

[3]) المصدر نفسه : ١١٤ .

[4]) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، الأحسائي : ٨٠/١ .

ورُبَما كلاهما اعتمدوا على ما ورد من مفهوم عام للدِّعامة في اللغة([1]) ، فكان هذا من التناص الحواري غير المقصود بين الميلاني والأحسائي .

واعتمد **الصدر** أيضاً على المنهل الرئيس للشروح المختارة ؛ وهو شرح المجلسي الأوَّل ، فقد جاء تناصه في شرحه لقول الإمام العاشر (عليه السلام) : ((**وَسَاسَةَ العِبَادِ**))([2]) ، قال الصدر : ((جمع سائس ... فساسة العباد معناه ملوك العباد وخلفاء الله عليهم))([3]) ، فهذا المقطع من شرحه تدويل من شرح المجلسي الأوَّل في شرحه لهذه الفقرة المباركة ، وذلك في قوله : ((جمع السائس ، أي : معناه ملوك العباد وخلفاء الله عليهم))([4]) ، وقد زاد عليها الصدر بعض الكلمات واستشهد بعد ذلك باللغة والأدب لتأكيد المعنى ، فكان نصُّ المجلسي الأوَّل مَعين الشارح في توضيح معاني الفقرة .

وقد أخذ الصدر معنى الوراثة من المجلسي الأوَّل في شرح قول الإمام الهادي (عليه السلام) : ((**وَوَرَثَةِ الأَنْبِياءِ**))([5]) ، قال الصدر : ((...وأهل البيت صلوات الله عليهم هم الورثة المحقّون ، والأئمّة الوارثون الذين وصل إليهم جميع مواريث الأنبياء بحقٍّ ، وكافّة مواريث سيّدهم الرسول الأكرم صلوات الله عليه وآله وسلّم باستحقاق.

---

[1]) يُنظر : كتاب العين : ٦١/٢ ، جمهرة اللغة : ٦٦٣/٢ ، المحكم والمحيط الأعظم : ٣٨/٢ ، أساس البلاغة : ٢٨٧/١ ، المعجم الوسيط : ٢٨٦/١ .

[2]) في رحاب الزيارة الجامعة الكبيرة ، الصدر : ٨٩ .

[3]) المصدر نفسه : ٨٩ .

[4]) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، المجلسي الأوَّل : ٣٨ .

[5]) في رحاب الزيارة الجامعة الكبيرة ، الصدر : ١٢٥ .

ورثوا كتبهم وآثارهم وآيات نبوّتهم ، وتركة رسالتهم ، وكلّ علم وفضيلة وكمال ومنقبة كانت فيهم ، وهم الذين يرثون الأرض ومن فيها وما عليها.))([1]) ، وهذا النصُّ ممتصٌّ من قول المجلسي الأول في بيان الفقرة الشريفة ذاتها وهو : ((**وَوَرَثَةِ الْأَنْبِياءِ** فإنَّهم ورثوا كلَّ علمٍ وكتابٍ وفضيلةٍ وكمالٍ كان لهم، حتّى عصا موسى وعمامة هارون والتابوت والسكينة وخاتم سليمان ...))([2]) ، فقد أخذ ـ الصدر ـ المعنى العام من المجلسي ووظَّفه بألفاظ جديدة مع التفصيل لما أجمله المجلسي الأوَّل في عباراته ، في حين لم يذكر الأصل الذي نهِل منه هذا المعنى مما دفعنا إلى إرجاعه إلى أصله بقدر ما تُمليه علينا الروح البحثية.

وقد استشهد الصدر بنصوص كثيرة للمجلسي الأوَّل في شرحه([3]) مع ذكر النص وموقعه فيما ورد .

ونجد التناص البيني في شرح **الصدر** بين أثناء شرحه لقول الإمام الهادي (عليه السلام): ((**الْعامِلُونَ بِإِرادَتِهِ**))([4]) ، قال الصدر : ((أي أنّ أهل البيت عليهم السلام أعمالهم على وفق إرادة الله ، وعلى طبق مشيئته ، بل هم أوعية مشيئة الله تعالى : ولا يريدون إلاّ ما أراد الله...لم يفعلوا شيئاً ولا يفعلون إلاّ بعهدٍ من الله المتعال وأمرٍ منه ، يطيعونه ولا يتجاوزونه ، وقد عرفت أنّهم لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون، فهم ورثة رسول الله صلى الله عليه وآله الذي لا ينطق عن الهوى ، إن هو إلاّ وحي

---

[1]) في رحاب الزيارة الجامعة الكبيرة ، الصدر : ١٢٥ .

[2]) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، المجلسي الأوَّل : ٥٠ .

[3]) يُنظر : في رحاب الزيارة الجامعة الكبيرة ، الصدر : ١٣٤ ، ١٤٥ ، ١٥٩ ، ١٧١ ، ٢١٩ ، ٢٣٢ ، ٢٦٥ ، ٢٨٦ ، ٣١٣ ، وغيرها من المواضع التي ذكر فيها الشارح نصوص المجلسي الأوَّل .

[4]) المصدر نفسه : ٢٥٣ .

يوحى.))([1]، وهذا النص يحتوي على تناص ديني تدويل (قرآني) من قوله تعالى : ﴿لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴾{الأنبياء/٢٧} ، وكذلك من قوله تعالى : ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ﴾{النجم/٤}، ونص الشارح حوار مع قول الهمداني في شرحه لهذه الفقرة المباركة ؛ إذ قال الهمداني : ((يريد أنَّهم لم يفعلوا شيئاً ، ولا يفعلون إلّا بعهد من الله ولا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون ...لأنَّه يحدث لهم من أمر أنفسهم وأمور الخلق شيءٌ فشيء ساعة فساعة))([2]) ، ولم يذكر الشارح حواريته مع نصّ الهمداني، يبدو تسلل المعنى مع بعض الألفاظ إلى شرح الصدر بسبب تحبيذه لشرح الهمداني وكثرة قراءته ، والدليل على ذلك يستشهد بشرح الهمداني كثيراً([3]) ؛ لذا كان التناص غير مقصودٍ ؛ بسبب إدمان الشارح قراءته ؛ احتوى شرح الهمداني الحصيلة اللغوية للصدر وغذَّى فكره بشعور أو من دون شعور.

ومن التناص بطريقة الامتصاص ما جاء في شرح **الصدر** لقول الإمام (عليه السلام) : ((**وَصَبَرْتُمْ عَلى ما اَصابَكُمْ فى جَنْبِهِ**))([4]) ، قال الصدر في بيانها : ((أي أنّكم أهل البيت سلام الله عليكم صبرتم على ما أصابكم من المشقّة والتعب والظلم والأذى وسفك الدماء وسبي النساء ونهب الأموال ، في جنب الله وجهته وفي طريقه ومرضاته.))([5]) ، وهو امتصاص للمعنى من قول الهمداني : ((**وَصَبَرْتُمْ عَلى ما اَصابَكُمْ فى جَنْبِهِ** إشارة إلى ذهاب حقِّهم وسفك دمائهم ونهب أموالهم وسبي نسائهم

---

[1]) في رحاب الزيارة الجامعة الكبيرة ، الصدر : ٢٥٣ .

[2]) الشموس الطالعة من مشارق الزيارة الجامعة : ٣٩٢ .

[3]) يُنظر : في رحاب الزيارة الجامعة الكبيرة ، الصدر : ١٠٣ ، ١١٥ ، ١٣٢ ، ٢٥٠ ، ٣٢٤ ، ٣٤٠ ، ٤٢٣ ، ٤٧١ ، ٤٧٩ ، ٤٩١ .

[4]) المصدر نفسه : ٣٢٤ .

[5]) في رحاب الزيارة الجامعة الكبيرة ، الصدر : ٣٢٤ .

وما أصابهم بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله...))([1]) ، ولم يُشر الشارح إلى هذا الاقتناص المعنوي الذي استشهد به في توضيح هذه الفقرة المباركة ، والذي دعانا إلى وضع اليد على هذا التناص ؛ هو انَّ الشارح بعد هذه الفقرة استشهد بمعنى الصبر الذي عرَّفه الهمداني وأشار إلى الاستشهاد بالكتاب ؛ ولكنَّه لم يُشر إلى تناصِّه معه في صدر التوضيح ، فكان النصُّ امتصاصاً لنصِّ الهمداني الموضِّح لهذه العبارة؛ وقد اعتمد الصدر على المعنى والتقديم والتأخير للألفاظ ، والفرق بين النَّصين من حيث الألفاظ ؛ أنَّ نصَّ الهمداني . لأنَّه الأصل . جاء بطريقة التخصيص بالضمير (هم)، أمَّا نصُّ الصدر جاء بأسلوب الإطلاق لا بالتخصيص.

مما تقدَّم نستنتج : إنَّ المنبع الأوَّل لأغلب الشارحين هو شرح الزيارة الجامعة الكبيرة لمحمد تقي المجلسي (المجلسي الأوَّل) ؛ رغم اختصاره وتحشيد المعاني فيه، فنهِلَ منه الشارحون وجعلوه المصدر الأوَّل والرافد الأوحد بعد كتاب الله العزيز وروايات أهل البيت (عليهم السلام) ، وهو من المرجعيات الثقافية الرئيسة لهذه الشروح كما أوضحنا.

وقد وجَدَتْ الدراسةُ مجموعةَ تناصَّات أخرى من شروح لم نُدخلها في قيد الدراسة([2]) وقد اكتفينا بالتناص البيني بين شروح الزيارة الجامعة الكبيرة . العشرة . الداخلة في الدراسة، وإلى هنا ينتهي هذا المبحث بحمد الله .

---

[1]) الشموس الطالعة من مشارق الزيارة الجامعة ، الهمداني : ٤٤١ .

[2]) تناصَّ بعض الشارحين مع شرح عبد الله شبَّر المُسمَّى (الأنوار اللامعة في شرح الزيارة الجامعة) ، وهو من الشروح التي استبعدناها في اختيار الشروح لقلَّة الموارد البلاغية والنقدية فيه ، يُنظر مواضع التناص البيني : أنوار الولاية الساطعة ، الوحيدي : ٨ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٧١ ، ٧٣ ، ٧٨ ، ٨٠ ، ١٢٣ ، في رحاب الزيارة الجامعة الكبيرة ، الصدر : ٩ ، ١٩ ، ٣٣ ، ٨٩ ، في رحاب الزيارة الجامعة الكبيرة ، السند : ٤٦ ، ٤٧ .

الخاتمة

(النتائج) و(التوصيات)

نتائج البحث

بعد هذه الرحلة الممتعة في مقامات خير البشر وأفضل مَن وطئ الثرى واستنشق الهوى على لسانهم (صلوات ربي وسلامه عليهم) نتجت عن الدراسة نتائج نُجملها بالتالي:

١. بعد أن تلمَّست الدراسة افتقار التعريف السائد للبلاغة لحلِّ بعض الشفرات لمجموعة من الآيات القرآنية والروايات ، حاولت ـ الدراسة ـ السعي بالحلِّ بوساطة اقتراح تعريف الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) للبلاغة وهو تعريف كاملٌ كافٍ شافٍ وافٍ وينطبق على جميع النصوص العربية .

٢. تبنَّت الدراسة العناصر الجديدة للنصّ وهي (الأفكار ، والأسلوب ، والإبلاغ ، والإعجاز ، واللغة ، والصورة الفنِّية) ، لأنَّها تنسجم والنص المعصوم ؛ إذ لا عاطفة ولا خيال في قول المعصوم .

٣. كشفت الدراسة : إنَّ أوَّل من ترجم للإمام علي بن محمد الهادي (عليهما السلام) هو سيد الكائنات وفيض الوجودات رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، بوساطة حديث اللوح الأخضر من طريق جابر بن عبد الله الأنصاري عن سيدة نساء العالمين (عليها السلام) .

٤. أثبتت الدراسة صحَّة الزيارة الجامعة الكبيرة . سنداً ومتناً . صدورها عن الإمام علي بن محمد الهادي (عليه السلام) .

٥. بيَّنت الدراسة سبب اختيار هذه الشروح واستبعاد الأخريات .

٦. كانت للبنية التركيبية الحُصَّة الكبرى في شروح الزيارة الجامعة الكبيرة ، وذلك لاتساع مباحثها وتفرُّع مطالبها ، إذ لم يخلُ شرح من ذكر جميع مفاصل التركيب البلاغي (علم المعاني) .

٧ . نصوص الزيارة الجامعة الكبيرة محكومة بقول القائل : (علمني يابن رسول الله قولاً بليغاً أقوله) فهذه المقامات المذكورة في الزيارة الجامعة الكبيرة على قدر إدراك السائل ولم تكن هذه المقامات هي المقامات العالية لهم ولا يوجد أعلى منها ؛ وإنَّما هي على قدر عقول الناس لا على قدرهم (صلوات ربي وسلامه عليهم) .

٨. بلغت الجمل الخبرية في الزيارة الجامعة الكبيرة مبلغاً كبيراً اقتصرنا على ذكر أمثلة مما ورد في الشروح على سبيل المثال لا الحصر ، فدلَّت الجمل الخبرية على الصدق التام في أخبار الأئمة عليهم السلام ومنها ما ورد في أخبار الإمام الهادي (عليه السلام) في الزيارة الجامعة الكبيرة ، وقد اتَّبع الشارحونَ أصحابَ البلاغة في مفهوم الخبر ولم يخرج أحدهم عمَّا جاء في مؤلفات البلاغيين مما جعل البحث يحكم بأنَّ ذكر الخبر البلاغي عند الشارحين للزيارة الجامعة الكبيرة ما هو إلّا وسيلة للوصول إلى الغرض الذي يُريده الشارح ، وإنَّ الأغراض البلاغية في شروح الزيارة الجامعة الكبيرة لم تكن قد بلغت الشمول العام لمفاصل الزيارة الجامعة الكبيرة ، فهناك من الأغراض لم يُشر إليها الشارحون للزيارة الجامعة الكبيرة ، والبحث اقتصر على المذكور في الشروح فقط ولم يتطرق إلى الأغراض البلاغية الأخرى لأنَّها تتعارض والعنوان العام للدراسة .

٩. إتَّبع الشارحون أصحابَ البلاغة في مفهوم الإنشاء ولم يخرج أحدهم عمَّا جاءوا به ؛ مما جعل الدراسة تحكم بأنَّ ذكر الإنشاء البلاغي عند الشارحين للزيارة الجامعة الكبيرة ما هو إلّا وسيلة للوصول إلى الغرض الذي يُريده الشارح ، شأنه في ذلك شأن الخبر .

١٠. أمَّا التقديم والتأخير فله نكهة خاصَّة في متن الزيارة الجامعة الكبيرة ، وكان للدراسة رأيٌ في مفهوم (تقديم ما حقَّه التأخير) على سبيل الأطروحة قابل للنقد والنقض ؛ إلّا أنَّ التزام الشارحين بما جاء به أصحاب البلاغة كان تطبيقه بحسب التوجّه الذي يُريده البلاغيون .

١١. وفي موضوع التعريف والتنكير : التزم الشارحون بما أملاه البلاغيون ولم يخرجوا عمّا جاء في التعريف والتنكير البلاغي ، وكذلك موضوع الالتفات كان المفهوم البلاغي هو السائد ، والدراسة ترى أنَّ الالتفات هو من موضوعات علم المعاني جرياً مع ما جاء عن السكاكي لأنَّ البنية التركيبية في الالتفات أقرب منه للجماليات .

١٢. في دراسة أحوال العبارة أكدت الدراسة ؛ حاكميَّة الدرس النحوي على الدرس البلاغي ؛ إذ اعتمد البلاغيُّون على المفهوم النحوي للجملة وبنوا عليه أحكامهم وهذا ما يُشير إلى تداخل النحو في البنية التركيبية للعبارة في علم المعاني وقربه إلى اللغة منه إلى الأدب.

١٣. يحتوي متنُ الزيارة الجامعة الكبيرة مجموعةً أخرى من مباحث علم المعاني كـ(مباحث الإنشاء غير الطلبي) و(النفي) و(الشرط) وغيرها ؛ ولكن لم يُخصص لها الشارحون مواردا في شروحهم ، ولذلك أشرنا إليها في الخاتمة.

١٤. كانت لجماليات البيان حُصَّة كبيرة في شروح الزيارة الجامعة الكبيرة حاولت الدراسة اختصارها بذكر نماذج منها لكل مورد والإحالة إلى الموارد الباقية خشية الإطالة .

١٥. أشارت الدراسة إلى المشكلة الأزلية في مفهوم المجاز بين المثبتين والمنكرين، وحاولت أن تضع اليد على أصل المشكلة لتوائم بينهما ، فتبيَّن أنَّ أساس المشكلة تكمن في التعريف ، فصاغت تعريفاً جديداً كحلٍّ بين الطرفين تراه مناسباً لرفع هذه الإشكالية من جهة ؛ ومن جهة أخرى رأت وجوده على سبيل التعريف الجديد حاصل ولم يكن كذلك على ضوء التعريف القديم للمجاز.

١٦ . فصلت الدراسة بين التمثيل والتشبيه الذي كانا مترادفين في بعض آراء الباحثين، فأثبتت أن التمثيل للمضمون والتشبيه للشكل ؛ هذا من حيث التنظير ، أمَّا

التطبيق : فقد ورد هذان اللونان البلاغيَّان في شروح الزيارة الجامعة الكبيرة وتبع الشارحونَ البلاغيينَ السابقين في مفهومهما وتطبيقهما ولم يخرج منهم مَن شذَّ عن ذلك، وتبيَّن الغرض من التمثيل والتشبيه هو بيان الحكمة التي قد تستغلق على المتلقي.

١٧. والكناية حضيت باهتمام الشارحين في شروح الزيارة المباركة ؛ حيث أنّ الكناية عن الموصوف كان لها حضورٌ في الشروح المبحوث فيها على الرغم من قلّتها ، وكانت الكناية عن الصفة لها الحظ الأوفى والأوفر في الشروح ، والكناية عن النسبة لها من الحضور ما تجدر الإشارة لها بوساطة استكناه المواضع الخاصَّة بها ، فهي من الألوان التي عنى بها الشارحون لأنَّهم يرون أنَّها بيان عن جمال كامنٍ في الحقيقة.

١٨ . ولم يكن جمال الألفاظ بمنأى عن اهتمام الشارحين ؛ إذ أشاروا إلى هذه الجماليات بألوانها المختلفة ، فلم يغبْ الجمال البديعي عن الإشارة إليه في شروح الزيارة .

١٩. أشار مفككي السُّنن للزيارة الجامعة الكبيرة إلى السجع اللفظي وجمالياته وبه أشاروا للحكمة من وروده على هذه الهيأة ، كما لمسوا جمال المبالغة وبيان العلم المشكل خلفها ، وهذه المفاهيم هي ذاتها التي جاءت عند البلاغيين السابقين، وكذلك مفهوم المقابلة هو ذاته الوارد عند البلاغيين طبَّقه الشارحون على متن الزيارة الشريفة على الرغم من خلط الشارحين بين مفهومي الطباق والمقابلة الذي أشنا له في المتن.

٢٠ . كان لمفهوم الاقتباس والتضمين إشارات مباشرة في شروح الزيارة الجامعة؛ لأنَّ الشارحين اعتمدوا على المرتكزات الذهنية والحصيلة البلاغية التي تغذَّت أفكارهم بها بوساطة الدرس البحثي لديهم .

٢١ . أشار الشارحون إلى اللفِّ والنَّشرِ وهو من الألوان البلاغية البعيدة عن متناول الباحثين رُغم استعمال هذا اللون في جميع النصوص اللغوية العربية ـ المقدَّسة وغيرها ـ ، وقد خلط بعضهم بين هذا اللون البلاغية وبين الإجمال والتفصيل ، وفصَّلت الدراسة القول في ذلك وبيَّنت الفرق بين المصطلحين .

٢٢. وقد وردت مواضع أخرى للبديع في متن الزيارة الجامعة الكبيرة ولم يُشر إليها الشارحون .

٢٣. جاء موردٌ واحد للمشاكلة في شرح الزيارة الجامعة الكبيرة للأحسائي .

٢٤ . أمَّا في الباب الثاني الخاص بالمباحث النقدية ؛ انتقلت الدراسة من دراسة جماليات الشكل إلى سبر غور العمل الفنّي للشارحين ؛ لتبيَّن اللمسات الفنيَّة وما يكمن خلفها لدى الشارحين .

٢٥. استعمل الشارحون آليات متعددة اتخذوها خارطة طريق للبحث في مضامين الزيارة الجامعة الكبيرة مما أدَّى ذلك إلى تلوُّن الشروح ، فذكرت الدراسة هذه الخرائط المتنوعة وما أفرزته من لون نقدي .

٢٦ . لاستعمال الألفاظ اللغوية نكهة خاصَّة في بيان المضامين لفقرات الزيارة الشريفة، لمس ذلك الشارحون واختاروا الألفاظ الموافقة لما ورد في المتن لينطبق على المضمون الروائي المعصومي مع الأخذ بالنظر القدسية العامَّة لنص المعصوم.

٢٧ . هناك قضايا نقدية خاصَّة في كل شرح من شروح الزيارة الجامعة الكبيرة ؛ لمستها الدراسة بوساطة القراءة الفاحصة لكلِّ شرح ، وقامت بتثبيتها في مضمار الثيمة الخاصَّة لكلِّ شرحٍ بوساطة الإغماض أو التعمية ، والوضوح ، والتجديد ، والسرد القصصي والاستطراد.

٢٨ . وقد اعتدت الدراسة مفهوم التناص وعدَّته معياراً نقديًّا ، ووضعت بديلاً عن المصطلح المعروف من قوانين التناص (الاجترار) ؛ لأنَّه لا ينطبق على المفهوم من جهة ؛ وواجه نقداً كبيراً من عدم تطبيق هذا القانون على النصوص المقدَّسة من جهة أخرى ، فجاءت الدراسة بمصطلح (التدويل أو التدوير) وهو مصطلح مستخلص من القرآن الكريم لينطبق على جميع النصوص وينسجم مع المعنى المراد من التناص النصِّي .

٢٩. جاءت الدراسة بمصطلح جديد أطلقت عليه (التناص البيني) وهو واقع فيما بين الشروح التي تدخل في إطار الدراسة ؛ إذ وجدت أنَّ الشروح اعتمد بعض منها على بعض في موارد متعدِّدة قامت بإحصائها وذكرت نماذج منها للتمثيل وأحالت إلى المواضع الأخرى.

وفي الختام لا ندَّعي الكمال لهذه الدراسة ؛ لأنَّ الكمال لله تعالى ، ولكنَّنا اجتهدنا بجدٍّ آملين أن يفيد غيرنا من حسناته ، ويعمد إلينا من يضع يده على عيوبها لتصحيحها والله ولي التوفيق .

والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ ...

- **التَّـوصيات**

١. توصي الدراسة باعتماد تعريف الإمام علي (عليه السلام) في المناهج الدراسية الخاصَّة بموضوع البلاغة .

٢. توصي الدراسة بعدم تطبيق عناصر النص القديمة على النصوص المعصومة لأنَّ فيها ما يتعارض ومراد النص .

٣. من الممكن دراسة الكلمات القصار للإمام الهادي (عليه السلام) كعنوان : (وسائل الإقناع في الحكم القصار للإمام الهادي عليه السلام) .

٤. توصي بدراسة المباحث اللغوية (نحو ، صرف ، صوت ، مصاحبات معجمية) في شروح الزيارة الجامعة الكبيرة .

٥. دراسة الفروق اللغوية في شروح الزيارة الجامعة الكبيرة .

٦. دراسة الأصول القرآنية لنصوص الزيارة الجامعة الكبيرة .

٧. من الممكن دراسة متن الزيارة الجامعة الكبيرة دراسات عدَّة ، بلاغية ، تداولية ، دلالية ، نحويَّة . صرفية ، تحويلية توليدية ...إلى آخره ، لأنَّها لم تُدرس حسب اطلاعنا .

٨. تخرج من الشروح المختارة أطروحة أخرى ، في المباحث البلاغية والنقدية ؛ لأنَّ المباحث فيها كثيرة جدّاً وما ذكرناه أمثلة ، فللتكميل ممكن دراستها دراسة أخرى بنفس العنوان.

٩. يوجد في الشروح المختارة مباحث فقهية وأصولية توصي الدراسة ببحثها .

١٠. من الممكن دراسة القوَّة الناعمة للدعوة الإسلامية في شروح الزيارة الجامعة الكبيرة .

١١. توصي الدراسة بالبحث في المناهج النقدية في شروح الزيارة الجامعة الكبيرة .

١٢ـ يمكن دراستها سيميائيَّاً بعنوان : (سيمياء المسافة في الزياررة الجامعة الكبيرة)

١٣ـ يمكن دراستها مع الزيارات الواردة عن الأئمة (عليهم السلام) درسة مقاربة أو دراسة موازية.

مظان البحث

مظان البحثِ

- **القرآن الكريم**

١. **الكتب (المصادر والمراجع)**

حرف الألف

- الاتجاه العقلي في التفسير، دراسة في قضية المجاز عند المعتزلة ، د. نصر حامد **أبو زيد** ، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م .
- الاتقان في علوم القرآن ، جلال الدين **السيوطي** ت(٩١١هـ) ، تحقيق : محمد أبو الفضل ابراهيم ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.
- أثر القرآن في تطور النقد العربي إلى آخر القرن الرابع الهجري، د. محمد زغلول **سلام**، دار المعارف، القاهرة، ط١ ، (د.ت).
- الاحتجاج ، أبو علي **الطبرسي** (ت٥٤٨هـ)، دار النعمان للطباعة والنشر ،النجف الاشرف، العراق ، ط١ ، ١٤٢٤هـ .
- اختيار معرفة الرجال ، المعروف بـ (رجال الكشي) ، محمد بن الحسن نصير الدين **الطوسي** ت(٤٦٠هـ) ، تحقيق : جواد القيومي الأصفهاني ، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ، قم ، ايران ، ط١ ، ١٤٢٧هـ .
- الأربعون حديثا عن أربعين شيخاً من أربعين صحابياً في فضائل الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) ، منتجب الدين، علي بن عبيد الله بن بابويه **الرازي** ت(٥٨٥هـ) ، مدرسة الإمام المهدي عجّل الله تعالى فرجة الشريف ، قم ، ايران ، ط١ ، ١٤٠٨هـ.
- الإرشاد ، محمد بن محمد **المفيد** ت(٤١٣هـ) ، المؤتمر العلمي لألفية المفيد ، قم ، ط١ ، ١٤١٣هـ .
- إرشاد القلوب إلى الصواب ، حسن بن محمد **الديلمي** ت(٨٤١هـ) ، منشورات الشريف الرضي ، قم ، إيران ، ط١ ، ١٤١٢هـ .

مظان البحث

- أساس البلاغة ، جار الله **الزمخشري** ت(٥٣٨هـ) ، قرأه وعلق عليه: د. محمد نبيل طريفي، دار صادر، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٩م.
- الأساليب الإنشائية في النحو العربي ، عبد السلام محمد **هارون** ، الناشر مكتبة الخانجي بمصر ، ط٢، ١٣٩٩هـ . ١٩٧٩م .
- أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين ، د٠ قيس اسماعيل **الأوسي** ، مطبعة بيت الحكمة، بغداد ، العراق ، ط١، ١٩٨٨ م .
- أسرار البلاغة ، عبد القاهر **الجرجاني** ت(٤٧١هـ)، شرح وتعليق : الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي، مكتبة القاهرة، ط٣، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م.
- أسرار التكرار في القرآن المسمى :(البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان) ، محمود بن حمزة **الكرماني** ت(٥٠٥هـ) ، تحقيق : عبد القادر أحمد عطا ، دار الفضيلة ، لا توجد معلومات أخرى في الكتاب .
- الأسماء والصفات ، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر **البيهقي** ت(٤٥٨هـ) ، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه : عبد الله بن محمد الحاشدي ، مكتبة السوادي ، جدة ، المملكة العربية السعودية ، ط١ ، ١٩٩٣م .
- أسواق الذهب ، أحمد **شوقي** بن علي بن أحمد شوقي ت(١٣٥١هـ) ، مطبعة الهلال ، مصر، د.ط ، ١٩٣٢هـ .
- إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد ، يوسف **وغليسي** ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، منشورات الاختلاف ، تونس ، ط١ ، ٢٠٠٨م .
- أصول البيان العربي، رؤية بلاغية معاصرة ، د. محمد حسين علي **الصغير**، مطبعة دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العراق ، ١٩٨٦ م.
- الأصول الستة عشر ، **جمع من العلماء** ، مؤسسة دار الحديث الثقافية ، قم ، إيران ، ط١ ، ١٤٢٣هـ .

مظان البحث

- أصول الفقه ، الشيخ محمد رضا **المظفر** ، إسماعيليان ، قم ، إيران ، ط١٠ ، ١٤٢١هـ.
- الأصول في النحو ، أبو بكر محمد بن السري بن سهل النحوي المعروف **بابن السراج** ت(٣١٦هـ)، تحقيق: عبد الحسين الفتلي ، مؤسسة الرسالة، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٩٩٩م.
- إعجاز القرآن ، أبو بكر محمد بن الطيب **الباقلاني** (ت٤٠٣ هـ) ، تحقيق : السيد احمد صقر، دار المعارف،بيروت ، لبنان ، ط٥ ،١٩٩٧ م .
- آفاق التناصية المفهوم والمنظور ، ترجمة : د. محمد خير **البقاعي** ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر، ١٩٩٨م.
- الإقبال بالأعمال الحسنة فيما يعمل مرة فى السنة ، علي بن موسى **بن طاووس** ت(٦٦٤هـ) ، مكتب الإعلام الإسلامي ، قم ، إيران ، ط١ ، ١٤١٨هـ .
- إلزام الناصب في إثبات الحُجَّة الغائب ، علي الحائري **اليزدي** ت(١٣٢٣هـ) ، مؤسسة الأعلمي ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٤٢٢هـ .
- الأمالي ، محمد بن الحسن **الطوسي** ت(٤٦٠هـ) دار الثقافة ، قم ، ط١ ، ١٤١٤هـ .
- الامالي الشجرية ، **ابن الشجري** ت(٥٤٢هـ) ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر اباد ، الدكن ، ١٣٤٩هـ .
- الإمام الهادي (عليه السلام) من المهد إلى اللحد ، محمد كاظم **القزويني** ، منشورات فرصاد ، ط١ ، ٢٠٠٧م .
- الإمام علي الهادي (عليه السلام) سيرة وتاريخ ، علي موسى **الكعبي** ، مركز الرسالة ، سلسلة المعارف الإسلامية ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ٢٠١٢م .
- الإمامة والتبصرة من الحيرة ، علي بن بابويه **القمّي** ت(٣٢٩هـ) ، مدرسة الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه الشريف) ، قم ، إيران ، ط١ ، ١٤٠٤هـ .

مظان البحث

- أمثال القرآن ، **ابن قيم الجوزية** ت(٧٥١هـ)، تحقيق: د. موسى بناي علوان العليلي، مطبعة الزمان ، بغداد ، العراق ، د.ط ، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م .
- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ، الشيخ ناصر مكارم **الشيرازي** ،مؤسسة البعثة ، بيروت،ط١، ١٩٩٢م .
- الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين ، عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري، أبو البركات، كمال الدين **الأنباري** ت(٥٧٧هـ) ، المكتبة العصرية ، بيروت ، لبنان ، ط١، ٢٠٠٣م .
- أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، المعروف بتفسير البيضاوي ، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي **البيضاوي** ت(٦٨٥هـ) ، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٤١٨هـ.
- أنوار الربيع في أنواع البديع ، علي صدر الدين **بن معصوم** المدني ت(١١١٧هـ)، تحقيق: شاكر هادي شكر ، النجف الأشرف ، العراق ، ط١، ١٣٨٨هـ-١٩٦٨م.
- أنوار الولاية الساطعة في شرح الزيارة الجامعة ، آية الله العظمى محمد **الوحيدي** ، ترجمة وتحقيق : الشيخ هاشم الصالحي ، مطبعة سبهر ، قم ، ايران ، ط١ ، د.ت .
- أوضح المسالك إلى الفية ابن مالك ، **ابن هشام الأنصاري** ، ت (٧٦١هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد ، ذوي القربى ، قم ، ط١ ، ١٤٣٢هـ .
- أوَّليات أمير المؤمنين، شاكر هادي **شكر** ، مؤسسة البلاغ ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ٢٠٠٢م .
- الإيضاح في علوم البلاغة، لجلال الدين محمد بن عبد الرحمن الخطيب **القزويني** ت(٧٣٩هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر الفاطمي، المكتبة العصرية، ، بيروت، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م.

حرف الباء

- بحار الأنوار الجامعة لدرر الأئمة الأطهار ، محمد باقر **المجلسي** ت(١١١١هـ)، مؤسسة الوفاء ، بيروت ، ط٥ ، ١٩٨٨م .
- البحر المحيط ، محمد بن يوسف (أبو حيان **الأندلسي**) ت(٧٤٥هـ)، دراسة وتحقيق وتعليق: الشيخ عادل احمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض ، (دار الكتب العلمية)، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.
- البديع في البديع أبو العباس، عبد الله بن محمد **المعتز** بالله ابن المتوكل ابن المعتصم ابن الرشيد العباسي ت(٢٩٦هـ) ، دار الجيل ، ط١ ، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م .
- البرهان الكاشف عن اعجاز القرآن ، عبد الواحد بن عبد الكريم **الزملكاني** ت(٦٥١هـ)، تحقيق : أحمد مطلوب، د. خديجة الحديثي ، مطبعة العاني ، بغداد ، ط١ ، ١٩٧٤م.
- البرهان في علوم القرآن ، بدر الدين **الزركشي** (ت ٧٩٤هـ)، تحقيق: محمد ابو الفضل إبراهيم ، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، ط١، ١٣٧٧هـ - ١٩٥٨م.
- البرهان في وجوه البيان، أبو الحسين إسحاق بن إبراهيم **ابن وهب الكاتب**، ت(٣٣٥ هـ)، تحقيق: د. احمد مطلوب، ود. خديجة الحديثي، مطبعة العاني، ط١، ١٣٨٧هـ-١٩٦٧م.
- بشارة المصطفى لشيعة المرتضى ، عماد الدين أبو جعفر محمد بن أبي القاسم **الطبري** ت(٥٥٣هـ)، المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف ، العراق ، ط١ ، ١٣٨٢هـ.
- بصائر الدرجات في فضائل آل محمد ، محمد بن الحسن **الصفار** ت(٢٩٠هـ) ، مكتبة آية الله المرعشي ، ايران ، قم ، ط٢ ، ١٤٠٤هـ .

مظان البحث

- البصائر والذخائر ، علي بن محمد بن العباس المعروف بأبي حيان **التوحيدي** ت(٤٠٠هـ) ، تحقيق: د. وداد القاضي ، دار صادر – بيروت ، ط١، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨م .
- بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح ، عبد المتعالي **الصعيدي** ، مطبعة محمد علي صبيح وأولاده ، ط٨ ، ١٩٧٣م .
- البلاغة الاصطلاحية ، د. عبده عبد العزيز **قلقيلة** ،دار الفكر العربي، القاهرة ، ط٣ ، ١٤١٢ هـ ـ ١٩٩٢م .
- البلاغة العربية ، علم المعاني بين بلاغة القدامى وأسلوبية المحدثين ، طالب إسماعيل **الزوبعي** ، منشورات جامعة قازيونس ، بنغازي ، ليبيا ، ط ١ ، ١٩٩٧م .
- البلاغة العربية ، عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة **الميداني** الدمشقي ت(١٤٢٥هـ) ، دار القلم، دمشق، سوريا ، ط١ ، ١٩٩٦م .
- البلاغة العربية في ضوء الأسلوبية ونظرية السياق، د. محمد بركات حمدي **أبو علي**، دار وائل للنشر ، بيروت ، لبنان ، ط١، ٢٠٠٣م .
- البلاغة العربية قراءة أخرى ، د. محمّد **عبد المطلب** ، طبعة دار نوبار للطباعة، القاهرة ، مصر ، ط١، ١٩٩٧م .
- البلاغة تطور وتاريخ، د.شوقي **ضيف**، دار المعارف، القاهرة، ط٦ ، ١٩٦٥م .
- البلاغة عند الجاحظ ، د. أحمد **مطلوب** ، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، ١٤٠٩هـ–١٩٨٩م .
- البلاغة عند السكاكي ، د. احمد **مطلوب**، منشورات مكتبة النهضة، مطبعة دار التضامن ، بغداد، العراق ، ط١، ١٣٨٤ هـ – ١٩٦٤م.
- البلاغة فنونها وأفنانها ، فضل حسن **عباس** ، دار الفرقان ، الأردن ، ط٤ ، ١٩٩٧م.

مظان البحث

- البلاغة في سؤال وجواب ، د. ضرغام كريم **الموسوي** ، دار التوحيد للطباعة ، كربلاء المقدسة ، ط١، ٢٠١٦م.
- البلاغة والأسلوبية ، محمد **عبد المطلب** ، مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٤م .
- البلاغة والتطبيق ، د. احمد **مطلوب** ، د. كامل حسن **البصير** ، بغداد ، ط١ ، ١٩٨٢.
- بناء المقالة الفاطمية في نقض الرسالة العثمانية ، أحمد بن موسى **(ابن طاووس)** ت(٦٧٣هـ) ، مؤسسة أهل البيت (عليهم السلام) لإحياء التراث ، قم ، إيران ، ط١ ، ١٤١١هـ .
- بنية اللغة الشعرية ، جون **كوهين** ، ترجمة : محمد **الولي** ، ومحمد **العمري** ، دار توبقال للنشر ، ط١ ، ١٩٨٦م .
- بنية النص ، السرد من منظور النقد الأدبي ، حميد **الحمداني** ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٩٩١م .
- البيان العربي (دراسة في تطور الفكرة البلاغية عند العرب ومناهجها ومصادرها الكبرى) ، د. بدوي **طبانه**، دار العودة – بيروت، لبنان ، ط٥، ١٩٨٢م.
- البيان في تفسير القرآن ، أبو القاسم الموسوي **الخوئي** ت(١٤١٣هـ) ، مؤسسة الخوئي الإسلامية ، ط٤ ، ٢٠٠٩م .
- البيان في ضوء أساليب القرآن ، د. عبد الفتاح **لاشين** ، دار المعارف ، القاهرة (د.ت).
- البيان والتبيين ، أبو عثمان عمرو بن بحر **الجاحظ** ت(٢٥٥ هـ)، تحقيق وشرح : عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط ٥ ، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م.

مظان البحث

حرف التاء

- تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن محمد **الزبيدي** (مرتضى الحسيني) ت(١٢٠٥هـ)، دار الفكر ، بيروت ، د.ت .
- تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز **الذهبي** ت(٧٤٨هـ) ، المحقق: الدكتور بشار عوّاد معروف ، دار الغرب الإسلامي ، ط١، ٢٠٠٣ م .
- تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، نقد الشعر من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري؛ د.**إحسان عباس**، دار الشروق، عمان ، الأردن ، ط٢، ١٩٩٣م .
- تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة ، علي **الاستر ابادي** ت(٩٤٠هـ) ، مؤسسة النشر الإسلامي ، قم ، إيران ، ط١ ، ١٤٠٩هـ
- تأويل مشكل القرآن ، **ابن قتيبة** ت(٢٧٦ هـ)، حققه وشرحه ونشره : السيد احمد صقر ، دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي وشركاه ، بيروت ، د٠ت .
- التبيان في تفسير القرآن ، أبو جعفر محمد بن الحسن نصير الدين **الطوسي** ت(٤٦٠هـ) ، تحقيق: أحمد حبيب قصير العاملي ، مكتب الإسلام الإعلامي ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٩م.
- التبيان في علم البيان المطلع على إعجاز القرآن: كمال الدين عبد الواحد بن عبد الكريم **الزملكاني** ، تحقيق: د. احمد مطلوب، ود. خديجة الحديثي، مطبعة العاني، بغداد، ١٣٨٣هـ-١٩٦٤م .
- تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن ، **ابن أبي الإصبع** المصري، تقديم وتدقيق: د. حنفي محمد شرف، القاهرة ، مصر ، د.ط ، ١٣٨٣هـ .
- التّحرير والتّنوير ، الشّيخ محمّد الطّاهر **بن عاشور** ت(١٣٩٣هـ) ، مؤسّسة التّأريخ، بيروت . لبنان ، ط١، ١٤٢٠هـ . ٢٠٠٠م.

مظان البحث

- تحف العقول عن آل الرسول (صلى الله عليه وآله) ، ابن شعبة **الحراني** ت(القرن الرابع) ، جماعة المدرسين ، قم ، ايران ، ط٢ ، ١٤٠٤هـ .
- تذكرة خواص الأمة في خصائص الأئمة ، **سبط ابن الجوزي** ت(٦٥٤ هـ) ، تحقيق ودراسة : الدكتور عامر النجار : أستاذ الفلسفة الإسلامية بجامعة قناة السويس ، مكتبة الثقافة الدينية ، ط١، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م .
- التذكرة في الوعظ ، عبد الرحمن بن علي القرشي الملقَّب : سبط **بن الجوزي** ت(٥٧١هـ) ، المحقق : احمد عبد الوهاب فتيح ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، ط١، ١٩٨٦م .
- تراث كربلاء ، سلمان هادي **آل طعمة** ، منشورات مؤسسة الأعلمي للطباعة ، بيروت ،لبنان ، ط٢ ، ١٩٨٣م .
- الترغيب في فضائل الأعمال وثواب ذلك ، أبو حفص عمر بن أحمد بن عثمان بن أحمد بن محمد بن أيوب بن أزداذ البغدادي المعروف **بابن شاهين** ت(٣٨٥هـ) ، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل ، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان ، ط١، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٤ م .
- تصحيح اعتقادات الإمامية ، محمد بن محمد **المفيد** ت(٤١٣هـ) ، منشورات مؤتمر الشيخ المفيد ، قم ، إيران ، ط٢ ، ١٤١٤هـ .
- تصنيف غرر الحكم ودرر الكلم ، عبد الواحد بن محمد التميمي **الآمدي** ت(٥٥٠هـ)، مكتب الإعلام الإسلامي ، قم ، إيران ، ط١ ، ١٤٠٧هـ .
- التصوير المجازي، أنماطه ودلالاته، في مشاهد القيامة في القرآن ، د. أياد عبد الودود عثمان **الحمداني**، دار الشؤون الثقافية،بغدا ، العراق ، ط١، ٢٠٠٤م .
- التعبير القرآني، د. فاضل صالح **السامرائي** ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ٢٠١٧م.

مظان البحث

- التّعريفات ، أبو الحسن علي بن محمد المعروف بـ(**الشريف الجرجاني**) ت(٨١٦هـ) ، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان ، ط٣، ١٤٠٨هـ . ١٩٨٨م .
- تفسير ابن باديس في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير ، عبد الحميد محمد بن باديس **الصنهاجي** ت(١٣٥٩هـ) ، تحقيق : أحمد شمس الدين ، دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٤١٦هـ – ١٩٩٥م .
- تفسير الآصفي ، الفيض **الكاشاني** ت(١٠٩١هـ) ، علق عليه : حسين الأعلمي ، مكتبة الصدر ، طهران ، ط٢، ١٤١٢هـ .
- تفسير الصافي ، محمد بن مرتضى المعروف بالفيض **الكاشاني** ت(١٠٩١هـ) ، علق عليه : حسين الأعلمي ، مكتبة الصدر ، طهران ، إيران ، ط٢، ١٤١٢هـ .
- تفسير العياشي ، أبو النضر محمد بن مسعود **العياشي** ت (٣٢٠هـ) ، تحقيق : قسم الدراسات الإسلامية ، مؤسسة البعثة ، قم ، ١٤٢٢هـ.
- التفسير الكبير المسمى(مفاتيح الغيب)، فخر الدين محمد بن عمر **الرازي** ت(٦٠٦هـ) ، دار احياء التراث العربي ، ط٣، ١٤٢٠هـ .
- تفسير فرات الكوفي ، فرات بن إبراهيم **الكوفي** ت(٣٠٧هـ)، مؤسسة الطبع والنشر في وزارة الإرشاد الإسلامي ، ايران ، طهران ، ط١، ١٤١٠هـ .
- تفسير كنز الدقائق وبحر الغرائب ، محمد محمد رضا **المشهدي** ت(١١٢٥) ، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي للطباعة والنشر ، طهران ، إيران ، ط١ ، ١٤١٠هـ .
- تفسير نور الثقلين ، عبد علي بن جمعة العروسي **الحويزي** ت(١١١٢هـ) ، تحقيق : السيد علي عاشور ، مؤسسة التاريخ العربي ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ٢٠٠١م.
- تفسير يحيى بن سلام ، يحيى **بن سلام** بن أبي ثعلبة، التيمي بالولاء، من تيم ربيعة، البصري ثم الإفريقي القيرواني ت(٢٠٠هـ) ، تقديم وتحقيق: الدكتورة هند شلبي ، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ، ط١ ، ٢٠٠٤م.

مظان البحث

- تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة ، محمد بن الحسن **الحر العاملي** ت(١١٠٤هـ) ، مؤسسة آل البيت ، بيروت ، ط١، ١٤٠٩هـ .
- تلخيص البيان في مجازات القرآن ، محمد بن أبي أحمد الحسين بن موسى المعروف بـ(**الشريف الرضي**) ت(٤٠٦هـ) ، تحقيق : محمد عبد الغني حسن ، دار الأضواء ، بيروت ، لبنان ، ط٢ ، ١٩٨٦م .
- تلخيص التمهيد (موجز دراسات مبسطة عن مختلف شؤون القران الكريم)، محمد هادي **معرفة** ، دار القارئ ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ٢٠١٠م .
- التلخيص في علوم البلاغة ، الخطيب **القزويني** ت(٤٠٦هـ)، ضبطه وشرحه : عبد الرحمن البرقوقي، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط٢، ١٩٣٤م.
- التناص المعرفي في شعر عز الدين المناصرة ، ليديا **وعد الله** ، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع ،عمان ، الأردن ، ط١ ، ٢٠٠٥م .
- التناص في شعر الرواد ، أحمد **ناهم** ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط١ ، ٢٠٠٤ م .
- تهذيب الأحكام ، محمد بن محمد بن االحسن نصير الدين **الطوسي** ت(٤٦٠هـ) ، تحقيق وتعليق : حسن الموسوي الخرسان ، دار الكتب الإسلامية ، مطبعة خورشيد، طهران ، ايران ، ط٤ ، ١٣٦٥ش .
- تهذيب الأحكام في شرح المقنعة ، محمد بن الحسن **الطوسي** ت(٤٦٠هـ)، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية ، طهران – ايران ، ط١، ١٣٨٦هـ.
- تهذيب البلاغة في تلخيص مختصر المعاني لسعد الدين **التفتازاني** ، علي عرب خراساني ، مركز المصطفى العالمي للترجمة والنشر ، قم ، ط١ ، ١٤٣٢ هـ.

- تهذيب اللغة ، أبو منصور محمد بن أحمد بن **الأزهري** الهروي ت(٣٧٠هـ) ، المحقق: محمد عوض مرعب ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، لبنان ، ط١، ٢٠٠١م .
- التوحيد ، محمد بن علي بن بابويه القمي **(الشيخ الصدوق)** ت(٣٨١هـ) ، جماعة المدرسين ، قم ، إيران ، ط١، ١٣٩٨هـ .
- توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك ، أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ المرادي **المصري المالكي** ت(٧٤٩هـ) ، شرح وتحقيق : عبد الرحمن علي سليمان ، أستاذ اللغويات في جامعة الأزهر ، دار الفكر العربي ، ط١ ، ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٨م .
- التيسير بشرح الجامع الصغير ، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي **المناوي** القاهري ت(١٠٣١هـ) ، مكتبة الإمام الشافعي ، الرياض ، السعودية ، ط٣ ، ١٩٨٨م .

حرف الثاء

- ثلاث رسائل في إعجاز القران الكريم : **الرماني** ت(٣٨٦هـ) و**الخطابي** ت(٣٨٨هـ) وعبد القاهر **الجرجاني** ت(٤٧١هـ) ، تحقيق محمد خلف الله ، د. محمد زغلول سلام، دار المعارف ، مصر، ط٣ ، ١٩٥٦م.

حرف الجيم

- جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، أبو جعفر محمد بن جرير **الطبري** ت(٣١٠هـ) ، تحقيق : محمود محمد شاكر ، مكتبة ابن تيمية ، القاهرة ، ط٢ ، د.ت .
- الجامع الكبير ، ضياء الدين **ابن الأثير** (ت ٦٣٧هـ) تحقيق الدكتور: مصطفى جواد . والدكتور: جميل سعيد ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، بغداد ، العراق ، ١٩٥٦م.

- الجامع في علم المعاني ، د.جاسم **عبد الواحد** ، دار الكتب والوثائق ، بغداد ، العراق ، ط١ ، ٢٠١٩م .
- جماليات التركيب اللغوي في السور الطوال في القرآن الكريم ، **حيدر عذاب** حسين ، دار الفراهيدي ، بغداد ، ط١ ، ٢٠١٥م.
- جمهرة اللغة ، أبو بكر محمد بن الحسن **بن دريد الأزدي** ت(٣٢١هـ) ، المحقق: رمزي منير بعلبكي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، ط١، ١٩٨٧م .
- الجنى الداني في حروف المعاني ، أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ المرادي المصري **المالكي** ت(٧٤٩هـ) ، المحقق: د فخر الدين **قباوة** – الأستاذ محمد نديم **فاضل** ، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤١٣ هـ – ١٩٩٢م.
- الجهود البلاغية في تفسير القرآن العظيم لعلم الدين السخاوي ت(٦٤٣هـ) ، زيد مجيد **رشيد**، دار الكتب والوثائق العراقية ، بغداد ، العراق ، ط١ ، ٢٠١٥م .
- جواهر البلاغة ، أحمد **الهاشمي** ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، د.ط، ٢٠٠١م.
- جوهر الكنز (تلخيص كنز البراعة في أدوات ذوي البراعة) ، نجم الدين **بن الأثير** ت(٦٣٧هـ) ، تحقيق : محمد زغلول سلام ، الإسكندرية ، مصر ، ط١ ، ١٩٩٨م .

حرف الحاء

- حاشية الصبان على شرح الأشمونى لألفية ابن مالك ، أبو العرفان محمد بن علي **الصبان** الشافعي ت(١٢٠٦هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٩٩٧م.
- الحاشية على أصول الكافي ، أحمد بن زين العابدين العلوي **العاملي** ت(١٠٥٧هـ) ، دار الحديث ، قم ، إيران ، ط١ ، ١٤٢٧هـ .

- الحدائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة ، يوسف **البحراني** ت(١١٨٦هـ) ، جماعة المدرسين ، قم ، إيران ، ط١ ، ١٤١٢هـ .
- الحل القصدي للغة في مواجعة الاعتباطية ، عالم سبيط **النيلي** ، دار المحجة البيضاء ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ٢٠٠٧م .
- حلية المحاضرة في صناعة الشعر، لأبي علي محمد بن الحسن بن المظفر **الحاتمي** ت(٣٨٨هـ) ، تحقيق: د. جعفر الكتابي، الجمهورية العراقية، دار الرشيد للنشر، ١٩٧٩م .
- الحيوان ، الجاحظ أبو عثمان عمر بن بحر ، ت(٢٥٥هـ)، تحقيق : عبد السّلام **هارون** ، دار الجيل ، بيروت، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م .

حرف الخاء

- خزانة الأدب وغاية الإرب ، تقي الدين أبو بكر علي المعروف **بابن حجة الحموي** ت(٨٣٧هـ) قدم له وشرحه : د. صلاح الدين الهواري ، المكتبة العصرية ، بيروت ، لبنان، ط١ ، ٢٠٠٦م .
- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ، عبد القادر بن عمر **البغدادي** ت(١٠٩٣هـ) ، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي، القاهرة ، مصر ، ط٤، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م .
- الخصال ، محمد بن علي بن الحسين القمي المعروف **بالصدوق** ت(٣٨١هـ): تصحيح وتعليق: علي أكبر غفاري: ط بلا -١٤٠٣هـ، طبع ونشر، جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم - إيران .
- خصائص التراكيب (دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني) : د. محمد محمد **أبو موسى** ، أميرة للطباعة ، ط٤، ١٩٩٦م .
- الخصائص، أبو الفتح عثمان **بن جني** ت(٣٩٢هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، نشر دار الكتاب العربي، بيروت ، لبنان، (د - ت) .

- الخطيئة والتكفير ، عبد الله **الغذامي** ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ط٦ ، ٢٠٠٦م.

حرف الدال

- الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، جلال الدين **السيوطي** ت(٩١١هـ) ، تحقيق : عبد الله بن عبد المحسن التركي ، مركز هجر للبحوث والدراسات ، القاهرة ، ط١، ٢٠٠٣م.
- دراسات في النقد الأدبي ، د. رشيد **العبيدي** ، مطبعة المعارف ، بغداد ، العراق ، ط١ ، ١٩٦٩م .
- دراسات في فقه اللغة ، د. صبحي إبراهيم **الصالح** ت(١٤٠٧هـ) ، دار العلم للملايين ، ط١ ، ١٣٧٩هـ – ١٩٦٠م .
- دلائل الإعجاز ،عبد القاهر **الجرجاني** ، ت(٤٧١هـ) ،تحقيق : محمد التنجي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٩٩٥م.
- دلائل الإمامة ، محمد بن جرير بن رستم **الطبري** ت(القرن الخامس الهجري) ، دار البعثة ، قم ، ايران ، ط١ ، ١٤١٣ هـ.
- الدلائل في غريب الحديث ، قاسم بن ثابت بن حزم العوفي **السرقسطي** ، أبو محمد ت(٣٠٢هـ) ، تحقيق: د. محمد بن عبد الله القناص ، مكتبة العبيكان، الرياض ، السعودية ، ط١ ، ٢٠٠١م .
- دليل الناقد الأدبي ، ميجان **الرويلي**، وسعد **البازعي** ،المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، تونس ، ط٢ ، ٢٠٠٠م .
- ديوان **أبي طالب** بن عبد المطلب ، تحقيق : محمد حسن آل ياسين ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت ، لبنان ، د.ط ، ٢٠٠٩م .
- ديوان الإمام **الشافعي** ، اعتنى به : عبد الرحمن المصطاوي ، دار المعرفة ، بيروت، لبنان ، ط٤ ، ٢٠٠٧م .

- ديوان الإمام علي بن أبي طالب ، تحقيق : د. يحيى **مراد** ، مؤسسة المختار للنشر، القاهرة ، مصر ، ط١ ، ٢٠٠٦م .
- ديوان السيد الحميري ، إسماعيل بن محمد **الحميري** ت(١٧٣هـ) ، تقديم : نواف الجراح ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٩٩٩م .
- ديوان السيد رضا الموسوي **الهندي** ، جمعه : السيد موسى الموسوي ، مؤسسة الثقلين ، دمشق ، سوريا ، ط٢ ، ٢٠٠٨م .
- ديوان الشيخ محسن **أبو الحب الكبير** ت(١٣٠٥هـ) ، تحقيق : جليل كريم أبو الحب، بيت العلم للنابهين ، بيروت، لبنان ، ط١ ، ٢٠٠٣م .
- ديوان **الفرزدق** ، شرحه وضبطه : ممدوح **حقي** ، دار المعارف ، مصر ، ط١ ، ١٩٧٢م.
- ديوان المعاني ، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران **العسكري** ت(٣٩٥هـ) ، دار الجيل – بيروت ، د.ط ، د.ت .
- ديوان أمير المؤمنين (عليه السلام) ، حسين بن معين الدين **الميبدي** ت(٩١١هـ) ، دار نداء الإسلام للنشر ، قم ، إيران ، ط١ ، ١٤١١هـ .

حرف الراء

- الراغب الأصفهاني وجهوده في اللغة ، عمر عبد الرحمن **الساريسي** ، الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة ، السعودية ، ط١٣ ، ٢٠٠١م .
- الرسالة ، محمد بن ادريس **الشافعي** ت(٢٠٤هـ) ، تحقيق : أحمد شاكر، دار الأضواء ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٩٩٥م .
- الرسالة العلوية في فضل أمير المؤمنين على سائر البرية سوى رسول الله صلى الله عليه وآله ، محمد بن علي **الكراجكي** ت(٤٤٩هـ) ، دليل ما ، قم ، إيران ، ط١ ، ١٤٢٧هـ .

- روض الأخيار المنتخب من ربيع الأبرار ، محمد بن قاسم بن يعقوب الأماسي الحنفي، محيي الدين، **ابن الخطيب** قاسم ت(٩٤٠هـ) ، دار القلم العربي، حلب ، سوريا ، ط١ ، ١٤٢٣هـ .
- روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه ، محمد تقي بن مقصود علي **المجلسي** ت(١٠٧٠هـ) ، مؤسسة كوشانبور للثقافة الإسلامية ، قم ، ايران ، ط٢ ، ١٤٠٦هـ .
- روضة الواعظين وبصيرة المتعظين ، محمد بن أحمد **الفتال النيشابوري** ت(٥٠٨هـ) ، منشورات الرضي ، قم ، إيران ، ط١، ١٤١٧هـ .

حرف الزاي

- الزاهر في معاني كلمات الناس ، محمد بن القاسم بن محمد بن بشار، أبو بكر **الأنباري** ت(٣٢٨هـ) ، تحقيق : د. حاتم صالح الضامن ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، ط١، ١٤١٢ هـ -١٩٩٢م .

حرف السين

- سر الفصاحة ،أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد **ابن سنان الخفاجي** الحلي ت(٤٦٦هـ)، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها ،أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري **الألباني** ت(١٤٢٠هـ) ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض ، ط١ (لمكتبة المعارف)١٤١٥، هـ - ١٩٩٥ م
- سير أعلام النبلاء ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز **الذهبي** ت(٧٤٨هـ) ، تحقيق : مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة ، المدينة المنورة ، المملكة العربية السعودية ، ط٣، ١٩٨٥م .

حرف الشين

- شرح ابن عقيل على الفية ابن مالك ، بهاء الدين **بن عقيل** ت(٧٦٩هـ)، تحقيق ، محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار التراث ، مصر ، د.ط، ٢٠٠٥م.
- شرح أبيات سيبويه ، يوسف بن أبي سعيد الحسن بن عبد الله بن المرزبان أبو محمد **السيرافي** ت(٣٨٥هـ) ، تحقيق : الدكتور محمد علي الريح هاشم ، مكتبة الكليات الأزهرية، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة ، مصر ، د.ط ، ١٩٧٤م.
- شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار عليهم السلام ، النعمان بن محمد المعروف بـ **(ابن حيون)** ت(٣٦٣هـ) ، جماعة المدرسين ، قم ، إيران ، ط١ ، ١٤٠٩هـ .
- شرح أصول الكافي ، محمد بن إبراهيم صدر الدين **الشيرازي** ت(١٠٥٠هـ) ، مؤسسة الأبحاث الثقافية ، طهران ، ايران ، ط١ ، ١٤٢٥هـ .
- شرح التسَّهيل- تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد ، جمال الدين محمَّد بن عبد الله بن عبد الله **بن مالك** الطائي الجياني الاندلسي، (ت ٦٧٢هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا ، وطارق فتحي السيّد ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ،ط٢، ٢٠٠٩.
- شرح الرضي على الكافية ، رضي الدين **الأسترآبادي** ، تحقيق وتعليق : يوسف حسن عمر، مؤسسة الصادق ، طهران ، د.ط ، ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م .
- شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، عبد الحليم **الغزي** ، منشورات زهرائيون ، د.ط ، د.ت.
- شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، الشيخ أحمد بن زين الدين **الأحسائي** ت(١٢٤١هـ) ، دار المفيد ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٩٩٩م .
- شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ، محمد تقي **المجلسي** ت(١٠٧٠هـ) ، و محمد باقر **المجلسي** ت(١١١١هـ) ، و نعمة الله **الجزائري** ت(١١١٢هـ) ، تحقيق : احمد بن حسين العبيدان الاحسائي ، دار الكرامة للطباعة ، قم ، ايران ، ط١ ، ٢٠١١م.

- شرح الكافي (الأصول والفروع والروضة) ، محمد صالح **المازندراني** ت(١٠٨١هـ) ، المكتبة الإسلامية ، طهران ، إيران ، ط١ ، ١٤٢٤هـ .
- شرح المعلقات العشر وأخبار شعرائها ، أحمد الأمين **الشنقيطي** ، تحقيق : فاتن محمد خليل اللبون ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، د.ط ، د.ت .
- شرح شافية ابن الحاجب ، حسن بن محمد بن شرف شاه الحسيني **الأستراباذي**، ركن الدين ت(٧١٥هـ) ، المحقق: د. عبد المقصود محمد عبد المقصود ، مكتبة الثقافة الدينية ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ٢٠٠٤م .
- شرح شافية ابن الحاجب مع شرح شواهده ، عبد القادر **البغدادي** ت(١٠٩٣ هـ) ، محمد بن الحسن الرضي الإستراباذي، نجم الدين ت(٦٨٦هـ) ، حققهما، وضبط غريبهما، وشرح مبهمهما، الأساتذة: محمد نور الحسن – المدرس في تخصص كلية اللغة العربية ، محمد الزفزاف – المدرس في كلية اللغة العربية، محمد محيى الدين عبد الحميد – المدرس في تخصص كلية اللغة العربية ، دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان ، ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥ م .
- شرح عقود الجمان في المعاني والبيان ، جلال الدين **السيوطي** ت(٩١١هـ) ، وبهامشه : حلية اللب المصون على الجوهر المكنون ، الشيخ أحمد الدمنهوري ، مطبعة مصطفى الحلبي وأولاده ، مصر ، د.ط ،١٣٥٨هـ ـ ١٩٣٩م.
- شرح فصوص الحكم ، محمد داوود القيصري **الرومي** ، تحقيق: جلال الدين آشتيانى ، منشورات كلية العلوم ، طهران ، إيران ، د.ط ، ١٣٧٥هـ .
- شرح نهج البلاغة ، عبد الحميد بن هبة الله المعروف **بابن أبي الحديد** ت(٦٥٦هـ) ، مكتبة آية الله المرعشي النجفي ، قم ، ايران ، ط١ ، ١٤٠٤هـ .
- شعرية الانزياح دراسة في جماليات العدول، د.خيرة حمزة **العين** ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، ط١، ٢٠١٢ م .

- شفرات النص دراسة سيمولجية في شعرية القص والقصيد ، د. صلاح **فضل** ، دار الآداب ، القاهرة ، ١٩٩٩م .
- شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم ، نشوان بن سعيد **الحميري** اليمني ت(٥٧٣هـ) ، تحقيق : د حسين بن عبد الله العمري – مطهر بن علي الإرياني – د يوسف محمد عبد الله ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٩٩٩م.
- الشموس الطالعة من مشارق الزيارة الجامعة ، حسين **الهمداني** الدرود آبادي ، تحقيق : محسن بيدار فر ، شريعت ، قم ، ايران ، ط١ ، ١٤٢٦هـ .

حرف الصاد

- الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها ،احمد **بن فارس** ت(٣٩٥هـ)، تحقيق مصطفى الشويمي ، مؤسسة بدران للطباعة ، بيروت ، لبنان، ١٣٨٣هـ - ١٩٦٤ م .
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، أبو نصر إسماعيل بن حماد **الجوهري** الفارابي ت(٣٩٣هـ) ، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين – بيروت ، ط٤، ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م .
- صحيح مسلم ، مسلم بن الحجاج **النيسابوري** ، شرح النووي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط٢ ، ١٤٠٧هـ .
- الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة ، ابن حجر **الهيتمي** ت(٩٧٤هـ)، علق عليه : عبد الوهاب عبد اللطيف ، شركة الطباعة الفنية المتحدة ، مكتبة القاهرة، ط٢، ١٣٨٥هـ.
- الصورة الأدبية تاريخ ونقد ، علي علي **صبح** ، دار إحياء الكتب العربية ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ٢٠٠٨م .
- الصّورة الفنّيّة في المثل القرآنيّ . دراسة نقديّة بلاغيّة ، الدكتور محمّد حسين عليّ **الصّغير**، دار الرشيد للنشر ، بغداد ، العراق ، ١٩٨١م .

حرف الطاء

- طبقات فحول الشعراء ، محمد بن سلام **الجُمحي** ت(٢٢١هـ)، شرح: محمود محمد شاكر ، دار المدني ، جدة ، د.ط ، ١٩٧٤.
- الطراز المتضمن أسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ، يحيى بن حمزة **العلوي** ت(٧٤٩هـ) ، أشرفت على مراجعته وضبطه وتدقيقه : جماعة من العلماء ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨٢م .

حرف الظاء

- ظاهرة التعالق النصي في الشعر السعودي الحديث ، د. علوي **الهاشمي** ، كتاب الرياض مؤسسة اليمامة الصحفية الرياض.
- ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب العربي مقاربة بنيوية تكوينية ، محمد **بنيس** ، دار التنوير للطباعة والنشر ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٨٥.

حرف العين

- العَقد الفريد ، أحمد بن محمد **بن عبد ربه** الأندلسي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، د.ط ، د.ت .
- علل الشرائع ، ابن بابويه (الشيخ **الصدوق**) ت(٣٨١هـ) ، داوري ، قم ، إيران ، ط١، ١٤٢٧هـ.
- علم أساليب البيان ، الدكتور غازي **يموت** ، دار الأصالة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، ط١، ١٩٨٣م .
- علم البديع بين الصوت اللغوي والبحث البلاغي في القرآن الكريم ، رشا سعود عبد العالي **السعيدي** ، (رسالة) ، جامعة الكوفة ، كلية التربية للبنات ، ٢٠١١م .

مظان البحث

- علم البديع نشأته وتطوره ، عبد الرزاق أبو زيد **زايد** ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، مصر ، د.ط ، ١٩٧٧م .
- علم البيان ، دراسة تاريخية وفنية لاصول البلاغة ومسائل البيان ، د.بسيوني عبد الفتاح **فيّود**، أستاذ البلاغة والنقد ، كلية اللغة العربية ، جامعة الازهر ، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ، القاهرة ، مصر ، ط٢- ١٤١٨هـ- ١٩٩٨ م.
- علم المعاني ، درويش **النجدي** ، مطبعة الرسالة ، مصر ، ط٢ ، ١٩٦٢م .
- علم المعاني بين الأصل النحوي والموروث البلاغي ، د.محمد حسين **الصغير** ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد، ١٩٨٩م .
- علم المعاني (دراسة تاريخية لاصول البلاغة ومسائل البيان)، د. بسيوني عبد الفتاح **فيود**، دار الامين للطباعة، القاهرة، ط٢، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م .
- علم المعاني ، دراسة وتحليل ، كريمة محمود **أبو زيد** ، دار التوفيق النموذجية ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٨٨م.
- علم المعاني ودلالات الامر في القرآن الكريم دراسة بلاغية ، د. مختار **عطية** ، دار الوفاء، الإسكندرية، جمهورية مصر العربية ، ط١ ، د.ت .
- علم النص ، جوليا **كرستيفا** ، ترجمة : فريدة الزاهي ، مراجعة : عبد الجليل ناظم ، دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء ، ط١ ، ١٩٩١م .
- علوم البلاغة (البيان والمعاني والبديع)، احمد مصطفى **المراغي**، راجعه واشرف على تصحيحه أبو الوفا مصطفى المراغي، المكتبة المحمودية التجارية، مصر، ط٥ ، د.ت .
- عمدة الكتاب ، أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي المعروف بأبي جعفر **النحّاس** ت(٣٣٨هـ) ، تحقيق : بسام عبد الوهاب الجابي ، دار ابن حزم ، الجفان والجابي للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.

- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، أبو علي الحسن بن رشيق **القيرواني** ت(٤٥٦هـ) ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الجيل ، بيروت ، ط٤ ، ١٩٧٢م.
- عيار الشعر ، محمد بن احمد **بن طباطبا** العلوي (ت ٣٢٢هـ)، شرح وتحقيق: عباس عبد الساتر، مراجعة نعيم زرزور، منشورات محمد علي بيضون، (دار الكتب لعلمية)، بيروت ، لبنان، ط٢، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م .
- عيون أخبار الرضا ، محمد بن علي بن بابويه **القمي** ت(٣٨١هـ) ، تصحيح وتعليق : الشيخ حسين الأعلمي ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٤٠٤ . ١٩٨٤م.
- عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس الخزرجي موفق الدين، أبو العباس **بن أبي أصيبعة** ت(٦٦٨هـ) ، المحقق: الدكتور نزار رضا، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، د.ت .

حرف الغين

- الغارات ، إبراهيم بن محمد بن سعيد **الثقفي** ت(٢٨٣هـ) ، لجنة الآثار الوطنية ، طهران ، إيران ، ط١ ، ١٣٩٥هـ .
- غرائب القرآن ورغائب الفرقان ، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي **النيسابوري** ت(٨٥٠هـ) تحقيق: زكريا عميرات ، دار الكتب العلميه ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٤١٦هـ.
- غريب الحديث ، أبو عُبيد القاسم **بن سلاّم** بن عبد الله الهروي البغدادي ت(٢٢٤هـ) ، تحقيق : د. محمد عبد المعيد خان ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد-الدكن ، ط١ ، ١٩٦٤م .
- الغيبة ، ابن أبي زينب، محمد بن إبراهيم ت(٣٦٠هـ) ، دار الصدوق ، طهران ، إيران ، ط١ ، ١٣٩٧ هـ .

حرف الفاء

- فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ابن حجر **العسقلاني** ت(٨٥٢هـ) ، دار المعرفة ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٩٩م .
- الفرق ، أبو حاتم سهل بن محمد بن عثمان الجشمي **السجستاني** ت(٢٤٨هـ) ، تحقيق : حاتم صالح الضامن ، المجمع العلمي العراقي ، بغداد ، العراق ، د.ط ، ١٩٨٦م.
- الفصول المهمة في أصول الأئمة ، محمد بن الحسن **الحر العاملي** ت(١١٠٤هـ) ، مؤسسة الإمام الرضا (عليه السلام) للمعارف الإسلامية ، قم ، ايران ، ط١، ١٤١٨هـ.
- الفصول المهمة في أصول الأئمة(تكملة الوسائل) ، **الحر العاملي**، محمد بن حسن ت(١١٠٤هـ) ،مؤسسة الإمام الرضا عليه السلام للمعارف الإسلامية ، قم ، ايران ، ط١ ، ١٤١٨هـ .
- فضائل الخلفاء الأربعة وغيرهم ، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران **الأصبهاني** ت(٤٣٠هـ) ، تحقيق: صالح بن محمد العقيل ، دار البخاري للنشر والتوزيع، المدينة المنور ، السعودية ، ط١ ، ١٩٩٧م .
- فضائل الشيعة ، محمد بن علي بن بابويه القمّي **(الشيخ الصدوق)** ت(٣٨١هـ) ، مؤسسة الأعلمي ، طهران ، إيران ، ط١ ، د.ت .
- فضائل الصحابة ، احمد **بن حنبل** ت(٢٤١هـ) ، تحقيق : وصي الله بن محمد عباس، دار ابن الجوزي ، مكة المكرمة ، ط١، ١٤١٤هـ.
- فن الشعر، **ارسطو** طاليس مع الترجمة العربية القديمة وشروح الفارابي وابن سينا وابن رشد، ترجمة : عبد الرحمن بدوي، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، مصر ، د.ت .

مظان البحث

- فنون بلاغية (البيان – البديع) ، أحمد **مطلوب** ، دار البحوث العلمية ، الكويت ، ط ١ ، ١٩٧٥م .
- الفوائد الغياثية في علوم البلاغة ، عضد الدين **الأيجي** ت(٧٥٦هـ) ، تحقيق عاشق حسين ، دار الكتاب المصري ، القاهرة ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٩١م .
- الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان ، **ابن القيم الجوزية** ت(٧٥١هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط٢ ، ١٩٨٨م .
- في أصول الخطاب النقدي الجديد ، **تودوروف** وآخرون ، ترجمة : د. أحمد المديني ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط٢ ، ١٩٨٩.
- في التطبيق النحويّ والصرفيّ ، الدكتور عبدة **الراجحي** ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، مصر ، ط١ ، ١٩٩٢م .
- في النحو العربي قواعد وتطبيق ، د.مهدي **المخزومي** ، دار الرائد ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٨٦م.
- في النقد الأدبي ، علي علي **صبح** ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ٢٠١٤م .
- في النقد الأدبي منطلقات وتطبيقات ، د. فائق **مصطفى** ، د. عبد الرضا **علي** ، مديرية دار الطتب للطباعة والنشر ، الموصل ، العراق ، ط١ ، ١٩٨٩م.
- في رحاب الزيارة الجامعة الكبيرة ، الشيخ محمد **السند** ، اعداد : علي جلال الشرخات ، مكتبة فدك ، قم ، ايران ، ط١ ، ٢٠٠٧م .
- في رحاب الزيارة الجامعة، علي الحسيني **الصدر** ، دار الغدير ، قم ، ايران ، د.ط، ١٤٢٣هـ.
- في مفهوم الشعر ونقده في النقد الأدبي العربي القديم ، د. عبد المجيد **زراقط** ، دار الحق ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٩٩٨م .

- فيض القدير شرح الجامع الصغير ، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي **المناوي** القاهري ت(١٠٣١هـ) ، المكتبة التجارية الكبرى ، مصر ، ط١ ، ١٣٥٦هـ .

حرف القاف

- القاموس المحيط ، الفيروز أبادي ، أعداد وتقديم : محمد عبد الرحمن المرعشلي ، دار التراث العربي ، بيروت ، ط٣ ، ٢٠٠٣ .
- قاموس المصطلحات اللغوية والأدبية ، د. إميل بديع **يعقوب** ، د. بسام **بركة** ، مي **شيخاني** ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٩٨٧م .
- قراءة جديدة لشعرنا القديم ، د. صلاح **عبد الصبور** ، منشورات إقرأ ، بيروت ، لبنان ، ط١، ٢٠٠٦م .
- القرآن والأدب والفكر الإسلامي . مقاربة معرفية جمالية . ، د. أمجد حميد **الفاضل** ، دار الحسين (عليه السلام) ، كربلاء ، العراق ، ط١، ٢٠٢٠م .
- القزويني وشروح التلخيص ، د. احمد **مطلوب**، منشورات مكتبة النهضة، بغداد، العراق ، ط١، ١٣٨٧هـ-١٩٦٧م.
- قضايا النقد العربي الحديث ، د. محمد أحمد **ربيع** ، دار الفكر للنشر ، عمان ، الأردن ، ط١، ١٩٩٠م .
- قضية الإعجاز القرآني واثرها في تدوين البلاغة العربية ، د. عبد العزيز عبد المعطي **عرفة**، عالم الكتب ، بيروت ، لبنان، ط١، ١٤٠٥هـ -١٩٨٥م .
- قواعد اساسية في البحث العلمي ، د. سعيد **اسماعيل** ، المدينة المنورة ، السعودية ، ط٢ ، ٢٠١٠م .
- قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم ، د. سناء حميد **البياتي**، دار وائل للنشر، الاردن (عمان) ، ط١، ٢٠٠٣م .
- قواعد النقد الأدبي ، آبر **كرومبي** ، دار المعارف ، مصر ، د.ط ، ١٩٣٦م .

حرف الكاف

- الكافي ، محمد بن يعقوب **الكليني** ت(٣٢٩هـ) ، دار الكتب الإسلامية ، طهران ، ط٤ ، ١٤٠٧هـ.
- الكافي في البلاغة ، أيمن أمين **عبد الغني** ، دار التوفيقية للتراث ، القاهرة ، د.ط ، ٢٠١١م.
- كامل الزيارات ، جعفر بن محمد **بن قولويه** القمِّي ت(٣٦٧هـ) ، دار المرتضوية ، النجف الأشرف ، العراق ، ط١ ، ١٣٩٧هـ .
- الكامل في اللغة والأدب ، أبو العباس محمد بن يزيد **المُبرِّد** ت(٢٨٥هـ)، تحقيق : د.محمد أحمد الداني ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط٣ ،١٤١٨ هـ –١٩٩٧م.
- كتاب الصناعتين الكتابة والشعر ، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل **العسكري** ت(٣٩٥هـ)، حققه وضبط نصه : د. مفيد قميحة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط ٢ ، ١٤٠٩ هـ ، ١٩٨٩ م.
- كتاب الصناعتين الكتابة والشعر ، أبو هلال **العسكري** ، تحقيق : علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، القاهرة ، مصر ، ط١ ، ١٩٥٢م .
- كتاب العين ، الخليل بن أحمد **الفراهيدي** ت (١٧٥هـ) ، تحقيق د. مهدي المخزومي و د. إبراهيم السامرائي ، دار الرشيد للنشر ، بغداد ، العراق ، د.ط ، ١٩٨١م .
- كتاب الغيبة للحجة ، محمد بن الحسن نصير الدين **الطوسي** ت(٤٦٠هـ) ، دار المعارف الإسلامية ، قم ، ايران ، ط١ ، ١٤١١هـ .
- كتاب سُليم بن قيس الهلالي ، سُليم بن قيس **الهلالي** ت(٧٦هـ) ، مطبعة الهادي ، قم ، إيران ، ط١ ، ١٤٠٥هـ .

- الكتاب، كتاب **سيبويه**، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ت(١٨٠هـ) ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ط٢ ، ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م.
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل، جار الله **الزمخشري** ت(٥٣٨هـ) ، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود ، علي محمد عوض ، مكتبة العبيكان ، الرياض ، ط١ ، ١٩٩٨م.
- الكشف والبيان (تفسير الثعلبي) ، الهمّام أبو إسحاق **الثعلبي** ت(٤٢٧هـ) ، تحقيق: أبو محمد بن عاشور، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٢م .
- الكناية في البلاغة العربية ، د. بشير **كحيل** ، ميدان الاوبرا ، القاهرة ، مصر ، ط١ ،١٤٢٥هـ ، ٢٠٠٤ م .

حرف اللام

- لسان العرب ، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم المعروف **بابن منظور** ت(٧١١هـ)، حققه وعلّق عليه، ووضع حواشيه: عامر احمد حيدر، راجعه: عبد المنعم خليل إبراهيم، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، ط١، ١٤٢٤هـ–٢٠٠٣م.
- اللسانيات وآفاق الدرس اللغوي ، د. أحمد محمد **قدور** ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، لبنان ، ط ١، ٢٠٠١ .
- اللغة الشاعرة ، عباس محمود **العقاد** ، المكتبة العصرية ، صيدا ، لبنان ، د.ط ، د.ت.
- اللغة وعلم اللغة ، جون **ليونز** ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، مصر ، ط١ ، د.ت.

حرف الميم

- مباحث في علوم القرآن ، صبحي **الصالح** ، ت(١٩٨٧م) ،دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، ط١٨ ، ١٩٩١م .

- المثل السائر في آدب الكاتب والشاعر : ضياء الدين **بن الأثير** الجزري (ت٦٣٧هـ) ،تحقيق الشيخ كامل محمد عويضة ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٨م.
- مجاز القرآن ، معمّر بن المثنى **أبو عبيدة** ت(٢١٠هـ) ، عارضه بأصوله وعلق عليه : د. محمد فؤاد سركين ، نشر مطبعة سامي الخانجي ألكتبي ، مطبعة السعادة ، مصر ، ط١ ، ١٣٧٤هـ-١٩٥٥م.
- المجاز في اللغة والقرآن الكريم بين الإجازة والمنع . عرض وتحليل ونقد ، عبد العظيم إبراهيم **المطعني** ، مكتبة وهبة للطباعة والنشر ، مصر، ط٢ ، ٢٠١٤م .
- المجازات النبوية ، محمد بن الحسين **(الشريف الرضي)** ت(٤٠٦هـ) ، دار الحديث ، قم ، إيران ، ط١ ، ١٤٢٢هـ .
- مجمع البحرين ، فخر الدين **الطريحي** ت(١٠٥٨هـ) ، تحقيق : أحمد الحسيني ، منشورات مكتب نشر الثقافة الإسلامية ، قم ، إيران ، ط٢ ، ١٤٠٨هـ .
- مجمع البيان في تفسير القرآن ، الشيخ أبو علي الفضل بن الحسن **الطبرسي** ت(٥٤٨هـ)، تحقيق : لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين ، قدم له : السيد محسن الأمين العاملي (مؤلف كتاب الغدير) ،مؤسسة الأعلمي ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.
- مجمع البيان في تفسير القرآن ، أبو عليّ الفضل بن الحسن **الطّبرسيّ** ت(٥٤٨هـ) ، طبعة جديدة منقّحة ، دار المرتضى ، بيروت ، لبنان ، ط١، ١٤٢٧هـ . ٢٠٠٦م.
- مجمع الزائد ومنبع الفوائد ، ابن حجر **الهيتمي** المصري ، منشورات محمد علي بيضون ، بيروت ، ط١ ، ١٤٢٣ هـ .
- محاضرات في تاريخ النقد عند العرب ، د. ابتسام مرهون **الصفار** ، ود. ناصر **حلاوي** ، مكتبة اللغة العربية ، شارع المتنبي بغداد ، العراق ، د.ط ، ١٩٩٠م .

مظان البحث

- محاضرات في علم المعاني ، د٠محمد هيثم **غرة**، د٠منيرة محمد فاعور، منشورات جامعة دمشق، كلية الآداب، ٢٠٠٤م .
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، أبو محمد عبد الحق **ابن عطية الأندلسي** ت(٥٤٦هـ) ، تحقيق : الرحّالة الفاروق ، عبد العال السيد إبراهيم ، وآخرون ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، قطر ، ط٢ ، ٢٠٠٧ م.
- المحكم والمحيط الأعظم ،ابو الحسن علي بن اسماعيل (**ابن سيدة**) ، تحقيق :عبد الحميد الهنداوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د.ط ، ٢٠٠٠ م .
- المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي ، د. رمضان **عبد التواب** ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، مصر ، ط٣ ، ١٩٩٧م .
- مدخل إلى البلاغة العربية ، يوسف مسلم **أبو العدوس** ، دار الميسرة ، عمان ، الأردن ، ط١ ، ٢٠٠٧ م .
- مدخل إلى مناهج النقد الأدبي ، ترجمة: رضوان **ظاظا**، عالم المعرفة، الكويت، ١٩٧٨م .
- مدينة معاجز الأئمة الإثني عشر ودلائل الحجج على البشر ، هاشم بن سَليمان **البحراني** ت(١١٠٧هـ) ، مؤسسة المعارف الإسلامية ، قم ، إيران ، ط١ ، ١٤١٣هـ
- مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول ، محمد باقر **المجلسي** ت(١١١١هـ) ، دار الكتب الإسلامية ، طهران ، ايران ، ط٢ ، ١٤٠٤هـ .
- مروج الذهب ومعادن الجوهر، **المسعودي**، أبو الحسن بن علي، ت(٣٤٦هـ)، راجعه: مرعي، كمال حسن، المكتبة العصرية، بيروت، ط١، ٢٠٠٥م .
- مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل ، حسين بن محمد تقي **النوري** ت(١٣٢٠هـ) ، مؤسسة أهل البيت (عليهم السلام) ، قم ، إيران ، ط١ ، ١٤٠٨هـ .
- المستدرك على الصحيحين ، أبو عبد الله الحاكم **النيسابوري** ت(٤٠٥هـ) ، وبذيله : التلخيص للذهبي ، دار المعرفة ، بيروت ، ط٢، ١٤١٨هـ .

مظان البحث

- مشارق أنوار اليقين في أسرار أمير المؤمنين عليه السلام ، رجب بن محمد المعروف **بالحافظ البرسي** ت(٨١٣هـ) ، الأعلمي ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٤٢٢هـ .
- مصباح الشريعة ، الإمام جعفر بن محمد **الصادق** (عليه السلام) ت(١٤٨هـ) ، مؤسسة الأعلمي ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٤٠٠هـ .
- المصباح في المعاني والبيان والبديع ، أبو عبد الله بدر الدين بن محمد بن مالك الشهير **بابن الناظم** ت(٦٨٦هـ) ، تحقيق : عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ٢٠٠١م .
- المطوَّل شرح تلخيص مفتاح العلوم، سعد الدين مسعود بن عمر **التفتازاني** ت(٧٩٢هـ)، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ،بيروت . لبنان ، ط١، ١٤٢٢هـ . ٢٠٠١م .
- مع الأئمة الهداة في شرح الزيارة الجامعة ، السيد علي الحسيني **الميلاني** ، مركز الحقائق الإسلامية ، لا توجد معلومات أخرى في الكتاب .
- معاني القرآن ، سعيد بن مسعدة (**الأخفش الأوسط**) ت(٢١٥هـ) ، تحقيق : د. فائز فارس ، دار الرشيد للنشر ، ط٢ ،١٤٠١هـ – ١٩٨١م .
- معاني القرآن، **الفراء** (٢٠٧هـ) تحقيق د. محمد علي النجار، واحمد يوسف نجاتي، عالم الكتب، بيروت ، ط٢ ، ١٩٨٠م .
- المعاني في ضوء أساليب القرآن ، د. عبد الفتاح **لاشين** ، دار المعارف ، القاهرة ، ط٣ ، ١٩٧٨م.
- معايير تحليل الأسلوب ، ميخائيل **ريفاتير** ، ترجمة وتعليق : د. حميد لحمداني ، دراسات سيميائية أدبية لسانية (دراسات سال) ، البيضاء ، تونس ، ط١ ، ١٩٩٣م .

مظان البحث

- معترك الأقران في إعجاز القرآن ، أبو الفضل جلال الدين **السيوطي** ت(٩١١هـ) ، ضبطه وصححه وكتب فهارسه: احمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.
- معجم أعلام شعراء المدح النبوي ، محمد أحمد **درنيقة** ، تقديم : ياسين الأيوبي ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، د.ت.
- معجم البلاغة العربيّة ، د. بدوي **طبانة** ، دار ابن حزم، بيروت ، لبنان ، ط٤، ١٤١٨هـ . ١٩٩٧م .
- المعجم القرآني (دراسة معجمية لألفاظ القرآن الكريم) ، د. حيدر علي **نعمة** ، د. أحمد علي **نعمة** ، مطبعة السيماء ، بغداد ، د . ط ، ٢٠١٣ م.
- المعجم الكبير ، أبو القاسن سليمان بن أحمد **الطبراني** ت(٣٦٠هـ)، تحقيق: حمدي عبد المجيد ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط٢، ١٤٠٥هـ .
- معجم اللغة العربية المعاصرة ، د. احمد مختار **عمر** ، عالم الكتب ، القاهرة ، مصر ، ط١ ، ٢٠٠٨م .
- معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة (عرض وتفسير ومقارنة) ، سعيد **علوش** ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، سوشبرس ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط١، ١٩٨٥م.
- معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ، د. احمد **مطلوب**، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد ، العراق ، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.
- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، محمد فؤاد **عبد الباقي** ، دار الحديث القاهرة ، مصر ، ط٢ ، ١٩٨٨م .
- معجم المؤلفين ، عمر رضا **كحَّالة** ت(١٤٠٨هـ) دار احياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، ط١، ١٩٩٩م .

مظان البحث

- المعجم الوسيط ، اخراج ابراهيم **مصطفى** ، أحمد **الزيات** ، حامد **عبد القادر** ، محمد على **النجار** ، تحقيق: لجنة في مجمع اللغة العربية في القاهرة ، دار الدعوة ، إسطنبول ، ١٩٨٩م.
- معجم ديوان الأدب ، أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم بن الحسين **الفارابي** ت(٣٥٠هـ)، تحقيق : أحمد مختار عمر ، مراجعة : إبراهيم أنيس ، مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، القاهرة ، مصر ، ط١ ، ٢٠٠٣م.
- معجم رجال الحديث ، أبو القاسم الموسوي **الخوئي** ت(١٩٩٢م) ، مطبوعات دار الأندلس ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ٢٠٠٦م .
- معجم لسان العرب ، جمال الدين أبي الفضل محمد بن مكرم المعروف **بابن منظور** ت(٧١١هـ)، حققه وعلّق عليه، ووضع حواشيه: عامر احمد حيدر، راجعه: عبد المنعم خليل إبراهيم، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، ط١، ١٤٢٤هـ–٢٠٠٣م.
- معجم مصطلحات الادب، د. مجدي **وهبة**، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ، ط١ ، ٢٠١٠م.
- معجم مقاييس اللغة ، أحمد **بن فارس** ت(٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر ، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩ م .
- مغني اللبيب عن كُتُب الأعاريب، ابن هشام **الأنصاري** ت(٧٦١هـ) :خرج آياته وعلق عليه: أبو عبد الله علي عاشور الجنوبي ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، ط٢، ٢٠٠٨م.
- مفاتيح الجنان ويليه الباقيات الصالحات ، عباس بن محمد رضا بن أبي القاسم **القمي** ت(١٣٥٩ هـ - ١٩٤١م) ، دار المحجة البيضاء ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٩٩٧م .

مظان البحث

- مفتاح العلوم ، أبو يعقوب يوسف بن محمد بن علي **السكاكي** ت(٦٢٦هـ)، حققه وقدم له وفهرسه: د. عبد الحميد هنداوي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان، ط١، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.
- المفردات في غريب القرآن ، الراغب **الأصفهاني** ت(٥٠٢ هـ) ، تحقيق ، صفوان عدنان داودي ، دار القلم ، دمشق ، ط٤ ، ٢٠٠٥م.
- المقتضب ، أبو العباس محمد بن يزيد **المبرد** ت(٢٨٥هـ) ، تحقيق: حسن حمد، مراجعة: د. اميل يعقوب، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط١، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.
- مقدمة إبن خلدون ، عبد الرحمن ابن **خلدون** ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، د.ت.
- المقنع ، محمد بن علي بن بابويه القمي **(الشيخ الصدوق)** ت(٣٨١هـ) ، مؤسسة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف ، قم ،إيران ، ط١ ، ١٤١٥ هـ .
- من بلاغة القرآن ، أحمد أحمد **بدوي** ، نهضة مصر للطباعة والنشر ، الجيزة ، مصر ، د. ط ، ٢٠٠٣م .
- من لا يحضره الفقيه ، محمد بن علي **بن بابويه القمي** ت(٣٨١هـ): تحقيق: علي أكبر الغفاري ، طبع ونشر، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ، قم – إيران ، ط٥-١٤٢٩هـ .
- من هدى القرآن ، السيد محمد تقي **المدرِّسي** ، دار القارئ ، بيروت ، لبنان ، ط٢ ، ١٤٢٩هـ ـ٢٠٠٨م.
- المناقب ، محمد بن علي بن الحسين **العلوي** ت(القرن الخامس الهجري) ، دليل ما ، قم ، إيران ، ط١ ، ١٤٢٨هـ .
- مناقب آل أبي طالب ، محمد بن علي **ابن شهر آشوب** المازندراني ت(٥٨٨هـ)، علامة ، قم ، ط١، ١٤٢١هـ .

مظان البحث

- مناهل العرفان ، محمد عبد العظيم **الزرقاني** ت(١٩٤٨م) ، تحقيق : سليم الكردي ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، د.ط ، د.ت .
- المُنَجَّد في اللغة (أقدم معجم شامل للمشترك اللفظي) ، علي بن الحسن الهُنائي الأزدي، أبو الحسن الملقب بـ**(كراع النمل)** ت(٣٠٩هـ) ، تحقيق: دكتور أحمد مختار عمر، دكتور ضاحي عبد الباقي ، عالم الكتب، القاهرة ، مصر ، ط٢ ، ١٩٨٨م .
- منهاج الصالحين، السيد علي الحسيني **السيستاني**، أنصاريان ، قم ، ايران ، ط١ ، ١٤٢٨هـ.
- المنهج الإسلامي النقدي ، د. سيد سيد **عبد الرزاق** ، دار الفكر ، دمشق ، سوريا ، ط١ ، ٢٠٠٢م .
- مواهب الرحمن في تفسير القرآن ، السيد عبد الأعلى الموسوي **السبزواري** ت(١٤١٤هـ . ١٩٩٤م) ، دار التفسير ، مطبعة شريعت ، ايران ، ط٢ ، ١٤٢٨هـ . ٢٠٠٧م.
- مواهب الواهب في فضائل والد أمير المؤمنين أبي طالب (عليه السلام) ، الشيخ جعفر بن محمد **النقدي** ت(١٣٦٩هـ) ، تحقيق : د. محمد هادي الأميني ، الكتبي للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، ط٢ ، ١٩٩٣م .
- الموشح ، أبو عبد الله محمد بن عمران **المرزباني** ت(٣٨٤هـ) ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ، د.ط ، ١٩٦٥م .
- المولد النبوي ... هل نحتفل؟ ، شحاته محمد **صقر** ، دار الخلفاء الراشدين ، الإسكندرية ، دار الفتح الإسلامي ، الإسكندرية ، مصر ، د.ط ، د.ت .
- ميخائيل باختين المبدأ الحواري ، **تودوروف** وآخرون ، ترجمة : فخري الصالح ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط١ ،١٩٩٢م.
- ميزان الحكمة ، محمد **الريشهري** ، دار الحديث ، بيروت ، لبنان ، ط١، ٢٠٠١م .

- الميزان في تفسير القرآن ، السيد محمد حسين **الطباطبائي** ت(١٤٠٢هـ . ١٩٨٢م) ، الأعلمي ، بيروت، ط٣ ، ١٣٩١هـ .

حرف النون

- نتائج الفكر في النَّحو ، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد **السُّهيلي** ت(٥٨١هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٩٩٢م .
- نزهة الناظر وتنبيه الخاطر ، حسن بن محمد بن نصر **الحلواني** ت(القرن الخامس) ، مدرسة الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه الشريف) ، قم ، ايران ، ط١ ، ١٤٠٨هـ .
- النظرية النقدية عند العرب، د. هند حسين **طه**، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، دار الرشيد، بغداد ، د.ط ، ١٩٨١م .
- النقد الأدبي، أصوله ومناهجه ، **سيد قطب**، دار الشروق ، القاهرة ، مصر ، ط٨ ، ٢٠٠٣م.
- نقد الشعر ، ابو الفرج **قدامة بن جعفر** ت(٣٣٧هـ) ، تحقيق وتعليق : د. محمد عبد المنعم خفاجي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، د.ط ، د.ت .
- نقد النثر، أبو الفرج **قدامة بن جعفر** ت(٣٣٧هـ) ، تحقيق: طه حسين، وعبد الحميد العبادي، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، د.ط ، ١٣٥١هـ-١٩٣٣م .
- النكت في إعجاز القرآن (ضمن ثلاث رسائل) ، ثلاث رسائل في إعجاز القران الكريم : **للرماني** (ت٣٨٦هـ) و**الخطابي** (ت٣٨٨هـ) وعبد القاهر **الجرجاني** (ت٤٧١هـ) ، تحقيق محمد خلف الله ود. محمد زغلول سلام ، دار المعارف، مصر، ط٣ ، ١٩٥٦م .
- نهاية الأرب في فنون الأدب ، أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري، شهاب الدين **النويري** ت(٧٣٣هـ) ، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة ، ط١، ١٤٢٣ هـ .

- نهاية الايجاز في دراية الإعجاز، محمد بن عمر فخر الدين **الرازي** ت(٦٠٦هـ) ، تحقيق وتقديم: د. إبراهيم السامرائي، ود. محمد بركات حمدي أبو علي، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان– الأردن، ١٩٨٥م .
- نهج البلاغة ، **الإمام علي** (عليه السلام) ، جمع : الشريف **الرضي** ت(٤٠٦هـ) ، شرح : الشيخ محمد عبدة ، مؤسسة المختار ، القاهرة ، ط٢ ، ٢٠٠٨م .
- نهج البلاغة ، الإمام علي (عليه السلام) ت(٤٠هـ) ، جمع : الشريف الرضي ت(٤٠٦هـ) ، شرح : صبحي **الصالح** ، الهجرة ، قم ، ايران ، ط١ ، ١٤١٤هـ .
- نور الأبصار في مناقب آل بيت النبي المختار صلى الله عليه و[آله] وسلم ، مؤمن بن حسن مؤمن **الشبلنجي** ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى بالبابي الحلبي وأولاده ، مصر ، ط٢ ، ٢٠٢٠م .

حرف الواو

- الوافي بالوفيات ، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله **الصفدي** ت(٧٦٤هـ) ، المحقق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى ، دار إحياء التراث – بيروت ، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م .
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر **ابن خلكان** البرمكي الإربلي ت(٦٨١هـ) ، المحقق: إحسان عباس ، دار صادر – بيروت ، د.ط ، ١٩٩٤م .

حرف الياء

- ينابيع المودة لذوي القربى ، سليمان بن إبراهيم **القندوزي الحنفي** ، تحقيق : سيد علي جمال أشرف الحسيني ، دار الأسوة للطباعة والنشر ، ط١، ١٤١٦هـ .

٢. الرَّسائلُ والأطاريح

مظان البحث

حرف الباء

- الأساليب البلاغية في تفسير نظم الدُّرر في تناسب الآيات والسّور ،(أطروحة) ، عقيد خالد **العزاوي** ، جامعة بغداد ، ابن رشد ، ٢٠٠٢ م .

حرف اللام

- لغة الشعر في الخطاب النقدي الأكاديمي العراقي (أطروحة دكتوراه) ، مسلم مالك **الأسدي** ، جامعة كربلاء ، كلية التربية للعلوم الإنسانية ، ٢٠١٤م .

حرف الميم

- المناهج النقدية في نقد الشعر العراقي الحديث ، حسين عبود **حميد** ، (اطروحة دكتوراه) ، مطبوعة بالالة الكاتبة ، كلية الاداب ، بغداد ، ١٩٩١م .

٣. الدَّوريات

حرف التاء

- تداخل النصوص ، هانس جورج **روبريشت** ، ترجمة : الطاهر شيخاوي ، ورجاء بن سلامة ، مجلة الحياة التونسية ، العدد : ٥٠ ، ١٩٨٨م .
- التناص ، **تودوروف** ، ترجمة : فخري الصالح ، مجلة الثقافة الأجنبية ، العدد(٤) – السنة ٨ ، ١٩٨٨م .

حرف الجيم

- جماليات البيان في تفسير من هدى القرآن الكناية مثالاً ، بحث ، م. خالد عبد النبي عيدان **الأسدي** ، **مجلة تسليم** ، السنة الرابعة ، العدد (١٤.١٣) ، حزيران ، ٢٠٢٠م.

حرف الحاء

- حكم وقوع المجاز في اللغة والقرآن ، علي بن ذريان الجعفري **العنزي** ، **مجلة** حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية في القاهرة ، العدد (٣٣) ، ٢٠١٦م .

- فن الالتفات في مباحث البلاغيين ، جليل رشيد **فالح** . بحث منشور في **مجلة** آداب المستنصرية العدد (٩) ، ١٩٨٤م .
- في نظرية النص الأدبي ، عبد الملك **مرتاض**، مجلة الموقف الأدبي، العدد (٢٠١)، السنة(١٧)، دمشق ، سوريا ، ١٩٨٨.

٤. المواقع الأليكترونية

- الاحتمال وأثره على الاستدلال (بحث) ، عبد الجليل زهير ضمرة ، الشبكة المعلوماتية ، https://elibrary.mediu.edu.my/books/MAL03705.pdf
- .https://ar.wikipedia.org/wiki .
- .https://arabi21.com .
- .https://www.arabehome.com/poetry

Abstract

It goes without saying to talk about the words of the second heavyweight (the pure family) whom the Messenger of God (may God's prayers and peace be upon him and his family) recommended to follow and follow them without objecting to them or disagreeing with them because they do not lead us away from guidance nor lead us into error. The researcher did not want to say what they said because (their speech is light and their affairs are guidance); So he decided to research the products of the commentators on their blessed sayings, so the title came: (Rhetorical and critical topics in ten selected explanations of the visit to the Great University); The search was based on explanations that were selected for study and research.

The choice of the title was due to the researcher's desire for these products and through consultation with the supervising professor (may God bless him) in drafting, and the plan - which is the road map for the thesis - was in accordance with what the title dictated to the researcher, through which we produced what we mentioned in the results drawn from the entire thesis.

The selected explanations have completed all the acquisitions of (ancient) Arabic rhetoric, because the commentators of the honorable, comprehensive visit; He is one of the masters of scientific institutions and has a long history in language and literature. He did not miss any of the rhetorical touches without mentioning it, even if briefly and concisely.

As for the critical topics, they did not have the weight of rhetoric in these explanations, despite their presence in abundance when compared

to the rhetorical topics. So Al-Yahith divided the thesis into two sections, a section devoted to rhetoric and a section devoted to criticism.

Then he extracted results from both sections to conclude the thesis. These results were the essence of the research into these explanations that he included in the course of his study, and he followed these results with recommendations that he considered worthy of note

and thank Allah the god of everything ..

Ministry of Higher Education and Scientific Research

University of Kerbala / College of Islamic Sciences

Department of Arabic Language

Rhetorical and critical studies In ten selected explanations of the great university visit

A PhD thesis submitted to the Council of the College of Islamic Sciences/ University of Kerbala as a part of the requirements for obtaining a doctorate degree in the language and literature of Qur'an

Written by

Khaled Abdul Nabi Aidan Al-Asadi

Supervised by

PhD. Prof. Amjad Hamid Abdullah Al-Fadil

1445 **2024**